٢١٨ ـ ٧
٢١٨
م2

المملكة العربية السعودية
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
قسم الدراسات العليا
شعبة الدعوة

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
عمادة شؤون المكتبات - قسم المخطوطات
رقم التسجيل العام
الخاص
التاريخ / / ١٤هـ

منهج القرآن الكريم
في دعوة أهل الكتاب إلى الإسلام

إعداد الطالب حمود بن أحمد بن فرج الرصيلي

لنيل درجة الماجستير

باشراف

فضيلة الدكتور عبد المنعم محمد حسنين
رئيس شعبة الدعوة بقسم الدراسات العليا

١٤٠٣ / ١٤٠٤هـ - ١٩٨٣ / ١٩٨٤م

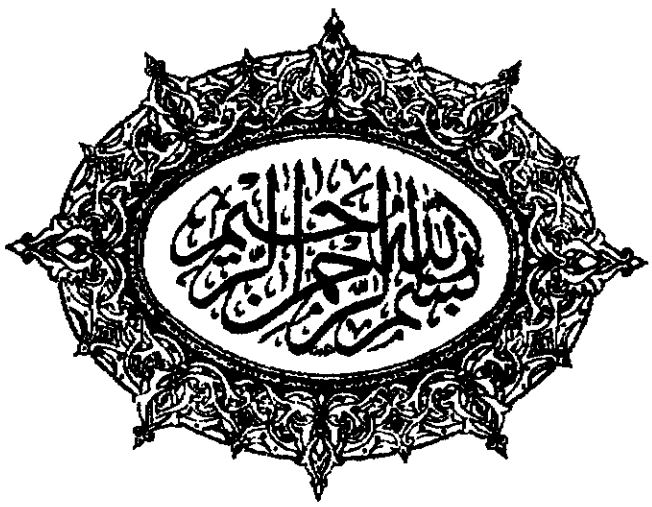
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

"إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ۗ وَمَا ٱخْتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۗ وَمَن
يَكْفُرْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ" ⑲ آل عمران

" قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا
وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا
يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن
تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ" ⑭ آل عمران

" يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ ءَامِنُوا۟ بِمَا نَزَّلْنَا
مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُم مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا
فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّآ أَصْحَٰبَ
ٱلسَّبْتِ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا" ⑰ النساء

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ
كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ
عَن كَثِيرٖۚ قَدۡ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٞ وَكِتَٰبٞ مُّبِينٞ ﴿١٥﴾
المائدة

يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ عَلَىٰ
فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٖ
وَلَا نَذِيرٖ فَقَدۡ جَآءَكُم بَشِيرٞ وَنَذِيرٞۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ
قَدِيرٞ ﴿١٩﴾ المائدة

" قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيۡكُمۡ جَمِيعًا .. ﴿١٥٨﴾
الأعراف

" وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا
وَنَذِيرٗا وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٨﴾ سبأ

شكر وتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وتقدير :

الحمد لله حمد الشاكرين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، والتابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

وبعد : فاني أشكر الله تعالى على نعمه التي لا تعد ولا تحصى ، ومن تلك النعم ما منّ به عليّ من اتمام هذه الرسالة في الوقت المناسب .

ثم أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير لفضيلة الأستاذ الدكتور / عبد المنعم محمد حسنين - رئيس شعبة الدعوة بقسم الدراسات العليا بالجامعة، الذى أشرف على هذه الرسالة ، وبذل الكثير من وقته وجهده في توجيهي وارشادى ، فجزاه الله عني خير الجزاء .

كما أتقدم بخالص الشكر وبالغ التقدير الى القائمين على شئون الجامعة الاسلامية عموما ، والمسئولين عن الدراسات العليا خصوصا ، فقد قدموا لأبنائهم طلاب العلم كافة الامكانيات الكفيلة بمساعدتهم على أداء واجبهم ، أسأل الله تعالى أن يوفقهم الى ما فيه الخير والصلاح ، وأن يجزيهم عن طلبة العلم خير الجزاء .

كما أشكر كل من قدم لي عونا ، أو أسدى اليّ معروفا من كافة الأساتذة الأفاضل ، والأخوة الأكارم الذين غمروني بحسن توجيههم ، وصدق مودتهم ، وأخص منهم فضيلة الأستاذ الدكتور / محمد سيد طنطاوى ، الذى أكرمني بتوجيهاته وارشاداته القيمة .

فلهؤلاء جميعا أتقدم بخالص الشكر ووافر التقدير ، سائلا الله تعالى أن يجزيهم عني أحسن الجزاء ، انه سميع مجيب الدعاء .

والحمد والشكر لله أولا وآخرا ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

(حمود بن أحمد بن فرج الرحيلي).

بسم الله الرحمن الرحيم

((المقدمـــــة))

الحمد لله رب العالمين الذى صان القرآن العظيم عما وقع في التوراة والانجيل من التحريف والتغيير والتبديل .

و ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُنْ لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا)) (١) .

و ((الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِىَ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا ۜ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۜ مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۜ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ۜ مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا)) (٢) .

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونتوب اليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادى له .

وأشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له ولا ضد له ولا ند ، ولا صاحبة ولا ولد .

وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، خاتم أنبيائه ، وصفوة خلقه ، أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله وكفى بالله شهيدا ، وأرسله بالحق بشيرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا ، الى جميع الثقلين - الجن والانس - عربهم وعجمهم ، أميهم وكتابيهم ، ليخرجهم

---

(١) سورة الاسراء - آية : ١١١ .
(٢) سورة الكهف - آية : ١ - ٥ .

من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا الى سعة الدنيا والآخرة ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام .

يأمر بالمعروف ، وينهى عن المنكر ، ويحل الطيبات ، ويحرم الخبائث ، ويضع عن الناس اصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

ففتح الله به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا ، وأنار به السبيل ، وأقام به الدليل ، وترك الناس على المحجة البيضاء ، ليلها كنهارها ، لا يزيغ عنها الا هالك .

بشرت به الكتب السماوية السابقة ، وأخبرت به رسل الله السالفة ، من عهد آدم أبي البشر ، الى آخر أنبياء بني اسرائيل عيسى بن مريم ، كلما قام رسول أخذ عليه الميثاق بالايمان به والبشارة بنبوته . فصلوات الله وسلامه عليه ، وعلى آله وأصحابه أجمعين ، وعلى التابعين لهم باحسان الى يوم الدين .

أما بعد : فان الله جلت حكمته ، وتقدست أسماؤه وصفاته ، بعث رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم على فترة من الرسل ، وفي وقت اشتد فيه ظلام الكفر ، وانطمست فيه معالم السبل .

اذ كان الكفر قد تطرق الى عقائد أهل الأرض جميعا سواء في ذلك أهل الكتاب الذين عرفوا الديانات السماوية من قبل تحريفها ، أم المشركون في الجزيرة العربية وفي خارجها .

" فالجملة لم تكن على ظهر الأرض أمة صالحة المزاج ، ولا مجتمع قائم على أساس الأخلاق والفضيلة ، ولا حكومة مؤسسة على أساس العدل والرحمة ، ولا قيادة مبنية على العلم والحكمة ، ولا دين صحيح مأثور عن الأنبياء "(١) .

---

(١) انظر : كتاب ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : للسيد أبي الحسن الندوي ص ٦٣ الطبعة السادسة ، دار الكتاب العربي بيروت .

لذا فقد أنزل الله تعالى على رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ القرآن الكريم معجزة كبرى ، وهداية عظمى ، وتكفل بحفظه ورعايته ، قال تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)) (١) .

وقال جل ذكره : ((. . . وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لَّا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ)) (٢) .

وهذا بخلاف الكتب السابقة التي لم يرد الله تعالى لها البقاء ، وانما جاءت لفترات محدودة ، انتهت بانتهاء مهمتها ، ولم يتكفل الله بحفظها ، اقتضاء لحكمته ومشيئته ، بل أوكل حفظها الى الربانيين والأحبار من بني اسرائيل كما قال تعالى : ((... وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)) (٣) . لذلك فقد تعرضت لأنواع التحريف والتغيير والاخفاء .

فكان القرآن الكريم خاتما للكتب السماوية ، مجددا لدعوتها الصحيحة الصافية ، في أصول العقائد والشرائع والأخلاق ، ومهيمنا عليها كما قال تعالى : ((وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ (٤))) ، وبالتالي جاء القرآن الكريم لهداية البشرية الضالة الى منهج الحق والصواب .

وقد خص الله تعالى أهل الكتاب بقسط وافر من الآيات البينات التي تدعوهم الى الاسلام ، والى عبادة الله وحده لا شريك له في ربوبيته والهيته ، وتندد بالمعرضين منهم لعدم مسارعتهم الى الاستجابة والانقياد ، وتقيم عليهم الأدلة القوية بما يعلمونه من خبر الرسول صلى الله

---

(١) سورة الحجر ـ آية : ٩ .
(٢) سورة فصلت ـ آية : ٤١ ـ ٤٢ .
(٣) سورة المائدة ـ آية : ٤٤ .
(٤) سورة المائدة ـ آية : ٤٨ .

عليه وسلم وصدق رسالته .

وتبين لهم وحدة الرسالات السماوية في أصولها وأهدافها ومعظم تشريعاتها ، وأن هذه الرسالة جاءت لتصحح ما طرأ على الرسالات السابقة من تحريف وزيف ، ولتّم الناس جميعاً تحت راية الاسلام الذى أخبر الله عنه بأنه لا يقبل من أحد دينا غيره ، كما قال تعالى : ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (١) .

ولما دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس الى الاسلام آمن به من آمن من أهل الكتاب ، وساله من سالم ، واختار بعضهم مواقف العداء والكيد والحسد للاسلام وأهله ، وأخذوا يشنون الحملات تلو الحملات بشتى الوسائل وأنواع الأساليب رغم انصاف الاسلام لهم ومعاملتهم بالرفق واللين ومجادلتهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ولكن أعماهم الهوى ، ولعب بهم الضلال ، فعاشوا في قلق واضطراب ، وتناحر ونزاع ، وفسوق وانحلال ، ولم ينفعهم الغنى والجاه ، ولا السلطة والسلطان ، ولا الحسد والاستكبار .

ومع هذا فان دعوة الاسلام لا تزال قائمة تدعوهم اليه ، وتأخذ عليهم طرق الافلات من تلك الحجج القاطعة ، والبراهين الساطعة ، في كل زمان ومكان الى قيام الساعة .

ولأهمية ما أشرت اليه ، فقد وفقني الله عز وجل لاختيار : (**منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام**) ليكون موضوعا لرسالتي في الماجستير ، وقد آثرت هذا الموضوع على غيره لأسباب منها :

أولا : اني قصدت المساهمة في خدمة كتاب الله تعالى بابراز منهج القرآن

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٨٥ .

الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام ، وذلك لأن رسالة الاسلام عامة وشاملة لكافة الناس ، وخاتمة للشرائع السماوية ، ولأن الاسلام هو دين الله الحق الذى لا يقبل من أحد غيره ، وقد أوجب الله تعالى على أهله القيام بالدعوة اليه في كثير من الآيات كقوله تعالى : ((قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (١) .

وقوله سبحانه : ((وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ)) (٢) .

وقوله عز وجل : ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ)) (٣) .

وقوله جل وعلا : ((ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ)) (٤) .

وثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً) (٥) .

ثانيا : ما يزعمه أعداء الاسلام - وخاصة بعض أهل الكتاب - من دعاوى مغرضة ، وشبه مضللة بقصد المكابرة وتضليل الناس ، وذلك كقولهم بأن رسالة الاسلام غير شاملة لهم ، لأن الرسول عربي وظهر في بلاد العرب ، أو أن القرآن عربي وأحكامه عربية ، ويجرى العمل به في

---

(١) سورة يوسف - آية : ١٠٨ .
(٢) سورة آل عمران - آية : ١٠٤ .
(٣) سورة آل عمران - آية : ١١٠ .
(٤) سورة النحل - آية : ١٢٥ .
(٥) أخرجه البخارى في صحيحه - عن عبد الله بن عمرو - جـ ٤ ص ١٤٥ كتاب الأنبياء ، باب ٥٠ ما ذكر عن بني اسرائيل .

بلاد العرب .[1]

وكقولهم : أن فكرة عالمية الرسالة جاءت فيما بعد . . وأن محمدا (صلى الله عليه وسلم) لم يوجه دعوته منذ بعث الى أن مات الا للعرب دون غيرهم .[2]

ثالثا : ان هذا الموضوع رغم أهميته لم أر من أفرده بالتأليف - على حد جهودى المتواضعة - اللهم الا ما تبعثر في كتب القدماء والمحدثين أما ما تناوله كثير من العلماء والمحققين في كتاباتهم عن اليهود والنصارى أو عن أحدهما ، فانما كانوا يكتبون عن تاريخهم وأخلاقهم ، ونقد عقائدهم ، وبيان ما دخل على كتبهم من تحريف وتبديل ، ونحو ذلك ، دون ابراز هذا الجانب - الذى نحن بصدده - بكتابة مستقلة .

ومن أجود ما وقفت عليه فيما نحن بصدده ما كتبه شيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه " الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح " حيث تعرض رحمه الله في كتابه هذا لدعوة أهل الكتاب الى الاسلام ولكن بوجه عام ودون بسط أو تفصيل للموضوع .

وكذلك ما كتبه الدكتور محمد سيد طنطاوى في كتابه " بنو اسرائيل في الكتاب والسنة " ، فقد عقد في كتابه هذا فصلا بعنوان " منهاج القرآن الكريم في دعوة اليهود الى الاسلام ومظاهر انصافه لهم " في حوالي ٦٠ صفحة ، وهي كتابة جيدة في الموضوع ، وقد استفدت منها ، ولكنها غير مستوعبة .

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ ١ ص ٢٠ ، مطابع المجد التجارية ، والدعوة في عصر النبوة للدكتور أحمد غلوش ص ١٤٣ مطبعة المدني / القاهرة .

(٢) انظر : الدعوة الى الاسلام لسير توماس . و . أرنولد ص ٥٠ الهامش ، مكتبة النهضة المصرية ، و ما يقال عن الاسلام لعباس محمود العقاد ص ٧١ - ٧٢ دار الكتاب العربي / بيروت ، الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .

لهذا عزمت على الكتابة في هذا الموضوع محاولا اعطاء القارئ الكريم صورة أكثر وضوحا عن دعوة أهل الكتاب وما أقامه عليهم القرآن الكريم من الحجج والبراهين الموجبة عليهم دخول الاسلام .

وكان منهجي في البحث كالتالي :

١ - وضع الآية أو الآيات الكريمة تحت المبحث أو الأسلوب المناسب ، مع بيان مكان الآية أو الآيات من السورة بالترقيم ، ثم أبين وجه أسلوب الآية أو الآيات في الدعوة على ضوء التفاسير المشهورة .

٢ - تخريج الأحاديث ما أمكن ، واذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما ، فصحته تغني عن ذكر ما سواهما ، وربما ذكرت مسند الامام أحمد بن حنبل أو بعض السنن اذا لم أجد الحديث في الصحيحين أو في أحدهما ، أو كان للحديث زيادة ألفاظ عما في الصحيحين أو في أحدهما ، مبينا في الهامش الجزء والصفحة ثم الكتاب فالباب .

٣ - أما الآثار وكذلك الحوادث التاريخية فاكتفيت بعزوها الى أشهر الكتب التي أوردتها (كالسيرة النبوية لابن هشام) و (جامع البيان في تأويل آى القرآن ، وتاريخ الأمم والملوك للطبري) ، و (الجامع لأحكام القرآن للقرطبي) و (تفسير القرآن العظيم ، والبداية والنهاية لابن كثير) وغيرها .

وفي سبيل اخراج الموضوع بشكل مناسب بذلت جهدي وطاقتي بالرجوع الى كل ما أمكنني الرجوع اليه من المصادر والمراجع التي حومت حول هذا الموضوع ، جاعلا القرآن الكريم ، والسنة النبوية هما المصدران الأساسيان لهذه الدراسة .

خطـة البحـث :

وقد قسمت الرسالة الى : مقدمة ، وتمهيد ، وبابين ، وخاتمة .

أما المقدمة فتشتمل على : سبب الاختيار ، ومنهجي في البحث ، والخطة .

وأما التمهيد فيشتمل على تعريف موجز لكل من : المنهج ، القرآن ، الدعوة ، أهل الكتاب ، الاسلام .

وأما الباب الأول : فقد جعلته عن أهل الكتاب وموقف القرآن من مصـــادر ديانتهم . ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : تحدثت فيه عن اليهود عند ظهور الاسلام ، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول / في أسماء اليهود .

المبحث الثاني / في أسباب سكن اليهود في جزيرة العرب .

المبحث الثالث/ في أصل اليهـــود .

وأما الفصل الثاني : فقد تحدثت فيه عن التوراة وما دخلها من تحريف .

ويشتمل على ما يأتي :

١ - تعريف التـوراة .

٢ - أقسام العهد القديم .

٣ - تاريخ تدوين العهد القديم .

٤ - الأسفار الخفية عند اليهـود .

٥ - التلمود وبعض محتوياتـــه .

٦ - شواهد التحريف في العهد القديم .

٧ - أسباب تلف التـوراة .

٨ - موقف القـرآن من التوراة .

وأما الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن النصارى - وفيه مبحثان :

المبحث الأول : في معنى كلمة نصارى ونصرانية .

المبحث الثاني : تحدثت فيه عن النصـارى عند ظهور الاسلام .

وأما الفصل الرابع : فقد تحدثت فيه عن الانجيل وما دخله من تحريـــــف .

ويشتمل على ما يأتي :

١ - تعريف الانجيـــل .

٢ - أقسام العهد الجديد وتاريخ تدوينها .

٣ - نظرة في محتويات الأناجيل الأربعـــة .

٤ - الأناجيل غير المعتمدة عند النصارى .

٥ - شواهد التحريف في العهد الجديد .

٦ - أثر الاضطهادات في الديانة النصرانية .

٧ - موقف القرآن من الأناجيل .

٨ - انقطاع السند عند أهل الكتاب .

٩ - شهادات العلماء المحققين على تحريف التوراة والانجيل .

وأما الفصل الخامس : فقد جعلته في صيانة القرآن الكريم وحمايته عما وقع فـــي التوراة والانجيل - ويشتمل على ما يأتي :

١ - حفظ القرآن في الصدور .

٢ - حفظ القرآن في السطـــور .

٣ - القرآن معجزة محمد الخالدة .

٤ - التحـــــدي بالقـــــرآن .

٥ - وجوه اعجاز القـــــرآن .

٦ - شهادات بعض علماء الغرب في القرآن .

وأما الباب الثاني : فقد جعلته في دعوة القرآن الكريم لأهل الكتاب الـــــى الاسلام - ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول : في دخول أهل الكتاب في عموم رسالة الاسلام - ويشتمل عـــلى تمهيـــد ، وخمسة مباحث :

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم على عموم رسالة الاسلام .

المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية على عموم رسالة الاسلام .

المبحث الثالث : مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على عموم رسالة الاسلام .

المبحث الرابع : الجهاد في سبيل الله يدل على عموم رسالة الاسلام .

المبحث الخامس : شهادات بعض علماء غير المسلمين بعالمية الاسلام .

أما الفصل الثاني : فقد كان في اقامة الأدلة لأهل الكتاب على صدق النبي صلى الله عليه وسلم - ويشتمل على ثمانية مباحث :

المبحث الأول : ثبوت علم أهل الكتاب بحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني : ثبوت علمهم بحقيقة القرآن الكريم .

المبحث الثالث : استفتاح اليهود بالرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الرابع : بشارة عيسى عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث الخامس : هيمنة القرآن الكريم على ما سبقه من الكتب السماوية .

المبحث السادس : اقامة الحجة على أهل الكتاب عن طريق الاستشهاد بما أنزل اليهم .

المبحث السابع : اقامة الحجة عليهم لامتناعهم عن المباهلة .

المبحث الثامن : البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب الحالية .

وأما الفصل الثالث : فقد تحدثت فيه عن أساليب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام - ويشتمل على أحد عشر مبحثا :

المبحث الأول : موافقة دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الأصول لما دعا اليه الأنبياء السابقون .

المبحث الثاني : الدعوة الى ملة ابراهيم عليه السلام وابطال مزاعم أهل الكتاب بأنهم على ملته .

المبحث الثالث : الدعوة الى الايمان بكتب الله ورسله .

المبحث الرابع : الدعوة الى كلمة سواء .

المبحث الخامس : قطع الحجة على أهل الكتاب بارسال خاتم الرسل واظهاره ما يكتمون من دينهم .

المبحث السادس : أسلوب الترغيب .

المبحث السابع : تذكير بني اسرائيل بنعم الله عليهم .

المبحث الثامن : تأنيبهم على عدم اسلامهم .

المبحث التاسع : التهديد والانذار بالعقوبة اذا لم يسلموا .

المبحث العاشر : اخبارهم بأن القرآن الكريم يقص عليهم الحق في خلافاتهم .

المبحث الحادى عشر : بيان سبب اختلافهم في الدين .

وأما الفصل الرابع : فقد جعلته في سماحة الاسلام وانصافه لأهل الكتاب .

ويشتمل على : تمهيد ، وتسعة مباحث .

المبحث الأول : وصفهم بأهل الكتاب .

المبحث الثاني : عدالة القرآن في أحكامه عليهم .

المبحث الثالث : مجادلتهم بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم .

المبحث الرابع : اباحة طعامهم والزواج منهم والتعامل معهم .

المبحث الخامس : قبول الجزية منهم .

المبحث السادس : نماذج من معاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم معهم .

المبحث السابع : القاعدة العامة في التعامل بين المسلمين وغيرهم بوجه عام .

المبحث الثامن : القاعدة العامة في التعامل بين المسلمين والذميين بوجه خاص .

المبحث التاسع : بعض شهادات علماء غير المسلمين بسماحة الاسلام وعدله .

وأما الفصل الخامس : فقد جعلته في موقف أهل الكتاب من الدعوة الى الاسلام ويشتمل على مبحثين :

المبحث الأول : في موقف اليهود .

المبحث الثاني : في موقف النصارى .

وأما الخاتمة : فتشتمل على ملخص لأهم نتائج البحث .

وأسأل الله تعالى أن أكون قد وفقت فيما كتبت ، والحمد لله رب العالمين ، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

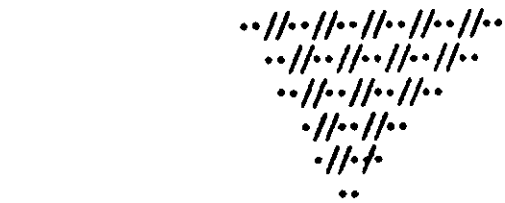

تمهید

((تمهيـــــد))

ويشتمـــل على تعريف موجـــز لما يأتـــي :

١ - المنهـــــج

٢ - القـــــرآن

٣ - الدعـــــوة

٤ - أهـــل الكتـاب

٥ - الاســـــلام

١ - تعريف المنهج :

جاء في لسان العرب : " طريق نهج بين واضح ، والجمع نهجات ونهج ونهوج ، ونهج الطريق وضحه ، والمنهاج كالمنهج .

وفي التنزيل ((لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا)) (١) .

قال يزيد بن الخذاق العبدى :

ولقد أضاء لك الطريق وانهجت ... سبل المكارم والهدى تعدى

ونهجت الطريق أثبته وأوضحته ، يقال : اعمل على ما نهجته لك ، ونهجت الطريق سلكته ، وفلان يستنهج سبل فلان أى يسلك مسلكه ، والنهج الطريق المستقيم " (٢) .

وجاء في حديث عبد الله بن سلام رضي الله عنه : (فاذا جواد منهج على يميني) (٣) .

والجواد جمع جادة وهي الطريق البينة المسلوكة ، والمشهور فيها جوادّ

---

(١) سورة المائدة - آية : ٤٨ .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ٣ ص ٢٠٦ ، دار صادر / بيروت .
وانظر : المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٥٠٦ ، دار المعرفة بيروت . والنهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ ٥ ص ١٣٤ ، المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادى جـ ١ ص ٢١٠ ، مؤسسة الحلبي وشركاه / القاهرة .

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه جـ ٤ ص ٢٣٢ ، فضائل الصحابة رقم ١٥٠ .

بتشديد الدال ، وقد تخفف .(١)

ومن هذا يتبين أن المنهج أو المنهاج هو الطريق الواضح المستقيم البين الذى يسير فيه السالك .

٢ ـ تعريف القـــرآن :

القرآن في الأصل مصدر قرأ قراءة وقرآنا ، قال الله تعالى : ((إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ))(٢) أى قراءته ، فهو مصدر على وزن فعلان ـ بالضم ـ كالغفران والشكران .

وقد خُصّ القرآن بالكتاب المنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فصار له كالعلم الشخصي ، وسمي قرآنا لكونه جمع ثمرات الكتب السالفة المنزلة .(٣)

ويطلق لفظ القرآن على مجموعه وعلى كل آية من آياته من باب اطلاق الجزء على الكل ، فانك اذا سمعت من يتلو آية منه صح أن تقول انه يقرأ القرآن ، قال الله تعالى : ((وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ))(٤) .

وفي الاصطلاح : هو (كلام الله المنزل على خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم ، المعجز بلفظه ومعناه ، المكتوب في المصاحف ، المنقول الينا بالتواتر ، المتعبد بتلاوته ، المبدوء بسورة الفاتحة ، المختتم بسورة الناس) .

---

(١) انظر : شرح النووى على مسلم جـ ١٦ ص ٤٤ ، دار الفكر / بيروت ط ٣ .

(٢) سورة القيامة ـ آية : ١٧ ـ ١٨ .

(٣) انظر : المفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ٤٠٢ ، والاتقان للسيوطي جـ ١ ص ٦٨ ، ط ٤ ، دار المعرفة / بيروت .

(٤) سورة الأعراف ـ آية : ٢٠٤ .

فالكلام اسم جنس في التعريف يشمل كل كلام واضافته الى الله تعالى يخرج كلام غيره من الانس والجن والملائكة .

والمنزل على محمد صلى الله عليه وسلم يخرج ما أنزل على الأنبياء قبله كالتوراة والانجيل قبل تحريفهما .

والمعجز بلفظه ومعناه يخرج الأحاديث القدسية على القول بأن ألفاظها منزلة من عند الله ، وأما على قول من يرى أن معانيها من عند الله ، وألفاظها من عند الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد خرجت بالقول الأول .

والمنقول الينا بالتواتر يخرج قراءات الآحاد .

والمتعبد بتلاوته يخرج الآيات التي نسخت تلاوتها .(١)

٣ - تعريف الدعوة :

الدعوة لغة : المرة الواحدة من الدعاء ، وفيه حديث الرسول صلى الله عليه وسلم (فان دعوتهم تحيط من ورائهم) .(٢)

---

(١) انظر : مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ ص ١٢ - ١٣ ، دار احياء الكتب العربية : عيسى البابي الحلبي وشركاه / القاهرة ، النبأ العظيم : د . محمد عبد الله دراز ص ١٥ ، ط ٢ ، دار القلم الكويت ، المدخل لدراسة القرآن الكريم : محمد محمد أبو شهبة ص ٦ الطبعة الثانية ، دار الكتب / القاهرة ، مباحث في علوم القرآن ، مناع القطان ص ٢٠ - ٢١ ، ط الخامسة ، مؤسسة الرسالة / بيروت .

(٢) رواه ابن ماجه جـ ٢ ص ١٠١٦ باب المناسك ، دار احياء التراث العربي / مصر .

والدعاة قوم يدعون الى بيعة هدى أو ضلالة ، وأحدهم داع ، ورجل داعية اذا كان يدعو الناس الى بدعة أو دين ، أدخلت الهاء فيه للمبالغة ، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الله تعالى .

وفي التهذيب : المؤذن داعي الله ، والنبي صلى الله عليه وسلم داعي الأمة الى توحيد الله وطاعته ، قال عز وجل مخبرا عن الجن الذين استمعوا القرآن وولوا الى قومهم منذرين ، قالوا : ((يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ)) (١) .

وجاء في معجم مقاييس اللغة : " . . . الدعوة الى الطعام بالفتح والدعوة في النسب بالكسر ، ومنه داعية اللبن ، وهو ما يترك في الضرع لدعوة ما بعده ، ومنه تداعت الحيطان اذا سقط واحد وآخر بعده فكأن الأول دعا الثاني ، وداعي الدهر صروفه " (٢) .

ودعوة الحق شهادة أن لا اله الا الله (٣) .

وجاء في المصباح : " دعوت الله دعاء ، ابتهلت اليه بالسؤال ورغبت فيما عنده من الخير ، ودعوت زيدا ناديته وطلبت اقباله ، ودعا المؤذن الناس الى الصلاة فهو داعي الله ، والجمع دعاة وداعون مثل قاضي وقضاة وقاضون ، والنبي

---

(١) انظر : لسان العرب جـ ١٤ ص ٢٥٨ ، وتهذيب اللغة لأبي منصور جـ ٣ ص ١٢٠ ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، والقاموس المحيط للفيروزآبادي جـ ٤ ص ٣٢٨ .
والآية ٣١ من سورة الأحقاف .

(٢) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس جـ ٢ ص ٢٧٩-٢٨٠ شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي وأولاده / بمصر .

(٣) تاج العروس لمحب الدين الزبيدي جـ ١٠ ص ١٢٨ ، دار مكتبة الحياة / بيروت ، الطبعة الأولى .

داعي الخلق الى التوحيد " .(١)

والدعاء الى الشيء الحث على قصده ، ومنه قوله تعالى :

((قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ)) .(٢)

وقوله تعالى : ((واللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ)) .(٣)

ومن هذا يتبين أن الدعوة في اللغة تستعمل في الخير والهدى كما في قوله تعالى : ((قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) .(٤)

وقوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً * وَدَاعِياً إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُنِيراً)) .(٥)

وقوله تعالى : ((وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)) .(٦)

كما تستعمل عند الاطلاق في الشر والضلال ، ولذلك فانه لابدّ من المعنى الاصطلاحي لتوضيحها وتمييزها .

---

(١) المصباح المنير : أحمد محمد علي الفيومي ص ١٩٤ ، دار المعارف / بمصر . تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوى .

(٢) سورة يوسف - آية : ٣٣ .

(٣) سورة يونس - آية : ٢٥ .

(٤) سورة يوسف - آية : ١٠٨ .

(٥) سورة الأحزاب - آية : ٤٥ - ٤٦ .

(٦) سورة فصلت - آية : ٣٣ .

الدعـــوة في الاصطلاح :

عرفها شيخ الاسلام ابن تيمية بقوله : " الدعوة الى الله هـــــي الدعوة الى الايمان بـه ، وبما جاءت به رسله ، بتصديقهم فيما أخبروا بـــه ، وطاعتهم فيما أمروا ، وذلك يتضمن الدعوة الى الشهادتين ، واقام الصـــلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وحج البيت ، والدعوة الى الايمان باللـــــه وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، والايمان بالقدر خيره وشره ، والدعوة الى أن يعبد العبد ربه كأنه يراه " .(١)

وهذا التعريف اشتمل على الدعوة الى أركان الاسلام ، وأركـــان الايمان ، وركن الاحسان .

وعرفها المتأخـــرون(٢) بتعاريف كثيرة متقاربة ، نستطيع أن نستخـــلص منها بأن الدعوة هي : " ابلاغ الناس دعوة الاسلام في كل زمان ومكان بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين " .

---

(١) مجموعة الفتاوى جـ ١٥ ص ١٥٧ - ١٥٨ ، الطبعة السعوديـــة ، تصوير عن الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

(٢) انظر مثلا : تذكرة الدعاة : للبهي الخولي ص ٣٥ ط ٦ ، ١٣٩٩ هـ مكتبة الفلاح / الكويت . الدعوة الى الاسلام : للدكتور أبو بكـــــر زكـري ص ٨ ، مكتبة دار العروبـة / القاهرة . مع الله : لمحمد الغزالي ص ١٧ ، المكتبة الاسلامية . الدعوة الاسلامية : أحمـــد ظوش ص ١٠ وما بعدها ، دار الكتاب المصـرى ، دار الكتـــاب اللبنـــاني .

٤ - تعريف أهل الكتاب :

ذهب الأحناف الى أن أهل الكتاب كل من اعتقد دينا سماويا وله كتاب منزل كالتوراة والانجيل وصحف ابراهيم وشيث وزبور داود ، فلا يقتصر أهل الكتاب على اليهود والنصارى .(١)

وذهب الشافعية والحنابلة والامام الجصاص من الأحناف الى أن أهل الكتاب هم اليهود والنصارى دون غيرهم كأصحاب ابراهيم وشيث وزبور داود ، مستدلين بقوله تعالى : ((أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ على طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا)) .(٢)

ولأن تلك الصحف كانت مواعظا وأمثالا لا أحكام فيها فلا يثبت لها حكم الكتب المشتملة على الأحكام .(٣)

والذى يبدو أن القول الثاني هو الراجح ، لأن آية : ((أن تقولوا انّما أنزل الكتاب على طائفتين من قبلنا)) صريحة في أن أهل الكتاب في عرف القرآن هم اليهود والنصارى دون غيرهم ، كما أن القرآن الكريم

---

(١) انظر : تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق للزيلعي جـ ٢ ص ١١٠ ، دار المعرفة / بيروت . الفتاوى الهندية جـ ١ ص ٢٦٣ ، طبع بمحروسة مصر المحمية .

(٢) سورة الأنعام - آية : ١٥٦ .

(٣) المجموع شرح المهذب للشيرازى جـ ١٥ ص ١٢٢ ، وص ١٢٤ ، تكملة محمد نجيب المطيعي ، نشر مكتبة الارشاد / جدة . والمغني لابن قدامة جـ ٦ ص ٥٩٠ - ٥٩١ ، وجـ ٨ ص ٤٩٦ - ٤٩٧ ، مكتبة الرياض الحديثة / الرياض . أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٢٥ دار المصحف / القاهرة .

أطلق اسم "أهل الكتاب" على اليهود والنصارى دون غيرهم.(١)

وأما الصابئة(٢) : فروى عن أبي حنيفة رحمه الله أنهم أهل كتاب .

وقال صاحباه - أبو يوسف ومحمد - : ليسوا من أهل الكتاب .

وكان أبو الحسن الكرخي يقول : الصابئون الذين هم عند أبي حنيفة من أهل الكتاب هم قوم ينتحلون دين المسيح ويقرأون الانجيل ، فأما الصابئون الذين يعبدون الكواكب فانهم ليسوا بأهل كتاب عندهم جميعا.(٣)

واختلف قول الشافعي رحمه الله فيهم ، فمرة قال : انهم صنف من النصارى ، ومرة توقف في حكمهم ، والمذهب عند الشافعية أنهم ان وافقوا اليهود والنصارى في أصول الدين من تصديق الرسل والايمان بالكتب كانوا منهم، وان خالفوهم في أصول الدين لم يكونوا منهم ، وكان حكمهم حكم عبدة الأوثان.(٤)

---

(١) أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٢٧ نشر دار المصحف / القاهرة . المجموع جـ ١٨ ص ٢٠٧ ، فتح الباري لابن حجر جـ ٦ ص ٢٥٩ ، طبع المكتبة السلفية . تفسير المنار : محمد رشيد رضا جـ ٦ ص ١٩٠ دار المعرفة / بيروت . اليهود في القرآن لعفيف طبارة ص ١٦ ، الطبعة الثانية ، دار العلم للملايين / بيروت .

(٢) الصابئون جمع صابيء ، وهو المستحدث سوى دينه دينا ، كالمرتد من أهل الاسلام عن دينه ، وكل خارج من دين كان عليه الى آخر غيره تسميه العرب صابئا .
تفسير الطبري جـ ١ ص ٣١٨ - ٣١٩ مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / بمصر .

(٣) أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٢٨ .

(٤) المجموع جـ ١٥ ص ١٢٤ ، جـ ١٨ ص ٢١٠ .

وروى عن الامام أحمد بن حنبل رحمه الله أنهم جنس من النصـــارى كما روى عنه أنه قال : بلغني أنهم يسبتون فهؤلاء اذا يشبهون اليهود .

وقال ابن قدامة : والصحيح فيهم أنهم ان كانوا يوافقون النصـــارى أو اليهود في أصل دينهم ويخالفونهم في فروعـه فهم ممّن وافقوه وان خالفوهم في أصل الدين فليسوا منهم والله أعلم .(١)

وروى عن الحسن البصرى أنهم بمنزلة المجوس ، وعن الأوزاعي ومـــالك أنهم قوم من المشركين بين اليهود والنصارى ليس لهم كتاب .(٢)

والظاهر أن أمر الصابئة التبس على الفقهاء لخفاء حقيقتهم ، فقـال كل فقيه منهم بناء على ما ظهر له من أمرهم ، ولعل القول الأقرب بأنهـم ان وافقوا أحد أهل الكتابين في أصل دينهم فهم من أهل الكتاب ، والاّ فليسوا منهـــــــم .

وأما المجوس : فذهب أكثر الفقهاء الى أنهم ليسوا من أهل الكتـاب وقال بعضهم انهم من أهل الكتاب بحجة أنهم كانوا أهل كتاب يدرسونـــــه ولكن رفع عنهم ونزع من صدورهم ، ولو مروى عن علي بن أبي طالب رضي اللـــه عنه ، وأبي ثـــور .

والصحيح أنهم ليسوا من أهل الكتاب بدليل قوله تعالـــى : ((أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا)) ، اذ لو كان المجوس من أهل الكتاب لكان أهل الكتاب ثلاث طوائف ، وهذا خلاف ما تدل عليـــه

---

(١) المغني لابن قدامة جـ ٦ ص ٥٩١ ، جـ ٨ ص ٤٩٦ - ٤٩٧ .
(٢) أحكام القرآن للجصاص جـ ٤ ص ٢٨٣ .

الآية الكريمة ، كما أن قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (سنوا بهم سنة أهل الكتاب)[١] يدل على أنهم لا كتاب لهم وانما أراد به النبي صلى الله

---

(١) رواه الشافعي ومالك . انظر : بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن جـ ٢ ص ١٢٦ ، الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ هـ .
وموطأ الامام مالك جـ ٢ ص ١٣٩ ، مطبعة الاستقامة بالقاهرة .
قال ابن حجر في الفتح : وهذا - أى الحديث - منقطع مع ثقة رجاله ، ورواه ابن المنذر والدارقطني في الغرائب من طريق أبي علي الحنفي عن مالك فزاد فيه عن جده وهو منقطع أيضا ، لأن جده علي بن الحسين لم يلحق عبد الرحمن بن عوف ولا عمر ، فان كان الضمير في قوله عن جده يعود على محمد بن علي فيكون متصلا لأن جده الحسين بن علي سمع من عمر بن الخطاب ومن عبد الرحمن بن عوف .
وله شاهد من حديث مسلم بن العلاء بن الحضرمي أخرجه الطبراني في آخر حديث بلفظ (سنوا بالمجوس سنة أهل الكتاب) ، قال أبو عمر : هذا من الكلام العام الذى أريد به الخاص ، لأن المراد سنة أهل الكتاب في أخذ الجزية فقط . قلت - أى ابن حجر - : وقع في آخر رواية أبي علي الحنفي : " قال مالك في الجزية : واستدل بقوله سنة أهل الكتاب على أنهم ليسوا أهل كتاب " ، لكن روى الشافعي وعبد الرزاق وغيرهما باسناد حسن عن علي : (كان المجوس أهل كتاب يقرأونه ، وعلم يدرسونه ، فشرب أميرهم الخمر فوقع على أخته ، فلما أصبح دعا أهل الطمع فأعطاهم وقال : ان آدم كان ينكح أولاده بناته ، فأطاعوه وقتل من خالفه فأسرى على كتابهم وعلى ما في قلوبهم منه فلم يبق عندهم منه شيء) .
وروى عبد بن حميد في تفسير سورة البروج باسناد صحيح عن ابن أبزى (لما هزم المسلمون أهل فارس قال عمر : اجتمعوا . فقال : ان المجوس ليسوا أهل كتاب فنضع عليهم ، ولا من عبدة الأوثان فنجرى عليهم أحكامهم ، فقال علي : بل هم أهل كتاب ،

عليه وسلم حقن دمائهم واقرارهم بالجزية لا غير (١) .

وروى البخاري باسناده عن بجالة (٢) أنه قال : (... ولم يكن عمر أخذ الجزية من المجوس ، حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر (٣)) .

= فذكر نحوه لكن قال : " وقع على ابنته " وقال في آخر : " فوضع الأخدود لمن خالفه " ، فهذا حجة لمن قال كان لهم كتاب .

وأما قول ابن بطال : لو كان لهم كتاب ورفع لرفع حكمه ، ولما استثنى حل ذبائحهم ونكاح نسائهم ، فالجواب أن الاستثناء وقع تبعا للأثر الوارد في ذلك ، لأن في ذلك شبهة تقتضي حقن الدم ، بخلاف النكاح ، فانه مما يحتاط له .

وقال ابن المنذر : ليس تحريم نسائهم وذبائحهم متفقا عليه ، ولكن الأكثر من أهل العلم عليه . اهـ . من فتح الباري لابن حجر جـ ٦ ص ٢٦١ - ٢٦٢ المكتبة السلفية .

(١) أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٢٧ ، المغني لابن قدامة جـ ٦ ص ٥٩١ ، جـ ٨ ص ٤٩٧ - ٤٩٨ ، تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٧٧ ، المجموع جـ ١٥ ص ١٢٢ ، جـ ١٨ ص ٢٠٦ .

(٢) بجالة - بفتح الموحدة بعدها جيم - ابن عبدة - بفتحتين - التميمي العنبري البصري ، ثقة من الثانية .
تقريب التهذيب لابن حجر ص ٤٢ ، نشر دار الكتب الاسلامية / باكستان .

(٣) صحيح البخاري جـ ٤ ص ٦٢ كتاب الجزية والموادعة ، باب ١ الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب .

قال الشهرستاني : " الخارجون عن الملة الحنفية ، والشريعة الاسلامية ممّن يقول بشريعة وأحكام وحدود وأعلام قد انقسموا الى من له كتاب محقق مثل التوراة والانجيل ، وعن هذا يخاطبهم التنزيل بأهل الكتاب والى من له شبهة كتاب مثل المجوس والمانوية ، فان الصحف التي أنزلت على ابراهيم عليه السلام ، قد رفعت الى السماء لأحداث أحدثها المجوس ، ولهذا يجوز عقد العهد والذمام معهم وينحى بهم نحو اليهود والنصارى ، ولكن لا يجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ، فان الكتاب قد رفع عنهم ." (١)

٥ - تعريف الاسلام :

تعريف الاسلام لغة :

جاء في لسان العرب : الاسلام والاستسلام : الانقياد ، والاسلام من الشريعة اظهار الخضوع واظهار الشريعة والتزام ما أتى به النبي صلى الله عليه وسلم وبذلك يحقن الدم ويستدفع المكروه ." (٢)

وجاء في المصباح : " أسلم لله فهو مسلم وأسلم دخل في دين الاسلام ، وأسلم دخل في السلم " . (٣)

---

(١) الملل والنحل للشهرستاني جـ ١ ص ٢٠٨ ، دار المعرفة/ بيروت .

(٢) لسان العرب لابن منظور جـ ١٢ ص ٢٩٣ ، وانظر : تهذيب اللغة لأبي منصور جـ ١٢ ص ٤٥١ ، وتاج العروس للزبيدي جـ ٨ ص ٣٤٠ .

(٣) المصباح المنير ص ٢٨٧ .

وفي القاموس المحيط : " تسالما تصالحا ، وسالما صالحا ، واستسلم انقاد "[١] .

وقال الراغب : " السلم والسلامة التعرى من الآفات الظاهرة والباطنة "[٢] .

وبهذا يتضح أن الاسلام في اللغة هو الاستسلام والخضوع والانقياد لأمر الآمر ونهي الناهي ، قال تعالى : ((أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ))[٣] .

تعريف الاسلام شرعا :

جاء في حديث جبريل ـ عليه السلام ـ : (... قال يا محمد أخبرني عن الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أن تشهد أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت ان استطعت اليه سبيلا . قال : صدقت ... الحديث)[٤] .

وهذا التعريف بالاسلام انما هو تعبير بالجزء عن الكل لبيان أهمية هذا الجزء ، ويدل على ذلك ما رواه ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي

---

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادى جـ ٤ ص ١٣٠ ، وانظر : النهاية في غريب الحديث جـ ٢ ص ٣٦٥ .

(٢) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص ٢٣٩ .

(٣) سورة آل عمران ـ آية : ٨٣ .

(٤) أخرجه مسلم جـ ١ ص ٣٧ كتاب الايمان ، حديث رقم (١) . وأخرجه البخارى بنحوه ج ١ ص ١٨ كتاب الايمان باب ٣٧ سؤال جبريل النبي صلى الله عليه وسلم عن الايمان والاسلام والاحسان .

صلى الله عليه وسلم قال : (بني الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان) (١) .

وبهذا يتبين أن بناء الاسلام يقوم على هذه الأركان الخمسة ، وليس معنى ذلك أن هذه الأركان كل الاسلام ، وانما هي بمثابة الأساس الذى يقوم عليه البناء الكبير .

ويمكن أن يقال ان الاسلام : " هو مجموع ما أنزله الله تعالى على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم من أحكام العقيدة والأخلاق والعبادات والمعاملات والاخبارات في القرآن الكريم والسنة المطهرة " (٢) .

* * * * * *

---

(١) أخرجه البخارى جـ ١ ص ٨ كتاب الايمان ، باب ١ قول النبي صلى الله عليه وسلم : بني الاسلام على خمس . وأخرجه مسلم جـ ١ ص ٤٥ كتاب الايمان ، باب بيان أركان الاسلام ، حديث رقم ٢٠ ، ٢١ ، ٢٢ .

(٢) انظر : أصول الدعوة د . عبد الكريم زيدان ص ١٠ الطبعة الثالثة ١٣٩٦ هـ ، وقد ذكر الدكتور عبد الكريم عدة تعريفات للاسلام في كتابه هذا فانظرها .

البَابُ الأوَّلُ

البـــاب الأولـــ

((أهل الكتاب وموقف القرآن من مصادر دياناتهم))

وفيـــــه خمســـة فصـــول :

الفصـــل الأولـــ :

اليهـــود عنـــد ظهـــور الاســـلام .

الفصـــل الثـــاني :

التـــوراة وما دخلهـــا من تحريـــف .

الفصـــل الثـالث :

مـــن هـــم النصـــــارى ؟

الفصـــل الرابـــع :

الانجيـــل وما دخـــله من تحريـــف .

الفصل الخامـــس :

صيانـــة القـــرآن الكريـم عما وقـع في التوراة والانجيل

الفصـــل الأول

اليهـود عند ظهـور الاســلام

وفيـــه ثلاثـــة مباحـــث :

المبحـــث الأول :

أسمـــــاء اليهـــود .

المبحـث الثـــاني :

أسـباب سـكن اليهـود في جزيـرة العـرب

المبحـــث الثـــالث :

أصـــل اليهـــود .

٧
٧
٧
٧
٧
٧
٧
٧
٧
٧
٧
٧

المبحث الأول : أسماء اليهود :

١ - يقال لهم " عبرانيون " ، وعبريون من العبر ، أى من عبور ابراهيم جدهم الأعلى نهر الفرات .

٢ - ويقال لهم " اسرائيليون " أو بنو اسرائيل نسبة الى أبيهم اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام .

فأطلق الاسم على جميع الأسباط في عقبه ثم على فئة منهم الى أن انقرضت فعمهم الاسم جميعا .

وقد ذكر هذا الاسم في القرآن الكريم في عدة مواضع ، قال تعالى : ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ)) (١) .

كما جاء ذكر يعقوب - عليه السلام - في آيات كثيرة من القرآن الكريم منها : قوله تعالى ((أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إذ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي ؟ قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ ابْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) (٢) .

٣ - ويقال لهم : " هود " و " عادوا " وقد تغلبت كلمة " يهود " عليهم وأصلها " يهوذا " وهم سبط من أسباط بني اسرائيل سموا بهذا الاسم تميزا لهم عن الأسباط العشرة الذين سموا " اسرائيل " الى أن تشتت الأسباط وأسر يهوذا ، فمن ثم دعي جميع نسل يعقوب

---

(١) سورة البقرة - آية : ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ .

(٢) سورة البقرة - آية : ١٣٣ .

" يهوذا " ويهوذا جد هذا السبط وهو رابع أولاد يعقوب عليه السلام ".(١)

ومعنى هاد ، يهود ، هودا ، وتهود : تاب ورجع الى الحق .

قال صاحب لسان العرب : " الهود التوبة ، هاد يهود هودا : تاب ورجع الى الحق فهو هايد ، وفي التنزيل العزيز : ((وَاكْتُبْ لَنَا فِي هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَا إِلَيْكَ)) (٢) . أي تبنا ورجعنا اليك . وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وابراهيم .

((وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ)) (٣) معناه دخلوا اليهودية وهود الرجل : حوله الى اليهودية ، وهاد يهود اذا صار يهوديا " .(٤)

قال الدكتور جواد علي : " ولفظة يهود أعم من لفظة عبرانيين من بني اسرائيل ، وذلك أن لفظة يهود تطلق على العبرانيين وعلى غيرهم ممّن دخل في دين يهود وهو ليس منهم ، وقد أطلق الاسرائيليون وأهل يهوذا لفظة يهود على أنفسهم وعلى كل من دخل في ديانتهم تمييزا لهم عن غيرهم ممّن لم يكن على هذا الدين وهم الغرباء " .(٥)

---

(١) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي جـ ٦ ص ٩٤ - ٩٥ طبع المجمع العلمي العراقي . وبنو اسرائيل في الكتاب والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوي جـ ١ ص ٣ وما بعدها ، منشورات دار مكتبة الأندلس - بنغازي بليبيا . واليهود في القرآن لعفيف طبارة ص ١٥ دار العلم للملايين / بيروت .

(٢) سورة الأعراف - آية : ١٥٦ .

(٣) سورة الأنعام - آية : ١٤٦ .

(٤) لسان العرب لابن منظور جـ ٤ ص ٤٥٠ - ٤٥٢ ، الطبعة الأولى بولاق / بمصر ، وانظر : تفسير الطبري جـ ٩ ص ٧٨ ، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / بمصر .

(٥) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٩٥ .

٤ - وأطلق القرآن الكريم عليهم عبارة " أهل الكتاب " وهي لا تعني أنهم أصحاب علم بالكتابة ، وانّما المراد بذلك أنهم أهل كتاب سماوى منزل من الله وهو التوراة ، ويدخل في هذه التسمية النصارى - كما تقدم - لوجود كتاب سماوى لديهم وهو الانجيل (١) .

* * * * *

---

(١) انظر : اليهود في القرآن الكريم لعفيف طبارة ص ١٦ .

المبحث الثاني : أسباب سكن اليهود في جزيرة العرب :

كان في الجزيرة العربية عند ظهور الاسلام جاليات يهودية ، يسكن بعضها في المدينة وضواحيها كبني قينقاع ، وبني النضير ، وبني قريظة ، ويسكن البعض الآخر قريبا منها كيهود خيبر وفدك وتيماء ووادى القرى . كما يسكن بعضهم في اليمن .

وقد اختلف المؤرخون في سبب تسرب اليهود الى الجزيرة العربية وزمن وصولهم اليها بعد اتفاقهم على أن العنصر اليهودى عنصر دخيل على الجزيرة العربية نازح اليها من بعيد ، لا تربطه بسكان هذه الجزيرة أية رابطة من دين أو لغة أو دم (١) .

ويرجع بعض المؤرخين تسرب اليهود الى الجزيرة العربية الى الأسباب التالية :

( ) ان بني اسرائيل بعد ملكهم الشام بعثوا بعوثهم الى الحجاز وهنالك يومئذ أمة من العمالقة يسمون "جاسم" وكان اسم ملكهم الأرقم بن أبي الأرقم ، وقد أوصى موسى -عليه السلام- هذه البعوث أن لا يستبقوا من العمالقة أحدا ممّن بلغ الحلم ، فانتزعوا الحجاز من أيدى العمالقة ، ونزعوا يثرب وخيبر وقتلوا الأرقم ، ولكنهم استبقوا ابنه وضنوا به على القتل لوضاءته ، ولما رجعوا بعد الفتح الى الشام وكان قد توفي موسى - عليه السلام - وجدهم اخوانهم

---

(١) انظر : غزوة بني قريظة : لمحمد أحمد باشميل ص ٣٥ - ٣٦ ، دار الفكر / بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ .

ومنعوهم دخول الشام وأرجعوهم الى الحجاز وما تملكوا من أراضي يثرب فنزلوها ، واستتم لهم فتح في نواحيها ومن بقايهم يهود بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع ويهود خيبر وسائر يهود الحجاز.(١)

٢) أنه لما حج موسى - صلوات الله عليه - حج معه أناس من بني اسرائيل ،فلما كان انصرافهم أتوا على المدينة ، فرأوا موضعها صفة بلد نبي يجدون وصفه في التوراة بأنه خاتم النبيين ، فاشتورت طائفة على أن يتخلفوا به ، فنزلوا في موضع سوق بني قينقاع ، ثم تألفت اليهم أناس من العرب .(٢)

٣) ان ذلك كان بعد أن قام بختنصر بالاستيلاء على القدس حيث تفرقت بنو اسرائيل ونزل بعضهم الحجاز بيثرب ووادى القرى وغيرها وهم بنو النضير ، وبنو قريظة ، وبنو عدل .(٣)

---

(١) انظر : الروض الأنف للسهيلي جـ ٢ ص ٥٩٠ ، دار الكتب الحديثة / القاهرة . وتاريخ ابن خلدون جـ ٢ ص ٤٩ ، ١٦٧ ، ٥٩٣ ، مكتبة المدرسة ، ودار الكتاب اللبناني / بيروت . وسمط النجوم العوالي جـ ٢ ص ٦ - ٧ ، المطبعة السلفية ومكتبتها / القاهرة . ووفاء الوفاء للسمهودى جـ ١ ص ١٥٩ ، دار احياء التراث العربي / بيروت الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ، ومعجم البلدان للحموى جـ ٥ ص ٨٤ ، دار صادر / بيروت .

(٢) وفاء الوفاء للسمهودى جـ ١ ص ١٥٧ .

(٣) تاريخ الطبرى جـ ١ ص ٣٨٣ ، المطبعة الحسينية بالقاهرة ، الطبعة الأولى . ووفاء الوفاء جـ ١ ص ١٦٠ ، والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٢ ص ٣٩ ، مكتبة المعارف / بيروت . وفتوح البلدان للبلاذرى جـ ١ ص ١٥ - ١٦ ، مكتبة النهضة المصرية .

٤) ان ذلك كان أثر الحرب التي وقعت بين اليهود والرومان في سنة ٧٠ م ، وكانت الغلبة فيها للرومان على اليهود ، حيث قتلوا منهم مقتلة عظيمة ، وضربوا فلسطين ودمروا هيكل بيت المقدس ، عند ذلك تفرقت اليهود ، وقصد كثير منهم بلاد العرب ، فخرج بنو النضير وبنو قريظة وبنو بهدل هاربين الى الحجاز ، وسكنوا في يثرب .(١)

ويقول الدكتور جواد علي : والحديث عن اليهودية بين العرب ، وعن وجود يهود في أنحاء جزيرتهم ، لا يمكن أن يكون حديثا تاريخيا مبنيا على العلم اذا ارتفعنا به الى الميلاد والى ما قبل الميلاد ، أي اننا لا نملك نصوصا تاريخية تخولنا أن نتحدث عن اليهود في جزيرة العرب قبل الميلاد حديثا علميا ، بأن نعين المواضع التي نزلوا فيها ، والأماكن التي وصلوا اليها وما فعلوه هناك ، وفي أي عهد كان ذلك ، . . . ؟ .

وليس لنا من تاريخ اليهود في جزيرة العرب الا ما جاء في القرآن الكريم ، وفي الحديث ، وكتب التفسير والأخبار والسير .(٢)

وأضاف يقول : ومن الصعب تعيين الزمن الذي هاجر فيه اليهود الى هذا الموضع ، لقد أرجع بعضهم ذلك الى أيام هجوم الرومان على فلسطين غير أن من الجائز أن يكون هجرتهم اليها قد وقعت قبل ذلك ، ومن الجائز أن تكون في أثناء السبي واستيلاء البابليين على القدس .(٣)

---

(١) معجم البلدان للحموي جـ ٥ ص ٨٤ دار صادر / بيروت .
وتاريخ العرب قبل الاسلام ج ٦ ص ١٠ .

(٢) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٥١١ - ٥١٣ الطبعة الأولى ١٩٧٠ م دار العلم للملايين / بيروت .

(٣) المرجع السابق جـ ٦ ص ٥٢٧ .

ويقول أحمد الشريف : أما متى وفد اليهود على يثرب ، وكيـــــف ؟ فأمر لا يمكن البت فيه برأى قاطع ، فان ما لدينا عن معلومات هي مجموعة مـــن روايات نقلها أصحاب الأخبار ، وسردتها المراجع العربية ، وهذه الروايـــات ترجع وصول الاسرائيليين الى يثرب . . . الى أيام النبي موسى -عليه السلام- بعد خروج بني اسرائيل من مصر . . . عندما بعثهم لقتال العماليق .

ثم قال : ومثل هذه الروايات لا يمكن الاعتماد عليها لأنها لا تستند الى دليل ولأنه لا يوجد في أسفار العهد القديم ما يؤيدها .(١)

وعلى أية حال فمهما يكن سبب وزمان وجود اليهود في هذه المنطقـــة فان الذى يهمنا - هنا - هو أن هناك جاليات يهودية في المدينة وخيـــبر وما حولهما عند بعثة الرسول - صلى الله عليه وسلم - ، ولعل أهم ما دعـــا اليهود الى الاقامة في هذه المنطقة أن علماءهم يجدون صفة الرسول محمـــد -صلى الله عليه وسلم- في التوراة ، وأنه يهاجر الى بلد فيه نخل بين حرتين ولذلك خرجوا من الشام يعبرون كل قرية من القرى العربية بين الشام واليمـــن يجدون نعتها/يثرب فينزل بها طائفة منهم ، ويرجون أن يلقوا محمدا فيتبعونه وكان آباؤهم يحثون أبناءهم على اتباعه اذا جاء ، فأدركه من أدركه من أبنائهـــم فكفروا به وهم يعرفونه حسدا للعرب .(٢)

---

(١) انظر : مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول صلى الله عليه وســـلم ص ٣٠٤ - ٣٠٥ الطبعة الثانية / دار الفكر العربي / القاهرة .

(٢) انظر : وفاء الوفاء جـ ١ ص ١٦٠ - ١٦١ . ومعجم البلدان للحمـــوى جـ ٥ ص ٨٤ / دار صادر / بيروت .

ولم يكن لليهود جاليات كبيرة في جنوب المدينة حتى اليمن لعدم اشارة أهل الاخبار الى ذلك (١).

ولم يتمكن اليهود أثناء وجودهم في الجزيرة العربية من انشاء ممالك وحكومات يحكمها حكام يهود ، بل كانوا في حماية سادات القبائل ورؤسائها يؤدون لهم اتاوة في كل عام مقابل حمايتهم لهم والدفاع عنهم ومنع الأعراب من التعدى عليهم (٢).

وقد ابتنى اليهود الحصون والقلاع والقرى المحصنة ، ليقيموا فيها ويتحصنوا بها في أوقات الحروب مما يدل على أنهم لم يكونوا مطمئنين الى مقامهم ، وأنهم يخشون هجوم القبائل عليهم (٣).

وكان جل اعتماد اليهود في هذه المنطقة عند ظهور الاسلام على التجارة ومعاطاة الربا والزرع وبعض أنواع الصناعة ، كالصياغة والحدادة وتربية الماشية ، واشتهروا بالاتجار بالملح والبر والشعير والخمر ، وكان لتعاطيهم بالربا وحصولهم على غنى فاحش وأموال طائلة بطرق سهلة يأنف العربي القيام بها ، لاعتقاده أنها مما لا تتفق ومروءة انسان شريف حر ، أن خلقت لهم بغضاء وأعداء بين السواد الأعظم من الناس (٤).

وكانوا يقيمون بالرهن ، وقد ورد عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين

---

(١) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ١٧ .
(٢) المرجع السابق جـ ٦ ص ٢٢ .
(٣) مكة والمدينة لأحمد الشريف ص ٣٠٢ ، وص ٣٠٩ .
(٤) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٢٢ ، ٩٠ .

صاعا من شعير . (١)

وكانت لليهود مواضع يقيمون فيها عباداتهم ، ويتدارسون فيها أحكام شريعتهم ، وأيامهم الماضية ، وأخبارهم الخاصة برسلهم وأنبيائهم وكتبهم ، وغير ذلك عرفت بـ " المدراس " و " بيت المدراس " . (٢)

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس في المسجد خرج النبي صلى الله عليه وسلم فقال : (انطلقوا الى يهود ، فخرجنا حتى جئنا بيت المدراس فقال : أسلموا تسلموا ، واعلموا أن الأرض لله ورسوله واني أريد أن أجليكم من هذه الأرض ، فمن يجد منكم بماله شيئا فليبعه والا فاعلموا أنّ الأرض لله ورسوله) . (٣)

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن اليهود جاءوا الى النبي صلى الله عليه وسلم برجل وامرأة قد زنيا ، فقال لهم : (كيف تفعلون بمن زنى منكم ؟) قالوا : نحممهما (٤) ونضربهما ، فقال : (لا تجدون

---

(١) رواه البخاري في صحيحه جـ ٣ ص ١١٥ كتاب الرهن في الحضر وجـ ٣ ص ٢٣١ باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم . المكتبة الاسلامية ـ استانبول / تركيا .

(٢) المدراس : البيت الذي يدرسون فيه . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير جـ ٢ ص ١١٣ ـ المكتبة الاسلامية الطبعة الأولى ١٣٨٣ هـ .
وقال ابن حجر في الفتح : وبيت المدراس ـ بكسر أوله ـ : هو البيت الذي يدرس فيه كتابهم ، أو المراد بالمدراس العالم الذي يدرس كتابهم والأول أرجح . فتح الباري لابن حجر جـ ٦ ص ٢٧١ .

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٤ ص ٦٥ كتاب الجهاد والسير ، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب .

(٤) التحميم : تسويد الوجه . والحممة : الفحمة ، وجمعها حمم . انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر جـ ١ ص ٤٤ ، وحمّمه تحميما سخم وجهه بالفحم . مختار الصحاح ص ١٥٧ مؤسسة علوم القرآن / بيروت .

في التوراة الرجم ؟) فقالوا : لا نجد فيها شيئا . فقال لهم عبد الله بن سلام : كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين . فوضع مدراسها الذى يدرسها منهم كفه على آية الرجم . فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها ولا يقرأ آية الرجم . فنزع يده عن آية الرجم فقال : ما هذه ؟ فلما رأوا ذلك قالوا : هي آية الرجم . فأمر بهما فرجما قريبا من حيث موضع الجنائز عند المسجد . فرأيت صاحبها يجنأ عليها يقيها الحجارة .(١)

وكانت لليهود تشريعاتهم ونظمهم الخاصة بهم فيما يتعلق بالذبائح والقرابين ، والقصاص ، والميراث ، والاعتراف ، والتطهير ، والرق ، والختان والنكاح ، وشؤون المرأة ، وغيرها من التشريعات التي بعضها أخذوه عن كتبهم ، وبعضها وضعه لهم كهانهم وأحبارهم من عند أنفسهم .(٢)

من ذلك ما جاء في الحديث الصحيح عن أنس : أن اليهود كانوا اذا حاضت المرأة فيهم لم يؤاكلوها ، ولم يجامعوهن في البيوت .(٣) فسأل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم النبي صلى الله عليه وسلم ، فأنزل الله تعالى : ((وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَاعْتَزِلُوا النِّسَاءَ فِي الْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ ، إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ))(٤) . فقال

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه جـ ٥ ص ١٧٠ كتاب التفسير ـ تفسير سورة آل عمران ـ باب ((قل فأتوا بالتوراة فاتلوها ان كنتم صادقين)) .

(٢) انظر : بنو اسرائيل في الكتاب والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوى جـ ١ ص ٨١ .

(٣) (ولم يجامعوهن في البيوت) أى لم يخالطوهن ولم يساكنوهن في بيت واحد . هامش صحيح مسلم جـ ١ ص ٢٤٦ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

(٤) سورة البقرة ـ آية : ٢٢٢ .

رسول الله صلى الله عليه وسلم (اصنعوا كل شيء الا النكاح) فبلغ ذلك اليهود فقالوا : ما يريد هذا الرجل أن يدع من أمرنا شيئا الا خالفنا فيه . فجاء أسيد بن حضير وعباد بن بشر فقالا : يا رسول الله ان اليهود تقول كذا وكذا ، فلا نجامعهن ؟ فتغير وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ظننا أن قد وجد عليهما . فخرجا فاستقبلهما هدية من لبن الى النبي صلى الله عليه وسلم ، فأرسل في آثارهما ، فسقاهما ، فعرفا أن لم يجد عليهما)[1] .

وكانت لليهود أيام خاصة يصومونها كيوم عاشوراء ، فقد ثبت في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة فرأى اليهود تصوم يوم عاشوراء ، فقال : ما هذا ؟ قالوا : هذا يوم صالح ، هذا يوم نجّى الله بني اسرائيل من عدوهم فصامه موسى ، قال : فأنا أحق بموسى منكم ، فصامه وأمر بصيامه[2] .

* * * * * *

---

(١) أخرجه مسلم في صحيحه جـ ١ ص ٢٤٦ كتاب الحيض ، باب الاضطجاع مع الحائض في لحاف واحد رقم ١٦ .

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ١ ص ٢٥١ في كتاب الصوم ، باب صوم يوم عاشوراء .
ومسلم في صحيحه جـ ٢ ص ٧٩٥ - ٧٩٦ كتاب الصيام ، باب صوم يوم عاشوراء ، حديث رقم (١٢٧) ، (١٢٨) .

المبحث الثالث : أصل اليهود :

قال الدكتور جواد علي في كتابه المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام:

" لاحظ المعنيون بلغات الشرق الأدنى أوجه شبه ظاهرة بين البابلية والكنعانية والعبرانية والفينيقية والآرمية والعربية واللهجات العربية الجنوبية والحبشية والنبطية ، فقالوا بوجود وحدة مشتركة كانت تجمع شمل هذه الشعوب وأطلقوا على ذلك الأصل أو الوحدة . . الجنس السامي أو الأصل السامي . . وعلى اللغات التي تكلمت وتتكلم بها هذه الشعوب اللغات السامية " نسبة الى سام بن نوح " . . . " . (١)

أما عن وطن الساميين فقد أوضح الدكتور جواد علي بأن أجوبة العلماء الباحثين في الأجناس البشرية قد جاءت متباينة غير متفقة لعدم اهتدائهم حتى الآن الى دليل مادي يشير الى ذلك الوطن ، أو يؤيد نظرية وجود مثل هذا الوطن ، فقامت آراؤهم على نظريات وفرضيات ، وبحوث لغوية ، وعلى آراء مستمدة من الروايات الواردة في التوراة (٢) عن أصل البشر ، وعن أبناء نوح ، والأماكن التي حل بها هؤلاء الأبناء وأحفادهم ، ثم أحفاد أحفادهم ، وهكذا على نحو ما تصورته مخيلة العبرانيين ، فرأى نفر منهم أن أرض بابل (في شمال العراق) كانت المهد الأول للساميين ، ورأى آخرون

---

(١) المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام د . جواد علي جـ ١ ص ٢٢٢ - ٢٢٣ .

(٢) انظر : سفر التكوين ، الاصحاح العاشر ١ - ٢١ .

أنّ جزيرة العرب هي المهد الأول لأبناء سام ، وذهب فريق الى أن افريقية هي وطن الساميين ، لما لاحظه من وجود صلة بين اللغات السامية والحامية ، وذهب آخرون الى غير ذلك . . . وهكذا انقسموا وتشعبوا في موضع اختيار الوطن السامي .

وحتى القائلون بنظرية من هذه النظريات ، ورأى من هذه الآراء ، هم قلقون غير مستقرين في نظرياتهم هذه ، فتراهم يغيّرون فيها ويبدلون . . .(١)

---

(١) انظر : المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ١ ص ٢٢٩ .

ردّ على شبهـــة :

يقول الدكتور جواد علي : " وقد ذهب بعض المستشرقين [١] ، استنادا الى دراسة أسماء يهود الحجاز عند ظهور الاسلام ، الى أن أولئك اليهـود لم يكونوا يهودا حقا ، بل كانوا عربا متهودين ، تهودوا بتأثير الدعـاة اليهـود . . . " .

ثم قال : " وللمستشرق (ونكلر) رأى في هذا الموضوع ، خلاصته : أنّ أولئك اليهود لو كانوا يهودا حقا هاجروا من فلسطين الى هذه المواضع ، لكانت حالتهم وأوضاعهم ومستواهم الاجتماعي . . . أرقى وأرفع من الحالة التي كانوا عليها في بلاد العرب " [٢] .

وهذه المزاعم مردودة للأمور التالية :

١ - ان القرآن الكريم قد خاطب اليهود في زمن النبي صلى الله عليـه وسلم في كثير من آياته بعبارة (يا بني اسرائيل) أو بعبـارة (اليهود) أو (هادوا) ، من ذلك قوله تعالى : ((يَا بَنِي إسرائيلَ اذكُروا نِعمَتِي الَّتِي أنعَمتُ عَلَيكُم [٣])) .

وقوله تعالى : ((سَلْ بَنِي إسرائيلَ كَم آتيناهُم مِن آية بينة [٤])) .

وقوله تعالى : ((وَلَن تَرضى عَنكَ اليهُودُ وَلاَ النّصارى حتّى تَتَّبِـعَ مِلّتَهُم [٥])) .

---

(١) وعلى هذا المؤرخ اليعقوبي الذى يرى أن بني النضير وبني قريظـة فرعان من قبيلة جذام العربية ، تهودوا وسموا باسم المكان الـذى نزلوا فيه . انظر : تاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤١ ، وص ٥٢ دار صادر / بيروت .

(٢) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ١٩ - ٢٠ .

(٣) سورة البقرة - آية : ٤٠ ، ٤٧ ، ١٢٢ .

(٤) سورة البقرة - آية : ٢١١ . (٥) سورة البقرة - آية : ١٢٠ .

وقوله تعالى : ((وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا كُلَّ ذِي ظُفُرٍ)) (١) .

الى غير ذلك من الآيات .

يقول أحمد الشريف في رده على هذا الزعم : " وتوجيه الخطاب الى يهود يثرب بتعبير بني اسرائيل بهذا الاطلاق والشمول مع هذه الصلة اللاصقة التي يجعلها القرآن بين القدماء والمعاصرين منهم يجعلنا نجزم بأن اليهود في الحجاز كانوا طارئين وأنهم اسرائيليون " (٢) .

٢ - ان الاستدلال من دراسة الأسماء على أصول الناس ، لا يمكن أن يكون حجة للحكم على أصولهم وأجناسهم ، فالفرس والروم والهنود وغيرهم ممّن دخل في الاسلام ، تسموا بأسماء عربية ، وتسمياتهم هذه لا تعني أن أصولهم كانت عربية ، ثم ان كثيرا من اليهود في الغرب وفي البلاد الاسلامية ، سموا أنفسهم بأسماء غير عبرانية ، ولكنهم كانوا وما زالوا على دين يهود . فالأسماء وحدها لا تكفي في اعطاء رأى علمي في تعيين الأصول والأجناس . (٣)

٣ - يضاف الى هذا أولا : أنهم كانوا يعيشون في أحياء وقرى خاصة بهم في المدينة وما حولها ، كجاليات طارئة كعادة بني اسرائيل منذ

---

(١) سورة الأنعام - آية : ١٤٦ .

(٢) مكة والمدينة في الجاهلية وعصر الرسول صلى الله عليه وسلم ص ٢٩٨ - ٢٩٩ .

(٣) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ١٩ (بتصرف) .

تشردهم في مختلف الأدوار والبلاد .

وثانيا : أن اللغة العبرانية كانت لغة كتبهم وطقوسهم ومدارسهم وتخاطبهم فيما بينهم .(١)

ثم ان الأفراد الذين تسموا بأسماء عربية كانت أسماء آبائهم عبرانية مثل عبد الله بن صوريا ، وكنانة بن صوريا ، ووهب بن يهوذا ، وزيد بن اللصيت ، ونعمان بن آضا ، وثعلبة بن شعيا ، والزبير بن باطا ، ورفاعة بن زيد بن التابوت ، وسلسلة بن برغام ، وهناك أسماء عبرية قرنت بآباء أسماؤهم عربية مثل شمويل بن زيد ، والنحام بن زيد ، وكروم بن قيس ، وهناك أسماء عبرية محضة مثل عزال بن شمويل ، وهكذا .(٢)

ومن الأسماء التي قد تكون من أصل عبراني : (زعورا) وهو اسم عبراني متأثر بلهجة بني ارم ، و (يساف) وقد يكون من يوسف و (نبتل) وقد يكون من نفتالي .(٣)

فكون بعض أسماء اليهود وأسماء قبائلهم عربية لا تعطي رأيا أو حكما في اثبات الأصول والأجناس .

---

(١) انظر : تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ص ٤٢٤ ، المكتبة العصرية / بيروت .

(٢) مكة والمدينة لأحمد الشريف ص ٢٩٧ .

(٣) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٢١ .

ومن كل ما تقدم نستطيع الحكم بأن يهود الجزيرة العربية بعامة كانوا اسرائيليين طارئين على هذه الجهات ، وان كان ذلك لا يمنع من وجود عرب تهودوا ، ولكنهم كانوا قلة قليلة الى جانب كتل اليهود الطارئة .

هذا ويزعم اليهود بأن لديهم كتابا يعتمدون عليه في تشريعاتهم وهو التوراة ، فالى التوراة وما دخلها من تحريف .

* * * * * * *
* * * * *
* * *
*

الفصـــل الثـــاني

التـــوراة ومـا دخلهـــا من تحـــريف

ويشتمـــــل على ما يأتـــي :

١ ـ تعـــريف التـــوراة .

٢ ـ أقســـام العهـــد القديـــم .

٣ ـ تاريخ تدوين العهـد القديـم .

٤ ـ الأسفار الخفيـة عنـد اليهـود .

٥ ـ التلمـــــــود وبعض محتوياتـــه .

٦ ـ شواهـد التحريـــف في العهـد القديـم .

٧ ـ أســـباب تلـف التـــوراة .

٨ ـ موقـف القـرآن الكريـم من التـــوراة .

=/=/=/=/=/=

١) تعريف التـــوراة :

هي كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس ، وهي في عرف اليهـــود مجموعة الأسفار الخمسة المنزلة على موسى - عليه السلام - .

ويطلق النصارى لفظ التوراة على جميع الكتب التي يسمونها العهد العتيق .

والتوراة في عرف القرآن : ما أنزله الله من الوحي على موسى عليه السلام .(١)

وقد اعتمد اليهود تسعة وثلاثين سفرا أطلق عليها اسم العهد القديـــم للتفرقة بينها وبين ما اعتمد النصارى من أسفارهم (أناجيلهم) التي أطلقـــوا عليها اسم العهد الجديد .(٢)

٢) أقسام العهد القديم :

يقسم اليهود أسفار العهد القديم الى أربعة أقسام :

القسم الأول : كتب موسى ، أو (التوراة) أو الأسفار الخمسة وهي : سفـــر التكوين ، وسفر الخروج ، وسفر التثنية ، وسفر اللاويين ، وسفر العدد

١ - أما سفر التكوين : فيشتمل على قصة خلق العالم من تكوين السمـــوات والأرض الى استقرار أولاد يعقوب - عليه السلام - في أرض مصـــر ، وخلق آدم وحواء ، ثم حياة أولاده وما جرى بينهم ، فقصة الطوفـــان

---

(١) انظر : تفسير المنار للشيخ محمد رشيد رضا جـ ٣ ص ١٥٥ - ١٥٦ ، دار المعرفة ، الطبعة الثانية بالأوفست / بيروت .

(٢) انظر : الأسفار المقدسة للدكتور علي وافي ص ١٢ دار نهضة مصـــر للطبع والنشر . والتوراة العقل العلم التاريخ للدكتور بـــدران محمد بدران ص ٢٠ ، تعليم دار الأنصار / القاهـــرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

ونشأة الشعوب من بعده .

٢ - وأما سفر الخروج : فقد سمي بذلك لتناوله خروج بني اسرائيل من مصر وتاريخهم في أثناء مرحلة " التيه " التي قضوها في صحراء سينـــاء واستغرقت أربعين عاما ، وهي التي يشير اليها القرآن الكريم في قوله تعالى : ((قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُـــونَ فِي الأَرْضِ)) (١) .

والى جانب هذا يشتمل على طائفة من أحكام الشريعة اليهوديـــة في العبادات والمعاملات والعقوبات وما الى ذلك .

٣ - وأما سفر التثنية : فقد شغل معظمه بأحكام الشريعة اليهودية الخاصة بالحروب والسياسة والاقتصاد والمعاملات والعقوبات والعبادات ، وسمي " التثنية " لأنه يعيد ذكر التعاليم التي تلقاها موسى عن ربه وأمـــر بتدوينها لبني اسرائيل ، والتي ورد ذكرها في سفر الخروج ، وأعـاد عرضها من جديد .

٤ - وسفر اللاويـــين : نسبة الى أسرة لاوى أو ليفي أحد أبناء يعقـــوب -عليه السلام - ، ومنهم موسى وهارون ، ومعظم هذا السفر يدور حول العبادات والأحكام ، مثل كفارات الذنوب ، والأطعمة المحرمـــــة ، والأنكحة المحرمة ، ويتناول الطقوس والأعياد والنذور والطهارة .

٥ - وسفر العدد : معظمه يدور حول تقسيم بني اسرائيل وبيان تعـــداد

---

(١) سورة المائدة - آية : ٢٦ .

أسباطهم ، وجيوشهم ، وأموالهم ، وذكورهم ، واناثهم ، الى جانب بعض الأحكام التي تتعلق بالعبادات والمعاملات .(١)

القسم الثاني : الأسفار التاريخية :

وهي اثنا عشر سفرا ، تعرض لتاريخ بني اسرائيل بعد استيلائهم على أرض الكنعانيين وبعد استقرارهم في فلسطين ، وتفسير تاريخ قضاتهم وملوكهم والحوادث البارزة في شئونهم ، وهي أسفار : يوشع ، والقضاة ، وراعوث ، وصموئيل ، والملوك ، وأخبار الأيام ، وعزرا ، ونحميا ، واستير .

القسم الثالث : أسفار الأناشيد :

وهي : عبارة عن أناشيد ومواعظ مؤلفة تأليفا شعريا ، وعددها خمسة أسفار وهي : سفر أيوب ، ومزامير داود ، وأمثال سليمان ، والجامعة من كلام سليمان ، ونشيد الأنشاد .

القسم الرابع : أسفار الأنبياء :

وعددها سبعة عشر سفرا ، يعرض كل منها لتاريخ نبي من أنبياء بني اسرائيل الذين أرسلوا اليهم بعد موسى وهارون ، وهذه الأسفار هي : اشعيا ، وأرميا ، ومراثي أرميا ، وحزقيال ، ودانيال ، وهوشع ، ويوئيل ،

---

(١) انظر : الأسفار المقدسة للدكتور علي عبد الواحد وافي ص ١٢ - ١٤ . واليهودية للدكتور أحمد شلبي ص ٢٣٨ - ٢٤٣ . والتوراة العقل العلم التاريخ للدكتور بدران محمد بدران ص ١٥ - ١٨ توزيع دار الأنصار / القاهرة . الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

وعاموس ، وعوبديا ، ويونس (يونان) ، ومخيا ، وناحوم ، وحبقوق ، وصفنيا ، وحجي ، وزكريا ، وملاخي أو ملاخيا[١] .

٣) تاريخ تدوين العهد القديم :

يزعم اليهود أن الأسفار التي بأيديهم الآن هي التوراة التي أنزلها الله تعالى على موسى - عليه السلام - وربما زعموا تمويها وخداعا أنها التي ذكرها القرآن الكريم ونوه عنها في قوله تعالى : ((إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ))[٢] .

والحق أن الأسفار التي بأيدي اليهود اليوم مما يزعمون أنه التوراة الحقيقة التي أنزلها الله تعالى على موسى - عليه السلام - ليس صحيحا اذ أن من يقرأ التوراة اليوم يجد أكثرها حروبا ومعارك دامية ، وسجازر رهيبة وهتك للأعراض ، وغير ذلك مما يتعرض اليه خصوم اليهود ، والباقي منها نصفه مجون واستهتار وغزل شهواني فظيع ، وتحدث بالزنا والدعارة[٣] مما تتنزه عن ذكره الكتب السماوية الصحيحة .

يتحدث الدكتور علي عبد الواحد عن الأزمنة التي كتبت فيها هذه الأسفار فيقول :

---

(١) الأسفار المقدسة ص ١٤ - ١٥ ، واليهودية لأحمد شلبي ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

(٢) سورة المائدة - آية : ٤٤ .

(٣) الدعارة - بالفتح - الخبث والفسق ، وبابه طرب وسلم فهو داعر وهي داعرة . مختار الصحاح ص ٢٠٥ .

" ظهر للمحدثين من الباحثين من ملاحظة اللغات والأساليب التي كتبت بها هذه الأسفار ، وما تشتمل عليه من موضوعات وأحكام وتشاريع ، والبيئات الاجتماعية والسياسية التي تنعكس فيها ، ظهر لهم من ملاحظة هذا كله أنها قد ألفت في عصور لاحقة لعصر موسى بأمد غير قصير ، وعصر موسى يقع على الأرجح حوالي القرن الرابع عشر أو الثالث عشر قبل الميلاد . وأن معظم سفرى التكوين والخروج قد ألف حوالي القرن التاسع قبل الميلاد ، وأن سفر التثنية قد ألف في أواخر القرن السابع قبل الميلاد ، وأن سفرى العدد واللاويين قد ألفا في القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد . . .

وقد كتبت جميعها بأقلام اليهود ، وتتمثل فيها عقائد وشرائع مختلفة تعكس الأفكار والنظم المتعددة التي كانت سائدة لديهم في مختلف أدوار تاريخهم الطويل " .(١)

ويقول الدكتور علي وافي عن تدوين بقية أسفار العهد القديم : " وعلى أساس هذه التحقيقات الحديثة نفسها يرجح الباحثون أن قسما من الأسفار الأخرى للعهد القديم قد ألف في الفترة الواقعة بين النصف الأخير من القرن التاسع وأوائل السادس قبل الميلاد ، ويشمل هذا القسم : أسفار يوشع والقضاة وصموئيل والملوك والأمثال ونشيد الأنشاد ومعظم أسفار الأنبياء ، وأن قسما آخر ألف في الفترة الواقعة بين أوائل القرن السادس وأواخر القرن الرابع قبل الميلاد ، ويشمل هذا القسم : أسفار يونس وزكريا وقسما آخر من سفر دانيال " .(٢)

---

(١) الأسفار المقدسة ص ١٦ .
(٢) المرجع السابق ص ١٧ .

ويقول موريس بوكاى :

" كتبت هذه الأسفار - أى أسفار العهد القديم - على مدى يربو على تسعة قرون ، وبلغات مختلفة ، واعتمادا على التراث المنقول شفويا ، وقد صححت وأكملت أكثرية هذه الأسفار بسبب أحداث حدثت أو بسبب ضرورات خاصة ، وفي عصور متباعدة أحيانا " (١) .

٤) الأسفار الخفية عند اليهود :

والى جانب الأسفار التي يتألف منها العهد القديم ، توجد أسفار يهودية قديمة أخرى لم يدخلها اليهود في أسفار هذا العهد ، ويطلقون عليها اسم " الأسفار الخفية " .

وبعض هذه الأسفار الخفية غير مقدس ولا معتمد في نظر اليهود ، بينما بعضها الآخر مقدس - أى معترف بأنه موحى به ومعتمد في نظرهم - ولكن رأى أحبارهم وجوب اخفائه ، وقرروا أنه لا يجوز أن يقف عليه الجمهور ولا أن يدرج في أسفار العهد القديم (٢) .

والى هذه الأسفار التي أخفاها اليهود أشار القرآن الكريم ، فقال تعالى : ((وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذ قَالُوا ما أَنزَلَ اللَّهُ على بَشَرٍ مِن شيء ، قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِى جاء به مُوسَى نوراً وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا)) (٣) .

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ٢٣ لموريس بوكاى .

(٢) انظر : الأسفار المقدسة ص ٢٠ .

(٣) سورة الأنعام - آية : ٩١ .

وقال تعالى : ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيراً مِمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ)) (١) .

وقال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِن بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ)) (٢) .

وقال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ الْكِتَابِ وَيَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً قَلِيلاً أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)) (٣) .

٥) التلمود ، وبعض محتوياته :

ولليهود عدا هذه الأسفار التي ذكرناها كتاب يسمونه " التلمود " ومعناه التعاليم ، وهو عبارة عن روايات شفوية تناقلها علماؤهم عن موسى - عليه السلام - من جيل الى جيل - على زعمهم - وقد جمعوها في كتاب سموه " المشنا " (٤) .

وبعد ذلك أدخل حاخامات فلسطين وبابل عليها كثيرا من الزيادات والشروح والحواشي ، وسميت هذه الزيادات باسم " جمارا " .

---

(١) سورة المائدة - آية : ١٥ .
(٢) سورة البقرة - آية : ١٥٩ .
(٣) سورة البقرة - آية : ١٧٤ .
(٤) المشناه : هو خلاصة القانون الشفهي الذى تناقله الحاخامات منذ ظهور حركة الفريسيين ، التابعين لأهواء النفس ، ونشطت حركتهم بعد ظهور عيسى بن مريم - عليه السلام - مما أدى أخيرا الى تسجيل المبادىء الهدامة التي قامت عليها دعوة الفريسيين التي استنكرها المسيح عليه السلام .
انظر : التلمود تاريخه وتعاليمه لظفر الاسلام خان ص ١٢ .
وقال الدكتور علي وافي : هي الشريعة المكررة لأن المشنا تكرار لما ورد في توراة موسى عليه السلام . الأسفار المقدسة ص ٢١ .

ومن المشنا والجمارا يتكون التلمود ويقسم الى قسمين : فلسطيني وبابلي .

ويعتبر أكثر اليهود التلمود كتابا منزلا ، ويضعونه بمنزلة التوراة ، وبعضهم يضعه بمنزلة أسمى وأعلى من منزلة التوراة .(١)

وقد ألفت هذه الشروح في فترة طويلة تمتد من القرن الثاني الى أواخر القرن السادس بعد الميلاد .(٢)

ومن محتويات هذا التلمود ما يلي :

١ - يروى التلمود أن الله - عز شأنه - ندم لما أنزله باليهود وبالهيكل فقد جاء فيه ما نصه :

(تبا لي لأني صرحت بخراب بيتي واحراق الهيكل ونهب أولادى) .

وليست العصمة من صفات الله تعالى في رأى التلمود " لأنه غضب مرة على بني اسرائيل فحلف بحرمانهم من الحياة الأبدية ولكنه ندم على ذلك بعد أن هدأ غضبه ولم ينفذ قسمه ، لأنه عرف أنه فعل فعلا ضد العدالة " .

ويرى التلمود : أن النهار اثنتا عشرة ساعة ، في الثلاث الأولى منها يجلس الله ويطالع الشريعة ، وفي الثلاث الثانية يحكم ، وفي الثلاث الثالثة يطعم العالم ، وفي الثلاث الأخيرة يجلس ويلعب مع الحوت ملك الأسماك . تعالى الله وتنزّه عن ذلك علوا كبيرا .

---

(١) اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٢) انظر : الأسفار المقدسة لعلي وافي ص ٢٢ .

٢ - تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله ، كما أن الابن جزء من أبيه ، والاسرائيلي أيا كان معتبر عند الله أفضل من الملائكة ، فاذا ضرب أممي اسرائيليا فكأنما ضرب العزة الالهية .

والفرق بين درجة الانسان والحيوان هو بقدر الفرق بين اليهود وغير اليهود ، ولليهودي في الأعياد أن يطعم الكلب وليس له أن يطعم غير اليهود ، والشعب المختار هم اليهود فقط ، أما باقي الشعوب فهم حيوانات في نظرهم .

٣ - وينص التلمود على أنه من العدل أن يقتل اليهودي كل أممي لأنه بذلك يقرب قربانا الى الله .

ويبيح التلمود أن يستعمل الربا مع غير اليهود ، والغش والكذب والسرقة ، لأنهم يعتبرون أن الأموال كلها ملك لله ، وبما أن اليهود أجزاء من الله ، فان اليهود يعتبرون مالكين لكل ما في الأرض من ثراء بالنيابة عن الاله ... الخ .(١)

والتلمود يزخر بشتى أنواع الخرافات والأساطير كالتنجيم والسحر(٢) والعرافة وغيرها(٣) .

---

(١) انظر : اليهودية لأحمد شلبي ص ٢٧٣ وما بعدها - باختصار وتصرف .

(٢) السحر في اللغة : كل ما لطف مأخذه ودق .
القاموس المحيط جـ ٢ ص ٤٥ .

(٣) العراف أو المنجم : هو الحازي الذي يدعي علم الغيب ، وقد استأثر الله تعالى بعلمه .
النهاية في غريب الحديث جـ ٣ ص ٢١٨ .

يقول الدكتور جوزيف باركلي عن التلمود :

" بعض أقوال التلمود مقبول ، وبعضها كريه ، وبعضها الآخر كفر ، ولكنها تشكل في صورتها المخلوطة أثرا غير عادى للجهد الانساني ، وللعقل الانساني ، وللحماقة الانسانية " . (١)

٦) شواهد التحريف في العهد القديم :

ممّا يؤكد أن التوراة الحالية كتبت بعد موسى - عليه السلام - بمدة طويلة ، وفي أزمان مختلفة ، وبأيد متعددة ، ما ورد فيها من التناقض والتعارض الذى يحكم عليها بالتحريف والتبديل ، وإلى القارئ بعض هذه الأمثلة لايضاح هذه الحقيقة :

١ - ورد في سفر التثنية : " فمات موسى عبد الرب في أرض مؤاب ، حسب قول الرب ، ودفنه في الجواء في أرض مؤاب مقابل بيت فغور ، ولم يعرف انسان قبره الى هذا اليوم " . (٢)

وواضح أن مثل هذا الكلام لا يقال الا بعد موت موسى - عليه السلام - اذ ليس من المعقول أن يكتب موسى ذلك عن نفسه ، ولم يعرف أحد موضع قبره الى اليوم .

٢ - وفي نفس السفر : " لم يقم نبي في بني اسرائيل مثل موسى " . (٣)

وواضح - أيضا - أن مثل هذه العبارة لا تقال الا بعد موت موسى - عليه السلام - بزمن غير قصير .

---

(١) التلمود تاريخه وتعاليمه ص ٩١ .
(٢) سفر التثنية ٣٤/٥ - ٧ .
(٣) " " ٣٤/١٠ .

٣ - وجاء في سفر التكوين : " وهؤلاء هم الملوك الذين ملكوا في أرض أدوم قبلما ملك ملك لبني اسرائيل " . (١)

وهذا غير صحيح ، لأن هذه العبارة تدل على أنها قيلت في عهد الملوك وبين موسى وعهد الملوك حوالى ثلاثمائة وستة وخمسين سنة . (٢)

٤ - وورد في أسفار العهد القديم ما يقرر أن الأبناء يؤاخذون بذنب الآباء حتى الجيل الثالث والرابع . وهذا نص العبارة :

" مفتقد اثم الآباء في الأبناء وفي أبناء الأبناء حتى الجيل الثالث والرابع " . (٣)

وفي سفر حزقيال ما يعارض هذا الاتجاه ، فقد جاء فيه :

" النفس التي تخطيء هي تموت ، الابن لا يحمل من اثم الأب ، والأب لا يحمل من اثم الابن ، بر البار عليه يكون ، وشر الشرير عليه يكون " . (٤)

وهذا تناقض واضح لا يمكن التوفيق بينه بحال من الأحوال .

٥ - ان أسفارهم العالية تنسب لبعض الأنبياء أعمالا قبيحة تتنافى مع العصمة الدينية التي منحها الله لهم من أجل مكانتهم الدينية والاجتماعية .

من ذلك ما جاء في سفر التكوين من أن لوطا - عليه السلام - قد

---

(١) سفر التكوين ٣٦/٣١ .
(٢) انظر : اظهار الحق ، ص ٢٢٣ لرحمة الله الهندى .
(٣) سفر الخروج ٣٤/٧ .
(٤) سفر حزقيال ١٨/٢٠ .

زنى بابنتيه ووطئتا منه وتولد لهما ابنان هما : مؤاب أبو المؤابين ، وعمّى أبو العمونيين (١) .

وما جاء في سفر الخروج من أن هارون عليه السلام ، قد يسر لبني اسرائيل الشرك ودفعهم الى الوثنية وعبادة الأصنام ، فصنع لهم بيده في سيناء عجلا من ذهب يعبدونه من دون الله (٢) . مع أن القرآن الكريم صرح بأن الذى صنع العجل لبني اسرائيل هو السامرى ((قَالُوا ما أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَكِنَّا حُمِّلْنَا أَوْزَاراً مِن زِينَةِ الْقَوْمِ فَقَذَفْنَاهَا فَكَذَلِكَ أَلْقَى السَّامِرِيُّ * فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خُوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى فَنَسِيَ *)) (٣) .

وجاء في سفر التكوين : أن حام بن نوح - عليه السلام - قد رأى أباه وهو سكران مكشوف العورة ، فلما أفاق نوح من سكره وعلم ما كان من ابنه حام دعا على ذريته وهم الكنعانيون بأن يكونوا عبيدا لعبيد أبناء ولديه الآخرين سام ويافث (٤) .

وهي قصة تقوم على الظلم وعلى التفرقة العنصرية ممّا يثبت استحالتها أن تكون وحيا من الله تعالى .

---

(١) انظر : سفر التكوين ٩ / ٣٠ - ٣٩ .

(٢) انظر : سفر الخروج ٣٢

(٣) سورة طه - آية : ٨٧ - ٨٨ .

(٤) انظر : سفر التكوين ٩ / ٢٠ - ٢٧ .

يقول الدكتور علي عبد الواحد في تعليقه على هذه القصة :

" ويقصد الذين حرفوا هذه القصة الى هذا الوضع الغريب ، أن يبرروا الأوضاع الشاذة الظالمة التي كان يسير عليها بنو اسرائيل حيال الكنعانيين اذ يقتلون رجالهم ، ويسبون نساءهم وأطفالهم ، ويتخذون منهم عبيدا واماء زاعمين أنهم بذلك يحققون دعوة نوح عليهم ويرجعونهم الى الوضع الذى كتب عليهم في الأزل أن يكونوا عليه " . (١)

٦ - اشتمل بعض الأسفار على غزل شهواني صريح وتعبير ماجن خليع يجعل العاقل يجزم بأن هذه الأسفار من المستحيل أن تكون من عند الله . وفي سفر نشيد الأنشاد كثير من هذا النوع الماجن الخليع :

ففي الاصحاح الأول منه ما نصه :

" حبيبي بين ثديي يبيت . . ها أنت جميلة يا حبيبتي ، ها أنت جميلة ، عيناك حمامتان " .

وفي الاصحاح الثاني :

" كذلك حبيبي ، شماله تحت رأسي ، ويمينه تعانقني . . " .

وفي الاصحاح الثالث :

" في الليل على فراشي طلبت من تحبه نفسي . . فأمسكته ولم أتركه حتى أدخلته بيت أمي وحجرة من حبلت بي " .

---

(١) الأسفار المقدسة ص ٤٨ .

وفي الاصحاح الرابع :

" ها أنت جميلة يا حبيبتي ، فمك حلو ، خدك كقلقة رمانة " .

وهكذا كتاب ديني ، مقدس عند اليهود والنصارى ، وهو المرجع الأساسي للديانتين معا ، يقوم على أشعار ، واصحاحات وعبارات . . من هذا النمط الرخيص المتقدم !!!

غزل فاضح ، وعبارات مستهجنة ، وتصورات جنسية ساقطة . . !!!

فهل بعد هذا يتعجب متعجب من الدعوة اليهودية الى التحلل والاباحية ونشر الفسوق والدعارة ، واذاعة الفجور والرذيلة . . في العالم . . على يد كتابهم ومؤلفيهم ورؤسائهم وفلاسفتهم . . أمثال فرويد . . وغير فرويد ؟ !!!

ومن تحلل أوروبا وأمريكا ، وسائر المجتمعات التي تدين بالنصرانية ولا تجد غضاضة من اظهار عورات النساء أمام الأجانب ، والعلاقات المحرمة بين الذكر والأنثى . . والسقوط الخلقي السافر الذى يسود هذه المجتمعات الآثمة الضالة ؟ ؟ !!!

ان القوم يخلصون لكتابهم ، ويحكمون شريعتهم فيما بينهم ، وينشرونها على الناس ! ولكن : اذا لم تستح فاصنع ما شئت .

ان أساليب الوحي السماوى تفيض حياء ، وأدبا ، وعفة ، . . في ألفاظها ، وعباراتها ، ومعانيها . . وهي نور وهداية الى الخير والفضيلة . . ولا صلة لها البتة بالتغزل في أفواه النساء ، وخدودهن ، وبطونهن ، وحلوقهن ، وسيقانهن ، وشهواتهن . . على الوجه الحرام الذى يخدش الحياء ، ويزرى بالفضيلة ، ويهدم البناء الخلقي الصالح الى آخر ما جاءت به

أساليب اليهودية والنصرانية معا !! "[١].

يتحدث صاحب قصة الحضارة عمّا شاع في هذه الأسفار من عبارات الجنس فيقول :

" وفي هذه الكتابات الغرامية العجيبة مجال واسع للحدس والتخمين ، فقد تكون مجموعة من الأغاني البابلية الأصل . . وقد تكون من وضع جماعة من شعراء الغزل العبرانيين ، ولسنا ندري كيف غفل - أو تغافل - رجال الدين عمّا في هذه الأغاني من عواطف شهوانية فأجازوا وضعها بين أقوال اشعيا والخطباء " .[٢]

والواقع أن التوراة الموجودة اليوم قد حوت أكثر بكثير ممّا ذكرنا في حق الاله ، وفي حق الأنبياء ، وما اشتملت عليه من غزل شهواني صريح وتناقض فظيع ، يجعل العاقل يؤمن ايمانا جازما أن هذه التوراة قد لعبت بها أيدي العابثين ، وأنها خرجت من كونها منزّلة من عند الله الى مؤلفات اسرائيلية يهودية .[٣]

---

(١) انظر : مجلة الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة - العدد (٤٩) من مقال للدكتور أبو المجد السيد نوفل ، بعنوان : أساليب الدعوة الى الله تعالى في القرآن الكريم ص ١٣٢ - ١٣٣ .

(٢) انظر : قصة الحضارة : ول ديورانت جـ ٢ ص ٣٨٨ ترجمة : محمد بدران .

(٣) اقرأ ان شئت موضوعي (بعض من خرافات التوراة ، وأعاجيب أعاجيب . . .) من كتاب " التوراة العقل العلم التاريخ " لبدران محمد بدران .

٧) أسباب تلف التـــوراة :

والتوراة الحالية لا يوجد لها سند متصل الى موسى ـ عليه السلام ـ فقد صرحت كتبهم بما يدل على قطع سندها ، اذ أن موسى ـ عليه السلام ـ كتب التوراة ـ على قولهم ـ وسلمها لأحبار اليهود وأوصاهم بوضعها فـــي صندوق الشهادة ، وأمرهم ألا يخرجوها الاّ كل سبع سنين في يوم العيـــد ، فكانت الطبقـة الأولى على وصيته ، ثم حدثت الانقلابات التي سبقت عهد داود والتي كانت سببا في ضياع التوراة ، اذ حين فتح سليمان ـ عليـه الســـلام ـ الصندوق لم يجد فيه سوى اللوحين اللذين كان يوجد فيهما الوصايا العشـر لا غـــــير (١) .

جاء في كتاب النبوة والأنبياء في ضوء القرآن لأبي الحسن النـــدوى قوله : " وقد استهدفت صحف العهد القديم للتلف والاحراق والابـــادة ، بصورة واضحة ، وباتفاق المؤرخين اليهود ثلاث مرات في التاريخ :

المـــرة الأولى : حين زحف بختنصر (٦٠٥ ـ ٥٦٢ ق . م) ملك بابـــل على اليهود سنة ٥٨٦ ق . م ، وأشعل النيران في بيت المقدس الذى حفظ فيه النبي سليمان ـ عليه السلام ـ ألواح التوراة ، وبقية مما ترك آل موســـــى وآل هارون ، وأخذ من سلم من القتل من اليهود أسيرا الى بابل حيـــث مكثوا فيه خمسين سنة ، وقد أعاد " عزرا " الصحف الخمس الأولى الـــتي تسمى " تـــورة " بحفظه ، وقيد الحوادث في أسلوب تاريخي ، ضم اليهـا

---

(١) انظر : سفر الملوك الأول ٨/ ٩ .

نحميا السلسلة الثانية من الكتب ، مضيفا اليها زبور داود .

المرة الثانيـــة : حين كرّ أنطيوخوس (Antiochus) الرابع الملقـــــب أبيفانس ، ملك أنطاكيـة اليوناني على بيت المقدس (سنة ١٦٨ ق . م) ، وأحرق الصحف المقدسة ، ومنع من تلاوة التوراة ، وممارسة الشعائر اليهودية رسميا ، ونشط يهودا المكابـي في جمع الصحف المقدسة وترتيبها ، وضـــم اليها السلسلة الثالثة من صحف العهد القديم .

المرة الثالثـــة : حين هجم تيطس (Titus) الامبراطور الرومانـــــي (٤٠ - ٨١ م) عـــلى بيت المقدس في ٧ سبتمبر سنة ٧٠ م ، ودمـــره بما فيه من هيكل سليمان ، وحوله الى أنقاض وخرائب ، واستولى على الصحف المقدسة ، ونقلها الى بلاطـــه في روما تذكارا للفتح ، وأجلى اليهود مـــن القدس ، واستعمر غيرهم حول المدينـــة .(١)

٨) موقف القرآن الكريم من التوراة :

تحدث القرآن الكريم عن التوراة بأنها كتاب سماوى أنزلها الله تعالى على نبيه موسى - عليه السلام - ووصفها بأنها كتاب هداية ونور لبني اسرائيل الذين يعملون بأحكامها ويحافظون على قداستها ، قال تعالى : ((إِنَّـــا أَنزَلنَا التَّـــوراةَ فِيهَـا هُـدىً ونُـورٌ يَحكُمُ بِهَـا النَّبِيُّونَ الَّذِيـنَ أَسلَمُوا لِلَّذِيـن هَادُوا ، والرَّبَّانِيُّون والأَحبَـارُ بِمَا استُحفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيهِ شُهَدَاءَ))(٢)

---

(١) النبوة والأنبياء في ضوء القرآن لأبي الحسن الندوى ص ١٩٨ - ٢٠٠ وانظر : النبي الخاتم - للمؤلف نفسه - ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) سورة المائـــدة - آيـة : ٤٤ .

وقال تعالى : ((وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ هُدًى وَذِكْرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ)) (١) .

وفي التوراة أحكام تتفق مع القرآن الكريم من قصاص وعدالة وتشريع تحفظ للناس حقوقهم وتمنعهم من البغي والتعدي على بعضهم . قال تعالى : ((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ، وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ، وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ ، وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ ، وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ ، فَمَنْ تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَهُ)) (٢) .

وفيها مع العظة والهداية شريعة مفصلة لبني اسرائيل ، كما قال تعالى : ((وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ)) (٣) .

وقوله تعالى : ((ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ)) (٤) .

وهي كتاب يفرق بين الحق والباطل ، قال تعالى : ((وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (٥) .

وهي قدوة ورحمة للمؤمنين بها من بني اسرائيل ، وقد أنزل القرآن الكريم مصدقا لها ولغيرها من الكتب السماوية السابقة ومهيمنا عليها

---

(١) سورة غافر - آية : ٥٣ - ٥٤ .

(٢) سورة المائدة - آية : ٤٥ .

(٣) سورة الأعراف - آية : ١٤٥ .

(٤) سورة الأنعام - آية : ١٥٤ .

(٥) سورة البقرة - آية : ٥٣ .

قال تعالى : ((وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى إِمَامًا وَرَحْمَةً ، وَهَذَا كِتَابٌ مُصَدِّقٌ لِسَانًا عَرَبِيًّا لِيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ)) (١) .

وفيها البشارة بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وبرسالته ، قال تعالى : ((... الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ)) (٢) .

هذه هي التوراة الالهية الحقيقية الأصلية التي لم يتطرق اليها التحريف والتغيير والتبديل والافتراء . .

وقد بيّن القرآن الكريم أن التوراة الحالية قد أصابها التحريف والتبديل والنسيان والاخفاء ، وأنها تختلف كل الاختلاف عن التوراة الالهية الأصلية ذات التعاليم المقدسة ، بل ان هذه محرفة ومبدلة ، تعكس أفكار وأخلاق اليهود عبر تاريخهم . والى هذا التحريف يشير القرآن الكريم في كثير من الآيات البيّنات ، قال تعالى : ((فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً ، فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ)) (٣) .

وقال تعالى : ((مِّنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلاَ يُؤْمِنُونَ إِلاَّ قَلِيلاً)) (٤) .

---

(١) سورة الأحقاف - آية : ١٢ .
(٢) سورة الأعراف - آية : ١٥٧ .
(٣) سورة البقرة - آية : ٧٩ .
(٤) سورة النساء - آية : ٤٦ .

وقال تعالى : ((أفتطمعون أن يؤمنوا لكم وقد كان فريق منهم يسمعون كلام الله ثم يحرفونه من بعد ما عقلوه وهم يعلمون)) (١) .

وقال تعالى : ((فبما نقضهم ميثاقهم لعناهم وجعلنا قلوبهم قاسية يحرفون الكلم عن مواضعه ونسوا حظا مما ذكروا به ولا تزال تطلع على خائنة منهم إلا قليلا منهم فاعف عنهم واصفح إن الله يحب المحسنين)) (٢) .

وقال تعالى : ((إن الذين يكتمون ما أنزل الله من الكتاب ويشترون به ثمنا قليلا أولئك ما يأكلون في بطونهم الا النار ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم * أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى والعذاب بالمغفرة فما أصبرهم على النار * ذلك بأن الله نزل الكتاب بالحق وإن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد)) (٣) .

وقال تعالى : ((إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون)) (٤) .

وقال تعالى : ((وإن منهم لفريقا يلوون ألسنتهم بالكتاب لتحسبوه من الكتاب وما هو من الكتاب ، ويقولون هو من عند الله

---

(١) سورة البقرة - آية : ٧٥ .
(٢) سورة المائدة - آية : ١٣ .
(٣) سورة البقرة - آية : ١٧٤ - ١٧٦ .
(٤) سورة البقرة - آية : ١٥٩ .

وَمَا هُوَ مِنَ عِندِ اللَّهِ ، وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الكَذِبَ وَهُم يَعلَمُونَ)) (١) .

وقال تعالى : ((قُلْ مَن أَنزَلَ الكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُوراً وَهُدىً لِلنَّاسِ تَجعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبدُونَهَا وَتُخفُونَ كَثِيراً)) (٢) .

وقال تعالى : ((الَّذِينَ آتَينَاهُمُ الكِتَابَ يَعرِفُونَهُ كَمَا يَعرِفُونَ أَبنَاءَهُم وَإِنَّ فَرِيقاً مِنهُم لَيَكتُمُونَ الحَقَّ وَهُم يَعلَمُونَ)) (٣) .

وقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لا يَحزُنكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الكُفرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفوَاهِهِم وَلَم تُؤمِن قُلُوبُهُم ، وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ لِلكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَومٍ آخَرِينَ لَم يَأتُوكَ ، يُحَرِّفُونَ الكَلِمَ مِن بَعدِ مَوَاضِعِهِ ، يَقُولُونَ إِن أُوتِيتُم هَذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّم تُؤتَوهُ فَاحذَرُوا)) (٤) .

وهكذا آيات كثيرة تبين وتؤكد أن اليهود حرفوا وغيروا وبدلوا في كتابهم .

وقد ثبت في الحديث الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل الله على نبيكم صلى الله عليه وسلم أحدث الأخبار بالله تقرأونه محضا لم يشب ، وقد حدثكم الله أن أهل الكتاب قد بدلوا من كتب الله وغيروا فكتبوا بأيديهم قالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٧٨ .
(٢) سورة الأنعام - آية : ٩١ .
(٣) سورة البقرة - آية : ١٤٦ .
(٤) سورة المائدة - آية : ٤١ .

أولا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسائلتهم ، فلا والله ما رأينا رجلا منهم يسألكم عن الذي أنزل عليكم " . (١)

وقد ذم الله اليهود الذين لم يعملوا بالتوراة وشبههم بالحمار يحمل أسفارا دون الانتفاع بها ، فقال تعالى : ((مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) . (٢)

ويذكر القرآن الكريم أن الديانة اليهودية كانت ديانة توحيد تتصف فيها الذات الالهية بصفات الكمال والتنزه عن جميع مظاهر النقائص والعيوب ، الا أنّ المتأمل في التوراة الحالية يجد أن فكرة الألوهية قد انتكست في زمن تدوين هذه الأسفار ، حيث شبهوا الله - سبحانه وتعالى - بكثير من صفات المخلوقين .

من ذلك ما يرويه سفر التكوين في قصة آدم وحواء واخراجهما من الجنة اذ يذكر أن الله تعالى قد نهاهما عن الأكل من الشجرة لكي يبقيهما جاهلين لا يشاركانه في صفة من أخص صفاته ، وبما أنهما قد أكلا من شجرة المعرفة فقد أصبحا في ذلك في مستوى الألوهية لتمييزهما بين الخير والشر ،

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٨ ص ٢٠٨ كتاب التوحيد ، باب قول الله تعالى ((كل يوم هو في شأن)) .
وفي كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : (لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء) جـ ٨ ص ١٦٠ .

(٢) سورة الجمعة - آية : ٥ .

ومن ثمّ فقد أصبح لزاما أن يطرد الانسان من الجنة حتى لا تمتد يده الى شجرة أخرى هي شجرة الخلد ، فيكفل لنفسه أرقى صفات الاله وهي البقاء .(١)

ويتعرض القرآن الكريم في أكثر من سورة لقصة آدم وحواء وأكلهما من الشجرة وغروبهما من الجنة ، دون أن يبدو ما يتعارض مع كمال علم الله تعالى وقدرته .

ومن ذلك ما يقرره نفس السفر من أن الله تعالى بعد أن خلق السموات والأرض في ستة أيام استراح في اليوم السابع ، وكان يوم السبت ، وأن الله قد بارك هذا اليوم من أجل ذلك فحرّم فيه العمل .(٢)

ويرد القرآن الكريم على هذا الزعم الباطل في قوله تعالى : ((وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوب))(٣) .

ومن ذلك ما يرويه سفر التكوين في قصة هلاك قوم لوط ، وتدمير قريتي " سدوم " و " عمورة " اذ يذكر أن ثلاثة رجال وهم : الله وملكان معه ، قدموا على ابراهيم وهو جالس أمام خيمته ، وأن ابراهيم قد عرف الله من بينهم ، ورجاه أن يستريحوا عنده قليلا من وعثاء سفرهم ، وقدم اليهم ماء لشربهم وغسل أرجلهم ، وأخذ عجلا حنيذا لطعامهم ، فانتهى ثلاثتهم تحت ظل

---

(١) انظر : سفر التكوين ٣ : ٢٢ - ٢٣ . والأسفار المقدسة لعلي وافي ص ٢٤ - ٢٥ . وأدلة اليقين للجزيري ص ٤٣١ .

(٢) انظر : سفر التكوين ٢ : ١ - ٣ . والأسفار المقدسة لعلي وافي ص ٢٥ - ٢٦ .

(٣) سورة ق - آية : ٣٨ . ومعنى ((وما مسني من لغوب)) أي : لم يحصل لنا تعب حتى نحتاج الى الراحة .

شجرة وأخذوا يأكلون مما قدمه اليهم ، وابراهيم جالس على مقربة منهم .... الخ القصة .(١)

وقد ذكر القرآن الكريم هذه القصة على حقيقتها ، وبين أن الذين وفدوا على ابراهيم - عليه السلام - انما كانوا ملائكة في صورة آدميين ، فظنهم بشرا ، فقدم اليهم طعاما ، فلم تصل أيديهم اليه ، لأن الملائكة لا يأكلون ، وفي هذا يقول الله تعالى : ((وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى ، قَالُوا : سَلَاماً ، قَالَ : سَلَامٌ ، فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ * فَلَمَّا رَأَى أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ، قَالُوا : لَا تَخَفْ ، إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ ..))(٢) .

* * * * *

---

(١) انظر : سفر التكوين - الاصحاح ١٨ .

(٢) سورة هود - الآية : ٦٩ - ٧٠ .

وانظر : الأسفار المقدسة ص ٢٥ - ٢٦ .

الفصل الثالث

((من هم النصارى ؟))

وفيه مبحثان :

المبحث الأول :

معنى كلمة نصارى ونصرانية .

المبحث الثاني :

النصارى عند ظهور الاسلام .

.....

المبحث الأول : معنى كلمة نصارى ونصرانية :

يقول الدكتور جواد علي : " ولفظة النصرانية ونصارى من الألفاظ المعربة التي تطلق في العربية على أتباع المسيح - عليه السلام - يرى بعض المستشرقين أنها من أصل سرياني هو (نصرايا) ، ويرى بعض آخر أنها من (Nazorenes) التسمية العبرانية التي أطلقها اليهود على من اتبع ديانة المسيح . ويرى بعض المؤرخين أن لها صلة بالناصرة التي كان منها " يسوع " حيث يقال : " يسوع الناصري " أو أن لها صلة بالناصريين احدى الفرق القديمة اليهودية المتنصرة . وقد بقي اليهود يطلقون على من اتبع ديانة المسيح " النصارى " . وبهذا المعنى وردت الكلمة في القرآن الكريم وصارت النصرانية علما لديانة المسيح عند المسلمين " .(١)

والمستعمل في الكلام نصراني ونصرانية ، بياء النسب ، وجاء لفظ نصرانية على جهة الضرورة في شعر أبي الأخزر الحماني يصف ناقتين طأطأتا رأسيهما من الاعياء ، فشبه رأس الناقة من تطأطئها برأس النصرانية اذا طأطأته في صلاتها :

فكلتاهما خرت وأسجد رأسها ... كما أسجدت نصرانة لم تحنف

والتنصير : الدخول في النصرانية .(٢)

---

(١) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر : لسان العرب لابن منظور جـ ٥ ص ٢١١ ، وتاج العروس للزبيدي جـ ٣ ص ٥٧٨ ، وتهذيب اللغة لأبي منصور جـ ١٢ ص ١٦٠ - ١٦١ .

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ما من مولود الاّ يولد على الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه . . .)[1].

* * * * *

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٢ ص ٩٧ ، كتاب الجنائز ، باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه ؟ .

المبحث الثاني : النصارى عند ظهور الاسلام :

لم تكن اليهودية الديانة السماوية الوحيدة التي وجدت لها سبيلا الى جزيرة العرب ، بل وجدت ديانة سماوية أخرى طريقا لها الى جزيرة العرب ، هي الديانة النصرانية ، وهي ديانة أحدث عهدا من الديانة الأولى ، لأنها قامت بعدها ونشأت على أسسها ومبادئها (١) .

وليس في استطاعة أحد تعيين الزمن الذى دخلت فيه النصرانية الى جزيرة العرب ، وتحاول مؤلفات رجال الكنائس ردّ ذلك التاريخ الى الأيام الأولى من التاريخ النصراني غير أننا لا نقرهم على ذلك لأن حجتهم غير كافية للاقناع (٢) .

واذا كانت اليهودية قد دخلت جزيرة العرب بالهجرة والتجارة ، فان دخول النصرانية كان بالدعوة الى النصرانية وبدخول بعض النساك والرهبان للعيش فيها بعيدين عن ملذات الدنيا ، وبالتجارة وبالرقيق ولا سيما الرقيق الأبيض المستورد (٣) .

وكانت الأديرة ، وهي بيوت خلوة وعبادة وانقطاع عند النصارى قد انتشرت حتى في المواضع القصية من البوادى . . .

وهي عديدة في بلاد العراق وبلاد الشام ، بل نجد لها ذكرا في أماكن متفرقة من الجزيرة العربية تتلقى الاعانات من كنائس العراق والشام ومن الروم ،

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي جـ ٦ ص ٥١ .

(٢) المرجع السابق جـ ٦ ص ٥٤ - ٥٥ .

(٣) " " جـ ٦ ص ٥٥ .

حتى تمكنت من الدعوة الى النصرانية بين أكثر القبائل (١) .

وطبيعي أن يكون انتشار النصرانية في العرب ببلاد الشام واضحا ظاهرا أكثر منه في أى مكان آخر . .

وقد رأى الروم أن من أول واجباتهم السعي في تنصير الشعوب الخاضعة لهم، لا تقرّبا الى الله وحده ، بل لتمكين سلطانهم عليهم ، واستعمارهم بالرابطة الروحية التي تربط تلك الشعوب بالروم ، واخضاعهم روحيا لهم ، والخضوع للبشر هو شر أنواع الاستعمار .

لهذا كان من سياسة البيزنطيين نشر النصرانية بين أتباعهم في الخارج وارسال الدعاة الى النصرانية والاغداق عليهم بالأموال لنشر النصرانية وتأسيس مكاتب للتنصير .

ويلي هؤلاء ، عرب العراق ، لاحتكاكهم بالنصارى ، ولانتشار النصرانية في العراق بالرغم من أن ديانة الحاكمين لهذا القطر كانت ديانة أخرى - هي الديانة المجوسية .

ووجدت النصرانية بعد بلاد الشام والعراق لها مواضع أخرى دخلت اليها ، في أطراف الجزيرة العربية .

ويلاحظ أن النصرانية لم تتمكن أن تعشعش في مستوطنات على نمط مستوطنات اليهود في جنوبيّ دومة الجندل وفدك وأيلة حتى اليمن ، فقد كان لليهود حتى موضع يثرب مستوطنات كانت خصبة غنية بالمياه ، ذات زرع ونخيل .

---

(١) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٥٨ .

أما النصرانية ، فلم يكن لها في هذه المواضع ، ولا في التي تليها حتى اليمن ما كان لليهود ، ثم نلاحظ شيئا آخر هو أن الغالبية العظمى في المنطقة الممتدة من يثرب حتى نجران وصنعاء كانت وثنية ، أى أنها لم تكن على يهودية ولا نصرانية . .

لذلك لم تفلح فيها اليهودية ولا النصرانية ، ولم تجد لها موضعا تنمو فيه كما وجدته في اليمن أو في أعالي الحجاز .

وقد كان من هؤلاء النصارى من لا يحسن العربية ، ولا يستطيع التكلم بها ، ومنهم من كان يرطن بها (١) أو يخطيء كثيرا حين يتكلم بها لكونه من أصل غير عربي (٢) .

قال تعالى : ((وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُّبِينٌ)) (٣) .

قال ابن كثير : يقول تعالى مخبرا عمّا كان يقوله المشركون من الكذب والافتراء والبهت : أن محمدا انما يعلمه هذا الذى يتلوه علينا من القرآن بشر ، ويشيرون الى رجل أعجمي كان بين أظهرهم ، غلام لبعض بطون قريش ، وكان بياعا يبيع عند الصفا ، وربما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يجلس

---

(١) الرطانة - بفتح الراء وكسرها - الكلام بالأعجمية . مختار الصحاح ص ٢٤٦ .
قال ابن الأثير في النهاية : والتراطن : كلام لا يفهمه الجمهور ، وانما هو مواضعة بين اثنين أو جماعة ، والعرب تخص بها غالبا كلام العجم . جـ ٢ ص ٢٣٣ .

(٢) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٥٨ - ٦١ - باختصار وتصرف - .

(٣) سورة النحل - آية : ١٠٣ .

اليه ويكلمه بعض الشيء ، وذاك كان أعجمي اللسان لا يعرف العربية أو أنه كان يعرف الشيء اليسير بقدر ما يرد جواب الخطاب فيما لا بد منه ، فلهذا قال الله تعالى ردا عليهم في افترائهم ذلك : ((لسان الذى يلحدون اليه أعجمي وهذا لسان عربي مبين)) . . . ، أى فكيف يتعلم من جاء بهذا القرآن في فصاحته وبلاغته ومعانيه التامة الشاملة التي هي أكمل من معاني كل كتاب نزل على بني اسرائيل كيف يتعلم من رجل أعجمي ؟ لا يقول هذا من له أدنى مسكة من العقل " .(١)

نعم : كيف يتعلم محمد - صلى الله عليه وسلم - هذا القرآن العظيم في فصاحته وبلاغته وقوة معانيه من رجل أعجمي ؟ !!!

ومن أين للأعجمي أن يأتي بهذا الكتاب الذى تحدى الله به الانس والجن على حد سواء ؟ !!

قال تعالى : ((قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ والجِنُّ على أَن يأتُوا بِمِثْلِ هَـذَا القُرآنِ لا يأتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَو كَانَ بَعضُهُم لِبَعضٍ ظَهِيراً))(٢) .

هذا ويتضح مما سبق أن النصرانية عند ظهور الاسلام لم تكن متركزة - كاليهودية - في مواضع معينة من الحجاز .

واذا استثنينا مواضع قليلة في أعالي الحجاز مثل دومة الجندل ، فلا نكاد نجد مواضع تؤلف أغلبية نصرانية ، ولكن هذا لا يعني نفي وجود أقليات

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٦٣٦ .

(٢) سورة الاسراء - آية : ٨٨ .

نصرانية عربية وأعجمية كانت تسكن قرى الحجاز وفي مدنه ، أما الأقليات الأعجمية فقد كانت تتألف من تجار ودعاة تنصير ورقيق اشترى من مختلف الأنحاء فجيء به الى هذه الأرض للاشتغال بالحرف التي لم يكن يتقنها أهلها ، أو كانوا يأنفون القيام بها ، فهؤلاء هم جرثومة النصرانية في الحجاز ونواتها .

أما في اليمن ، فقد كان للنصرانية عند ظهور الاسلام مواطن في نجران (١) نستطيع أن نقول انها كانت الغالبية عليها ، ومواطن أخرى في مثل صنعاء ومأرب ، ولكن الغالب على اليمن الديانة الوثنية (٢) .

وسيأتي الكلام في المباهلة عن قدوم وفد نجران الى النبي صلى الله عليه وسلم ومناقشتهم معه في أمر المسيح - عليه السلام - وما دعاهم به الرسول صلى الله عليه وسلم الى المباهلة ورفضهم ذلك الطلب لعلمهم بصدق النبي صلى الله عليه وسلم وطلبهم أن يبعث معهم رجلا أمينا من المسلمين يحكم بينهم فيما يختلفون فيه من أموال ونحوها ، وأن النبي صلى الله عليه وسلم بعث معهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وأوصاه بأن يقضي بينهم بالحق .

وقد صالح أهل نجران خالد بن الوليد رضي الله عنه في زمن النبي صلى الله عليه وسلم في السنة العاشرة من الهجرة ، وبذلك دخل سكان

---

(١) نجران اليوم جزء من المملكة العربية السعودية .

(٢) تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ١٨٥ بتصرف .

المدينة في الاسلام ، أما من بقي على دينه من اليهود والنصارى فقد فرضت عليهم الجزية .(١)

ونود أن نذكر في هذا المقام أن جميع المصالحات والاتفاقيات التي حصلت في زمن النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب انّما كانت قبل أمره صلى الله عليه وسلم باخلاء جزيرة العرب من اليهود والنصارى ، حيث ثبت ذلك بأحاديث صحيحة صريحة .

.. فعن جابر رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لأخرجن اليهود والنصارى من جزيرة العرب حتى لا أدع فيها الاّ مسلما)(٢) .

.. وعن عائشة رضي الله عنها قالت : كان آخر ما عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن قال : (لا يترك بجزيرة العرب دينان)(٣) .

وبناء على ذلك أجلى عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه اليهود والنصارى من جزيرة العرب .(٤)

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ١٢٦ ، حوادث السنة العاشرة ، وانظر : الكامل في التاريخ لابن الأثير جـ ٢ ص ٢٩٣ .

(٢) صحيح مسلم بشرح النووي جـ ١٢ ص٩٠ ، كتاب الجهاد ، باب اجلاء اليهود من الحجاز . وسنن أبي داود جـ ٣ ص ١٦٥ ، كتاب الامارة ، باب اخراج اليهود من جزيرة العرب ، رقم (٣٠٣٠) ، ومسند أحمد جـ ١ ص ٢٩ و ص ٣٢ و جـ ٣ ص ٣٤٥ .

(٣) مسند أحمد جـ ٦ ص ٢٧٥ .

(٤) موطأ الامام مالك ص ٣١١ - ٣١٢ باب نزول أهل الذمة مكة والمدينة وما يكره من ذلك ، حديث رقم (٨٧٣) و (٨٧٤) - مطابع شركة الاعلانات الشرقية / القاهرة ١٣٨٧ هـ .
والأموال لأبي عبيد ص ١٢٨ .

هذا ويذكر المفسرون أن أبرهة الأشرم ملك اليمن ، بنى كنيسة بصنعاء اشتهرت باسم (القُلّيس) وأراد أن يصرف اليها الحجيج ، فجاء رجل من كنانة وتغوط فيها ليلا ولطخ جدرانها بالنجاسة احتقارا لها ، فغضب أبرهة وحلف أن يهدم الكعبة ، وجاء مكة بجيش كبير على أفيال ، يتقدمهم فيل هو أعظم الفيلة ، فلما وصل قريبا من مكة فرّ أهلها الى الجبال ، خوفا من جنده وجبروته ، وأرسل الله تعالى على جيش أبرهة طيورا ، مع كل طائر ثلاثة أحجار ، حجر في منقاره وحجران في رجليه ، فرمتهم الطيور بالحجارة ، فكان الحجر يدخل في رأس الرجل ويخرج من دبره فيرميه جثة هامدة ، حتى أهلكهم الله ودمرهم عن آخرهم ، وكانت قصتهم عبرة للمعتبرين ، وأنزل الله فيهم قوله تعالى : ((أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ * أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ * وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ * تَرْمِيهِمْ بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ * فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ)) (١) .

ومن القبائل التي يحشرها أهل الأخبار في جملة العرب المتنصرة غسان ، وتغلب ، وتنوخ ، ولخم ، وجذام ، وسليم ، وعاملة (٢) .

ولا شك أن النصرانية كانت متفشية بين العرب في العراق والشام وكان لها أتباع في جزيرة العرب ، وكانت هناك سياسة نشطة في استغلال هذه الديانة وفي تأييد مذهبها ، ولكن الله عز وجل أنقذ هذه البلاد

---

(١) سورة الفيل بتمامها . انظر : تفسير القرطبي جـ ٢٠ ص ١٨٧ . والتفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٣٢ ص ٩٦ .

(٢) انظر : تاريخ العرب قبل الاسلام جـ ٦ ص ٢١٦ .

بظهور الاسلام ، الذى أراده الله للناس جميعا على يد النبي الأمـــــي محمد بن عبد الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ فانضوت جميع القبائل والمقاطعات تحت راية التوحيد ، وبذلك توحدت سياستهم وثقافتهم واقتصادياتهـــــم وغاياتهـــم .

نرجـو المسلمين أن يعـــوا هذه الحقيقة ، ويحافظوا عليهـــا ، وأن يقوموا بواجب الدعوة الى الاسلام ، وشرح أحكامـه ومحاسنه ليعم نـــوره البقاع المظلمة من العـالم .

وبعد هذا العرض السريع عن النصرانية عند ظهور الاسلام ، ننتقـل الى التعرف على كتابهم الانجيـل ـ الذى أنزله الله تعالى على عيســـى عليه السلام ـ وما دخل عليه من تحريف وتبديل .

* * * * * *

الفصـــل الرابـــع

((الانجيـل وما دخـله من تحـــــريف))

ويشتمل على ما يأتـــي :

١ ـ تعريـف الانجيـــل .

٢ ـ أقسام العهد الجديد وتاريخ تدوينها .

٣ ـ نظرة في محتويات الأناجيل الأربعة .

٤ ـ الأناجيل غير المعتمدة عند النصارى .

٥ ـ شواهد التحريف في العهد الجديد .

٦ ـ أثر الاضطهادات في الديانة النصرانية .

٧ ـ موقف القرآن من الأناجيل .

٨ ـ انقطاع السند عند أهل الكتاب .

٩ ـ شهادات العلماء المحققين على تحريف التوراة والانجيل .

= / = / = / = / =
= / = / = / =
= / = / =
= / =
=

١) تعريف الانجيل :

الانجيل : كلمة يونانية معناها البشارة والتعليم ، وهي في الأصل اليوناني (انكليوس) .

وقد استعملها المسيح بمعنى بشرى الخلاص التي حملها الى البشر، واستعملها الرسل من بعده بالمعنى نفسه ، ثم استعملت هذه الكلمة بمعنى الكتاب (*) الذى يتضمن هذه البشرى ، وقد غلب استعمالها بهذا المعنى منذ أواخر القرن الأول حتى اليوم (١) .

والكتاب المقدس عند النصارى يشمل العهد القديم والعهد الجديد (٢) .

وقد استقر رأى النصارى في أوائل القرن الخامس الميلادى على اعتماد سبعة وعشرين سفرا من أسفارهم ، وقرروا أنها هي وحدها الأسفار المقدسة ، أى الموحى بها ، ويقصدون أنه موحى لأصحابها من الرب بمعانيها لا بألفاظها ، وأطلقوا عليها اسم " العهد الجديد " للمقابلة بينها وبين ما اعتمد من أسفار اليهود المقدسة التي أطلقوا عليها اسم " العهد القديم " (٣) .

٢) أقسام العهد الجديد وتاريخ تدوينها :

ترجع أسفار العهد الجديد الى ثلاثة مجموعات وسفرين هي :

---

(١) انظر : تفسير المنار جـ ٣ ص ١٥٨ ، واظهار الحق لرحمة الله الهندى ص ٨٠ ، والمسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ٢٠١-٢٠٢

(٢) المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ٢٠١ .

(٣) الأسفار المقدسة لعلي وافي ص ٧٥ .

(*) المراد رسل المسيح عليه السلام لا رسل الله تعالى .

المجموعة الأولى :

الأناجيل ، وعددها أربعة : انجيل متى ، وانجيل مرقص ، وانجيل لوقا ، وانجيل يوحنا . وتمثل هذه الأناجيل الأربعة أهم مجموعات العهد الجديد .

أما انجيل متى : فمؤلفه هو متى بن حلفى ، أحد الحواريين الاثنى عشر ، وانجيله هو أقدم الأناجيل جميعا ، اذ يرجع تاريخ تأليفه الى حوالي سنة ٦٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال (١) .

وأما انجيل مرقص : فمؤلفه هو القديس يوحنا ، ويلقب بمرقص ، أحد التلاميذ السبعين ، ولم يكن من التلاميذ الاثنى عشر ، وأصله من اليهود ، وقيل : انه ذهب الى مصر لنشر النصرانية فيها ، وكان خاتمة أمره أن حبسه الوثنيون وعذبوه عذابا شديدا حتى مات متأثرا بجراحه (٢) .

وألف مرقص انجيله باليونانية ، واختلفوا في تاريخ كتابته ، فقال هوين : " ألف الانجيل الثاني - يعني انجيل مرقص - سنة ٥٦ أو ما بعدها الى سنة ٦٥ ، والأغلب أنه ألف سنة ٦٠ أو ٦٣ " (٣) .

وانجيل لوقا : مؤلفه القديس لوقا ، واختلفوا في مولده وفي أصله وفي محله ، واتفقوا على أنه ليس من تلاميذ المسيح ولا تلاميذ حواريه ، واتفقوا على أنه كان تلميذا لبولس ورفيقا له في أسفاره ، وقد اختلفوا أيضا

---

(١) الأسفار المقدسة ص ٧٦ ، وانظر : تفسير المنار ج ٦ ص ٢٩٣ .
(٢) المسيحية لأحمد شلبي ص ٢٠٩ ، والأسفار المقدسة ص ٧٤ - ٧٧ .
(٣) اظهار الحق ص ١٠٠ .

متى ألف انجيله ؟

قال هورن : " ألف الانجيل الثالث ـ أى انجيل لوقا ـ سنة ٥٣ م أو سنة ٦٣ م أو سنة ٦٤ م "[١] باللغة اليونانية ، وقيل : باللغة اللاتينية[٢] ، وافتتحه بعبارة تدل على أنه كتبه لصديق يسمى ثاوفيلس (Théophile) يقول في فاتحته : " لقد كتب كثيرون في تاريخ الأحداث التي جرت لدينا ـ يقصد بين النصارى الأولين ـ حسب ما نقل من هؤلاء الذين كانوا شهودا لهذه الحوادث ، وكما كنت قد قمت ببحث هذه الأحداث بحثا دقيقا وتتبعتها من نشأتها الأولى ، لذلك رأيت من الخير أن أدونها لسعادتك أيها العزيز ثاوفيلس في صورة مسلسلة حتى تقف على الرأى اليقيني في التعاليم التي تلقيتها "[٣].

ولم يعرّف لوقا بهذا العظيم ، ولذلك اختلف فيه ، فقيل : انه كان مصريا ، وقيل : انه أحد عظماء اليونان ، أو أحد علمائهم[٤].

وقد مات سنة ٧٠ ميلادية على الأرجح[٥].

وأما انجيل يوحنا : فمؤلفه الحوارى يوحنا بن زبدى الصياد ، وكان تأليفه له حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد على أرجح الأقوال ، فهو لذلك

---

(١) اظهار الحق ص ١٠٠ .

(٢) الأسفار المقدسة لعلي وافي ص ٧٧ .

(٣) انظر : انجيل لوقا ـ الاصحاح الأول ، الفقرات ١ ـ ٤ .

(٤) الأسفار المقدسة ص ٧٧ ـ ٧٨ ، والنصرانية لأبي زهرة ص ٥٧ .

(٥) الأسفار المقدسة ص ٧٥ .

أحدث الأناجيل جميعا ، اذ تفصله عنها مرحلة زمنية كبيرة ، تبلغ زهـــاء ثلاثين عاما ، وليس عند النصارى سند صحيح يثبتون به صحة هذا الانجيل الى يوحنا الحوارى ، وانما يقولون في ذلك بالظن الخالي عن الدليـــل ، ولذلك أنكر المحققون من علمائهم قديما وحديثا صحة هذه النسبة .(١)

ولكون مجموعة الأناجيل الأربعة من أسفار العهد الجديد هـــي المعتمدة في نظرهم ، نود أن نشير الى بعض محتوياتها :

٣) نظرة في محتويات الأناجيل الأربعـــة :

ترجع أهم الأمور التي تشتمل عليها هذه الأناجيل الى خمســـة موضوعات وهي : القصص ، والعقيدة ، والشريعة ، والأخلاق ، والزواج .

١ ـ أما القصص : فيشغل أكبر حيز من كل انجيل من هذه الأناجيـــل ، ويعرض لقصة مريم وحملها بالمسيح وولادته ودعوته الى دينه ، واجتمائـــه للحواريين والتلاميذ ، والحديث عن آخر حياته . .

٢ ـ وأما العقائد : التي تشتمل عليها هذه الأناجيل فتدور كلها حـــول المسيح وتقرر ألوهيته ونبوته للأب ، وأن الاله عبارة عن ثلاثة أقانيم وهـــي الآب ، والابن ، وروح القدس ، وأن المسيح قد صلب ليكفّر بذلك الخطيئـــة التي ارتكبها آدم ـ اذ عصى ربه وأكل من الشجرة ـ والتي انتقلت بطريـــق الوراثة الى جميع نسله ، وكانت ستظل عالقة بهم الى يوم يبعثون لـــولا أن

---

(١) انظر : الأسفار المقدسة ص ٦٩ ، وص ٧٨ ، واظهار الحـــق ص ١٠٠ ـ ١٠١ ، والمسيحيـــة لأحمد شلبي ص ٢١٣ ـ ٢١٤ ، والنصرانية لأبي زهرة ص ٥٧ وما بعدها .

افتداهم المسيح بدمه ، وأن المسيح قد قام من قبره بعد صلبه بثلاثة أيام ، وظل مع حواريه وأنصاره أربعين يوما ، ثم رفع الى السماء حيث جلس على يمين أبيه يصرف شئون العالم . وسيتولى هو يوم القيامة حساب الناس على ما فعلوه في الحياة الدنيا ، فيجزى المحسن باحسانه والمسيء باساءته .

٣ - وأما ما يتعلق بشئون الشريعة : فانه يفهم من هذه الأناجيل أن النصرانية قد أقرت شريعة اليهود المقررة في العهد القديم ، ولم تستثن من ذلك الا ما ورد عن المسيح نص بنسخه أو تعديله .

٤ - وأما فيما يتعلق بأخلاق الأناجيل : فانها حريصة كل الحرص على أن تقوم العلاقات بين الناس على أسس التسامح والعفو ودفع السيئة بالحسنة ، حتى انها لتكاد تجعل ذلك واجبا من الواجبات .

فمن ذلك قول المسيح : (لقد كان يقال لكم - يشير الى بعض التعاليم الواردة في أسفار اليهود - أحبوا أبناء شعبكم ، وأبغضوا أعداءكم وأما أنا فأقول لكم : أحبوا أعداءكم وباركوا الذين يلعنونكم ، وقدموا الخير لمن يكرهونكم ، وادعوا بخير لهؤلاء الذين يضطهدونكم ويعذبونكم ، حتى تستحقوا أن تكونوا أبناء لأبيكم الذى في السموات)(١) .

ومن ذلك قوله : (سمعتم أنه قيل للقدماء : عين بعين وسن بسن ، أما أنا فأقول لكم : لا تقاوموا الشر ، ولا تقاوموا من يتصدى لكم بالأذى ، بل اذا صفعك أحد على خدك الأيمن فأدر له خدك الآخر ،

---

(١) انظر : انجيل متى - الاصحاح الخامس - فقرات ٤٣ - ٤٥ .

واذا خاصمك أحد ظلما في ازارك فاترك له ردائك أيضا)[١] .

وغني عن البيان أن تطبيق هذه المبادىء تطبيقا حرفيا يؤدي في النهاية الى الغاء العقوبات ، (وبالتالي اشاعة الفوضى في المجتمعات الانسانية) .

٥ - وأما فيما يتعلق بالزواج وتكوين الأسرة : فقد ساد في النصرانية الاعتقاد بأن العزوبة أمثل من الزواج ...[٢] .

المجموعة الثانية :

رسائل بولس[٣] ، وعددها أربع عشرة رسالة كتبها كلها في الأصل

---

(١) انجيل متى - الاصحاح الخامس - فقرات ٣٨ - ٤٠ .

(٢) الأسفار المقدسة ص ٧٩ - ٨٢ .

(٣) بولس هذا يعتبر في الحقيقة مؤسس النصرانية الحالية وواضع مبادئها ولذلك سنترجم له بشيء من التفصيل لمعرفة حقيقته .
ولد بولس في طرسوس في كيليكية بآسيا الصغرى ، وكان يهوديا من الفريسيين على أرجح الأقوال وكان اسمه (شاول) .

جاء في الفقرة الثالثة من الاصحاح الثاني والعشرين من سفر أعمال الرسل حكاية عنه : (أنا رجل يهودي ولدت في طرسوس كيليكية ، ولكن ربيت في هذه المدينة " أورشليم ") .

وجاء في الفقرة السادسة من الاصحاح الثالث والعشرين من نفس السفر : (ولما علم بولس أن قسما منهم صدوقيون والآخر فريسيون - وهما فرقتان من فرق اليهود - صرخ في المجمع : أيها الرجال الأخوة ، أنا فريسي بن فريسي على قيامة الأموات) .

قال ذلك ليوقع الخلاف بين الصدوقيين والفريسيين .
وكان من ألد أعداء المسيحية في عهد المسيح ، ومن بعده ، ومن أشدهم حربا عليها وعلى أهلها ، فكان يسطوا على معابد =

. . . . . .

المسيحيين ويقتحم بيوتهم ويغير عليهم في الطرقات ، فيقتل منهم من يقتل ، ويعذب من يعذب ، ويشد وثاق بعضهم من الرجال والنساء ويسلمهم السجون وساحات التعذيب . . .

وعن دخوله المسيحية يقول لوقا :

" وبينما هو سائر في طريقه الى دمشق سمع صوتا قائلا له : شاول شاول لماذا تضطهدني ؟ فقال : من أنت يا سيد ؟ فقال الرب : أنا يسوع الذي تضطهده . فقال وهو مرتعد ومتحير : يا رب ماذا تريد أن أفعل ؟ فقال له : قم وكرّز بالمسيحية .

ويقول لوقا في ختام هذه القصة جملة ذات بال غيّرت وجه التاريخ وهي : " وللوقت جعل يكرّز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله " . أعمال الرسل ٩ : ٣ - ٢٠ .

ولم تكن فكرة ألوهية المسيح قد عرفت من قبل ، فأصبحت نقطة التحول في الدراسات المسيحية ، وقد حدثت هذه الفكرة لشاول حوالي سنة ٣٨ م .

وعندما ذهب الى الحواريين أوجسوا خيفة منه ، وظنوا أنه يتظاهر بالايمان للمكر بهم وتدبير الكيد لهم ، ولكن برنابا شهد أمامهم بصحة ايمانه وما حدث له في الطريق ، فأمنوا اليه وأنزلوه منهم منزلة كبيرة .

ومن ذلك الوقت صار بولس القوة الفعالة ، والحركة الدائبة في الدعاية للمسيحية ، وانقلب من ألد أعدائها الى أكبر دعاتها والمنافحين عنها ، وأخذ يطوف في مختلف البلاد عاملا على نشرها وادخال الناس في دينها ، وأصبح برنابا معه في رحلاته الأولى ثم اختلفا بعد ذلك فافترقا .

وظل على منهجه ينشيء الكنائس ، ويلقي الخطب ، ويؤلف الرسائل في المسيحية : عقائدها ، وشرائعها ، وأخلاقها ، حتى قتل في اضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو ٦٧ م .

انظر : أعمال الرسل ـ الاصحاحات ٨ ، ٩ ، ١٣ ، ١٤

باللغة اليونانية في عصور مختلفة تبدأ من نحو سنة ٤٥ ، وتنتهي حوالي سنة ٦٥ ، منها عشر رسائل الى بعض البلاد وبعض الشعوب ، وأربع رسائل الى بعض تلاميذه .(١)

= وقد استمد بولس عناصر ديانته من الثقافات الأجنبية التي كان على علم واسع بها ، يقول بسرى :

" وكان عيسى يهوديا ، وقد ظل كذلك أبدا ، ولكن بولس كون المسيحية على حساب عيسى ، فبولس في الحقيقة مؤسس المسيحية ، وقد أدخل على ديانته بعض تعاليم اليهود ليجذب له العامة منهم ، كما أدخل صورا من فلسفة الاغريق ليجذب أتباعا له من اليونان ، فبدأ يذيع أن عيسى منقذ ومخلص وسيد استطاع الجنس البشرى بواسطته أن ينال النجاح .

وهذه الاصطلاحات التي قال بها بولس كانت شهيرة عند كثير من الفرق ، فانحاز أتباع هذه الفرق الى ديانة بولس ، وعمد كذلك - ليرضي المثقفين من اليونان - فاستعار من فلاسفة اليونان وبخاصة الفيلسوف " فيلو " فكرة اتصال الاله بالأرض عن طريق الكلمة أو ابن الاله ، أو روح القدس " .

انظر : المسيحية للدكتور أحمد شلبي ص ١٠٤ - ١٠٩ ، والنصرانية لأبي زهرة ص ٨١ - ٨٨ ، والأسفار المقدسة ص ٧١ - ٧٢ .

(١) الأسفار المقدسة ص ١٠١ .

المجموعة الثالثة :

رسائل الكاثوليكية وعددها سبع رسائل كتبت كلها في الأصل باللغة اليونانية ، وكتبت في عهود مختلفة ، يرجع أقدمها الى حوالي سنة ٥٠ وأحدثها الى حوالي سنة ٩٠ بعد الميلاد ..

ولا تستأثر هذه الرسائل كلها في العهد الجديد الاّ بحيّز يسير ...

وتعرض هذه الرسائل لبعض نواح من عقائد الديانة المسيحية وشرائعها وعاداتها وأخلاقها ، ولم تعتمد الكنيسة هذه الرسائل جميعها الاّ في سنة ٣٦٤ م ، أما قبل ذلك فكان كثير منها موضع شك في صحة محتوياتها وصحة نسبتها الى أصحابها عند كثير من النصارى ، حتى أن مجمع نيقية وهو من أكبر مجامعهم لم يعتمد الاّ رسالتين من هذه الرسائل وهما رسالة بطرس الأول ، ورسالة يوحنا الأول ، ورفض ما عداهما.(١)

وأما السفران فهما :

١ - سفر أعمال الرسل :

وينسب هذا السفر للقديس لوقا صاحب الانجيل الثالث ، وقد كتبه باللغة اليونانية حوالي سنة ٦٣ ميلادية على أرجح الأقوال ، ولا يستأثر هذا الكتاب الاّ بحيّز يسير من العهد الجديد لا يزيد كثيرا على عشره ، وموضوعه : تاريخ حياة الحواريين وتاريخ طائفة ممّن كان لهم أثر كبير في

---

(١) الأسفار المقدسة ص ١٠٣ .

المسيحية من التلاميذ والتابعين ، وقد عني لوقا بوجه خاص في كتابه هذا بتاريخ حياة بولس وجهاده في سبيل نشر المسيحية وما ظهر على يديه من معجزات ، حتى لقد وقف عليه وحده ما يزيد على نصف صفحات كتابه (١) .

٢ - سفر رؤيا يوحنا :

وقد كتبه يوحنا صاحب الانجيل الرابع باللغة اليونانية ، وكان تأليفه على أرجح الآراء في عهد الامبراطور دوميسان (امبراطور الدولة الرومانية الغربية من سنة ٨١ الى سنة ٩٦ م) ، ويستأثر في العهد الجديد بمثل الحيز الذى تستأثر به الرسائل الكاثوليكية .

وقد كتبه عن رؤيا منامية رآها وأوحي اليه فيها بكثير من حقائق الديانة النصرانية وأحداث المستقبل (٢) .

٤) الأناجيل غير المعتمدة عند النصارى :

كان لدى النصارى في القرنين الأول والثاني الميلاديين أناجيل كثيرة غير الأناجيل الأربعة السابق ذكرها ، وكان لكل فرقة من فرقهم انجيلها أو أناجيلها الخاصة التي تعتمد عليها وتغفل ما عداها من الأناجيل أو تحكم بزيفها وبطلانها .

وقيل انها بلغت مائة انجيل ونيفا ، منها : انجيل برنابا الذى يتفق في أكثر مسائله مع القرآن الكريم ، ومنها انجيل ينسب لمتى غير انجيله السابق

---

(١) الأسفار المقدسة ص ٩٩ - ١٠٠ .

(٢) المرجع السابق ص ١٠٤ .

ذكره في الأناجيل الأربعة ، وانجيل ينسب للحوارى يعقوب ، وانجيل ينسب للحوارى توماس ، وانجيل للقديس نيكوديم ، وانجيل السبعين ، وانجيل الاثنى عشر ، وانجيل التذكرة ، وانجيل العبريين أو الناصريين ، وانجيل المصريين ، وبعاك الأصغر ، وكان لكل من أتباع ديصان وأتباع مانى وأتباع مرقيون أو مرسيون وأتباع أبيون انجيل خاص يختلف عن انجيل من عداهم .(١)

ثم قررت الكنيسة في أواخر القرن الثاني الميلادى أن تستبعد الأناجيل غير المعتمدة في نظرها وتحكم ببطلانها ، فاختارت الأناجيل الأربعة السابق ذكرها من بين الأناجيل الكثيرة التي كانت رابجة حينئذ ، وقررت أنها هي وحدها الأناجيل الصادقة في حقائقها وفي صحة نسبتها الى أصحابها ، وأن ما عداها من الأناجيل موضوعة مزيفة غير صحيحة في حقائقها ، وحملت النصارى على قبولها ورفض ما عداها ، وتم لها ما أرادت .(٢)

ولم تكترث الكنيسة لما بين مضامينها من التخالف والتناقض ما دام ذلك لا يخالف الصرح العام الذى قصدته الكنيسة .(٣)

---

(١) انظر : الأسفار المقدسة ص ٩٣ ، ودائرة معارف القرن العشرين جـ ١ ص ٦٥٥ - ٦٥٦ تحت كلمة (انجيل) ، والنصرانية لأبي زهرة ص ٤٧ .

(٢) الأسفار المقدسة ص ٩٣ .

(٣) قصص الأنبياء للنجار ص ٣٩٩ .

٥) شواهد التحريف في العهد الجديد :

يزعم النصارى أن كل سفر من أسفار العهد القديم والجديد قد كتب بالالهام[١] ، أى أنه كتب بالوحي عن طريق الالهام .

والواقع أن المستعرض لتلك الكتب ليجد فيها التناقض والتضارب الذى يلحق جملتها وأجزائها ، بعضها مع بعض ، ومع مناقضتها للعقل .

وقد تصدى لهذا الموضوع كثير من جهابذة العلماء المحققين كابن حزم في كتابه (الفصل في الملل والأهواء والنحل) ، وكالشيخ شهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي المعروف بالقرافي في كتابه (الأجوبة الفاخرة على الأسئلة الفاجرة) ، وكشيخ الاسلام ابن تيمية في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) ، وكالامام ابن القيم في كتابه (هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى) ، وكالشيخ رحمة الله الهندى في كتابه (اظهار الحق) ، وغيرهم ممن ذكروا أمثلة كثيرة للتناقض والتبديل والتحريف الذى أصاب هذه الكتب .

وقد أشرنا فيما سبق الى بعض الشواهد على تحريف التوراة وتبديلها والآن نورد بعض الأمثلة للتناقضات الصريحة في الأناجيل :

١ - الاختلاف في نسب المسيح عليه السلام : قال الشيخ رحمة الله الهندى : من قابل بيان نسب المسيح الذى في انجيل متى

---

(١) انظر : اظهار الحق ص ١٧٤ ، والتوراة العقل العلم التاريخ للدكتور بدران محمد بدران ص ٣١ .

بالبيان الذى في انجيل لوقـا وجد ستة اختلافات :

الأول : يقرر متى أن يوسف بن يعقوب ، ويقرر لوقا أنه ابن هالي .

الثاني : يقرر متى أن عيسى من أولاد سليمان بن داود عليهم السـلام ، ويقرر لوقا : أنه من أولاد ناثـان .

الثالث : يعلم من متى أن جميع آباء المسيح من داود الى جلاء بابـل سلاطين مشاهير ، ومن لوقا أنهم ليسوا بسلاطين ولا مشهوريـن غير داود وناثان .

الرابـع : يقرر متى أن شألتئيل بن يكنيـا ، ويقرر لوقا أنه ابن نيرى .

الخامس : يقرر متى أن اسم ابن زربابل أبيهود ، ومن لوقا أن اسمه ريسـا ، والعجب أن أسماء ابن زربابل مكتوبة في الاصحاح الثالث مـن السفر الأول من أخبار الأيام ، وليس فيها أبيهود ولا ريسـا ، فالحق أن كلا منهما غلط .

السادس : يقرر متى أن من داود الى المسيح عليهما السلام ستة وعشريـن جيلا ، ولوقا يقرر أن من داود الى المسيح واحدا وأربعين جيلا .

ولما كان الاختلاف بين البيانين ظاهرا بادى التأمل تحيّر فيهما علمـاء المسيحية من زمان اشتهار هذين الانجيلين الى اليوم ، ووجهوا بتوجيهـات ضعيفة ، ولذلك اعترف جماعة من المحققين مثل : اكهارن ، وكيسر ، وهيس ، وديوت ... وغيرهم بأنهما مختلفان اختلافا معنويا ، وهذا هو الحـق وعين الانصـاف .(١)

---

(١) انظر : اظهار الحق ص ١١٤ .

٢ - جاء في انجيل يوحنا : أن المسيح ابن الله ، وجاء فيه أنه غير الله ، وورد فيه أنه هو الله ، واليك النص :

(في البدء كان الكلمة ، والكلمة كان عند الله ، وكان الكلمة الله ...)[١]

٣ - جاء في انجيل مرقس ما يدل على أن المسيح ابن الله[٢] ، وورد فيه ما يفيد أنه ابن انسان (فقام رئيس الكهنة في الوسط وسأل يسوع قائلا : أما تجيب بشيء ؟ ماذا يشهد به هؤلاء عليك ؟ أما هو فكان ساكتا ولم يجب بشيء ، فسأله رئيس الكهنة أيضا وقال له : أنت المسيح ابن المبارك ؟ فقال له يسوع : أنا هو وسوف تبصرون ابن الانسان جالسا عن يمين القوة وآتيا في سحاب السماء)[٣] .

وورد في انجيل لوقا ما يدل على أن المسيح نبي (فأخذ الجميع خوف ومجدوا الله قائلين قد خرج فينا نبي عظيم)[٤] .

٤ - ومن التناقضات العجيبة ما جاء في انجيل مرقس :

(ان يحيى كان يأكل جرادا وعسلا بريا)[٥] .

وفي انجيل متى : (انه كان لا يأكل ولا يشرب)[٦] .

٥ - ومن ذلك ما جاء في انجيل يوحنا : (ان كنت أشهد لنفسي فشهادتي ليست حقا)[٧] .

وجاء في موضع آخر : (وان كنت أشهد لنفسي فشهادتي حق)[٨] .

وكلاهما قول المسيح عليه السلام وهو تناقض واضح في الانجيل الواحد .

---

(١) انجيل يوحنا ١ : ١ (٢) انجيل مرقس ١ : ١ .
(٣) انجيل مرقس ١٤ - ٦٠-٦٣ (٤) انجيل لوقا ٧ : ١٦ .
(٥) انجيل مرقس ١ : ٧ (٦) انجيل متى ١١ : ١٨ .
(٧) انجيل يوحنا ٥ : ٣١ (٨) انجيل يوحنا ٨ : ١٤ .

وهذا قليل من كثير ممّا زخرت به أناجيلهم من التناقض والاختلاف ، الأمر الذى يدلنا بصورة قاطعة أن الانجيل الأصلى قد حرّف وبدّل .

يقول أبو عبيدة الخزرجي في كتابه/(السمى بين الاسلام والمسيحية) بعد أن أورد كثيرا من تهافت الأناجيل وما اشتملت عليه من الزلل والأباطيل :

" ومن طالع كتبكم ، وأناجيلكم ، وجد فيها من العجائب ما يقضي له بأن شرائعكم وأحكامكم ونقولكم قد تفرقت تفرق أيدى سبأ ، وأنكم لا تلزمون مذهبا ، وليس هذا بغريب ، فأناجيلكم ما هي الاّ حكايات ، وتواريخ ، وكلام كهنة ، وتلاميذ وغيرهم ، حتى اني أحلف بالذى لا اله الاّ هو أن تاريخ الطبرى عندنا أصح نقلا من الانجيل ، ويعتمد عليه العاقل أكثر ، مع أن التاريخ عندنا لا يجوز أن ينهي عليه شيء من أمر الدين ، وانما هو فكاهات في المجالس .

وتقولون مع ذلك : ان الانجيل كتاب الله ، أنزله الينا ، وأمر المسيح باتباعه .

فليت شعرى ! أين هذا الانجيل المنزل من عند الله ! وأين كلماته من بين هذه الكلمات ! ؟

ان الذى تنقلونه عن عيسى عليه السلام لفظا - وهو قليل - لا يلزم أن يكون منزلا من عند الله ، لأن المسيح عليه السلام كان يتكلم بأشياء على وجه النصيحة ومن مقتضى الطباع البشرية ، وغير ذلك .

فهذا كله ليس من عند الله ، فنحن لا نقول : ان كل ما تكلم به محمد صلى الله عليه وسلم قرآنا ، وقد نقل عنه القرآن - الموحى به من ربه لفظا - نقلا متواترا ، يقطع بصحته الخلف والسلف ، أما أنتم فلا يتعين لكم شيء ممّا أنزل الله أبدا ، فضلا عن نقله بعد تعيينه ".(١)

---

(١) ص ١٩١ .

٦) أثر الاضطهادات في الديانة النصرانية :

يقول محمد أبو زهرة : " اتفقت المصادر شرقية وغربية ، دينية وغير دينية ، على أن المسيحيين نزل بهم بعد المسيح بلايا وكوارث ، جعلتهم يستخفون بديانتهم ، ويفرون بها أحيانا ، ويصمدون للمضطهدين ستشهدين أحيانا أخرى ، وهم في كلتا الحالين لا شوكة لهم ، ولا قوة تحميهم ، يتحمي ديانتهم وكتبهم ، وانه في وسط هذه الاضطهادات يذكرون أنه دونت أناجيلهم الأربعة التي يؤمنون بها ، ودونت رسائلهم "(١) .

وأبشع حركات الاضطهاد والتعذيب التي نزلت بالنصارى بعد رفع المسيح - عليه السلام - في عهد نيرون سنة ٦٤ م الذى تفنن في تعذيبهم اذ كان يأمر أتباعه بوضعهم في جلود الحيوانات ثم طرحهم للكلاب لتنهشهم ، وكان يلبسهم ثيابا مطلية بالقار ثم يجعلهم مشاعل يستضيئون بنارها .

وفي عهد ترجان سنة ١٠٦ م كان يعذبهم حتى يكفروا بالمسيح .

وفي عهد ديسيوس سنة ٢٤٩ - ٢٥١ م أنزل بهم من البلاء ما تقشعر من هوله الأبدان .

وفي عهد دقلديانوس سنة ٨٠ م أمر بهدم كنائسهم ، واحراق كتبهم ، وقرر اعتبار المسيحيين مدنسين سقطت حقوقهم المدنية ، وأصدر أمرا بالقبض على الأساقفة والكهان وسائر رجال الدين ، وزجهم في غيابات السجون ، وقتل منهم أعدادا كبيرة ، عدّهم بعض المؤرخين ثلاثمائة ألف .

---

(١) محاضرات في النصرانية ص ٣٤ .

ومن قبل ومن بعد أنزلوا البلاء بعلمائهم ، فما تركوا عالما منهم بالديانة الا قتلوه ، وكان الولاة يتفننون في طرق ابادة النصارى من الوجود ، أبادوا العلماء حتى لا يوجد من يرشد الى النصرانية ، ويتوارث العلم بها ، وأبادوا الكتب حتى لا تحفظ تلك الديانة في الصدور أو السطور .

واستمر البلاء والاضطهاد ينزل بالنصرانية والنصارى من قبل اليهود والرومان حتى جاء عهد قسطنطين في أوائل القرن الرابع الميلادي (١) .

ولا شك أن لهذه الاضطهادات الأثر البالغ في فقدان الانجيل الأصلي ، وفي اضطراب الأناجيل القائمة ، لا سيما أنها ألفت ودونت في تلك الفترة ، مما جعل بعض علمائهم يقرون لمناظريهم أن تلك الاضطهادات كانت سببا في فقدان سندها المتصل بصاحب الشريعة - كما سيأتي .

٧) موقف القرآن من الأناجيل :

ان القرآن الكريم يحدثنا عن كتاب سماوي أنزله الله على عبده ورسوله عيسى بن مريم - عليه السلام - يحمل الهداية والنور والموعظة للمتقين من بني اسرائيل ، كما قال تعالى : ((. . . وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين)) (٢) .

وفيه البشارة بالنبي محمد - صلى الله عليه وسلم - كما قال تعالى : ((وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل اني رسول الله إليكم

---

(١) انظر : المسيحية لأحمد شلبي ص ٧٠ - ٧٢ ، ومحاضرات في النصرانية لأبي زهرة ص ١٠٦ ، وص ٣٥ - ٣٨ .

(٢) سورة المائدة - آية : ٤٦ .

مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِن بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ)) (١) .

هذا هو الانجيل الأصلي الذى أنزله الله تعالى على عبده ورسوله عيسى ابن مريم - عليه السلام .

أمّا هذه الأناجيل أو الأسفار فقد كتبها أناس بعد رفع المسيح - عليه السلام - بمدة طويلة من الزمن ، وبينها من التناقض والاختلاف الشيء الكثير حتى فيما ترويه عن قصة المسيح نفسه .

وقد أشار القرآن الكريم الى ما لحق الكتب السابقة من التحريف والتبديل ، فقال تعالى : ((وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا مِيثَاقَهُمْ فَنَسُوا حَظّاً مِّمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ)) (٢) .

قال ابن كثير : أى ومن الذين ادعوا أنهم نصارى متابعون المسيح ابن مريم عليه السلام ، وليسوا كذلك ، أخذنا عليهم العهود والمواثيق على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم ومناصرته ومؤازرته واقتفاء آثاره ، وعلى الايمان بكل نبي يرسله الله الى أهل الأرض ، ففعلوا كما فعل اليهود خالفوا المواثيق ونقضوا العهود ، ولهذا قال تعالى : ((فنسوا حظا مما ذكروا به فأغرينا بينهم العداوة والبغضاء الى يوم القيامة)) أى فألقينا بينهم العداوة والبغضاء لبعضهم بعضا ، ولا يزالون كذلك الى

---

(١) سورة الصف - آية : ٦ .

(٢) سورة المائدة - آية : ١٤ .

يوم قيام الساعة ، وكذلك طوائف النصارى على اختلاف أجناسهم لا يزالون متباغضين متعادين يكفّر بعضهم بعضا ، ويلعن بعضهم بعضا ، فكل فرقة تحرّم الأخرى ولا تدعها تلج معبدها : فالملكية تكفّر اليعقوبية ، وكذلك الآخرون ، وكذلك النسطورية والآريوسية ، كل طائفة تكفّر الأخرى في هذه الدنيا ويوم يقوم الأشهاد ، ثم قال تعالى : ((وسوف ينبئهم الله بما كانوا يصنعون)) ، وهذا تهديد ووعيد أكيد للنصارى على ما ارتكبوه من الكذب على الله وعلى رسوله ، وما نسبوه الى الرب عز وجل وتعالى وتقدس عن قولهم علوا كبيرا من جعلهم له صاحبة وولدا تعالى الواحد الأحد الفرد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد (١) .

ان المسيح الذى يحدثنا عنه القرآن غير المسيح الذى تحدثنا عنه هذه الأناجيل ، فالمسيح في القرآن انسان من البشر اصطفاه الله واختاره كما اصطفى غيره من الرسل الكرام عليهم السلام ، كما قال تعالى : ((إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِنْهُ (٢))) .

وقوله تعالى : ((مَّا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ (٣))) .

فلا غلو ولا ناسوت ولا لاهوت ولا أقانيم ثلاثة ، بل هو بشر مخلوق وكل ما بينه وبين غيره من البشر من خلاف انه قد ولد بدون أب ، وهذا ليس بعزيز على الله - تعالى - فقد يخلق الله الانسان تارة من الذكر والأنثى كما هو

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٥ - ٣٦ .
(٢) سورة النساء - آية : ١٧١ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٧٥ .

المعتاد في نظام التوالد العام ، وتارة من غير أب ولا أم كما في خلقه لآدم - عليه السلام - قال تعالى : ((إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِندَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُن فَيَكُونُ)) (١) .

وتارة يخلق الانسان من أب بلا أم كما في خلق حواء من ضلع آدم عليه السلام ، فالله - تعالى - يخلق كما يشاء ، فليس عليه اعتراض في شيء من أفعاله ، كما قال تعالى : ((وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٢) .

وقد نزل قوله تعالى : ((ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)) عند حضور وفد نصارى نجران على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كما ذكره ابن جرير الطبري (٣) . وكثير من المفسرين ، وادعى الفخر الرازي الاجماع على ذلك (٤) .

ان عيسى عليه السلام أول ما نطق في المهد بقوله : ((إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا)) (٥) ، فأعلن خالص عبوديته لله تعالى ردا على من يأتي بعده ويزعم فيه المزاعم الباطلة ، وقال : ((وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا)) (٦) .

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٥٩ .

(٢) سورة المائدة - آية : ١٧ .

(٣) انظر : تفسير ابن جرير جـ ٣ ص ٢٩٥ .

(٤) انظر : التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٨ ص ٧٤ .

(٥) سورة مريم - آية : ٣٠ .

(٦) سورة مريم - آية : ٣٢ .

ولم يقل بوالدى ، لأنه لا والد له ، بل وجد بقوله (كن) فكان .

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - : لما قال : ((بهرا بوالدتي)) ولم يقل بوالدى علم أنه شيء من جهة الله تعالى (١) .

ويذكر القرآن الكريم أن عيسى - عليه السلام - قد أعلن براءته من كل عابد له من دون الله تعالى ، كما أعلن لله - تعالى - خالص عبوديته ، وتبليغه للرسالة التي أمر بتبليغها ، فقال تعالى : ((وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ ، قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ، إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ * مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ، وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ ، فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتَ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ * إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ، وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ يَنْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقُهُمْ ، لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)) (٢) .

وذكر الله تعالى عنه قوله : ((يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ)) (٣) .

---

(١) تفسير القرطبي جـ ١١ ص ١٠٣ .
(٢) سورة المائدة - الآيات : ١١٦ - ١١٩ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٧٢ .

هذا هو موقف عيسى - عليه السلام - من تعظيم الله وتمجيده ، وانه لا يرضى شيئا مما ابتدعه من يزعمون أنهم أتباعه من النصارى ، وقد أثنى الله تعالى عليه بأنه لن يستنكف أن يكون عبدا لله ، قال تعالى : ((لَّن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ)) (١) .

وقد خصّ عيسى - عليه السلام - بمزيد من التنبيه الى وجوب الالتزام بالعقيدة الصحيحة فيه ، فقد ثبت في الصحيحين عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه أنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من شهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأن عيسى عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه ، والجنة حق ، والنار حق ، أدخله الله الجنة على ما كان من العمل) (٢) .

والقرآن الكريم يذكر أن المسيح - عليه السلام - أرسل الى بني اسرائيل ، كما أرسل من قبله رسل آخرون لينقذهم مما انحدروا اليه من كفر وضلال ، اذ حرّف اليهود شريعة موسى - عليه السلام - ، وحرّفوا التوراة ، وعبدوا يهوذا ، وبعضهم عبد عزيرا ، كما قال تعالى : ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ)) (٣) .

---

(١) سورة النساء - آية : ١٧٢ .

(٢) صحيح البخاري ، كتاب الأنبياء جـ ٤ ص ١٣٩ باب قوله عز وجل ((يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ...)) .
وصحيح مسلم جـ ١ ص ٥٧ كتاب الايمان ، باب الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ، حديث رقم (٤٦) .

(٣) سورة التوبة - آية : ٣٠ .

فبعث الله عيسى بن مريم - عليه السلام - بشريعة جديدة تلائم عصرهم ، وردهم الى التوحيد وعبادة الله وحده ، ويحل لهم بعض ما حرّم عليهم ، مؤيدا في ذلك بالمعجزات الظاهرة .

قال تعالى : ((إذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه اسمه المسيح عيسى ابن مريم وجيها في الدنيا والآخرة ومن المقربين * ويكلم الناس في المهد وكهلا ومن الصالحين * قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر ، قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أمرا فإنما يقول له كن فيكون * ويعلمه الكتاب والحكمة والتوراة والانجيل * ورسولا الى بني اسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيرا باذن الله ، وأبرىء الأكمه والأبرص ، وأحيي الموتى باذن الله ، وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم ، إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين * ومصدقا لما بين يدي من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم ، وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون * إن الله ربي وربكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم)) (١) .

وقال تعالى : ((ولقد آتينا موسى الكتاب وقفينا من بعده بالرسل وآتينا عيسى ابن مريم البينات وأيدناه بروح القدس)) (٢) .

---

(١) سورة آل عمران - الآيات : ٤٥ - ٥١ .

(٢) سورة البقرة - الآية : ٨٧ .

والقرآن الكريم يذكر أن المسيح - عليه السلام - لم يقتل ولم يصلب ولكن شبه لهم ، وأن الله تعالى قد رفعه اليه :

قال تعالى : ((... وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وان الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم الا اتباع الظن وما قتلوه يقينا * بل رفعه الله اليه وكان الله عزيزا حكيما)) (١) .

وأن آدم - عليه السلام - قد أناب الى الله واستغفر من خطيئته التي ارتكبها اذ أكل من الشجرة ففغرها الله له ، وأن الخطيئة لا يحمل وزرها غير مقترفها ((ولا تزر وازرة وزر أخرى)) (٢) .

وقال تعالى : ((فتلقى آدم من ربه كلمات فتاب عليه انه هو التواب الرحيم)) (٣) .

ويقول تعالى : ((... وعصى آدم ربه فغوى * ثم اجتباه ربه فتاب عليه وهدى)) (٤) .

كما ان الوزر لا يحمل تبعته الا من اقترفه ، قال تعالى : ((... ألا تزر وازرة وزر أخرى * وأن ليس للانسان إلا ما سعى)) (٥) .

بينما تذكر هذه الأناجيل أن أهم الأغراض التي ظهر من أجلها المسيح ابن مريم أو المسيح ابن الله - على زعمهم - هو أن يكفر بدمه الخطيئة

---

(١) سورة النساء - آية : ١٥٧ - ١٥٨ .
(٢) سورة فاطر - آية : ١٨ .
(٣) سورة البقرة - آية : ٣٧ .
(٤) سورة طه - آية : ١٢١ - ١٢٢ .
(٥) سورة النجم - آية : ٣٨ - ٣٩ .

التي ارتكبها آدم ، والتي انتقلت بطريق الوراثة الى جميع نسله ، وأنه قد صلب بالفعل ، فحقق بذلك أهم غرض ظهر من أجله .

والقرآن الكريم يذكر أن الديانة التي جاء بها المسيح -عليه السلام- ديانة توحيد تدعو الى عبادة الله وحده ، وفي ذلك يقول الله تعالى على لسان المسيح مجيبا على سؤال من ربه : ((ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد)) (١) .

بينما نرى الديانة التي تقررها هذه الأناجيل هي ديانة شرك تقوم على الاعتقاد بالتثليث ، وقد نعى القرآن الكريم في أكثر من آية على النصارى تحريفهم لكتاب الله في أسفارهم أو (أناجيلهم) المزعومة ، وتغييرهم لطبيعة المسيح ، وزعمهم أنه ابن الله بقوله : ((... وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون ، اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)) (٢) .

وقوله تعالى : ((لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ، وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من

---

(١) سورة المائدة - آية : ١١٧ .
(٢) سورة التوبة - آية : ٣٠ - ٣١ .

أنصار * لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة وما من إله إلا إله واحد ، وإن لم ينتهوا عما يقولون ليمسن الذين كفروا منهم عذاب أليم * أفلا يتوبون إلى الله ويستغفرونه والله غفور رحيم * ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام انظر كيف نبين لهم الآيات ثم انظر أنى يؤفكون)) (١).

وقوله : ((يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على الله إلا الحق إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه ، فآمنوا بالله ورسله ، ولا تقولوا ثلاثة انتهوا خيرا لكم إنما الله إله واحد سبحانه أن يكون له ولد له ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلا)) (٢).

فالآيات صريحة وواضحة في وجود عقيدة التثليث عند النصارى .

قال القرطبي رحمه الله :

" والنصارى مع فرقهم مجمعون على التثليث ، ويقولون : ان الله جوهر واحد وله ثلاثة أقانيم ، فيجعلون كل أقنوم إلها ويعنون بالأقانيم الوجود والحياة والعلم ، وربما يعبرون عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس ، فيعنون بالأب الوجود ، وبالروح الحياة ، وبالابن المسيح " (٣).

---

(١) سورة المائدة ـ الآيات : ٧٢ ـ ٧٥ .

(٢) سورة النساء ـ آية : ١٧١ . وانظر : الأسفار المقدسة ص ٨٧-٨٩

(٣) تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢٣ .

والواقع ان قولهم هذا مخالف للعقول السليمة ، ومعارض للأصول الثابتة ، وتنفر منه الضمائر الحية ، وتأباه الفطر السليمة .

قال الفخر الرازى : " واعلم أن هذا معلوم البطلان ببديهة العقل ، فان الثلاثة لا تكون واحدا ، والواحد لا يكون ثلاثة ، ولا يرى في الدنيا مقالة أشد فسادا وأظهر بطلانا من مقالة النصارى " .(١)

وقال أبو محمد ابن حزم : " ولولا أن الله تعالى وصف قولهم في كتابه اذ يقول تعالى : ((لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ))(٢) ، واذ يقول تعالى حاكيا عنهم : ((إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلَاثَةٍ))(٣) واذ يقول تعالى : ((أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ))(٤) ، لما نطق لسان مؤمن بحكاية هذا القول العظيم الشنيع السمج(٥) السخيف ، وتالله لولا أننا شاهدنا النصارى ما صدقنا أن في العالم عقلا يسع هذا الجنون ، ونعوذ بالله من الخذلان " .(٦)

ومعنى قوله تعالى ((وكلمته ألقاها الى مريم)) قال ابن كثير رحمه الله : " أى خلقه - يعني عيسى - بالكلمة التي أرسل بها جبريل - عليه السلام - الى مريم فنفخ فيها من روحه باذن ربه عز وجل ، فكان عيسى باذنه عز وجل ، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ١٢ ص ٦٠ .
(٢) سورة المائدة - آية : ٧٢ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٧٣ .
(٤) سورة المائدة - آية : ١١٦ .
(٥) السمج : القبيح . انظر : النهاية لابن الأثير جـ ٢ ص ٣٩٨ .
(٦) الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم جـ ١ ص ٤٩ .

فنزلت حتى ولجت فرجها بمنزلة لقاح الأب والأم ، والجميع مخلوق للـــــه عز وجل ، ولهذا قيل لعيسى : انه كلمة الله وروح منه لأنه لم يكن لـــه أب تولد منه ، وانما هو ناشيء عن الكلمة التي قال له بها ((كن)) فكان "[١].

ومعنى قوله : ((وروح منـــه)) : قيل النفخة فيكون معنى قولـــه : ((وروح منـــه)) أى نفخة منه ، لأنه حدث عن نفخة جبريل ـ عليه الســلام ـ في درع مريم بأمر الله تعالى اياه بذلك فنسب الى أنه " روح من اللـــــه " لأنه بأمره كان .

وقيل معناها الرحمة ، فيكون قوله : ((وروح منـــه)) أى رحمة منـــه كما قال تعالى : ((وأيَّدَهـــم بِرُوحٍ مِّنه))[٢] فجعل الله عيسى ـ عليـــــه السلام ـ رحمة منه على من اتبعه وآمن به وصدقه ، لأنه هداهم الى سبيـــل الرشاد . ذكر ذلك ابن جرير الطبرى ، ثم أورد أقوالا أخرى فقال : " ولكل هذه الأقوال وجه ومذهب غير بعيد عن الصواب "[٣].

والظاهر أن معنى : ((وروح منه)) أى خلقه ، وانما أضيفـــت الروح المخلوقة الى الله تعالى اضافة تشريف ، كما أضيفت الناقة والبيت الـــى الله في قوله تعالى : ((هَـٰذِهِ نَاقَةُ اللَّـــهِ لَكُم آيَـــةً))[٤] ، وفي قوله تعالى : ((وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِـــينَ))[٥] .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٦٢٩ .

(٢) ســورة المجادلـــة ـ آيـــة : ٢٢ .

(٣) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٦ ص ٣٥ - ٣٦ .

(٤) سورة الأعـــراف ـ آيـــة : ٧٣ .

(٥) ســورة الحـــج ـ آيـــة : ٢٦ .

ولا شك في وقوع النفخ في هذه الروح كما قال تعالى : ((والتي أحصنت فرجها فنفخنا فيها من روحنا وجعلناها وابنها آية للعالمين))(١) وكان ذلك بواسطة الملك وهو جبريل - عليه السلام - فان الله بعثه اليها فتمثل لها في صورة بشر سوى ، وأمره الله - تعالى - أن ينفخ بفيه في جيب درعها ، فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى - عليه السلام - ولهذا قال تعالى : ((فنفخنا فيه من روحنا وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين))(٢) ، على أن لفظة الروح وردت في القرآن لمعان عدة ، ولم تكن خصيصة اختص بها عيسى - عليه السلام - اذ أطلقت على آدم ، وعلى القرآن ، وعلى الوحي بمعناه العام ، وعلى جبريل عليه السلام .

.. على آدم قال تعالى : ((فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين))(٣) .

.. وعلى القرآن الكريم قال تعالى : ((وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان))(٤) .

.. وعلى مطلق الوحي قال تعالى : ((ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده))(٥) .

---

(١) سورة الأنبياء - آية : ٩١ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٤١٩ ، والآية ١٢ من سورة التحريم .
(٣) سورة الحجر - آية : ٢٩ .
(٤) سورة الشورى - آية : ٥٢ .
(٥) سورة النحل - آية : ٢ .

.. وعلى جبريل عليه السلام ، قال تعالى : ((فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشراً سوياً [١])) ، وقوله تعالى : ((نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين)) [٢] . وقوله : ((قل نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا)) [٣] .

.. وعلى النصر في قوله تعالى : ((أولئك كتب في قلوبهم الإيمان وأيدهم بروح منه)) [٤] .

.. وعلى النوع المختار من الملائكة قال تعالى : ((يوم يقوم الروح والملائكة صفاً [٥])) ، وقوله : ((تعرج الملائكة والروح إليه)) [٦] ، وقوله تعالى : ((تنزل الملائكة والروح فيها)) [٧] .

وثبت في الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال :(حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو الصادق المصدوق أن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل اليه الملك فينفخ فيه الروح . . .) الحديث [٨] .

---

(١) سورة مريم - آية : ١٧ .
(٢) سورة الشعراء - آية : ١٩٣ - ١٩٤ .
(٣) سورة النحل - آية : ١٠٢ .
(٤) سورة المجادلة - آية : ٢٢ .
(٥) سورة النبأ - آية : ٣٨ .
(٦) سورة المعارج - آية : ٤ .
(٧) سورة القدر - آية : ٤ .
انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ ١ ص ١٢٨ والأديان في القرآن للدكتور محمود الشريف ص ١٦١ وما بعدها .
(٨) صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٨٨ كتاب التوحيد باب ((ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين)) . وصحيح مسلم جـ ٤ ص ٢٠٣٦ كتاب القدر ، باب كيفية الخلق الآدمي ، حديث رقم (١) .

و " من " في قوله ((روح منه)) لا يصح أن تكون تبعيضية كما تقول النصارى ، وانما هي لابتداء الغاية .(١)

وقد حكى أبو السعود أن طبيبا نصرانيا حاذقا للرشيد ناظر على ابن الحسين الواقدى المروزى ذات يوم فقال له : ان في كتابكم ما يدل على أن عيسى - عليه السلام - جزء منه تعالى ، وتلى هذه الآية(٢) ، فقرأ الواقدى قوله تعالى : ((وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمواتِ وما فِي الأرض جميعا منه(٣))) فقال : اذن يلزم أن يكون جميع الأشياء جزء منه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا ، فانقطع النصراني فأسلم وفرح الرشيد فرحا شديدا ووصل الواقدى بصلة فاخرة " .(٤)

أما معنى الروح وحقيقتها فهي مما استأثر الله بعلمه قال تعالى : ((ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم الا قليلا))(٥) .

والحقيقة أن المسيح الذى يصوره النصارى على أنه اله ليس له وجود الا في مخيلاتهم ، ولم يوجد الا المسيح الذى يحدثنا عنه القرآن الكريم ، وهو انسان من البشر أرسله الله الى بني اسرائيل كما أرسل غيره من الرسل .

---

(١) انظر : الفتوحات الالهية لسليمان الجمل جـ ١ ص ٤٥١ ، وتفسير أبي السعود جـ ٢ ص ٢٥٩ .

(٢) أى قوله تعالى : ((انما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه)) - النساء - آية : ١٧١ .

(٣) سورة الجاثية - آية : ١٣ .

(٤) انظر : تفسير أبي السعود جـ ٢ ص ٢٥٩ ، وانظر : تفسير الألوسي جـ ٦ ص ٢٥ .

(٥) سورة الاسراء - آية : ٨٥ .

والقرآن الكريم يذكر أن الحواريين كانوا من أنصار الله ومن الداعين الى عقيدة التوحيد ، قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصاري الى الله ، قال الحواريون نحن أنصار الله ، فآمنت طائفة من بني اسرائيل وكفرت طائفة ، فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين)) (١) .

وقال تعالى : ((واذ أوحيت الى الحواريين أن آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنا واشهد بأننا مسلمون)) (٢) .

في حين نجد أن هذه الأناجيل ينسب تدوينها لبعض حواري المسيح وتلاميذه وأتباعه مع احتوائها على اقرار عقيدة الشرك ، لذلك فانه اما أن يكون الأشخاص الذين تنسب اليهم هذه الأناجيل هم غير الحواريين والأنصار الذين يحدثنا عنهم القرآن ، واما أن يكونوا هم الذين يحدثنا عنهم القرآن ويذكر أنهم أنصار الله ، وتكون هذه الكتب من تأليف أناس آخرين ونسبت اليهم كذبا وزورا .

والقرآن الكريم يذكر أن هناك انجيلا أنزل على عيسى -عليه السلام- كما قال تعالى : ((... وآتيناه الانجيل فيه هدى ونور ، ومصدقا لما بين يديه من التوراة ، وهدى وموعظة للمتقين)) (٣) .

وهو مما آمن به محمد صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من أتباعه ، كما

---

(١) سورة الصف - آية : ١٤ .

(٢) سورة المائدة - آية : ١١١ .

(٣) سورة المائدة - آية : ٤٦ .

قال تعالى : ((آمن الرسول بما أنزل اليه من ربه والمؤمنون ، كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله ، لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا واليك المصير)) (١) .

وجاء ذكره في انجيل مرقص : " وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ، ويقول : قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل " (٢) .

وفي متى : " الحق أقول لكم حينما يكرز بهذا الانجيل في كل العالم، يخبر أيضا بما فعلته ، هذا تذكارا لكم " (٣) .

وفي رسالة بولس الى أهل رومية :

" أولا أشكر الهي يسوع المسيح من جهة جميعكم أن ايمانكم ينادى به في كل العالم ، فان الله الذى أعبده بروحي في انجيل ابنه شاهد لي كيف بلا انقطاع أذكركم " (٤) .

اذا القرآن وكتب النصارى - الموجودة الآن - متفقة على أن هناك انجيلا أنزل على عيسى - عليه السلام - غير أن الانجيل المذكور ليس واحدا من هذه الأناجيل ، لأنها لا تضاف الا الى أصحابها باتفاق النصارى ، ولأن المسيح قد وعظ بهذا الانجيل ، كما جاء في عبارة متى السابقة ، ولم يكن

---

(١) سورة البقرة - آية : ٢٨٥ .

(٢) انجيل مرقص ١ : ١٤ .

(٣) انجيل متى ٢٦ : ٣١ .

(٤) رسالة بولس الى أهل رومية ١ : ٨ .

واحد من هذه الأناجيل قد وجد في عهده بالاتفاق .[١]

والسؤال المهم : هو أين الانجيل الذى أنزل على عيسى عليه السلام ؟ .

يقول الأستاذ محمد أبو زهرة : " اننا وجدنا من مؤرخي المسيحية الأحرار الذين لم يقيدهم في بحثهم الا العلم والحقائق التاريخية من يصرحون بأنه كانت في القرن الأول رسالة تعتبر أصلا لهذه الأناجيل فيما جاء به المسيح وخلاصة أحواله ، وهذا ترجمة ما قاله (نارتن) في كتابه : " قال أكهارن في كتابه : انه كان في ابتداء الملة المسيحية في بيان أحوال المسيح رسالة مختصرة يجوز أن يقال انها هي الانجيل الأصلي ، والغالب أن هذا الانجيل كان للمريدين الذين كانوا لم يسمعوا أقوال المسيح بآذانهم ، ولم يروا أحواله بأعينهم ، وكان هذا الانجيل بمنزلة القلب ، وما كانت الأحوال المسيحية مكتوبة فيه على الترتيب " .[٢]

ويقول عبد الوهاب النجار : " ان الانجيل الذى أتى به المسيح وسلمه الى تلاميذه وأمرهم أن يبشروا به لا يوجد الآن ، وانما توجد قصص ألفها التلاميذ وغير التلاميذ لم تسلم من المسخ والتحريف بالزيادة والحذف " .[٣]

وبذلك يتضح أن الانجيل الذى أنزل على عيسى ـ عليه السلام ـ ليس هو أحد هذه الأناجيل ، وانما هذه مؤلفات تم تدوينها بعد رفع المسيح بمدة طويلة ، وما بها من تحريف وتناقض يدل على عبث البشر فيها .

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ص ٦٥ .
(٢) محاضرات في النصرانية ص ٦٥ ، وانظر : اظهار الحق لرحمة الله الهندى ص ١٨٤ .
(٣) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٩١ .

٨) انقطاع السند عند أهل الكتاب :

للاسناد أهمية كبيرة في الشريعة الاسلامية ، ولذلك عني المسلمون بالاسناد عناية فائقة ، وألفوا في ذلك المؤلفات الكثيرة في أحوال الاسناد ، في الرجال ، كتب التاريخ والطبقات والوفيات ومعرفة الوحدان ، وروايـة الأكابر عن الأصاغر ، وأصناف المدلسين والكذابين . . . الخ .

يقول عبد الله بن المبارك : " الاسناد من الدين ، ولولا الاسناد لقال من شاء ما شاء " .(١)

وقال علي بن المديني : " معرفة الرجال نصف العلم " .(٢)

والعناية بالاسناد ميزة امتازت بها الأمة الاسلامية ، وهذا بخلاف أهل الكتاب الذين أهملوا هذه الناحية ، ولذلك حصل في كتبهم الاختلاف والاضطراب .

وقد عقد رحمة الله الهندي في كتابه اظهار الحق فصلا في بيان أن أهل الكتاب لا يوجد عندهم سند متصل لكتاب من كتب العهد العتيق والجديد ، قال فيه : " اعلم أرشدك الله تعالى أنه لا بد لكون السفر سماويا واجب التسليم أن يثبت أولا بدليل تام أن هذا السفر كتب بواسطة النبي الفلاني ، ووصل بعد ذلك الينا بالسند المتصل بلا تغيير ولا تبديل ، والاسناد الى شخص ذي المهام بمجرد الظن والوهم لا يكفي في اثبات انه من تصنيف ذلك الشخص ، وكذلك مجرد ادعاء فرقة أو فرق لا يكفي فيه " .

---

(١) مقدمة صحيح مسلم للنووي جـ ١ ص ١٥ تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي .

(٢) بحوث في تاريخ السنة المشرفة للدكتور أكرم العمري ص ٤٥ .

وبعد أن أورد عددا من أسفار العهدين القديم والجديد قال :

" والمسيحيون الآن يدعون أن كلا من هذه الأسفار من الأكاذيب المصنوعة واتفق على هذه الدعوى كنيسة كريك والكاثوليك والبروتستنت . فاذا كان الأمر كذلك فلا نعتقد بمجرد استناد سفر من الأسفار الى نبي أو حواري أنه الهامي أو واجب التسليم ، وكذلك لا نعتقد بمجرد ادعائهم ، بل نحتاج الى دليل ، ولذلك طلبنا مرارا من علمائهم الفحول السند المتصل فما قدروا عليه ، واعتذر بعض القسيسين في محفل المناظرة التي كانت بيني وبينهم ، فقال : ان سبب فقدان السند عندنا وقوع الحوائب والفتن على المسيحيين الى مدة ثلاثمائة وثلاث عشرة سنة ، وتفحصنا في كتب الاسناد لهم فما رأينا فيها شيئا غير الظن والتخمين ، يقولون بالظن ويتمسكون ببعض القرائن ، وقد قلت ان الظن في هذا الموضوع لا يغني شيئا ، فما دام لم يأتوا بدليل شاف ، وسند متصل ، فمجرد المنع يكفينا ، وإيراد الدليل في ذمتهم لا في ذمتنا " . (١)

ثم ذكر عدة أدلة على عدم وجود سند لدى أهل الكتاب متصل بكتبهم وقال : " واذا عرفت حال التوراة الذى هو رأس الملة الاسرائيلية فاسمع حال سفر (يسوع) الذى هو السفر الثاني بعد التوراة ، فأقول : لم يظهر لهم الى الآن بالجزم اسم مصنفه ولا زمان تصنيفه ، وافترقوا الى خمسة أقوال " ، وبعد أن ذكر هذه الأقوال وبيّن ما فيها

---

(١) اظهار الحق ص ٨٣ ، وانظر : الفارق بين المخلوق والخالق لعبد الرحمن بك باجه جي زادة ص ٩ وما بعدها .

من اختلاف قال (١) : " وسفر القضاة الذى هو السفر الثالث فيه اختلاف عظيم ، لم يعلم مصنفه ولا زمان تصنيفه ، قال بعضهم : انه تصنيف فينحاس ، وقال بعضهم : انه تصنيف حزقيا ، وقال بعضهم : انه تصنيف أرميا ، وقال بعضهم : انه تصنيف عزرا ، وبين عزرا وفينحاس زمان أزيد من تسعمائة سنة ، ولو كان عندهم سند ما وقعوا في هذا الاختلاف الفاحش ، وهذه الأقوال كلها غير صحيحة عند اليهود وهم ينسبونه رجما بالغيب الى صموئيل . وسفر راعوث الذى هو السفر الرابع فيه اختلاف أيضا (٢) .

وبعد أن أورد هذه الاختلافات أخذ يفند بقية الأسفار ويدلل على أنها مقطوعة السند ، ولا يوجد أى سفر لشخص معين ، حتى وصل الى الأناجيل فقال : " ان الانجيل الذى ينسب الى متى الآن وهو أول الأناجيل وأقدمها عندهم ليس من تصنيفه يقينا ، بل ضيعوه بعد ما حرفوه ، لأن قدماء المسيحية كافة وغير المحصورين من المتأخرين على أن انجيل متى كان باللغة العبرانية ، وقد ضاع ، وضياعه بسبب تحريف بعض الفرق المسيحية ، والانجيل الموجود الآن ترجمته ، ولا يوجد عندهم سند هذه الترجمة حتى لم يعلم اسم المترجم أيضا باليقين الى هذا الحين ، كما اعترف به (جيروم) وهو من أفاضل قدمائهم ، فضلا عن علم أحوال المترجم ، نعم يقولون رجما بالغيب : لعل فلانا أو فلانا ترجمه ، ولا يتم هذا على المخالف ، ولا يثبت سند الكتاب الى المصنف بالظن والتخمين " .

---

(١) اظهار الحق ص ٩١ .
(٢) اظهار الحق ص ٩٣ .

وساق عدة آراء وأدلة لبعض الباحثين تؤيد ما ذهب اليه في هذا الصدد .

ثم قال : " ولم يثبت بالسند الكامل أن الانجيل المنسوب الى يوحنا من تصنيفه ، بل هنا هنا أمور تدل على خلافه " ، ثم أورد هذه الأمور .(١)

ويختتم هذا الفصل بقوله : " فظهر مما ذكرت للناظر اللبيب أنه لا يوجد سند متصل عندهم لأسفار العهد العتيق ولا لأسفار العهد الجديد ".(٢)

٩) شهادات العلماء المحققين على تحريف التوراة والانجيل :

مما سبق يتضح جليا أن التوراة الموجودة حاليا غير التوراة التي أنزلت على موسى - عليه السلام - كما أن الانجيل الذى أنزل على عيسى - عليه السلام - غير الأناجيل الموجودة الآن .

وقد قرر العلماء المحققون نتيجة لأبحاثهم ودراساتهم هذه الحقيقة ، وأثبتوا أن التوراة والانجيل الأصليين فقدا قبل بعثة الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - ونسوق فيما يلي بعضا لأقوالهم في هذا الصدد :

.. فمن التبديل والتحريف والتغيير في العهد القديم ، جاء في دائرة المعارف الأمريكية :

" لم يصلنا أى نسخة بخط المؤلف الأصلي لكتب العهد القديم . أما النصوص التي بين أيدينا ، فقد نقلتها الينا أجيال عديدة من الكتبة والنساخ ، ولدينا شواهد وفيرة تبيّن أن الكتبة قد غيّروا بقصد أو دون قصد منهم في الوثائق

---

(١) اظهار الحق - ص ٩٨ ، وكذلك ص ٢٥٠ .
(٢) المرجع السابق ص ١٠٥ .

والأسفار ، التي كان عملهم الرئيسي هو كتابتها ونظمها .

وقد حدث التغيير دون قصد حين أخطأوا في قراءة بعض الكلمات . . .

كذلك حين كانوا ينسخون الكلمة أو السطر مرتين ، وأحيانا ينسون كتابة

كلمات بل فقرات بأكملها .

وأما تغييرهم في النص الأصلي عن قصد فقد مارسوه مع فقرات كاملة حين

كانوا يتصورون أنها كتبت خطأ في الصورة التي بين أيديهم ، كما كانوا يحذفون

بعض الكلمات أو الفقرات ، أو يضيفون على النص الأصلي فقرات توضيحية .

ولا يوجد سبب يدعو للافتراض بأن أسفار العهد القديم لم تتعرض للأنواع

العادية من الفساد في عملية النسخ ، على الأقل في الفترة التي سبقت

اعتبارها أسفارا مقدسة " . (١)

وأورد الشيخ رحمة الله الهندي أقوال عدد من العلماء الذين

قرروا أن التوراة التي أنزلها الله على موسى - عليه السلام - ضاعت ولم يبق

منها الا النزر اليسير ، وإلى القارئ بعضا منها :

قال كيلمنس اسكندريانوس : " ان الأسفار السماوية ضاعت فألهم عزرا أن

يكتبها مرة أخرى " .

وقال ترتولين : " المشهور أن عزرا كتب مجموع الأسفار بعد ما أغار أهل بابل

على أورشليم " .

---

(١) اسرائيل حرّفت الأناجيل والأسفار المقدسة لأحمد عبد الوهاب

ص ٧٦ نقلا عن دائرة المعارف الأمريكية جـ ٣ ص ٦١٥ - ٦١٧ .

طبعة ١٩٥٩ م .

وقال تهيو فلكت : " ان الأسفار المقدسة انمدت رأسا فأوجدها عـــزرا مرة أخرى بالهام " .

وقال جان طنز الكاثوليكي - في الصفحة ١١٥ من كتابه الذى طبع في بـــلدة (دوبي) سنة ١٨٤٣ م - : " اتفق أهل العلم على أن نسخة التوراة الأصلية وكذا نسخ أسفار العهد العتيق ضاعت من أيدى عسكر بنوخذ ناصـــــر ، ولما ظهرت نقولها الصحيحة بواسطة عزرا ضاعت تلك النقول ، أيضا فـــي حادثة أنتيوكس " .(١)

.. وعن تحريف الانجيل وتبديله بالزيادة والنقصان ، وأن هذا العمل كان مشهورا عند النصارى بحيث أصبح واضحا في مخالفته لدين المسيح - عليه السلام - :

قال أكهارن : " ان كثيرا من القدماء كانوا شاكين في الأجزاء الكثيرة مـــن أناجيلنا هذه ، وما قدروا أن يفصلوا الأمر " . . .

وقال : " ونرى كثيرا من المرشدين يشكون شكاية عظيمة من أنّ الكاتبـــين وملاك النسخ حرّفوا مصنفاتهم بعد مدة قليلة من تصنيفهم ، . . . كما يشكون من أن تلامذة الشيطان قد أدخلوا فيها النجاسة ، لقد أخرجوا بعـــض الأشياء ، وزادوا بعضا من جانبهم " .

ثم قال اكهارن في موضع آخر : " ان الناس الذين لم يكن لهـــم استعداد للتحقيق اشتغلوا من وقت ظهور هذه الأناجيل بالزيادة والنقصان ،

---

(١) اظهار الحـــق ص ٢١٣ - ٢١٤ .

وتبديل لفظ بمرادف له ، ولا تعجب فيه ، لأن الناس كانت عادتهم من وقت وجود التاريخ العيسوى تبديل عبارات الوعظ والحالات المسيحية التي كانت عندهم على حسب علمهم ، وهذا القانون الذى أجراه أهل الطبقة الأولى كان جاريا في الطبقة الثانية والثالثة ، وهذه العادة كانت في القرن الثاني مشهورة بحيث كان مخالف الدين المسيحي واقفا عليها " .(١)

وقد اعترض سلسوس على المسيحيين أنهم بدّلوا أناجيلهم ثلاث مرات أو أربع مرات ، بل أزيد منها تبديلا كأن مضامينها بدّلت .(٢)

وذكر كليمنس أيضا أنه في آخر القرن الثاني كان أناس يحرفون الأناجيل ، وكان ينسب الى هذا التحريف أنه وقع في الآية الحادية عشرة من الاصحاح الخامس من انجيل متى بدل هذه الفقرة : (لهم ملكوت السموات) وفي بعض النسخ هذه الفقرة (يكونون كاملين) وفي بعض النسخ هذه الفقرة (يجدون موضعا لا يزالون هناك) .(٣)

ويتحدث الشيخ رحمة الله الهندى بعد أن أنهى أربعة فصول تحدث فيها عن العهدين العتيق والجديد فيقول :

" واذا فرغت من الفصول الأربعة أقول : ان التوراة الأصلية ، وكذا الانجيل الأصلي فقدا قبل بعثة محمد صلى الله عليه وسلم ، والموجود ان الآن بمنزلة كتابين من السير مجموعين من الروايات الصحيحة والكاذبة ، ولا نقول انهما كانا موجودين على أصالتهما الى عهد النبي - صلى الله عليه وسلم - ثم وقع

---

(١) اظهار الحق ص ١٨٥ - ١٨٦ .
(٢) المصدر السابق ص ١٨٦ .
(٣) المصدر السابق ص ١٨٦ .

فيهما التحريف حاشا وكلا ، وكلام بولس على تقدير صحة النسبة اليه ليس بمقبول عندنا لأنه عندنا من الكذابين الذين كانوا قد ظهروا في الطبقة الأولى ، وهو قديس عند أهل التثليث ، ومع ذلك لا نشترى قوله بحبة ، والحواريون الباقون بعد عروج عيسى - عليه السلام - الى السماء نعتقد في حقهم الصلاح ، ولا نعتقد في حقهم النبوة ، وأقوالهم عندنا كأقوال المجتهدين الصالحين معتلة للخطأ ، ونعترف بفقدان السند المتصل الى آخر القرن الثاني ، وبفقدان الانجيل العبراني الأصلي لمتى ، وبقاء ترجمته التي لم يعلم اسم صاحبها أيضا الى الآن باليقين ، ثم وقوع التحريف فيها ، وكل ذلك أسباب لارتفاع الأمان عن أقوالهم .

وها هنا سبب ثالث أيضا وهو أنهم في كثير من الأوقات ما كانوا يفهمون مراد المسيح من أقواله ، . . . ولوقا ومرقس ليسا من الحواريين ولم يثبت بدليل كونهما من ذوى الالهام أيضا ، . . . وأما هذه التواريخ والرسائل الموجودة الآن فليست التوراة والانجيل المذكورين في القرآن ، وبالتالي ليسا واجبا التسليم ، بل حكمهما حكم سائر الأسفار من العهد العتيق ان كل رواية من رواياتهم ان صدقها القرآن فهي مقبولة يقينا ، وان كذبها القرآن فهي مردودة يقينا ، وان كان القرآن ساكتا عن التصديق والتكذيب نسكت عنه ، لا نصدق ولا نكذب " . اهـ .(١)

---

(١) اظهار الحق ص ١٨٨ - ١٨٩ .

وقد وقع في هذه الكتب من الاختلافات والأغلاط والمغالطات والتحريف والتبديل بالزيادة والنقصان الشيء الكثير ، وذكر الشيخ رحمة الله الهندى من الاختلافات التي وقعت في العهدين القديم والجديد مائة وأربعة وعشرين اختلافا (١) ، وذكر من الأغلاط مائة وعشرة أغلاط (٢) واستشهد على التحريفات اللفظية بخمسة وثلاثين شاهدا (٣) ، وذكر للتحريفات بالزيادة خمسة وأربعين شاهدا (٤) ، وعلى التحريفات بالنقصان عشرين شاهدا (٥) ، وذكر بالشواهد والأدلة خمس مغالطات (٦) .

وعقد شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - في كتابه (الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح) فصلا قال فيه : (فصل في شهادات علمائهم على التحريف) بين فيه أن الذين هداهم الله من علماء النصارى قد بيّنوا ما وقع في كتبهم من تحريفهم لمعاني الكتب التي عندهم ، وذكروا ممّا عندهم من النصوص الصريحة بأن المسيح عبد الله ليس هو الله ما يتبيّن به بطلان قولهم ، وأنهم ممّن تركوا المحكم من الآيات واتبعوا المتشابه ، ولهذا أنزل الله فيهم : ((فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ

---

(١) انظر اظهار الحق ص ١٠٦ - ١٣٥ .
(٢) " " ص ١٣٥ - ١٧٢ .
(٣) " " ص ٢٠٦ - ٢٢٠ .
(٤) " " ص ٢٢١ - ٢٤٢ .
(٥) " " ص ٢٤٣ - ٢٥٤ .
(٦) " " ص ٢٥٤ - ٢٩١ .

في العلم يقولون آمنا به كل من عند ربنا وما يذكر إلا أولوا الألباب))[١] .

وقال ابن تيمية - رحمه الله - : قولهم : ان هذه الكتب التي بأيديهم من التوراة والانجيل ، وسائر النبوات تسلموها من الحواريين كل أمة بلسانها ، وهي على هيئتها قول لم يقيموا على صحته دليلا ، بل ادعوا ذلك دعوى مجردة ، وبيّن أن ذلك كذب ظاهر .

وذكر من الأوجه والأدلة الكثير على هذا الزيف ، وأثبت أن الحواريين ليسوا معصومين ، بل يجوز على أحدهم الغلط في بعض ما ينقله ، وأنهم ليسوا بأنبياء ، وأنهم رسل المسيح لا رسل الله تبارك وتعالى .

وقال : معلوم أنه بكل لسان عدة نسخ[٢] ، ولو لم يكن بها الا لسان واحد مع كثرة النسخ بها في شارق الأرض ومغاربها لم يكن لأحد أن يقطع بأن جميع النسخ على لفظ واحد ونص واحد .

ثم قال : " وكل من شهد من النصارى وغيرهم بأن كل نسخة في العالم بهذه الكتب توافق جميع النسخ فهو شاهد زور شهد بما لا يعلم بل شهد بما يعلم أنه كاذب فيه ، . . . فان العادة المعروفة أن نسخ الكتب تختلف ويزيد بعضها وينقص بعضها "[٣] .

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٧ .

(٢) يقصد ترجمة الانجيل من العبرية الى اللاتينية واليونانية والعربية .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٢ ص ٢١٧ - ٢٢١ .

وقال ابن القيم رحمه الله : " ان هذه التوراة التي بأيدى اليهود فيها من الزيادة والتحريف والنقصان ما لا يخفى على الراسخين في العلم، وهم يعلمون قطعا أن ذلك ليس في التوراة التي أنزلها الله على موسى ولا في الانجيل الذى أنزله الله على المسيح ، وكيف يكون في الانجيل الذى أنزل على المسيح قصة صلبه وما جرى له ، وأنه أصابه كذا وكذا ، وصلب يوم كذا وكذا ، وأنه قام من القبر بعد ثلاث ، وغير ذلك مما هو من كلام شيوخ النصارى " .(١)

وقال صاحب كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : " وأما الذى جاء به عيسى فهو انجيل واحد لا تدافع فيه ولا اختلاف ، وهؤلاء كذبوا على الله سبحانه وتعالى وعلى نبيه عيسى عليه السلام " .(٢)

هذه حالة التوراة والانجيل كما قرره العلماء المحققون من أهل الكتاب أنفسهم ومن غيرهم ، ولا شك أن الله تعالى لم يرد لهذه الكتب البقاء والدوام ، ولم يتكفل بحفظها ، وانما جاءت لفترة معينة وزمن معين ، ثم أوكل حفظها الى الربانيين والأحبار كما أشار القرآن الكريم الى ذلك في قوله تعالى : ((والرَّبانيُّون والأحبار بما استحفظوا من كتاب اللَّه وكانوا عليه شهداء)) .(٣)

* * * * * *

---

(١) هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى ص ٤٨ .

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة جـ ١ ص ١٧٦ .

(٣) سورة المائدة ـ آية : ٤٤ .

الفصل الخامس

((صيانة القرآن الكريم عمّا وقع في التوراة والانجيل))

ويشتمل على ما يأتي :

١ - حفظ القرآن في الصدور .

٢ - حفظ القرآن في السطور .

٣ - القرآن معجزة محمد الخالدة .

٤ - التحدى بالقرآن .

٥ - وجوه اعجاز القرآن .

٦ - شهادات بعض علماء الغرب في القرآن .

٠//٠٠//٠//٠//٠//٠//٠//٠//٠٠

تمهيـــــد :

أما القرآن الكريم فانه بحمد الله تعالى قد نال من الرعاية والعنايـــة الالهية ما لم تتوفر لغيره من الكتب السابقة التي لم يتكفل الله بحفظها ، فدخلها التحريف والتبديل والاخفاء ، قال تعالى في حق القرآن : ((إِنَّا نَحْـــنُ نَزَّلْنَـا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَـهُ لَحَافِظُـونَ)) (١) .

قال الخازن عند تفسيره لهذه الآية : " الضمير في لـه يرجع الـــى الذكر ، يعني : وانا للذكر الذي أنزلناه على محمد لحافظون - يعني مـــن الزيادة فيه والنقص منه والتغيير والتبديل والتحريف ، فالقرآن العظيم محفوظ من هذه الأشياء كلها لا يقدر أحد من جميع الخلق من الجن والانـــس أن يزيد فيه أو ينقص منه حرفا واحدا أو كلمة واحدة " (٢) .

ولبيان ما حظي به القرآن الكريم من حفظ ورعاية وعناية صاحبته مـــن وقت نزوله على الرسول صلى الله عليه وسلم حتى تم جمعه في مصحف واحـــد نتحدث بايجاز فيما يأتي :

١) حفظ القـــرآن في الصـــدور :

نزل القرآن الكريم على النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - فكانـــت همته منصرفة الى حفظه واستظهاره ، ثم يقرأه على الناس على مكث ليحفظـــوه ويستظهروه ، ضرورة أنـه نبي أمي بعثه الله في الأميين ، كما قال تعالى :

---

(١) ســـورة الحجـــر - آية : ٩ .
(٢) تفسير الخازن ، علي بن محمد المعروف بالخازن جـ ٣ ص ٨٩ .

((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ)) (١) .

ومن شأن الأمي أن يعوّل على حافظته فيما يهمه أمره ، ولقد كانت الأمة العربية على عهد نزول القرآن ، تتمتع بقوة الذاكرة ، وسرعة الحفظ وسيلان الأذهان ، حتى كانت قلوبهم أناجيلهم ، وعقولهم سجلات أنسابهم وأيامهم ، وحوافظهم دواوين أشعارهم ومفاخرهم .

ثم جاء القرآن الكريم فبهرهم بقوة بيانه ، وروعة أحكامه ، وجلال سلطانه ، فأخذ عليهم مشاعرهم ، واستحوذ عليهم عقولهم وأفكارهم ، حتى صرف هممهم اليه يحفظونه ويستظهرون آياته وسوره بما وجدوا فيه من روح الحياة .

أما النبي صلى الله عليه وسلم فقد بلغ من شدة حرصه على حفظ القرآن الكريم واستظهاره ، انه كان يحرك لسانه به من أجل المسارعة في حفظه وجمعه في قلبه ، مخافة أن تفوته كلمة ، أو يفلت منه حرف ، وما زال كذلك حتى طمأنه ربه عز وجل بأن وعده أن يجمعه في صدره ، وأن يسهل له قراءة لفظه وفهم معناه ، فقال تعالى : ((لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ * إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ * فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ)) (٢) .

وقال تعالى : ((وَلا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا)) (٣) .

---

(١) سورة الجمعة - آية : ٢ .
(٢) سورة القيامة - آية : ١٦ - ١٩ .
(٣) سورة طه - آية : ١١٤ .

وكان صلى الله عليه وسلم يحيي الليل بتلاوة القرآن في الصلاة حتى تفطرت قدماه الشريفتان ، فعن المغيرة رضي الله عنه يقول : (ان كان النبي صلى الله عليه وسلم ليقوم ليصلي حتى ترم قدماه أو ساقاه ، فيقال له ، فيقول : أفلا أكون عبدا شكورا)(١)

وعن عروة بن الزبير ، عن عائشة قالت : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا صلى ، قام حتى تفطر رجلاه ، قالت عائشة : يا رسول الله أتصنع هذا وقد غفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ؟ فقال : يا عائشة أفلا أكون عبدا شكورا)(٢) .

وكان جبريل عليه السلام يعارض النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة ، وقد عارضه في العام الذى توفي فيه مرتين .(٣)

وأما الصحابة رضوان الله عليهم ، فقد كان كتاب الله في المحل الأول من عنايتهم ، يتنافسون في استظهاره وحفظه ، ويتسابقون في مدارسته وتفهمه ، ويتفاضلون فيما بينهم على مقدار ما يحفظون منه . . . حتى لقد كان الذى يمر ببيوت الصحابة في غسق الدجى يسمع فيها دويا كدوى النحل بالقرآن .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يبث فيهم روح العناية بالقرآن

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه جـ ٢ ص ٤٤ كتاب التهجد ، باب ٦ قيام النبي صلى الله عليه وسلم حتى ترم قدماه .

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه جـ ٤ ص ٢١٧٢ كتاب صفات المنافقين وأحكامهم باب اكثار الأعمال والاجتهاد في العبادة ، حديث رقم (٨١) .
وأحمد في مسنده جـ ٦ ص ١١٥ .

(٣) أخرجه البخارى في صحيحه جـ ٦ ص ١٠١ كتاب الفضائل ، باب ٧ كان جبريل يعرض القرآن على النبي صلى الله عليه وسلم .

ويشجعهم على حفظه واستذكاره ، فقد كان صلى الله عليه وسلم يمرّ بالليل على دور الأنصار فيقف عند بعضها مستمعا لقراءة القرآن .

فقد أخرج البخارى في صحيحه عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (لو رأيتني البارحة وأنا أستمع لقراءتك ؟ لقد أعطيت مزمارا من مزامير آل داود ...)(١) .

وعن أبي موسى رضي الله عنه - أيضا - قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل ، وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل ، وان كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار)(٢) .

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يبعث الى المدن والقرى من يعلم أهلها ويقرئهم القرآن ، كما بعث قبل الهجرة مصعب بن عمير وابن أم مكتوم الى أهل المدينة ، يعلمانهم الاسلام ، ويقرئانهم القرآن ، وكما بعث معاذ ابن جبل الى مكة بعد هجرته للتحفيظ والتعليم(٣) .

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه جـ ٦ ص ١١٢ ، كتاب فضائل القرآن باب ٣١ حسن الصوت بالقراءة .
ومسلم جـ ١ ص ٥٤٦ كتاب صلاة المسافرين ، حديث رقم (٢٣٥ - ٢٣٦) .
والمراد بقوله : (أعطيت مزمارا من مزامير آل داود) : تشبيه حسن صوته وحلاوة نغمته بصوت النبي داود عليه السلام .
انظر : النهاية في غريب الحديث ٢/ ٣١٢ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه جـ ٥ ص ٨٠ كتاب المغازى باب ٣٨ غزوة خيبر . ومسلم جـ ٤ ص ١٩٤٤ كتاب الفضائل ، حديث رقم (١٦٦) .

(٣) انظر : مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ ص ٢٣٣ - ٢٣٤ بتصرف .

ولهذا فقد كان حفّاظ القرآن الكريم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم عددا كثيرا من المهاجرين والأنصار ممّا لا يمكن احصاؤهم ، وبعد الصحابة جاء التابعون فحافظوا على القرآن وحفظوا آياته وسوره ، وقد بلغ عدد الحفظة منهم الآلاف المؤلفة ، وهكذا الأمر في حفظ كتاب الله تعالى من جيل الى جيل حتى وصل الينا غضاً محضاً طريا كما أنزله رب العزة والجلال ، وسوف يبقى بهذه الصورة ان شاء الله حتى يرث الله الأرض ومن عليها .

٢) حفظ القرآن في السطور :

والى جانب ما امتاز به القرآن العظيم من الرعاية والعناية بحفظه وجمعه في الصدور ، فقد حظي بميزة أخرى هي جمعه وكتابته في الصحف ، فقد كان لرسول الله صلى الله عليه وسلم كتّاب للوحي كلما نزل عليه شيء من القرآن أمرهم بكتابته ، مبالغة في تسجيله وتقييده ، وزيادة في التوثق والضبط ، والاحتياط الشديد في كتاب رب العالمين ، حتى تظاهر الكتابة في السطور الجمع في الصدور .

وكان هؤلاء الكتّاب من خيرة الصحابة الأجلاء ، اشتهر منهم الخلفاء الراشدون ، وزيد بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، والزبير بن العوام ، ومعاذ بن جبل ، ومعاوية بن أبي سفيان ، وخالد بن الوليد ، وثابت بن قيس ، وغيرهم من كبار وأفاضل الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين .(١)

---

(١) انظر : فتح الباري لابن حجر جـ ٩ ص ٢٢ ، ومناهل العرفان للزرقاني جـ ١ ص ٢٣٩ ، والتبيان في علوم القرآن للصابوني ص ٤٨ .

وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يرشدهم الى وضع كل آية أو سورة في موضعها من كتاب الله تعالى ، جاء في حديث ابن عباس رضي الله عنهما ... فقال عثمان : "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممّا يأتي عليه الزمان ، وهي تنزل عليه السور ذوات العدد ، فكان اذا أنزل عليه الشيء دعا بعض من كان يكتب فيقول : ضعوا هؤلاء الآيات في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ، واذا أنزلت عليه الآية فيقول : ضعوا هذه الآية في السورة التي يذكر فيها كذا وكذا ... "(١).

فعند ذلك يقوم الصحابة رضوان الله عليهم بكتابة ما يأمرهم النبي صلى الله عليه وسلم فيما يتيسر لهم من العسب(٢) ، واللخاف(٣) ، والرقاع(٤) وقطع الأديم ، وعظام(٥) الأكتاف ، ونحوها .

---

(١) أخرجه الترمذي بتحفة الأحوذي جـ ٨ ص ٤٧٧ - ٤٧٩ ، كتاب التفسير سورة التوبة .
وأحمد في المسند جـ ١ ص ٥٧ .

(٢) العسب : جمع عسيب ، والعسيب : جريد النخل اذا نحي عنه خوصه . لسان العرب جـ ١ ص ٥٩٩ وما بعدها .

(٣) اللخاف : جمع لخفة ، وهي حجارة بيض عريضة رقيقة .
لسان العرب جـ ٩ ص ٣١٥ .

(٤) الرقاع : جمع رقعة ، والرقعة الخرقة تكون من جلد أو قماش أو ورق .
لسان العرب جـ ٨ ص ١٢١ وما بعدها .

(٥) الأكتاف : جمع كتف ، وهي العظام العريضة .
لسان العرب جـ ٩ ص ٢٩٤ .

وهكذا توفى الرسول محمد صلى الله عليه وسلم والقرآن الكريم كله محفوظ في الصدور ، ومكتوب في الصحف ، بيد أنه لم يكن مجموعا في مصحف واحد عام أو مصاحف عامة ، لأن النبي صلى الله عليه وسلم كان يترقب نزول الوحي من وقت لآخر ، وقد يكون منه الناسخ لشيء نزل من قبل ، ولو جمع القرآن كله بين دفتي مصحف واحد لأدى ذلك الى التغيير كلما نزل شيء من القرآن (١) .

قال الزركشي : " وانما لم يكتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم في مصحف واحد لئلا يفضي الى تقييده في كل وقت ، فلهذا تأخرت كتابته الى أن كمل نزول القرآن بموته صلى الله عليه وسلم " (٢) .

ولما استقر الأمر بختام التنزيل ووفاة الرسول صلى الله عليه وسلم ، وأمن النسخ ، وتقرر الترتيب وفق الله الخلفاء الراشدين فقاموا بهذا الواجب ، وفاء بوعد الله تعالى الصادق بضمان حفظه على هذه الأمة على يد أبي بكر الصديق بمشورة عمر بن الخطاب رضي الله عنهم ، وجزاهم عن القرآن والاسلام والمسلمين خير الجزاء (٣) .

يقول الدكتور محمد عبد الله دراز : " وبهذه العناية المزدوجة - (أى حفظ القرآن في الصدور والسطور جميعا) - التي بعثها الله في

---

(١) انظر : مناهل العرفان للزرقاني جـ ١ ص ٢٤٠ وما بعدها .
(٢) البرهان في علوم القرآن جـ ١ ص ٢٦٢ .
(٣) انظر : فتح الباري جـ ٩ ص ١٢ ، والاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ١ ص ٧٦ ، ومناهل العرفان جـ ١ ص ٢٤٢ .

نفوس الأمة المحمدية اقتداء بنبيها بقي القرآن محفوظا في حرز حريـــــز ، انجازا لوعد الله الذى تكفل بحفظه ، . . . ولم يصبه ما أصاب الكتـــــب الماضية من التحريف والتبديل وانقطاع السند ، حيث لم يتكفل الله بحفظها ، بل وكلها الى حفظ الناس فقال تعالى : ((والربانيّون والأحبـــــار بما استحفظوا من كتاب الله)) (١) . . . والسر في هذه التفرقة أن سائـــر الكتب السماوية جيء بها على التوقيت لا على التأبيد ، وأن هذا القـــرآن جيء به مصدقا لما بين يديه من الكتب ومهيمنا عليها ، فكان جامعا لما فيها من الحقائق الثابتة ، زائدا عليها بما شاء الله زيادته ، وكان سادا سدها ولم يكن شيء منها ليسـد سده ، فقضى الله أن يبقى حجة الى قيـــام الساعة ، واذا قضى الله أمرا يسر له أسبابه ، وهو العزيز الحكيم " . (٢)

٣) القرآن معجزة محمد الخالدة :

الاعجاز في اللغة : هو نسبة العجز الى الغير ، قال الله تعالى : ((أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب فأوارى سوأة أخي)) (٣) .

والمعجزة في الاصطلاح هي : الأمر الخارق للعادة المقرون بالتحـــدى السالم عن المعارضة (٤) .

وقد كان العقل البشرى في أطواره الأولى لا يؤمن الاّ بالمشاهـــد المحسوس ، لذلك فقد جرت حكمة الله - تعالى - أن يبعث كل رسول الـــى

---

(١) سورة المائدة - آية : ٤٤ .
(٢) النبأ العظيم ص ١٣ - ١٤ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٣١ .
(٤) الاتقان في علوم القرآن للسيوطي جـ ٢ ص ١٤٨ .

قومه خاصة ، وأن تكون معجزته من جنس ما اشتهر به قومه ، خارقة لما ألفوه ليحصل بمعجزهم ايمانهم بأنها من الله ـ تعالى ـ ويظهر ذلك واضحا من معجزات أنبياء بني اسرائيل ، كموسى وعيسى عليهما السلام .

فان موسى ظهر في قوم اشتهروا بالسحر ، وبلغ عندهم الغاية القصوى ، فكانت معجزته قاهرة لهم ، مسيطرة على ما جاءوا به من السحر كما قص الله ـ تعالى ـ ذلك في قوله : ((قَالُوا يَا مُوسَى إِمَّا أَن تُلْقِيَ وَإِمَّا أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى * قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى * فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُّوسَى * قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ الْأَعْلَى * وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى)) (١) .

وبلغ الطب في قوم عيسى مبلغا كبيرا ، فكانت معجزته أنه يحيي الموتى ، ويبرىء الأكمه والأبرص ، ويخلق من الطين كهيئة الطير ـ وذلك كله باذن الله ـ قال تعالى في معرض امتنانه عليه بما آتاه الله من العلم والحكمة وما أيده به من معجزة : ((وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي)) (٢) .

وهكذا معجزات سائر الرسل محدودة العدد ، قصيرة الأمد ، ذهبت بوفاتها ، وماتت بموت أصحابها ومن يطلبها الآن لا يجد لها أثرا ولا يسلم له شاهد بها الا هذا القرآن .

---

(١) سورة طه ـ آية : ٦٥ ـ ٦٩ .
(٢) سورة المائدة ـ آية : ١١٠ .

وهي نعمة من الله تعالى يمنها القرآن الكريم على سائر الكتب والرسل ، وما صح من الأديان كافة ، قال تعالى : ((وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه)) (١) .

ولما اكتمل العقل الانساني ، أذن الله بفجر الرسالة العالمية الخالدة ، وهي رسالة الاسلام الى الناس جميعا ، وكانت معجزتها معجزة نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - في عصر شرف على العلم ، معجزة تحاج العقل البشرى وتتحداه الى الأبد ، وهي معجزة القرآن العظيم بعلومه ومعارفه ، وأسلوبه وبلاغته ، وأخباره الماضية والمستقبلة .

وهذا ما أشار اليه الرسول - صلى الله عليه وسلم - في قوله : (ما من الأنبياء نبي الا أعطى من الآيات ما مثله آمن عليه البشر ، وانما كان الذى أوتيته وحيا أوحاه الله الي ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة)(٢).

وقد بعث صلى الله عليه وسلم في قوم بلغ البيان العربي فيهم أوج عزته ، وتفننت ضروب الفصاحة والبلاغة بأرقى أسلوب وأوضح بيان عرفته الدنيا ، ولقد انصبت جداول الفصاحة والبلاغة في قريش في مكة المكرمة مهبط الوحي ومحط الرسالة ، فجاءت معجزة نبي الاسلام الكبرى ، وكانت كلاما معجزا وأفكارا حية نابضة خالدة بخلود الزمن - في المبادىء والعقائد ، ومناقشة المبطلين والرد عليهم ، واقامة الحجج والبراهين على أن ما يدعو

---

(١) سورة المائدة - آية : ٤٨ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه جـ ٦ ص ٩٧ ، كتاب الفضائل ، باب كيف نزل الوحي وأول ما نزل .

اليه صدق وحق ، جاء ذلك كله في أسلوب أعجز الجن والانس على الاتيان بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا .

وعلاوة على ذلك ، فرسولنا محمد صلى الله عليه وسلم نبي أمي لا يعرف القراءة والكتابة ، ولم يدرس في مدرسة ، أو يتلق علومه في جامعة من الجامعات ، ولم يثبت عنه أنه كان قد تلقى شيئا من العلوم والمعارف عن بعض النابغين من العلماء ، أو المبرّزين في صنوف الثقافة والمعرفة ، ولم يتصل بأحد من علماء أهل الكتاب حتى يطلع على أخبار الأنبياء السابقين وأممهم .(١)

٤) التحدى بالقرآن :

وقد تحدى النبي - صلى الله عليه وسلم - العرب خاصة ، والناس أجمعين بالقرآن الكريم على ثلاث مراحل :

١ - تحداهم على أن يأتوا بمثله وأمهلهم سنين طويلة فلم يقدروا ، كما قال تعالى : ((فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين))(٢) ، كما ورد التحدى بالقرآن الكريم كله ، قال تعالى : ((قل فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما أتبعه إن كنتم صادقين))(٣) فقد طلب منهم أن يأتوا بكتاب كامل غير هذا الكتاب الكريم ، فاذا لم يستجيبوا لدعوته ، فانما هم أناس متعنتون ، يعبدون الهوى ويسيرون على غير هدى .

---

(١) انظر : الاتقان للسيوطي جـ ٢ ص ١٤٨ - ١٤٦ ، ومناهل العرفان للزرقاني جـ ٢ ص ٢٣٢ ، ومباحث في علوم القرآن لمناع القطان ص ٢٥٧ - ٢٥٨ ، والتبيان في علوم القرآن للصابوني ص ٨٥ ومابعدها والجدل في القرآن لمواض الألمعي ص ١٤ - ١٥ .

(٢) سورة الطور - آية : ٣٤ . (٣) سورة القصص - آية : ٤٩ .

٢ - فلما عجزوا تحداهم بعشر سور من مثله مفتريات ، فقال تعالى : ((أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون)) (١) .

٣ - بعد عجزهم عن ذلك تحداهم بالاتيان بسورة واحدة مثله في قوله تعالى : ((أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين)) (٢) .

وكرر هذا التحدي في قوله تعالى : ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين)) (٣) .

وبهذا النزول الى التحدي الى الاتيان بسورة واحدة ولو بأقصر السور ، ولم يتقدم واحد منهم الى حلبة الميدان ، رغم أنهم أئمة الفصاحة وفرسان البلاغة ، ثبت عجزهم ، وظهر اعجاز القرآن الكريم ، قال تعالى : ((قل لئن اجتمعت الانس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)) (٤) .

---

(١) سورة هود - آية : ١٣ - ١٤ .
(٢) سورة يونس - آية : ٣٨ .
(٣) سورة البقرة - آية : ٢٣ - ٢٤ .
(٤) سورة الاسراء - آية : ٨٨ .

وقد ظل القرآن الكريم منذ أربعة عشر قرنا ، وسيظل باذن الله ما بقي الدهر ، يتحدى سائر الأمم عن الاتيان بمثل سورة واحدة من سوره ، وما ذلك الا لأنه كلام رب العالمين .

٥) وجوه اعجاز القرآن الكريم :

وقد اختلف العلماء في وجوه اعجاز القرآن الكريم اختلافا كثيرا بعد اتفاقهم على اعجازه وعدم استطاعة أحد من البشر الاتيان بمثله ، ومنشأ هذا الاختلاف أن القرآن الكريم لا يتناول قضية من القضايا أو جزئية من الجزئيات الا وقد ظهر اعجازه فيها ، وذلك اما في ألفاظه وأسلوبه ، واما في اخباره عن الغيوب المستقبلة أو اخباره عن الأمم الماضية ، واما في أحكامه وتشريعاته الى غير ذلك ، واليك بعض آرائهم :

١ - قال بعضهم : ان وجه الاعجاز فيه ما تضمنه من الاخبار عن قصص الأولين وسائر المتقدمين من حكاية من شاهدها وحضرها ، كقصة صالح وناقته ، وقصة موسى ومناجاته ، وقصة يوسف مع أهل مصر ، وقصة ابراهيم مع النمرود ، وبناء البيت الحرام ، وهمه بذبح ابنه ، وقصة عيسى وأمه ، الى غير ذلك .

مع أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - كان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، من أمة أمية كذلك ، قال تعالى : ((وَمَا كُنتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِن كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ)) (١) .

---

(١) سورة العنكبوت - آية : ٤٨ .

وقال سبحانه : ((تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ، ما كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَـٰذَا)) (١) .

٢ - وقال قوم : ان وجه الاعجاز فيه ما أخبر به من الغيوب المستقبلة ، وقد تحقق وقوعها كما أخبر عنها .

من ذلك قوله تعالى : ((الـم * غُلِبَتِ الرُّومُ * فِي أَدْنَى الْأَرْضِ وَهُم مِّن بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ * فِي بِضْعِ سِنِينَ ، لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ * بِنَصْرِ اللَّهِ ، يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ)) (٢) .

وقد وقع نصر الروم من أهل الكتاب على الفرس الوثنيين كما أخبر الله تعالى بذلك .

ومن ذلك قوله تعالى : ((لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُؤُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ)) (٣) .

وقد حصل ذلك بفتح مكة المكرمة بلد الله الحرام على يد نبيه محمد صلى الله عليه وسلم في السنة الثامنة من الهجرة .

الى غير ذلك من الآيات الدالة على اخبار القرآن الكريم بالمغيبات المستقبلة .

٣ - وقال الامام فخر الدين الرازي : وجه الاعجاز الفصاحة وغرابة الأسلوب والسلامة من جميع العيوب . . .

---

(١) سورة هود - آية : ٤٩ .
(٢) سورة الروم - الآيات : ١ - ٥ .
(٣) سورة الفتح - آية : ٢٧ .

٤ - وقال ابن عطية : الصحيح الذى عليه الجمهور والحذاق في وجه اعجازه أنه بنظمه وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه [١] ...

٥ - وقال القاضي أبو بكر الباقلاني : وجه الاعجاز ما فيه من النظم والتأليف والترصيف ، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم المعتاد في كلام العرب ومباين لأساليب خطاباتهم [٢] ...

٦ - وقال الجاحظ : ان وجه الاعجاز في القرآن كونه في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يعهد مثلها [٣] .

٧ - وذهب النظام [٤] ، وتابعه المرتضى من الشيعة أن اعجاز القرآن كان بالصرفة ، أى أن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدورا لهم ، لكن عاقهم أمر خارجي فصار كسائر المعجزات ، وللنظام قول آخر في وجه الاعجاز وهو أنه يرى أن اعجازه انما كان من حيث الاخبار عن الأمور الماضية والآتية [٥] .

---

(١) انظر : الاتقان للسيوطي جـ ٢ ص ١٥١ - ١٥٢ .

(٢) انظر : اعجاز القرآن للباقلاني ص ٥٠ .

(٣) انظر : اعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي ص ١٤٨ .

(٤) هو : أبو اسحاق ابراهيم بن سيار النظام شيخ الجاحظ ، وأحد رؤوس المعتزلة ، واليه تنسب الفرقة النظامية ، توفي في خلافة المعتصم سنة بضع وعشرين ومائتين .

انظر : البرهان في علوم القرآن للزركشي جـ ٢ ص ٩٣ الحاشية ، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم .

(٥) انظر : اعجاز القرآن للرافعي ص ٤٤ .

والقول بالصرفة قول فاسد ومردود لا يثبت أمام البحث والمناقشة ، ولا يتفق مع الواقع ، وقد رده كثير من العلماء ، قال الامام السيوطي في رده على ذلك : " وهذا قول فاسد بدليل ((قل لئن اجتمعت الانس والجن)) الآية (١) - فانه يدل على عجزهم مع بقاء قدرتهم ، ولو سلبوا القدرة لم تتسق فائدة لاجتماعهم لمنزلته منزلة اجتماع الموتى ، وليس عجز الموتى مما يعتفل بذكره " (٢) .

وبمثله قال الامام الزركشي (٣) .

وقال الباقلاني : " ومما يبطل ما ذكروه من القول بالصرفة أنه لو كانت المعارضة ممكنة - وانما منع منها الصرفة - لم يكن الكلام معجزا ، وانما يكون المنع هو المعجز ، فلا يتضمن النظام فضيلة على غيره في نفسه " (٤) .

والحقيقة أنه عدا - القول بالصرفة - فان القرآن الكريم معجز بكل ما يتحمله هذا اللفظ من معنى ، فهو معجز في ألفاظه وأسلوبه ، والحرف الواحد منه في موضعه من الاعجاز الذي لا يغني عنه غيره في تماسك الكلمة ، والكلمة في موضعها من الاعجاز في تماسك الجملة ، والجملة في موضعها من الاعجاز في تماسك الآية ، وهو معجز في بيانه ونظمه ، ومعجز بعلومه ومعارفه ، وهو معجز بسلامته من التناقض والتعارض ، ومعجز في تشريعه وصيانته لحقوق الانسان ، وهو معجز في وفائه بحاجات البشر في كل زمان ومكان .

---

(١) سورة الاسراء - آية : ٨٨ .
(٢) الاتقان في علوم القرآن جـ ٢ ص ١٥١ .
(٣) انظر : البرهان في علوم القرآن جـ ٢ ص ٩٤ .
(٤) اعجاز القرآن للباقلاني ص ٣٠ .

والقرآن - أولا وآخرا - هو كتاب رب العالمين ، وهو المعجزة الخالدة لمحمد صلى الله عليه وسلم الى يوم القيامة ، وهذا وعده حجة قوية على من لا يؤمن به ولم يدخل في دين الاسلام .

٦) شهادات بعض علماء الغرب في القرآن :

يقول الطبيب الفرنسي موريس بوكاى : " لقد قمت أولا بدراسة القرآن الكريم وذلك دون أى فكر مسبق ، وبموضوعية تامة ، باحثا عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث ، وكنت أعرف ، قبل هذه الدراسة ، وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعا كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولكن معرفتي كانت وجيزة ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لا يحتوى على آية مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث .

وبنفس الموضوعية قمت بنفس الفحص على العهد القديم والأناجيل ، أما بالنسبة للعهد القديم فلم تكن هناك حاجة للذهاب الى أبعد من الكتاب الأول ، أى سفر التكوين ، فقد وجدت مقولات لا يمكن التوفيق بينها وبين أكثر معطيات العلم رسوخا في عصرنا .

وأما بالنسبة للأناجيل ، فما نكاد نفتح الصفحة الأولى منها حتى نجد أنفسنا دفعة واحدة في مواجهة مشكلة خطيرة ، ونعني بها شجرة أنساب المسيح ، وذلك أن نص انجيل متى يناقض بشكل جلي انجيل لوقا (Luc) ، وأن هذا الأخير يقدم لنا صراحة أمرا لا يتفق مع المعارف الحديثة الخاصة بقدم الانسان على الأرض " .(١)

---

(١) دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص ١٣ .

ويقول موريس بوكاى - تحت عنوان (صحة القرآن) - :

" ان صحة القرآن لا تقبل الجدل . . . وأنه لا يشترك مع نص القرآن في هـذه الصحة لا العهد القديم ولا العهد الجديد . . . ولم يتعرض النـص القرآني لأى تحريف من يوم أن أنزل على الرسول صلى الله عليه وسلم حـتى يومنـا هـذا .

ويقول موريس بوكاى : " أما فيما يخص العهد القديم ، فان تعـدد كتّاب نفس الرواية ، بالاضافة الى تعدد المراجعات لبعض الكتب على عـدة فترات قبل العصر المسيحي ، هو من أسباب الخطأ والتناقض ، وأما فيما يخص الأناجيل ، فلا يستطيع أحد أن يجزم بأنها تحتوى دائما على رواية أمينـة لرسالة المسيح أو على رواية لأعماله تتفق بدقة تامة مع الواقـع ".

ويضيف موريس فيقول : " ان عمليات التحرير المتوالية ، . . . افتقـار هذه النصوص الى الصحة ، وزيادة على ذلك فليس كتّاب هذه النصـوص شهود عيـان .

ويختلف الأمر بالنسبة للقرآن ، ففـور تنزيله ، وأولا بأول ، كان النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون من حوله يتلونه عن ظهر قلب ، وكان الكتبة مـن صحبه يدونونـه ، اذن فالقرآن يتمتع ، منذ البداية ، بعنصرى الصحـة هذين اللذين لا تتمتع بهما الأناجيل " . (١)

ويقول المسلم الفرنسي الشهير جرينيـه : " لقد تتبعت كل الآيـات القرآنية التي لها ارتباط بالعلوم الطبيعية والصحية والطبية ، التي درستهـا

---

(١) انظر : دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ص١٥١-١٥٢ .

من صغرى ، وفهمتها جيدا ، فوجدتها منطبقة كل الانطباق مع معارفنا الحديثة ، فأسلمت لأني تيقنت أن الاسلام أتى بالحق الصراح ، من قبل ألف سنة ، ولو أن كل صاحب فن من الفنون أو علم من العلوم ، قارن كل الآيات المرتبطة بما يعلمه جيدا كما قارنت أنا ، لأسلم دون ريب ، هذا ان كان عاقلا خاليا عن الأغراض والأهواء . . " (١) .

ويقول المستشرق لوملوا : " ان القرآن هو اليوم الكتاب الرباني الوحيد الذى ليس فيه أى تغيير يذكر " (٢) .

وقال وليم موير (٣) : "ان المصحف الذى جمعه عثمان قد تواتر انتقاله من يد ليد حتى وصل الينا بدون أى تحريف ، ولقد حفظ بعناية شديدة بحيث لم يطرأ عليه أى تغيير يذكر ، بل نستطيع أن نقول انه لم يطرأ عليه أى تغيير على الاطلاق في النسخ التي لا حصر لها والمتداولة في البلاد الاسلامية الواسعة ، فلم يوجد الا قرآن واحد لجميع الفرق الاسلامية

---

(١) البرهان من القرآن محمد أحمد مهدى ص ٣٠ - ٣١ .

(٢) مدخل الى القرآن الكريم د . محمد عبد الله دراز ص ٤٠ .

(٣) اسكتلندى (١٨١٩ - ١٩٠٥ م) تعلم الحقوق في جامعتي جلاسجو وأدنبرا ، وامتاز بمحاضراته امتيازه بخدماته التي أداها للهند يوم أرسل الى الهنغال سنة ١٨٣٧ م ، وعين أمينا لحكومة الهند (١٨٦٥ - ١٨٦٨ م) ، ثم أختير رئيسا لجامعة أدنبرا (١٨٨٥ - ١٩٠٢ م) . ومن مؤلفاته : سيرة النبي والتاريخ الاسلامي ، وحوليات الخلافة صعودها وانحدارها وسقوطها ، ومصادر الاسلام ، ودولة المماليك في مصر .

انظر : المستشرقون للعتيقي جـ ٢ ص ٤٩٢ .

المتنازعـــة ، وهذا الاستعمال الاجماعي لنفس النص المقبول من الجميـــــع حتى اليوم يعـــد أكبر حجة ودليل على صحة النص المنزل الموجود معنا والـذى يرجع الى الخليفة المنكوب عثمان الذى مات مقتولا " .(١)

فهذه بعض شهادات العلماء الغربيين على صحة القرآن الكريـــــم وعدم تبديله وتحريفه ، والقرآن الكريم ليس في حاجة الى هذه الشهـــــادات وأمثالها ، لأنه محفوظ بشهادة الله تعالى له على حفظه وعدم وصول الباطـــل اليه ، قال تعالى : ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُـــــون))(٢) .

وقال عز وجل : ((وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ * لا يأتيه الباطلُ من بَينِ يَدَيـــــهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّن حَكِيمٍ حَمِيـــدٍ))(٣) .

ولكن أوردناها لاقامة الحجة على الذين لا يؤمنون به ، من باب وشهـد شاهد من أهلها ، أو من قولك : من فمك أدينك .

بعد هذا ننتقل الى الباب الثاني لنقف فيه على دعوة أهل الكتـــاب الى الاسلام لعلهم يسلمون .

* * * * * * *

---

(١) مدخل الى القرآن الكريم ص ٤٠ .

(٢) ســورة الحجــر - آيــة : ٩ .

(٣) ســورة فصــلت - آيــة : ٤١ - ٤٢ .

البَابُ الثانى

الباب الثاني

((دعوة القرآن الكريم لأهل الكتاب الى الاسلام))

ويشتمل على خمسة فصول :

الفصل الأول :

دخول أهل الكتاب في عموم رسالة الاسلام .

الفصل الثاني :

اقامة الأدلة لأهل الكتاب على صدق النبي صلى الله عليه وسلم .

الفصل الثالث :

أساليب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام .

الفصل الرابع :

سماحة الاسلام وانصافه لأهل الكتاب .

الفصل الخامس :

موقف أهل الكتاب من الدعوة الى الاسلام .

= / = / = / = / = / = / = / =
= / = / = / = / = / = / =
= / = / = / = / = / =
= / = / = / = / =
= / = / = / =
= / = / =
= / =
=

الفصـــــل الأول

((دخول أهل الكتاب في عموم رسالة الاسلام))

ويشتمل على : تمهيـــــد ، وخمسة مباحث :

المبحث الأول :

الأدلة من القرآن الكريم على عموم رسالة الاسلام .

المبحث الثانـــي :

الأدلة من السنة النبوية على عموم رسالة الاسلام .

المبحث الثالث :

مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على عموم رسالة الاسلام .

المبحث الرابـــــع :

الجهاد في سبيل الله يدل على عموم رسالة الاسلام .

ويشتمل هذا المبحث على ما يأتي :

١ - مراحل تشريع الجهاد .

٢ - خوض المعارك من أجل ابلاغ الدعوة ورد العـــدوان .

(مع المشركين ، مع اليهود ، مع النصارى) .

٣ - طبيعة الجهاد في الاسلام .

المبحث الخامس : في شهادات بعض علماء غير المسلمين بعالميـــة

الاســـــلام .

تمهيـــــــد :

في بداية الحديث عن دعوة أهل الكتاب الى الاسلام ، أود أن أشـــير الى قضية هامة ، وهي أن الدعوة الى توحيد الله - تبارك وتعالى - وافراده بالعبادة - دون سواه - والتذلل اليه ، والانقياد لأمره وحكمه ، وتنزيهـــه عن الند والصاحبة والولد ، هي القضية الأساسية التي من أجلها بعث اللـــه جميع أنبيائه ورســـله .

وقد قرر القرآن الكريم أن جميع الأنبياء والرسل قد دعوا قومهم الـــى هذه القضيـــة .

فقال تعالى عن نوح عليه السلام : ((لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحاً إِلى قَوْمِهِ فَقَـــالَ يا قـــوم اعبدوا اللّهَ ما لكم من إلهٍ غَـــيْرُهُ)) (١) .

وقال سبحانه عن هود عليه السلام : ((وإِلى عادٍ أَخاهُم هُوداً قال يا قَوْمِ اعبُدُوا اللّهَ ما لكم من إلهٍ غيره)) (٢) .

وقال جل ذكره عن صالح عليه السلام : ((وإِلى ثمودَ أَخاهُم صالحاً قَـــالَ يا قَوْمِ اعبُدُوا اللّهَ ما لكم مِّن إلهٍ غَـــيْرُهُ)) (٣) .

وقال تعالى عن شعيب عليه السلام : ((وإِلى مدينَ أَخاهُم شُعَيباً قَالَ يا قَوْمِ اعبُدُوا اللّهَ ما لكم مِّن إلهٍ غَـــيْرُهُ)) (٤) .

---

(١) سورة الأعراف - آية : ٥٩ .

(٢) سورة الأعراف - آيـــة : ٦٥ .

(٣) سورة هـــود - آيـــة : ٦١ .

(٤) سورة هـــود - آية : ٨٤ ، وسورة الأعراف - آية : ٨٥ .

ومما لا شك فيه أن كل نبي أو رسول قد دعا قومه الى كلمة التوحيد بنصها أو معناها ، قال الله تعالى مخاطبا رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم : ((وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)) (١) .

قال القرطبي رحمه الله عند قوله : ((أنه لا اله الا أنا فاعبدون)) أى قلنا للجميع لا اله الا الله ، فأدلة العقل شاهدة أنه لا شريك له ، والنقل عن جميع الأنبياء موجود ، والدليل اما معقول واما منقول : وقال قتادة : لم يرسل نبي الا بالتوحيد ، والشرائع مختلفة في التوراة والانجيل والقرآن ، وكل ذلك على الاخلاص والتوحيد " (٢) .

وقال تعالى : ((واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون ؟)) (٣) .

وقال تعالى : ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة فسيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين)) (٤) .

كما ان الدين الذى بعث الله به رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم انما هو الاسلام الذى هو دين الأنبياء والرسل جميعا .

---

(١) سورة الأنبياء - آية : ٢٥ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ١١ ص ٢٨٠ .

(٣) سورة الزخرف - آية : ٤٥ .

(٤) سورة النحل - آية : ٣٦ .

يقول شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - : " وكان دينه الـــذي ارتضاه لنفسه هو دين الاسلام ، الذي بعث الله به الأولين والآخرين من الرسل ، ولا يقبل من أحد دينا غيره ، لا من الأولين ، ولا من الآخرين ، وهو دين الأنبياء وأتباعهم ، كما أخبر الله بذلك عن نوح ومن بعده الى الحواريين ، قال تعالى : ((واتل عليهم نبأ نوح اذ قال لقومه يا قوم إن كان كبر عليكم مقامي وتذكيري بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ثم اقضوا الي ولا تنظرون * فإن توليتم فما سألتكم من أجر ، ان أجري الا على الله وأمرت أن أكون من المسلمين)) (١) .

وقال تعالى عن ابراهيم : ((ومن يرغب عن ملة ابراهيم إلا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وإنه في الآخرة لمن الصالحين * اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون)) (٢) .

وقال تعالى عن يوسف الصديق : ((رب قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث فاطر السموات والأرض أنت ولي في الدنيا والآخرة توفني مسلما وألحقني بالصالحين)) (٣) .

---

(١) سورة يونس - آية : ٧١ - ٧٢ .

(٢) سورة البقرة - آية : ١٣٠ - ١٣٢ .

(٣) سورة يوسف - آية : ١٠١ .

وقال تعالى عن موسى أنه قال : ((يا قَوْمِ إن كُنتُمْ آمنتم باللَّهِ فعليه توكلوا ان كنتم مسلمين)) (١) .

وأخبر تعالى عن السحرة أنهم قالوا لفرعون : ((وما تنقِمُ منا إلا أنْ آمنَّا بآياتِ ربِّنا لمَّا جاءتنا ربَّنا أفرغْ علينا صبراً وتوفَّنا مسلمين)) (٢) .

وقال تعالى عن بلقيس ملكة اليمن : ((ربِّ إنِّي ظلمتُ نفسي وأسلمت مع سُليمانَ للَّه ربِّ العالَمين)) (٣) .

وقال تعالى عن أنبياء بني اسرائيل : ((إنَّا أنزلنا التوراةَ فيها هدىً ونور يحكم بها النبيونَ الذين أسلموا للذين هادوا)) (٤) .

وقال تعالى عن المسيح : ((فلمَّا أحسَّ عيسَى منهم الكفرَ قالَ مَنْ أنصاري الى اللَّه ؟ قالَ الحواريونَ نحنُ أنصار اللَّه آمنَّا باللَّهِ واشْهَدْ بأنَّا مسلمون * ربَّنا آمنَّا بما أنزلتَ واتبعنا الرسولَ فاكتبنا مع الشَّاهدين)) (٥) .

وقال تعالى : ((وإذ أوحيتُ الى الحواريين أنْ آمنوا بي وبرسولي قالوا آمنَّا واشهد بأنَّنا مسلمون)) (٦) .

ثم يعلق ابن تيمية - رحمه الله - على هذا بقوله : " فهذا دين الأولين والآخرين من الأنبياء وأتباعهم ، هو دين الاسلام ، وهو عبادة الله

---

(١) سورة يونس - آية : ٨٤ .
(٢) سورة الأعراف - آية : ١٢٦ .
(٣) سورة النمل - آية : ٤٤ .
(٤) سورة المائدة - آية : ٤٤ .
(٥) سورة آل عمران - آية : ٥٢ - ٥٣ .
(٦) سورة المائدة - آية : ١١١ .

وحده لا شريك له ، وعبادته تعالى في كل زمان ومكان بطاعة رسله عليهم السلام ، فلا يكون عابدا له من عبده بخلاف ما جاءت به رسله ، ولا يكون مؤمنا به ولا عابدا له الا من آمن بجميع رسله وأطاع من أرسل اليه ، فيطاع كل رسول الى أن يأتي الذى بعده ، فتكون الطاعة للرسول الثاني ، ومن يطع الرسول فقد أطاع الله ، قال تعالى : ((وما أرسلنا من رسول الا ليطاع باذن الله)) (١) .

ومن فرق بين رسله فآمن ببعض وكفر ببعض كان كافرا كما قال تعالى : ((إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا * والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما)) (٢) .

ويقول الدكتور محمد الجيوشي : " أما قضية أن الاسلام دين الأنبياء جميعا ، فهذا أمر لا نزاع فيه ، وأن المسلمين هم المؤمنون بالرسل جميعا ، فهذا أيضا أمر لا مجال فيه للمناقشة ، الا أن اليهود لا يؤمنون بنبوة عيسى ولا بنبوة محمد عليهما السلام ، والنصارى لا يؤمنون بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، ولهذا فهم ليسوا مؤمنين بالأنبياء جميعا ، ولهذا كان

---

(١) سورة النساء - آية : ٦٤ .

(٢) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ١ ص ١١ - ١٣ . والآية ١٥٠ - ١٥٢ من سورة النساء .

كان الفرق بين المسلمين وبينهم ، ولو آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم لما كان هناك مجال للتفرقة .

أما أتباع الأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم فكانوا مسلمين بلا جدال ، لأنهم كانوا يؤمنون بالنبيين جميعا ، بما فيهم محمد صلى الله عليه وسلم ، لأن كتبهم كانت تدعوهم الى ذلك ، ونحن المسلمين مؤمنون بجميع الأنبياء والرسل كما علّمنا الله في كتابه : ((قُولُوا آمنَّا باللَّهِ وما أُنزِلَ الينَا وما أُنزِلَ الى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوبَ الأسباط وما أُوتيَ موسى وعيسى وما أُوتي النَّبيُّونَ من ربِّهم لا نفرقُ بين أحد منهم ونحنُ لهُ مُسلمُون)) (١) .

والى هذا الاسلام كانت دعوة أهل الكتاب وغيرهم : اسلام الوجه لله بالتوحيد واخلاص العبادة لله وحده لا شريك له وفقا لما أمر به وشرعه ، وهذا ما جاء به موسى وعيسى وسائر أنبياء الله ورسله عليهم السلام .

أما عبادة البشر للبشر وادعاء الألوهية لبعض المخلوقين فهذا أمر لم يقل به أحد من رسل الله عليهم السلام ، ومن قال ان عزيرا ابن الله أو أن المسيح ابن الله أو أنه ثالث ثلاثة ، فقد حاد عن الصراط المستقيم وضل سواء السبيل . . .

---

(١) من وسائل الدعوة في العهد المدني ص ٨٨ .
والآية ١٣٦ من سورة البقرة .

هذا ويثير أعداء الاسلام عددا من الشبهات الفاشلة حول عمـــوم رسالة الاسلام وعالميتها ، بقصد النيل من هذا الدين وتشويه حقائقه عـــن الواقع ، لكن أنى لهم ذلك فهم كما قال الشاعر :

كناطح صخرة يوما ليفلقها // فلم يضرها وأوهى قرنه الوعـــل (١)

ومن هذه الشبهات ما جاء عن المستشرق الهولندى (فنســـنك) (٢) :

أن الدعوة خاصة بالعرب ، لأن الرسول عربي ، وظهر في جزيرة العـــرب ، والقرآن عربي ، وأحكامه عربية ، ويجرى العمل به في بلاد العرب ، والدعوة ظهرت في بلاد العرب : فالدعوة اذا خاصة بالعرب (٣) .

ويقول وليم موير : " ان فكرة عالمية الرسالة قد جاءت فيما بعـد ، وأن هذه الفكرة على الرغم من كثرة الآيات والأحاديث التي تؤيدها ، لم يفكـر فيها محمد نفسه ، وعلى فرض أنه فكر فيها ، فقد كانت غامضة ، فان عالمـــه

---

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس من لاميته المشهورة .
انظر : ديوان الأعشـى ص ١٤٨ . دار صادر / بيروت .

(٢) فنسنك (١٨٨١ - ١٩٣٩ م) مستشرق هولندى أتقن اللغـــات السامية وتخصص في أديان الشرق ، وانتدب أستاذا للعبريـــة فـي جامعة ليدن (١٩٠٨ - ١٩٢٧ م) ثم خلف سنوك في كرســـي العربية حتى وفاته ، وسعى في وضع المعجم المفهرس لألفاظ الحديث فانضم اليه لفيف من المستشرقين العالميين مباشره ، ومن مؤلفاتـه : موقف الرسول من يهود المدينة ، وهي رسالته في الدكتـــوراة ، والاسرائيليات في الاسلام ، ومحمد والنبـوة ، وغيرها .
المستشرقون للعقيقي جـ ٢ ص ٦٦٧ .

(٣) الدعوة في عصر النبوة د . احمد أحمد غلوش ص ١٤٣ .

الذى كان يفكر فيه انما كان بلاد العرب ، كما أن هذا الدين الجديد لم يهيأ الاّ لها ، وأن محمدا لم يوجه دعوته منذ بعث الى أن مات ، الاّ للعرب دون غيرهم ، وهكذا نرى أن نواة عالمية الاسلام قد غرست ولكنها اذا كانت قد اخضرت ونمت بعد ذلك فانما يرجع هذا الى الظروف والأحوال أكثر منه الى الخطط والمناهج " .(١)

والحقيقة أن هذه المزاعم ليست وليدة هذا العصر ، فقد جاء في رسالة تنسب الى بولس الراهب أسقف صيدا الأنطاكي : ادعاء النصارى بأن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يبعث اليهم ، بل الى أهل الجاهلية من العرب ، وادعوا أن في القرآن ما يدل على ذلك ، وكذلك العقل .

وادعوا أن محمدا صلى الله عليه وسلم أثنى في القرآن على دينهم الذى هم عليه ، ومدحه بما أوجب لهم أن يثبتوا عليه .

وأن نبوات الأنبياء المتقدمين ، كالتوراة والزبور والانجيل ، وغير ذلك من النبوات تشهد لدينهم الذى هم عليه من الأقانيم والتثليث والاتحاد ، وغير ذلك ، بأنه حق وصواب .

والواقع أن ما جاء في هذه الرسالة هو عمدة ما يحتج به النصارى قديما وحديثا ، كما أن تلك الرسالة هي السبب في تأليف شيخ الاسلام ابن تيمية - رحمه الله - لكتابه الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، وقد وصلت اليه تلك الرسالة من قبرص ، وبعد قراءتها بادر رحمه الله بالرد على

---

(١) الدعوة الى الاسلام سير توماس ، وأرنولد ص ٥٠ الهامش .

ما أثير فيها من شبه وابطال تلك الدعاوى المضللة .

يقول في مقدمة كتابه : " ونحن - ولله الحمد والمنة - نبيّن أن كل ما احتجوا به من حجة سمعية ، من القرآن ، أو من الكتب المتقدمة على القرآن ، أو عقلية ، فلا حجة لهم في شيء منها ، بل الكتب كلها مع القرآن والعقل حجة عليهم ، لا لهم ، بل عامة ما يحتجون به من نصوص الأنبياء ، ومن المعقول ، فهو نفسه حجة عليهم ، ويظهر منه فساد قولهم ، مع ما يفسده من سائر النصوص النبوية ، والموازين التي هي مقاييس عقلية "(١) .

وجاء في شرح العقيدة الطحاوية : " وأما قول بعض النصارى انه رسول الى العرب خاصة : فظاهر البطلان ، فانهم لما صدقوا بالرسالة لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به ، وقد قال انه رسول الله الى الناس عامة ، والرسول لا يكذب ، فلزم تصديقه حتما ، فقد أرسل رسله وبعث كتبه في أقطار الأرض الى كسرى وقيصر والنجاشي والمقوقس وسائر ملوك الأطراف ، يدعو الى الاسلام "(٢) .

أما اليهود فهم ينكرون حتى الآن الدعوة الاسلامية ويدعون أن الشريعة لا تكون الا واحدة ، وقد ابتدأت بموسى وانتهت به ، وما زالوا ينتظرون رسولا من بعده يدعو الناس بشريعته(٣) .

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ١ ص ١٩ - ٢١ ، وقد بسط ابن تيمية رحمه الله القول في ما أوجزه هنا في هذا الكتاب المكون من أربعة أجزاء ، فراجعه ان شئت .

(٢) شرح العقيدة الطحاوية ص ١٧٨ ، المكتب الاسلامي .

(٣) انظر : الدعوة الاسلامية أصولها ووسائلها د . أحمد غلوش ص ٢٢٣ .

والحق ان كل هذه المزاعم كذب وافتراء على الله وعلى القرآن ، وعلى الاسلام ورسول الاسلام ، لأن القرآن الكريم ملي ء من كلام رب العالمين بالآيات المكية والمدنية الصريحة التي تثبت بشكل قاطع عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم الى كافة الثقلين الانس والجن ، وأنها خاتمة للشرائع السماوية فلا شريعة بعدها ، وأن الاسلام دين لكافة الخلق وليس مقصورا على العرب كما يزعمه أعداء الاسلام .

وفي المباحث التالية نورد بعض الأدلة الصريحة من الكتاب والسنة الدالة على عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم على عموم رسالة الاسلام :

وردت آيات كثيرة صريحة في القرآن الكريم مكية ومدنية تثبت عموم الرسالة الاسلامية الى كافة الثقلين - الانس والجن - وأن الاسلام دين عالمي وليس هو مقصورا على العرب .

ومما جاء فيه التصريح بعموم الدعوة الاسلامية وشمولها لكافة العالم دون تمييز أو تخصيص بجنس أو لون لفظ (العالمين) في عدة آيات من القرآن الكريم ، من ذلك قوله تعالى : ((قل لا أسألكم عليه أجرا إن هو الا ذكر للعالمين)) (١) .

ومعنى ذلك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لا يأخذ أجرا على تعليم القرآن أو تبليغ الدعوة الى الناس ، لأن ذلك ذكر للعالم أجمع لا يختص به قوم دون قوم ، وأنه صلى الله عليه وسلم مأمور بتبليغ دعوة الله تعالى .

وقال تعالى : ((وما تسألهم عليه من أجر إن هو الا ذكر للعالمين)) (٢) .

وقال تعالى : ((قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين * ان هو الا ذكر للعالمين)) (٣) .

وقال تعالى : ((وما هو الا ذكر للعالمين)) (٤) ، وقال تعالى : ((فأين

---

(١) سورة الأنعام - آية : ٩٠ .
(٢) سورة يوسف - آية : ١٠٤ .
(٣) سورة ص - آية : ٨٦ - ٨٧ .
(٤) سورة القلم - آية : ٥٢ .

تذهبون * إن هُوَ إلاَّ ذِكرٌ لِّلعَالمين)) (١) .

وبيّن سبحانه وتعالى أن ارسال نبيه محمد -صلى الله عليه وسلم- انما هو رحمة للعالمين ، فقال تعالى : ((وَمَا أرسلناكَ إلاَّ رحمةً للعالمين (٢))) ، أى أن الله جعل محمدا - صلى الله عليه وسلم - رحمة للعالمين أى أرسله لهم كلهم ، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة سعد في الدنيا والآخرة ، ومن كفر بها وجحدها خسر الدنيا والآخرة ، كما قال تعالى : ((ألم تر إلى الذين بدّلوا نعمت اللّه كُفراً وأحلّوا قومهم دار البوار * جهنّم يصلونها وبئس القرار)) (٣) .

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قيل يا رسول الله : ادع على المشركين ، قال : (اني لم أبعث لعانا وانما بعثت رحمة) (٤) .

وقال تعالى : ((تبارك الذى نزّل الفرقانَ على عبده ليكونَ للعالمين نذيرا)) (٥) .

ووجه الاستدلال بهذه الآيات أن لفظ (العالمين) يشمل كل ما سوى الله تعالى على القول الراجح الذى اختاره القرطبي وغيره من المفسرين عند قوله تعالى : ((الحمد لله رب العالمين (٦))) من سورة الفاتحة .

---

(١) سورة التكوير - آية : ٢٦ - ٢٧ .
(٢) سورة الأنبياء - آية : ١٠٧ .
(٣) سورة ابراهيم - آية : ٢٨ - ٢٩ .
(٤) رواه مسلم في كتاب البر والصلة ، باب النهي عن لعن الدواب وغيرها ، رقم الحديث (٨٧) جـ ٤ ص ٢٠٠٦ وما بعدها .
(٥) سورة الفرقان - آية : ١ .
(٦) انظر : تفسير القرطبي جـ ١ ص ١٣٩ .

وجاء لفظ الانذار والتبليغ في عدة آيات بينات ، من ذلك قوله تعالى : ((وأُوحِيَ إليّ هذا القرآنُ لأُنذِرَكُم بهِ ومَن بلغ)) (١) .

قال صاحب تفسير المنار عند قوله تعالى : ((لأنذركم به ومن بلغ)): " نص على عموم بعثة خاتم الرسل عليه أفضل الصلاة والسلام ، أى لأنذركم به يا أهل مكة أو يا معشر قريش أو العرب وجميع من بلغه ووصلت اليه دعوته من العرب أو العجم ، أو المعنى لأنذركم به أيها المعاصرون لي وجميع من بلغه الى يوم القيامة " (٢) .

وقد وردت عدة آثار في تفسير هذه الآية ، منها ما رواه ابن أبي حاتم ، عن محمد بن كعب القرظي قال : " من بلغه القرآن ، فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة في قوله : ((لأنذركم به ومن بلغ)) أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (بلغوا عن الله ، فمن بلغه آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله) (٣) .

وقال تعالى : ((إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وقرآنٌ مُبِينٌ * لينذرَ من كان حيّاً ويحقَّ القولُ على الكافرين)) (٤) .

قال ابن جرير : " لينذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين " يقول : ان محمدا الا ذكر لكم لينذر منكم أيها الناس من كان حي القلب ، يعقل

---

(١) سورة الأنعام - آية : ١٩ .
(٢) تفسير المنار لمحمد رشيد رضا جـ ٧ ص ٣٤١ .
(٣) انظر : تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٧ ص ١٦٢ ، وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٣٦ .
(٤) سورة يس - آية : ٦٩ - ٧٠ .

ما يقال له ، ويفهم ما يبيّن له ، غير ميت الفؤاد بليد " ، ثم قال : وبنحو الذى قلنا في ذلك قال أهل التأويل (١) .

وقال قتادة : هي القلب هي البصر ، وقال الضحاك : يعني عاقلا (٢) .

وقال تعالى : ((إنما أنذركم بالوحي ولا يسمع الصم الدعاء إذا ما ينذرون)) (٣) .

قال القرطبي : ((قل انما أنذركم بالوحي)) أى أخوفكم وأحذركم بالقرآن .

((ولا يسمع الصم الدعاء)) أى من أعمى الله قلبه وختم على سمعه ، وجعل على بصره غشاوة ، عن فهم الآيات وسماع الحق (٤) .

ووجه الاستدلال بالآيات أن من بلغته الدعوة الى الاسلام فقد بلغه أمر الله وقامت عليه الحجة في أى مكان أو زمان .

وورد بأن الله تعالى سيظهر دينه ويعليه على سائر الأديان ، قال تعالى : ((يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)) (٥) .

قال ابن كثير عند قوله : ((ليظهره على الدين كله)) أى على سائر الأديان (٦) .

---

(١) انظر : تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢٣ ص ٢٧ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٦٠٦ .
(٣) سورة الأنبياء - آية : ٤٥ .
(٤) تفسير القرطبي جـ ١١ ص ٢٩٢ .
(٥) سورة التوبة - آية : ٣٢ - ٣٣ .
(٦) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧٤ .

وثبت في الحديث الصحيح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه قال : (ان الله زوى لي الأرض مشارقها ومغاربها ، وسيبلغ ملك أمتي ما زوى لي منهـا)(١) .

وقال تعالى : ((هُوَ الذى أَرسَلَ رَسولَهُ بالهدى ودين الحقِّ ليظهِرَه على الدينِ كُلِّه وكفى باللّهِ شهيدا))(٢) .

وقال تعالى : ((يريدون ليطفئوا نورَ اللهِ بأفواهِهم واللّـه متم نوره ولو كره الكافرون * هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون))(٣) .

ووجه الاستدلال بالآيات أن الله تعالى أخبر أنه سيظهر دينه ويعلي كلمته على سائر الأديان ، وقد صدق الله بما وعد فظهر دينه على أديان أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، وأبان اختلافهم ومعايبهم ، وظهر على عبّاد الأصنام والأوثان ، وظهر على المجوس ، وسائر الأديان . ((إنَّ الدّين عِندَ اللّهِ الاسلام))(٤) ، ((وَمَن يبتغِ غيرَ الإسلامِ دينًا فلن يقبَلَ منه وهو في الآخرةِ من الخاسرين))(٥) .

وورد أن محمدا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - رسول الى الناس جميعا ، قال تعالى : ((قُل يا أيُّها النّاس إنّي رسولُ اللّهِ اليكم جميعـا))(٦) .

---

(١) صحيح مسلم ، كتاب الفتن وأشراط الساعة جـ ٤ ص ٢٢١٥ حديث رقم (١٩) .
(٢) سورة الفتح - آية : ٢٨ .
(٣) سورة الصف - آية : ٨ - ٩ . (٤) سورة آل عمران - آية : ١٩ .
(٥) سورة آل عمران - آية : ٨٥ . (٦) سورة الأعراف - آية : ١٥٨ .

قال ابن جرير : " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم : قل يا محمد للناس كلهم اني رسول الله اليكم جميعا لا الى بعضكم دون بعض ، كما كان من قبلي من الرسل مرسلا الى بعض الناس دون بعض ، فمن كان منهم أرسل كذلك ، فان رسالتي ليست الى بعضكم دون بعض ، ولكنها الى جميعكم " (١) .

وقال تعالى : ((يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم وأنزلنا اليكم نورا مبينا)) (٢) .

وقال جل شأنه : ((قل يا أيها الناس قد جاءكم الحق من ربكم فمن اهتدى فانما يهتدى لنفسه ومن ضل فانما يضل عليها وما أنا عليكم بوكيل)) (٣) .

وقال سبحانه : ((الر كتاب أنزلناه اليك لتخرج الناس من الظلمات الى النور باذن ربهم الى صراط العزيز الحميد)) (٤) .

وقال تعالى : ((هذا بلاغ للناس ولينذروا به وليعلموا أنما هو الله واحد وليذكر أولوا الألباب)) (٥) .

وقال أيضا : ((قل يا أيها الناس انما أنا لكم نذير مبين)) (٦) .

ووجه الاستدلال بالآيات أن لفظ (الناس) اسم جمع معرف بـ " أل "

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٩ ص ٨٦ .
(٢) سورة النساء - آية : ١٧٤ .
(٣) سورة يونس - آية : ١٠٨ .
(٤) سورة ابراهيم - آية : ١ .
(٥) سورة ابراهيم - آية : ٥٢ .
(٦) سورة الحج - آية : ٤٩ .

وهو من صيغ العموم ، وكذلك لفظ (جميعا) في آية الأعراف المتقدمة هي من صيغ العموم أيضا . فالخطاب موجه من الله تعالى بكل صراحة ووضوح الى نبيه محمد - صلى الله عليه وسلم - باعلان الدعوة الاسلامية الى جميع الناس وكافة الشعوب ، لا فرق في ذلك بين عربي وعجمي ، ولا بين يهودي ونصراني ، ولا بين أحمر وأسمر الا بالتقوى ، كما قال تعالى : ((يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ان أكرمكم عند الله أتقاكم)) (١) .

يقول سيد قطب عند قوله تعالى : ((قل يا أيها الناس اني رسول الله اليكم جميعا)) : " وهذه الآية التي يؤمر فيها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يواجه برسالته الناس جميعا ، هي آية مكية في سورة مكية .... وهي تجبه (٢) المزورين من أهل الكتاب ، الذين يزعمون أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - لم يكن يدور في خلده وهو في مكة أن يمد بصره برسالته الى غير أهلها ، وأنه انما بدأ يفكر في أن يتجاوز بها قريشا ، ثم يجاوز بها العرب الى دعوة أهل الكتاب ، ثم يجاوز بها الجزيرة العربية الى ما وراءها .. كل أولئك بعد أن أغراه النجاح الذي ساقته اليه الظروف !

وان هي الا فرية من ذيول الحرب التي شنوها قديما على هذا الدين وأهله وما يزالون ماضين فيها " (٣) .

---

(١) سورة الحجرات آية : ١٣ .

(٢) قال في النهاية : أصل التجبية أن يحمل اثنان على دابة ويجعل قفا أحدهما الى قفا الآخر ، والتجبية أيضا : أن ينكس رأس المحمول على الدابة فسمي ذلك الفعل تجبيها ، ويحتمل أن يكون من الجبه وهو الاستقبال بالمكروه ، وأصله من اصابة الجبهة ، يقال : جبهته اذا أصبت جبهته . النهاية لابن الأثير جـ ١ ص ٢٣٧ ، وانظر : القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢٨٣ ، ومختار الصحاح ص ٩٢ .

(٣) في ظلال القرآن جـ ٣ ص ٦٥٠ .

وورد أن الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ رسول الى الناس كافة : فقال تعالى : ((وَمَا أرسَلنَاكَ إلاَّ كافَّةً للنَّاسِ بشيراً ونذيراً ولكنَّ أكثرَ النَّاسِ لا يعلمون)) (١) .

فلفظ (كافة) اسم فاعل بمعنى عامة ، وجميع .

قال الزمخشري : " أى الا رسالة عامة لهم محيطة بهم ، لأنها اذا شملتهم ، فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم " (٢) .

وفي الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (بعثت الى الأسود والأحمر) (٣) ، قال ابن كثير : قال مجاهد : يعني الجن والانس وقال غيره : يعني العرب والعجم ، والكل صحيح " (٤) .

ووجه الاستدلال أن رسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم انما هي لكافة الناس لا الى بعضهم دون بعض .

وقد أخذ الله الميثاق على النبيين للايمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال تعالى : ((وإذ أخذ اللهُ ميثاقَ النَّبيين لَما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسولٌ مصدق لما معكم لتؤمنُنَّ به ولتنصرنه قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين)) (٥) .

---

(١) سورة سبأ ـ آية : ٢٨ .
(٢) الكشاف للزمخشري جـ ٣ ص ٢٩٠ .
(٣) رواه مسلم في صحيحه جـ ١ ص ٣٧٠ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، حديث رقم (٣) .
(٤) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥٦٢ .
(٥) سورة آل عمران ـ آية : ٨١ .

قال ابن جرير : " أخذ الله ميثاق النبيين أجمعين أن يؤمنوا بمحمد - عليه السلام - وينصروه ان أدركوه ، وأمرهم أن يأخذوا بذلك الميثاق على أممهم " .(١)

وقال علي ، وابن عباس - رضي الله عنهم - : ما بعث الله نبيا من الأنبياء الا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن به ولينصرنه " .(٢)

ووجه الاستدلال بالآية أن الله عز وجل قد أخذ الميثاق على جميع الأنبياء من آدم الى عيسى - عليهما السلام - لمهما أعطى أحدهم من كتاب وحكمة ثم جاء رسول من بعده مصدق لما معهم ليؤمنن به ولينصرنه ومحمد - صلى الله عليه وسلم - جاء مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه كما قال تعالى : ((وأنزلنا إليك الكتابَ بالحقِّ مصدّقاً لما بينَ يديه من الكتابِ ومهيمناً عليه))(٣) .

وصفاته لا تزال موجودة في كتب اليهود والنصارى - على رغم ما دخلها من التحريف والتبديل - كما قال تعالى : ((... الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل))(٤) على ما سيأتي بيانه في الفصل الثاني - ان شاء الله تعالى - .

---

(١) تفسير ابن جرير الطبرى ج ٤ ص ١٢٥ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير ج ١ ص ٣٩٣ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٤٨ .
(٤) سورة الأعراف - آية : ١٥٧ .

واذا كان الله عز وجل قد أخذ الميثاق على الأنبياء السابقين بالايمان بمحمد - صلى الله عليه وسلم - واتباعه اذا أدركوه وهم أحياء فأممهم أولى بالاتباع وأجدر بقبول الاسلام .

وجاء بأن محمدا - صلى الله عليه وسلم - رسول الله وخاتم النبيين قال تعالى : ((مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِن رِجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا)) (١) .

قال ابن كثير : " فهذه الآية نص في أنه لا نبي بعده ، واذا كان لا نبي بعده فلا رسول بعده بالطريق الأولى والأحرى ، لأن مقام الرسالة أخص من مقام النبوة ، فان كل رسول نبي ولا ينعكس " (٢) .

وقال الزمخشري : " فان قلت : كيف كان آخر الأنبياء وعيسى ينزل في آخر الزمان ؟ قلت : معنى كونه آخر الأنبياء أنه لا ينبأ أحد بعده وعيسى ممن نبيء قبله ، وحين ينزل عاملا على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم " (٣) .

ووجه الاستدلال بالآية الكريمة أن خاتم النبيين لابد أن تكون شريعته خاتمة للشرائع التي قبلها وناسخة لها ومهيمنة عليها .

وقد كان الرسول يرسل الى قوم خاصة ، أو الى سكان بقعة بعينها ، أو الى أهل جنس من الناس ، وأما محمد صلى الله عليه وسلم فقد أرسل الى الناس كافة ، كما جاء في الآية السابقة : ((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)) (٤) .

---

(١) سورة الأحزاب - آية : ٤٠ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٥١٣ - ٥١٤ .
(٣) الكشاف جـ ٣ ص ٢٦٥ .
(٤) سورة سبأ - آية : ٢٨ .

وقد كمل الله تعالى بدعوته سائر الدعوات بما لا يدع فيها شيئا من نقص أو قصور في كل ما يتصل بحاجة الانسان في دنياه أو آخرته ، كما قال تعالى : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام دينا)) (١) .

قال الدكتور علي عبد الحليم محمود : " ومن الثابت قطعا أن واحدا من الأنبياء لم يدع أنه أرسل الى الناس كافة ، وما يذكر على لسان بعض النصارى من أن المسيح - عليه السلام - قد ادعى هذه الدعوى فهو مدخول على المسيح ، وكثير من آيات الانجيل تكذبهم وتدمغهم بقول المسيح نفسه : " لم أرسل الا الى خراف بيت اسرائيل الضالة " (٢) فحسب ، وأنه اذا رفع الى ربه وجاء ذلك النبي العام محمد صلى الله عليه وسلم وجب على أتباع عيسى أن يؤمنوا به وأن ينصروه " (٣) .

هذا وفي القرآن الكريم غير ما ذكرنا من الآيات الدالة على عموم رسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنها تتناول سائر الخلق كلفظ الانسان ، وعبد أو عباد ، والانس والجن ، والبشر ، وبني آدم ، والنفس ، والسموات والأرض وما بينهما ، والأولين والآخرين ، وأمة وأمم ، وأهل القرى ، والذى والذين ، ما لا يحصى الا بكلفة ومشقة (٤) .

---

(١) سورة المائدة - آية : ٣ . وانظر : عالمية الدعوة الاسلامية للدكتور علي عبد الحليم محمود جـ ١ ص ٤٥٦ بتصرف .
(٢) انظر : انجيل متى - الاصحاح الخامس عشر ، فقرة ٢٤ .
(٣) عالمية الدعوة الاسلامية جـ ١ ص ٤٥٧ بتصرف .
(٤) انظر تفصيل ذلك في عالمية الدعوة الاسلامية جـ ١ ص ١٦٥ وما بعدها

المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية على عموم رسالة الاسلام :

١ - روى البخارى ومسلم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : (أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي : نصرت بالرعب مسيرة شهر ، وجعلت لي الأرض مسجدا وطهورا ، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل ، وأحلت لي المغانم ولم تحل لأحد من قبلي ، وأعطيت الشفاعة ، وكان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة)(١) .

٢ - وروى البخارى بسنده قال : سمعت أبا الدرداء رضي الله عنه يقول : (كانت بين أبي بكر وعمر محاورة فأغضب أبو بكر عمر فانصرف عنه عمر مغضبا ، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه فأقبل أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو الدرداء : ونحن عنده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أما صاحبكم هذا فقد غامر ، قال : وندم عمر على ما كان منه فأقبل حتى سلم وجلس الى النبي صلى الله عليه وسلم وقص على رسول الله صلى الله عليه وسلم الخبر ، قال أبو الدرداء : وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم وجعل أبو بكر يقول : والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه

---

(١) صحيح البخارى جـ ١ ص ٨٦ كتاب التيمم . باب (١) .
وصحيح مسلم جـ ١ ص ٣٧٠ - ٣٧١ كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث رقم (٣) .

وسلم : هل أنتم تاركوا لي صاحبي، اني قلت يا أيها الناس انـــي رسول الله اليكم جميعا ، فقلتم : كذبت ، وقال أبو بكر : صدقت)[١] .

٣ - وفي خصوص دعوة اليهود والنصارى روى مسلم في صحيحه عـــن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : (والذى نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهـــودى ولا نصراني ، ثم يموت ولم يؤمن بالذى أرسلت به الا كان من أصحاب النـــار)[٢] .

٤ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (فضلت على الأنبياء بست : أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض طهورا ومسجدا ، وأرسلت الى الخلق كافـة ، وختم بي النبيون)[٣] .

٥ - وفي مسند الامام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قـــال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (... بعثت الى كل أحمـــر وأسود فليس من أحمر ولا أسود يدخل في أمتي الاّ كان منهم ...)[٤] .

---

(١) صحيح البخارى جـ ٥ ص ١٩٧ كتاب التفسير ، تفسير ســـورة الأعـــراف .

(٢) صحيح مسلم جـ ١ ص ١٣٤ ، كتاب الايمان ، باب وجوب الايمـــان برسالة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم الى جميع الناس ونسخ الملل بملته ، حديث رقم (٢٤٠) .

(٣) صحيح مســـلم جـ ١ ص ٣٧١ ، كتاب المساجد ومواضع الصـــلاة حديث رقم (٥) .

(٤) المسنـــد جـ ١ ص ٢٥٠ .

٦ - وعن أبي هريرة رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

(ان مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتا فأحسنه وأجمله ، الا موضع لبنة من زاوية ، فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ، فأنا اللبنة ، وأنا خاتم النبيين) (١) .

فهذه الأحاديث الصحيحة الصريحة تؤكد ما جاء في القرآن الكريم من عموم رسالة الاسلام ، وأنها شاملة لكافة الناس في كل زمان ومكان ، لا فرق في ذلك بين عربي وعجمي ، يهودي أو نصراني ، أحمر أو أسود ، وأن محمدا صلى الله عليه وسلم خاتم الأنبياء والمرسلين .

* * * * * *

---

(١) صحيح البخاري جـ ٤ ص ١٦٢ - ١٦٣ كتاب الأنبياء ، باب خاتم النبيين .
ومسلم جـ ٤ ص ١٧٩٠ كتاب الفضائل ، باب ذكر كونه صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، الحديث رقم (٢٠) و (٢١) و (٢٢) و (٢٣) بألفاظ متقاربة .

المبحث الثالث : مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم تدل على عموم رسالة الاسلام :

وتطبيقا لعالمية الدعوة الاسلامية وشمولها ، وأنها عامة غير خاصة ، فقد بعث النبي صلى الله عليه وسلم - بعد منصرفه من الحديبية الى ملوك وأمراء العالم - في ذلك الزمان - يدعوهم وشعوبهم الى الاسلام ، ويحمّلهم اثم أتباعهم اذا لم يبلغوهم ذلك .

فبعث دحية الكلبي الى هرقل امبراطور الروم ، وعبد الله بن حذافة السهمي الى كسرى فارس ، وعمرو بن أمية الضمرى الى النجاشي ملك الحبشة ، وحاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس عامل هرقل على مصر ، وعمرو بن العاص السهمي الى جيفر وعياد ابني الجلندى الأزديين ملكي عمان ، وسليط بن عمرو الى ثمامة بن آثال ، وهوذة بن علي ملكي اليمامة ، والعلاء بن الحضرمي الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين ، وشجاع بن وهب الأسدى الى الحارث بن أبي شمر الغساني ملك تخوم الشام ، والمهاجر بن أبي أمية المخزومي الى الحارث بن كلال الحميرى ، ملك اليمن (١) .

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٦٠٧ ، والأموال لأبي عبيد ص ٢٨ وما بعدها ، وتاريخ الطبرى جـ ٢ ص ٦٤٤ وما بعدها ، ودلائل النبوة للبيهقي جـ ٢ ص ١٣ وما بعدها (مخطوطة بالجامعة الاسلامية تحت رقم ٢٥٩٣) ، وزاد المعاد لابن القيم جـ ١ ص ٤٥ - ٤٦ ، والسيرة النبوية لابن كثير جـ ٣ ص ٤٩٤ وما بعدها ، وفتح الباري لابن حجر العسقلاني جـ ٨ ص ١٢٨ .

وكان نص كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - الى هرقل : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد بن عبد الله ورسوله ، الى هرقل عظيم الروم . سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فاني أدعوك بدعاية[1] الاسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ، فان توليت فان عليك اثم الاريسيين[2] " ويا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون "[3]) .

ونص الكتاب الى كسرى : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، الى كسرى عظيم فارس . سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك له وأن محمدا عبده ورسوله ، وأدعوك بدعاء الله فاني أنا رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان

---

(١) أى بالكلمة الداعية الى الاسلام ، وهي شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا رسول الله . فتح الباري جـ ١ ص ٣٨ .

(٢) الاريسيين : جمع أريس وهو منسوب الى أريس بوزن فعيل ، وهو الأكار أى الفلاح . قال الخطابي : أراد أن عليك اثم الضعفاء والأتباع اذا لم يسلموا تقليدا له لأن الأصاغر أتباع الأكابر . قال ابن حجر : وفي الكلام حذف دل المعنى عليه وهو : فان عليك مع اثمك اثم الاريسيين ، لأنه اذا كان عليه اثم الأتباع بسبب أنهم اتبعوه على استمرار الكفر ، فلأن يكون عليه اثم نفسه أولى .
فتح الباري جـ ١ ص ٣٩ .

(٣) صحيح البخاري جـ ١ ص ٦ ، كتاب بدء الوحي باب "١ "كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم. وسلم جـ ٣ ص ١٣٩٣ وما بعدها ، كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل ، حديث رقم (٧٤) .

حيا ويحق القول على الكافرين ، فان تسلم تسلم ، وان أبيت فان اثم المجوس عليـــك)[١] .

ونص الكتاب الى المقوقس : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله الى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فاني أدعوك بدعاية الاسلام ، فأسلم تسلم ، وأسلم يؤتيك الله أجرك مرتـــين فان توليت فعليك اثم القبط ((قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله ، فان تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون))[٢] .

ونص الكتاب الى النجاشي : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، الى النجاشي الأصحم ملك الحبشة . سلام أنت ، فاني أحمد اليك الله الملك المؤمن المهيمن ، وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته ألقاها الى مريم البتول الطيبة الحصينة ، فحملت بعيسى ، فخلقه الله من روحه ونفخه كما خلق آدم ونفخه ، واني أدعوك الى الله وحده لا شريك لـــه والموالاة على طاعته ، وأن تتبعني وتؤمن بالذي جاءني فاني رسول اللـــه ، وقد بعثت اليك ابن عمي جعفرا ونفرا معه من المسلمين . فاذا جاءك فأقرهم

---

(١) رواه ابن جرير الطبري في تاريخه جـ ٢ ص ٦٥٤ - ٦٥٥ ، وأبو عبيد في الأموال ص ٣٢ ، وانظر : مجموعة الوثائق السياسية للدكتـــور محمد حميد الله ص ١١٠ ، دار الارشاد ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ قال الألباني : حديث حسن . انظر تخريجه على فقه السيرة للغزالي ص ٣٨٨ .

(٢) انظر : دلائل النبوة للبيهقي جـ ٢ ص ١٨ لوحة " أ " (مخطوطة) رقم (٢٥٩٣) بالجامعة الاسلامية ، وزاد المعاد لابن القـــيم جـ ٣ ص ٧٢ ، والبداية والنهاية جـ ٤ ص ٢٦٩ ، ومجموعة الوثائـــق السياسية لمحمد حميد الله ص ١٠٦ .

ودع التجبر ، فاني أدعوك وجنودك الى الله ، فقد بلغت ونصحت فاقبلـــوا نصحي ، والسلام على من اتبع الهدى)(١) .

وكتب الى أهل اليمن : (من محمد رسول الله ، الى أهل اليمن) ـ برسالة فيها ـ (وأنه من أسلم من يهودي أو نصراني فانه من المؤمنين لـــه ما لهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يفتن عنهـا وعليه الجزيـــة)(٢) .

وكتابه صلى الله عليه وسلم الى المنذر بن ساوى ملك البحريـــن : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، الى المنذر بن ســاوى ، سلام عليك ، فاني أحمد الله اليك الذي لا اله غيره ، وأشهد أن لا الـــه الا الله ، وأن محمدا عبده ورسوله ، أما بعد : فاني أذكّرك الله عز وجل ، فانه من ينصح فانما ينصح لنفسه ، وانه من يطع رسلي ويتبع أمرهم فقـــد أطاعني ، ومن نصح لهم فقد نصح لي ، وان رسلي قد أثنوا عليك خـــيرا ، واني قد شفعتك في قومك ، فاترك للمسلمين ما أسلموا عليه ، وعفوت عن أهل الذنوب ، فاقبل منهم ، وانك مهما تصلح فلن نعزلك عن عملك ، ومن أقـــام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية)(٣) .

---

(١) تاريخ الطبري جـ ٢ ص ٦٥٢ ، ومجموعة الوثائق السياسية للدكتـــور محمد حميد الله ص ٧٥ ، وهناك نصوص أخرى لمكاتبات الرســـول صلى الله عليه وسلم الى النجاشي ، انظر الوثائق السياســـية ص ٧٦ ، وص ٧٧ .

(٢) الأموال لأبي عبيـــد ص ٢٩ .

(٣) مجموعة الوثائق السياسية ص ١١٤ .

وكتابه صلى الله عليه وسلم الى ابني الجلنـــدى ملكي عمـــــان :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، الى جيفر وعبـــــد ابني الجلندى : السلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فاني أدعوكمـــا بدعاية الاسلام ، أسلما تسلما ، فاني رسول الله الى الناس كافة ، لأنـــذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين ، وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكمـــا وان أبيتما أن تقرا بالاسلام ، فان ملككما زائل ، وخيلي تحل بساحتكمـــا ، وتظهر نبوتي على ملككما ، وكتـــب أبي بن كعب) .(١)

وكتابه الى هوذة بن علي شيخ اليمامة : (بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله ، الى هوذة بن علي : سلام على من اتبع الهـــدى . واعلم أنّ ديني سيظهر الى منتهى الخف والحافر ، فأسلم تسلم ، وأجعـــل لك ما تحت يديك) .(٢)

وكتابه الى الحارث بن شمـــر الغساني : (بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله ، الى الحارث بن أبي شمر ، سلام على من اتبع الهدى وآمن بالله وصدق ، فاني أدعوك الى أن تؤمن بالله وحده لا شريك له ، يبقى لك ملكـك) .(٣)

وقد روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه (أن نبي الله كتـب الى كسرى ، وقيصر ، والى النجاشي ، والى كل جبار ، يدعوهم الى اللـــه

---

(١) مجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ١٢٨ .
(٢) المرجـع السـابق ص ١٢٣ .
(٣) المرجـع السـابق ص ٩٧ .

تعالى ، وليس بالنبأ الذي الذي صلى عليه النبي صلى الله عليه وسلم)[1] .

ان هذه الكتب التي بعث بها النبي - صلى الله عليه وسلم - الى ملوك وأمراء ذلك الزمان لتقرر وتؤكد ما جاء في القرآن الكريم من أن الرسول صلى الله عليه وسلم مبعوث الى جميع الثقلين - الانس والجن - لا فرق بين عربي وعجمي ، ولا أبيض وأسود ، ولا أمي أو كتابي ، الا بالتقوى ، وتنفيذا لأمر الله تعالى له بابلاغ دعوة الله تعالى الى الناس ، وانه رسول الى الناس جميعا ، فانه صلى الله عليه وسلم رغم الجهود الضخمة التي بذلها في ابلاغ الناس دعوة الاسلام وشرح أحكامه وشرائعه في أنحاء الجزيرة العربية ، فقد شرع في مخاطبة ملوك الفرس والروم والحبشة ومصر وعمان والبحرين واليمن وغيرهم ممّن كانوا في زمنه صلى الله عليه وسلم .

يتحدث الأستاذ سعيد حوى بعد أن ساق عدة نماذج عن الطرق التي سلكها الرسول صلى الله عليه وسلم لايصال الدعوة الى الناس فيقول :

" هذه نماذج من عملية التبليغ عند رسول الله تعطيك صورة مبسطة عن قيامه عليه السلام بتبليغ أمر الله ودينه وشرعه ، واستيفاء هذا الموضوع حقه يحتاج الى مجلد ضخم على الأقل ، اذ أن رسول الله خلال ثلاثة وعشرين عاما بعد النبوة ، لم يهدأ ولم يستريح ولم يفوت فرصة يستطيع بها أن يبلغ رسالة الله الا وبلغ ، بالاتصال الشخصي والعرض الجماعي ، وفي السفر والحضر ، وبنفسه

---

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٣٩٧ كتاب الجهاد ، باب كتب النبي صلى الله عليه وسلم الى ملوك الكفار يدعوهم الى الله عز وجل ، حديث رقم (٧٥) .

وأتباعه بالمشافهة والخطاب ، ثم عمم الأمر على أمته جميعا بأن عليهم واجب البلاغ عنه ، حتى لا يبقى انسان من البشر الاّ وقد بلغته دعوته ، وانظر الى نتائج هذا كله تجد أنه عليه السلام لم يمت الاّ والجزيرة العربية كلها مستجيبة لأمر الله ، وأكبر الدول المجاورة للجزيرة قد بلغتها الدعوة ، ولم يمض عصر الخلفاء الراشدين الاّ وكان العالم المعروف وقتذاك قد بلغته الدعوة ، فمن مستجيب ومن معرض قامت عليه الحجة فأصر على الكفر عنادا ، وما من انسان يستطيع أن يتصور مثل هذا الحماس للتبليغ المنقطع النظير يمكن أن يكون الا وليد اقتناع كامل بصدق الدعوة ، وما كان الداعية ليعطي هذا الحماس لأتباعه ، لو لم يكن هو في أعلى حالات الصدق والقيام بالواجب والشعور بالمسئولية أمام الله ان قصر فيه " (١) .

اجماع المسلمين على عموم رسالة الاسلام :

هذا وقد أجمع الصحابة وأئمة المسلمين عامة أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد بعث الى كافة الثقلين ـ الانس والجن ـ أهل الكتاب وغيرهم ، وأن من لم يؤمن به فهو كافر (٢) .

* * * * * *

---

(١) الرسول صلى الله عليه وسلم جـ ١ ص ١١٥ .

(٢) انظر : الخصائص الكبرى للحافظ جلال الدين السيوطي جـ ٣ ص ١٣٧ مطبعة المدني ، تحقيق الدكتور محمد خليل هراس ، دار الكتب الحديثة .

والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح لابن تيمية جـ ١ ص ١٢٦ .

المبحث الرابع : الجهاد في سبيل الله يدل على عموم رسالة الاسلام :

الجهاد لغة : مصدر جاهد ، وهو مشتق من الجهد وهو المشقة ، يقال أجهد دابته اذا حمل عليها في السير فوق طاقتها ، وقيل : هو المبالغة واستفراغ ما في الوسع في مدافعة العدو .(١)

والجهاد شرعا : يطلق على بذل الجهد في ارشاد الكفار الى الحق بالقول أو الفعل ، وفي حمل النفس على التزام أحكام الدين ونشرها والدعوة اليها ، يوضح هذا قول الله تبارك وتعالى : ((والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وان الله لمع المحسنين)) .(٢)

فقد أطلق جل شأنه الجهاد في هذه الآية ولم يقيده بأكثر من أنه في جانب الله ليعم كل ما يجب جهاده من النفس والشيطان والكفار ، الا أن الفقهاء قد خصوا الجهاد ببذل الجهد في قتال الأعداء .(٣)

وقد جاء تقرير شريعة الحرب والقتال في الديانة اليهودية في أبشع صور التخريب والتدمير والاهلاك .

جاء في الاصحاح الثالث عشر من سفر التثنية :

(فضربا تضرب سكان تلك المدينة بحد السيف ، وتحرمها بكل

---

(١) انظر : النهاية في غريب الحديث والأثر ج ١ ص ٣١٩ - ٣٢٠ ، والمفردات في غريب القرآن للأصفهاني ص ١٠١ .

(٢) سورة العنكبوت - آية : ٦٩ .

(٣) انظر : الجهاد في التشريع الاسلامي للدكتور محمود احمد علي ص ١٩ - ٢٠ .

ما فيها مع بهائمها بحد السيف ، تجمع كل أمتعتها الى وسط ساحتهـــا وتحرق بالنار المدينة وكل أمتعتها كاملة للرب الهك فتكون تلاً الى الأبـــد لا تبنى بعـد)[١] .

وجاء في الاصحاح العشرين من نفس السفر ما نصه :

(حين تقرب من مدينة لكي تحاربها استدعها الى الصلح ، فـــان أجابتك الى الصلح وفتحت لك فكل الشعب الموجود فيها يكون لك للتسخـير ويستعبد لك ، وان لم تسالمك بل عملت معك حربا فحاصرها ، واذا دفعهـا الرب الهك الى يدك فاضرب جميع ذكورها بحد السيف ، وأما النساء والأطفال والبهائم وكل ما في المدينة كل غنيمتها لنفسك وتأكل غنيمة أعدائك الـــتي أعطاك الرب الهك ، هكذا تفعل بجميع المدن البعيدة منك جدا ، الـــتي ليست من مدن هؤلاء الأمم هنا ، وأما مدن هؤلاء الشعوب التي يعطيـــك الرب الهك نصيبا فلا تستبق منها نسمة ما ، بل تحرمها تحريما الحثّيـــين والأموريين ، والكنعانيين ، والفرزّيين ، والحويين ، واليبوسيين ، كما أمرك الرب الهك)[٢] .

وفي الديانة النصرانية جاء في الاصحاح العاشر من انجيل متى :

(لا تظنوا أني جئت لألقي سلاما بل سيفا ، فاني جئت لأفرق الانسان ضـد أبيه ، والابنة ضد أمها ، والكنّة[٣] ضد حماتها ، وأعداء الانسان أهل بيته ،

---

(١) سفر التثنية ـ الاصحاح الثالث عشر ، فقرة (١٦ - ١٧) .
(٢) سفر التثنية ـ الاصحاح العشـــرون ، فقرة (١٠ - ١٨) .
(٣) الكنة ـ بالفتح ـ امرأة الابن أو الأخ ، وتجمع على كنائـــن .
انظر : القاموس المحيط جـ ٤ ص ٢٦٤ ، والنهاية جـ ٤ ص ٢٠٦ .

من أحب أبا أو أما أكثر مني فلا يستحقني ، ومن أحب ابنا أو ابنة أكثر منـــي فلا يستحقني ، ومن لا يأخذ صليبه ويتبعني فلا يستحقني ، ومن وجد حياته يضيعها ، ومن أضاع حياته من أجلي يجدها)[١] .

وجاء في الاصحاح الثاني عشر من انجيل لوقـــا :

(جئت لألقي نارا على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ولي صبغة أصطبغها وكيف أنحصر حتى تكمل ، أتظنون أني جئت لأعطي سلاما على الأرض ، كـــلا أقول لكم ، بل انقساما)[٢] .

أما الجهاد في الاسلام فقد جاء ليحقق أهدافا عالية ، ومبادئ سامية . . كما قال ربعي بن عامر لرستم ـ قائد جيش الفرس ـ حيث قال له هذا : ما جاء بكـــم ؟ فقال ربعي : (ان الله ابتعثنا ، والله جاء بنا لنخـــرج من شاء من عبادة العباد الى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا الى سعتهـــا ، ومن جور الأديان الى عدل الاسلام ، فأرسلنا بدينه الى خلقه لندعوهم اليه ، فمن قبل ذلك منا قبلنا ذلك منه ، ورجعنا عنه ، وتركناه وأرضه يليها دوننا ، ومن أبى قاتلناه أبدا حتى نفضي الى موعد الله . قال رستم : وما موعود الله ؟ أجاب ربعي : " الجنة لمن مات على قتال من أبى ، والظفر لمن بقي "[٣] .

والجهاد ـ في الاسلام ـ فرض كفاية اذا قام به قوم سقط عن الباقين[٤] .

---

(١) انجيل متى ـ الاصحاح العاشر ـ فقرة (٣٥ ـ ٤٠) .
(٢) انجيل لوقـا ـ الاصحاح الثاني عشر ـ فقرة (٥١-٥٢) .
(٣) تاريخ الطبري جـ ٣ ص ٥٢٠ حوادث السنة الرابعة عشرة ، وانظر : البداية والنهاية جـ ٧ ص ٣٩ .
(٤) المغني لابن قدامة جـ ٨ ص ٣٤٥ .

وأمره موكول الى الامام واجتهاده ، ويلزم الرعية طاعته فيما يراه من ذلك (١) .

مراحل تشريعـــــه :

أرسل الله رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى الناس جميعا وأمره أن يدعو الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ، والحجة والبرهان ، وكان يتلقى - بتوجيه من الله تعالى - مناوأة أعدائه بالصبر والعفو والصفح الجميل ... كما قال تعالى : ((واصبر لحكم ربك فانك بأعيننا)) (٢)

وقوله : ((فاصفح عنهم وقل سلام فسوف يعلمون)) (٣) .

وقوله : ((فاصفح الصفح الجميل)) (٤) .

وقوله : ((قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون أيام الله)) (٥) .

ولما اشتد الأذى والاضطهاد بالمسلمين ، حاول المشركون بكل ما أوتوا من قوة وطاقة أن يقضوا على الاسلام في مهده ، بل وصل بهم الأمر الى تدبير مؤامرة لاغتيال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقد اضطر المسلمون الى الهجرة من مكة الى المدينة فرارا بدينهم وعقيدتهم ، بعد ذلك أذن الله للمسلمين في القتال من أجل اعلاء كلمة الله تعالى ورفع راية الحق عالية ، ومطاردة الباطل وأهله .

---

(١) المغني لابن قدامة جـ ٨ ص ٣٥٢ .

(٢) سورة الطور - آية : ٤٨ .

(٣) سورة الزخرف - آية : ٨٩ .

(٤) سورة الحجر - آية : ٨٥ .

(٥) سورة الجاثية - آية : ١٤ .

فقال تعالى : ((أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وان الله على نصرهم لقدير * الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق الا أن يقولوا ربنا الله ، ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيرا ، ولينصرن الله من ينصره ان الله لقوى عزيز)) (١) .

ثم كانت مرحلة ثالثة وهي ايجاب القتال على من قاتل المسلمين دون من كف عنهم . . . وفي هذه المرحلة لم يعهد أن أحدا من المسلمين قاتل عدو وهو لم يقاتله (٢) ، قال تعالى : ((وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا ان الله لا يحب المعتدين)) (٣) .

ثم أوجب الله القتال بقوله تعالى : ((كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وأنتم لا تعلمون)) (٤) .

وأكد الايجاب ، وعظم أمر الجهاد ، في عامة السور المدنية ، وذم التاركين له ، ووصفهم بالنفاق ومرض القلوب ، فقال تعالى : ((قل ان كان آباؤكم وأبناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب اليكم من الله ورسوله

---

(١) سورة الحج - آية : ٣٩ - ٤٠ .
(٢) انظر : الجهاد في الاسلام للشيخ صالح اللحيدان ص ٤٨ منشورات دار اللواء للنشر والتوزيع / الرياض .
(٣) سورة البقرة - آية : ١٩٠ .
(٤) سورة البقرة - آية : ٢١٦ .

وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين)) (١) .

وقال تعالى : ((انما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ، ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله ، أولئك هم الصادقون)) (٢) .

وقال تعالى : ((فاذا أنزلت سورة محكمة ، وذكر فيها القتال ، رأيت الذين في قلوبهم مرض ينظرون اليك نظر المغشي عليه من الموت ، فأولى لهم * طاعة وقول معروف ، فاذا عزم الأمر فلو صدقوا الله لكان خيرا لهم * فهل عسيتم إن توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم)) (٣) .

فهذا كثير في القرآن (٤) .

---

(١) سورة التوبة - آية : ٢٤ .

(٢) سورة الحجرات - آية : ١٥ .

(٣) سورة محمد - آية : ٢٠ - ٢٢ .

(٤) انظر : مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية جـ ٢٨ ص ٣٥٠ .

خوض المعارك من أجل ابلاغ الدعوة وردّ العدوان :

ومن أجل ابلاغ الدعوة ورد العدوان ، خاض المسلمون عدة معارك حاسمة مع المشركين تارة ، ومع اليهود تارة ، ومع الفرس والروم تارة أخرى .

١ - مع المشركين :

فمع المشركين كان هناك عدة غزوات من أهمها : غزوة بدر الكبرى في السنة الثانية من الهجرة ، وغزوة أحد في السنة الثالثة ، وغزوة الخندق أو الأحزاب في السنة الخامسة ، حيث تكالب فيها أعداء الله على الاسلام والمسلمين في عقر دارهم ، اذ استطاع اليهود تأليب القبائل العربية على غزو الرسول صلى الله عليه وسلم في المدينة .

وقد ابتلي فيها المسلمون ابتلاء عظيما ، قال تعالى : ((اذ جاءوكم من فوقكم ومن أسفل منكم وإذ زاغت الأبصار وبلغت القلوب الحناجر وتظنون بالله الظنونا * هنالك ابتلي المؤمنون وزلزلوا زلزالا شديدا))(١)

ولكن الله تعالى رد كيد الكفار في نحورهم ، قال تعالى : ((ورد الله الذين كفروا بغيظهم لم ينالوا خيرا ، وكفى الله المؤمنين القتال ، وكان الله قويا عزيزا))(٢) .

وفي السنة السادسة كان صلح الحديبية ، وسمي هذا الصلح فتحا مبينا(٣) ، اذ أنزل الله تعالى فيه : ((انا فتحنا لك فتحا مبينا *

---

(١) سورة الأحزاب - آية : ١٠ - ١١ .
(٢) سورة الأحزاب - آية : ٢٥ .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١٩٥ .

لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا * وَيَنصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا)) (١) .

وكان فتح مكة في السنة الثامنة حيث أخذ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحطم الأصنام وهو يقول : (جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) (٢) ، وصار الناس يدخلون في دين الله أفواجا كما قال الله تعالى : ((إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ * وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا)) (٣) .

٢ - مع اليهود :

ووقعت عدة معارك مع اليهود الدخلاء على أرض الجزيرة العربية لنقضهم للعهود والمواثيق ومناوأتهم للدعوة الاسلامية :

أ - يهود بني قينقاع :

فيهود بني قينقاع نكثوا أيمانهم ونقضوا عهودهم مع رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وبدأوا المسلمين بالعدوان ، ومن ذلك أن امرأة - من نساء الأنصار - قدمت الى سوق اليهود من قينقاع ومعها بعض الحلي أرادت عرضه على صائغ منهم ، فلما جلست الى ذلك الصائغ ، طلب اليهود منها كشف وجهها ، وعندما امتنعت جاء يهودي من خلفها فأثبت طرف ثوبها بشوكة الى ظهرها - دون علمها - فلما قامت انكشفت سوأتها فضحك اليهود ،

---

(١) سورة الفتح - آية : ١ - ٣ .
(٢) سورة الاسراء - آية : ٨١ .
(٣) سورة النصر - آية : ١ - ٢ .

وصاحت المرأة صيحة عظيمة - هي مزيج حزن وخجل واستغاثة - عند ذلك وثب رجل من المسلمين على اليهودي فقتله ، واجتمعت اليهود على المسلم فقتلوه .

قال ابن اسحاق : " وكان من حديث بني قينقاع أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - جمعهم بسوق بني قينقاع ، ثم قال : (يا معشر يهود ، احذروا من الله مثل ما نزل بقريش من النقمة ، وأسلموا ، فانكم قد عرفتم أني نبي مرسل ، تجدون ذلك في كتابكم وعهد الله اليكم ، قالوا : يا محمد ، انك ترى أنّا قومك ! لا يغرنك أنك لقيت قوما لا علم لهم بالحرب ، فأصبت منهم فرصة ، انا والله لئن حاربناك لتعلم أنا نحن الناس) "(١) .

ثم تمادوا في اظهار العداوة للرسول صلى الله عليه وسلم وتحصنوا في حصونهم ، فلم يكن هناك بد من مقابلة الشر بمثله ، والا تعرض المسلمون للانهيار والدمار ، فحاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم مدة خمسة عشر يوما نزلوا بعدها على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانتهى الأمر باخراجهم من المدينة(٢) .

ب - يهود بني النضير :

أما يهود بني النضير فهم الآخرون قد نقضوا عهودهم ومواثيقهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم يعتبروا بما أصاب اخوانهم من يهود

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٤٧ ، ورواه أبو داود جـ ٣ ص ١٥٥ كتاب الخراج والامارة والفيء ، باب كيف كان اخراج اليهود من المدينة .

(٢) السيرة النبوية لابن هشام جـ ٢ ص ٤٨ - ٤٩ .

بني قينقاع ، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم قد ذهب اليهم يستعينهم في دية قتيلين من بني عامر قتلهما عمرو بن أمية الضمرى ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد أعطاهما عهدا بالأمان ولم يعلم عمرو بهذا العهد ، وبينما كان النبي صلى الله عليه وسلم مستندا في محلتهم مع نفر من أصحابه ، هموّا باغتياله بالقاء صخرة عليه .

ولكن الله نجى رسوله من كيدهم فلم يصبه أذى ، فتركهم الرسول صلى الله عليه وسلم ورجع الى المدينة ، واجتمع بأصحابه وأخبرهم بما أرادت اليهود من الغدر به ، وأمر صلى الله عليه وسلم بالتهيؤ لحربهم والسير اليهم ، لأنهم أصبحوا يشكلون خطرا كبيرا على الاسلام ودولته ، وعندما حاصرهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وطلبوا منه أن يجليهم على أن يأخذوا أموالهم الا السلاح ، فأباح لهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك ، فحملوا ما يستطيعون حمله ، حتى انتزع بعضهم الأبواب فحملوها .

وقد نزل في بني النضير سورة الحشر بأكملها ، يذكر فيها ما أصابهم الله به من نقمة وما سلط عليهم به رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما عمل به فيهم ، فقال تعالى : ((هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ ، مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا ، وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ، وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ ، يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الأَبْصَارِ * وَلَوْلا أَن كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلاءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ

شاقّوا اللّه ورسوله ، ومن يشاقّ اللّه فإنّ اللّه شديد العقاب)) الآيات (١) .

جـ - يهود بني قريظة :

وأما يهود بني قريظة فقد أعلنوا - في خسة ونذالة - نقضهم للعهد الذى بينهم وبين الرسول صلى الله عليه وسلم ، وانضموا الى جيوش الأحزاب الغازية ، في الوقت الذى كان المسلمون يعانون شدة الكرب وعظم الامتحان ، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم من غزوة الأحزاب ووضع السلاح جاءه جبريل - عليه السلام - فقال : وضعت السلاح يا رسول الله ؟ قال : نعم . قال جبريل : فان الملائكة لم تضع أسلحتها ، فانهض بمن معك الى بني قريظة فاني سائر أمامك أزلزل بهم حصونهم ، وأقذف الرعب في قلوبهم . فأمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مؤذنه أن يؤذن في الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا في بني قريظة . (٢)

---

(١) سورة الحشر - آية : ٢ - ٤ . وانظر : صحيح البخارى جـ ٥ ص ٢٢ كتاب المغازى ، حديث بني النضير ، وجـ ٦ ص ٥٨ كتاب التفسير ، تفسير سورة الحشر ، وفتح البارى لابن حجر جـ ٧ ص ٣٢٩ ، وسيرة ابن هشام جـ ٢ ص ١٩٠ وما بعدها ، وفتوح البلدان للبلاذرى جـ ١ ص ١٨ وما بعدها ، وتاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٤٩ .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٣٣ ، وأصل الحديث عن بني قريظة في البخارى جـ ٥ ص ٤٩ - ٥٠ كتاب المغازى ، باب ٣٠ مرجع النبي صلى الله عليه وسلم من الأحزاب ومخرجه الى بني قريظة . ومسلم جـ ٣ ص ١٣٨٩ كتاب الجهاد ، باب اخراج اليهود والنصارى من جزيرة العرب ، حديث رقم (٦٥) .

وقد حاصرهم النبي صلى الله عليه وسلم بضعا وعشرين ليلة ، وعرض عليهم سيدهم كعب بن أسد ثلاث خصال : اما الاسلام ، واما قتل ذراريهم ونسائهم ثم القتال حتى يموتوا ، واما تهييت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه ليلة السبت فان المسلمين قد آمنوا منهم ، فأبوا كل ذلك (١) .

ثم نزلوا على حكم الرسول صلى الله عليه وسلم وتحكيم سعد بن معاذ فحكم فيهم رضي الله عنه بقتل الرجال ، وتقسيم الأموال ، وسبي الذراري والنساء (٢) .

د - يهود خيبر :

أما يهود خيبر فقد أخذوا من الحصون المنيعة والقلاع الحربية مركزا للتآمر والعدوان على الاسلام والمسلمين ، حيث أجمعوا أمرهم واستعدوا لمهاجمة المدينة واستئصال المسلمين منها ، وعلم رسول الله صلى الله عليه وسلم بتلك المؤامرة الخطيرة التي تزعمها يهود خيبر وسادات يهود بني النضير المنفيين من المدينة ، وتحالف معها يهود تيماء ، ويهود فدك ، ويهود وادي القرى ، فكان لابدّ للرسول صلى الله عليه وسلم أن يجهز جيشا ويسير اليهم قبل أن يسيروا اليه .

ومع ذلك فقد دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام قبل المعركة على عادة الاسلام عند أول لقاء يحدث في ميدان الحرب بين المسلمين وأهل الكتاب .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٣٥ - ٢٣٦ .
(٢) سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٣٩ - ٢٤٠ ، وفتوح البلدان للبلاذري جـ ١ ص ٢٤ ، وتاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٢ .

فقد روى البخارى عن سهل بن سعد رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يوم خيبر : لأعطين هذه الراية غدا رجلا يفتح الله على يديه ، يحب الله ورسوله ، ويحبه الله ورسوله ، قال : فبات الناس يدوكون ليلتهم أيهم يعطاها ، فلما أصبح الناس غدوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم يرجو أن يعطاها ، فقال : أين علي بن أبي طالب ؟ فقيل : هو يا رسول الله يشتكي عينيه ، قال : فأرسلوا اليه ، فأتي به فبصق رسول الله صلى الله عليه وسلم في عينيه ودعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع ، فأعطاه الراية ، فقال علي : يا رسول الله أقاتلهم حتى يكونوا مثلنا فقال عليه الصلاة والسلام : انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم الى الاسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه ، فوالله لأن يهدى الله بك رجلا واحدا خير لك من حمر النعم (١) ، ولكن اليهود لا يريدون الاسلام ولا السلام !

عند ذلك حاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم في حصنيهم الوطيح والسلالم ، حتى اذا أيقنوا بالهلكة سألوه أن يخرجهم وأن يحقن لهم دماءهم ففعل (٢) .

---

(١) صحيح البخارى جـ ٥ ص ٧٦ - ٧٧ ، كتاب المغازى ، باب ٣٨ غزوة خيبر .

(٢) انظر : تهذيب سيرة ابن هشام لعبد السلام هارون جـ ١ ص ٤٠ ، وفتوح البلدان للبلاذرى جـ ١ ص ٢٥ ، وتاريخ اليعقوبي جـ ٢ ص ٥٦ .

وبذلك تم القضاء على اليهود الدخلاء من أرض الجزيرة العربيـــة لنقضهم للعهود والمواثيق ، ومناوأتهم للدعوة الاسلامية ، وكانوا مصـــدرا للشرور والقلاقل والفتن ، واثارة الحروب الطاحنة بين العرب ، الـــتي دأب اليهود على اثارتها وتغذيـة أسبابها بأساليبهم التقليدية الشريرة .

٣ - مع النصـــارى (الروم) :

أ - غزوة مؤتـــة :

وفي السنة الثامنة من الهجرة بعث الرسول صلى الله عليه وســـلم جيشا الى الشام لدعوة الروم الى الاسلام وقتالهم ان لم يؤمنوا ، وقد استشهد في هذه الغزوة مجموعة من خيرة القواد المسلمين .

قال ابن القيم : وهي بأدنى البلقاء من أرض الشام ، وكانت في جمادى الأولى سنة ثمـــان .

وكان سببها : أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعث الحرث بن عمير الأزدي أحد بني لهب بكتابه الى ملك الروم أو بصـــرى ، فعرض له شرحبيـــل ابن عمرو الغساني فأوثقه رباطا ثم قدمه فضرب عنقه ، ولم يقتل لرسول اللـــه - صلى الله عليه وسلم - رسول غيره ، فاشتد ذلك عليه حين بلغه الخـــبر ، فبعث البعث .(١)

---

(١) زاد المعاد لابن القيم جـ ٢ ص ١٧٣ .

ب ـ غزوة تبوك :

وخرج الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ لمواجهة الروم في غزوة تبوك في شهر رجب من السنة التاسعة ، وكان سببها : أن الرسول صلى الله عليه وسلم بلغه أن الروم قد جمعت جموعا كثيرة بالشام ، وأن هرقل قد رزق أصحابه لسنة ، وأجلبت معه لخم وجذام ، وعاملة ، وغسان ، وقد مدوا مقدماتهم الى البلقا (١) .

وسار صلى الله عليه وسلم حتى قدم تبوك ، فلما قدمها بعث دحية الكلبي الى هرقل ، فلما جاءه كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، دعا قسس الروم وبطارقتها ، ثم أغلق عليه وعليهم الدار فقال : قد نزل هذا الرجل حيث رأيتم ، وقد أرسل اليّ يدعوني الى ثلاث خصال : أأتبعه على دينه ، أو نعطيه ما لنا على أرضنا والأرض أرضنا ، أو نلقى اليه الحرب . والله لقد عرفتم فيما تقرأون من الكتب ليأخذن أرضنا فهلم نتبعه على دينه أو نعطيه ما لنا على أرضنا .

فنخروا نخرة رجل واحد حتى خرجوا من برانسهم وقالوا : تدعونا الى أن نذر النصرانية أو نكون عبيدا لأعرابي جاء من الحجاز . فلما ظن أنهم ان خرجوا من عنده أفسدوا عليه الروم ، قال : انما قلت ذلك لأعلم صلابتكم على أمركم .

وقدم على الرسول صلى الله عليه وسلم وهو بتبوك (يحنة بن رؤبة) صاحب

---

(١) زاد المعاد جـ ٣ ص ٣ .

أيلة ، فصالحه وأعطاه الجزية ، وأتاه أهل (جرباء وأذرح) فأعطوه الجزية . وكتب لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم - فهو عندهم ، وهذا نص كتابه ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة ، سفنهم وسياراتهم في البر والبحر ، لهم ذمة الله وذمة محمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر ، فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه ، وانه طيب لمن أخذه من الناس ، وانه لا يحل أن يمنعوا ما يردونه ولا طريقا يردونه من بر أو بحر) .

وكتب لأهل جرباء وأذرح : (بسم الله الرحمن الرحيم - هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء وأذرح ، أنهم آمنون بأمان الله وأمان محمد ، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب ، ومائة أوقية طيبة ، وأن الله عليهم كفيل بالنصح والاحسان الى المسلمين ، ومن لجأ اليهم من المسلمين) .

ثم بعث الرسول صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد الى " أكيدر دومة الجندل " وهو أكيدر بن عبد الملك ، رجل من بني كندة ، كان ملكا عليها وكان نصرانيا ، فخرج اليه خالد فوجده يصطاد بقر الوحش في الليل هو وأخ له يقال له حسان ، فقتل خالد أخاه وأسره هو ، وقدم به على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقد حقن له دمه وصالحه على أخذ الجزية وخلى سبيله فرجع الى قريته .

قال ابن اسحاق : فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ليلة لم يجاوزها ثم انصرف قافلا الى المدينة .(١)

هذه نبذة عن حروب الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع أهل الكتاب ، وقد سار على هذا النهج الخلفاء الراشدون ومن بعدهم ، وهذا يدل على أن أهل الكتاب - بل الناس جميعا - مطالبون بالاسلام ، كما يدل على أن المسلمين لم يكونوا معتدين في حروبهم ، وانما كانوا يبلغون دعوة الله الى الناس ، لانتشالهم من ظلمات الجهل وعبادة العباد الى عبادة الله وحده ، ويردون الاعتداء عن الاسلام والمسلمين .

ومع ذلك فان الحروب التي حصلت لم تكن مع الشعوب ، وانما كانت مع الحكام وجيوشهم الباغية ، الذين كانوا يسلبون الشعوب المغلوبة حرياتها وثرواتها ، وقد دخلت أكثر هذه الشعوب الاسلام بالدعوة التي ابتدأت بعد انتهاء الحروب ، وقد ضرب المسلمون المثل الرائع في تعاملهم مع أهالي البلاد التي فتحوها بما يحملونه من تعاليم الاسلام السامية .

هذا ومع تطبيق المسلمين لعموم رسالة الاسلام لم يتركوا ساحة الاسلام وعطفه ، اذ لم يجعلوا السيف وحده هو الوسيلة لدخول الناس في هذا الدين ونشره بين الشعوب الوثنية وأهل الكتاب ، بل جعلوه ضمن وسائل الدعوة لنشر الاسلام اذا لم يجدوا عنه مفرا .

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن كثير جـ ٤ ص ٣ - ٣٢ باختصار وتصرف .

فقد ثبت في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما أن معـــاذا رضي الله عنه قال : بعثني رسول الله صلى الله عليه وسلم قـال : (انـــك تأتي قوما من أهل الكتاب ، فادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله ، وأنـــي رسول الله ، فان هم أطاعوك لذلك ، فأعلمهم أن الله افترض عليهم خمـــس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوك لذلك فأعلمهم أن الله افترض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد في فقرائهم ، فان هم أطاعوك لذلك فايـــاك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ، فانه ليس بينها وبين الله حجاب)[١] .

وثبت في الحديث الصحيح أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كـــان اذا أمّر أميرا على جيش أو سرية أوصاه في خاصته بتقوى الله ، وبمن معـــه من المسلمين خيرا ، ثم قال : (اغزوا باسم الله ، في سبيل الله ، قاتـلوا من كفر بالله ، اغزوا ولا تغـــلّوا[٢] ، ولا تغدروا ، ولا تمثلوا ، ولا تقتـــلوا وليدا ، واذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم الى ثلاث خصال (أو خلال) فأيّتهن ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى الاسلام ، فـــان أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، ثم ادعهم الى التحول من دارهم الـــى دار المهاجرين ، وأخبرهم أنهم ، ان فعلوا ذلك ، فلهم ما للمهاجريـــــن وعليهم ما على المهاجرين ، فان أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونـــون

---

(١) صحيح البخاري جـ ٢ ص ١٢٥ كتاب الزكاة ، باب لا تؤخذ كرائـــم أموال الناس في الصدقة . وصحيح مسلم جـ ١ ص ٥٠ كتاب الايمان ، باب الدعاء الى الشهادتين وشرائع الاسلام . حديث رقم (٢٩) .

(٢) الغلول : الخيانة في المغنم والسرقة من الغنيمة قبل القسمة . النهايـــة جـ ٣ ص ٣٨٠ .

كأعراب المسلمين ، يجرى عليهم حكم الله الذى يجرى على المؤمنين ، ولا يكون لهم في الغنيمة شيء ، الا أن يجاهدوا مع المسلمين ، فان هم أبوا فسلهم الجزية ، فان هم أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم ، فان هم أبوا فاستعن الله وقاتلهم ، واذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تجعل لهم ذمة الله وذمة نبيه ، فلا تجعل لهم ذمة الله ولا ذمة نبيه ، ولكن اجعل لهم ذمتك وذمة أصحابك ، فانكم ان تخفروا ذممكم وذمم أصحابكم ، أهون من أن تخفروا ذمة الله وذمة رسوله ، واذا حاصرت أهل حصن ، فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله ، فلا تنزلهم على حكم الله ، ولكن أنزلهم على حكمك ، فانك لا تدرى أتصيب حكم الله فيهم أم لا)[١] .

فمن هذا يتبين أن القتال لم يكن أول ما يبدأ به ، وانما كان المرحلة الأخيرة من مراحل الدعوة .

طبيعة الجهاد في الاسلام :

يقول ابن تيمية رحمه الله مقررا طبيعة الجهاد في الاسلام :

" العقوبات التي جاءت بها الشريعة لمن عصى الله ورسوله نوعان :

أحدهما : عقوبة المقدور عليه .

الثاني : عقاب الطائفة الممتنعة ، كالتي لا يقدر عليها الا بقتال فاصل

---

(١) صحيح مسلم جـ ٣ ص ١٣٥٧ - ١٣٥٨ كتاب الجهاد ، باب تأمير الامام الأمراء على البعوث ، حديث رقم (٣) .

هذا هو جهاد الكفار ، أعداء الله ورسوله ، فكل من بلغته دعوة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، الى دين الله الذى بعثه به فلم يستجب له ، فانه يجب قتاله "(١).

ويقول : " واذا كان أصل القتال المشروع هو الجهاد ، ومقصوده هو أن يكون الدين كله لله ، وأن تكون كلمة الله هي العليا ، فمن امتنع من هذا قوتل باتفاق المسلمين ، وأما من لم يكن من أهل الممانعة والمقاتلة ، كالنساء والصبيان ، والراهب ، والشيخ الكبير ، والأعمى ، والزمن ، ونحوهم ، فلا يقتل عند جمهور العلماء ، الا أن يقاتل بقوله أو فعله ، وان كان بعضهم يرى اباحة قتل الجميع لمجرد الكفر ، الا النساء والصبيان ، لكونهم مالا للمسلمين ، والأول هو الصواب ، لأن القتال هو لمن يقاتلنا ، اذا أردنا اظهار دين الله ، كما قال تعالى : ((وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ)) (٢) .

وذلك أن الله تعالى أباح من قتل النفوس ما يحتاج اليه في صلاح الخلق ، كما قال تعالى : ((وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ (٣))) ، أى أن القتل وان كان فيه شر وفساد ، ففي فتنة الكفار من الشر والفساد ما هو أكبر منه ، فمن لم يمنع المسلمين من اقامة دين الله ، لم تكن مضرة كفره الا على نفسه "(٤).

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٢٨ ص ٣٤٩ .
(٢) سورة البقرة ـ آية : ١٩٠ .
(٣) سورة البقرة ـ آية : ١٩١ .
(٤) مجموع الفتاوى جـ ٢٨ ص ٣٥٤ ـ ٣٥٥ .

ويقول : " فأما أهل الكتاب والمجوس فيقاتلون ، حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون ومن سواهم فقد اختلف الفقهاء في أخذ الجزية منهم الا أن عامتهم لا يأخذونها من العرب ، وأيما طائفة ممتنعة انتسبت الى الاسلام وامتنعت من بعض شرائعه الظاهرة المتواترة فانه يجب جهادها باتفاق المسلمين حتى يكون الدين لله " .(١)

وقد لخص الامام ابن القيم رحمه الله سياق الجهاد في الاسلام في كتابه " زاد المعاد " في الفصل الذى عقده باسم : (فصل في ترتيب سياق هديه مع الكفار والمنافقين من حين بعث الى حين لقي الله عز وجل) فقال : " أول ما أوحي اليه ربه تبارك وتعالى أن يقرأ باسم ربه الذى خلق(٢) ، وذلك أول نبوته ، فأمره أن يقرأ في نفسه ، ولم يأمره اذ ذاك بتبليغ ، ثم أنزل عليه : ((يا أيها المدثر * قم فانذر))(٣) ، فنبأه بقوله : (اقرأ) وأرسله بـ (يا أيها المدثر) ثم أمره أن ينذر عشيرته الأقربين ، ثم أنذر قومه ، ثم أنذر من حولهم من العرب ، ثم أنذر العرب قاطبة ، ثم أنذر العالمين ، فأقام بضع عشرة سنة بعد نبوته ينذر بالدعوة بغير قتال ولا جزية ، ويؤمر بالكف والصبر والصفح ، ثم أذن له في الهجرة ، وأذن له في القتال ، ثم أمره أن يقاتل من قاتله ، ويكف عمن اعتزله ولم يقاتله ، ثم أمره بقتال المشركين حتى يكون الدين كله لله .

---

(١) مجموع الفتاوى جـ ٢٨ ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .
(٢) أول سورة العلق .
(٣) أول سورة المدثر .

ثم كان الكفار معه بعد الأمر بالجهاد ثلاثة أقسام : أهل صلح وهدنة ، وأهل حرب ، وأهل ذمة ، فأمر بأن يتم لأهل العهد والصلح عهدهم ، وأن يوفى لهم به ما استقاموا على العهد ، فان خاف منهم خيانة نبذ اليهم عهدهم ، ولم يقاتلهم حتى يعلمهم بنقض العهد ، وأمر أن يقاتل من نقض عهده ، ولما نزلت سورة براءة نزلت ببيان حكم هذه الأقسام كلها ، فأمر فيها أن يقاتل عدوه من أهل الكتاب حتى يعطوا الجزية ، أو يدخلوا في الاسلام ، وأمره فيها بجهاد الكفار والمنافقين والغلظة عليهم ، فجاهد الكفار بالسيف والسنان ، والمنافقين بالحجة واللسان . .

الى أن قال : (فاستقر أمر الكفار معه بعد نزول براءة على ثلاثة أقسام : محاربين له ، وأهل عهد ، وأهل ذمة ، ثم آلت حال أهل العهد والصلح الى الاسلام فصاروا معه قسمين : محاربين ، وأهل ذمة ، والمحاربين له خائفون منه ، فصار أهل الأرض معه ثلاثة أقسام : مسلم مؤمن به ، ومسالم له آمن ، وخائف محارب . . .) (١) .

بهذا التلخيص الجيد لطبيعة الجهاد في الاسلام ومراحل تشريعه ، ندرك حتمية الجهاد بالسيف الى جانب الجهاد بالدعوة والبيان ، وندرك أن الجهاد لم يكن حركة دفاعية فقط ، ولو كان كذلك لما طالب تبارك وتعالى المؤمنين بنشر دينه واعلاء كلمته ، وجهاد الناس وطلبهم في أوطانهم حتى يدخلوا في دين الاسلام .

---

(١) زاد المعاد لابن القيم جـ ٢ ص ٩٠ - ٩١ .

ونورد في هذا المقام بعض آيات الجهاد الدالة على طبيعتـــه ، وسنورد بالذات ما جاء في سورة التوبة لأنها من آخر ما نزل حتى لا يبقـــى مجال للقول في هذه المسألة بالنسخ أو التقييد .

١ - قال تعالى : ((قاتلوا الذين لا يؤمنون باللّه ولا باليـــوم الآخر ولا يحرّمون ما حرّم اللّه ورسوله ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب حتى يعطوا الجزية عن يد وهـــم صاغرون)) (١) .

٢ - وقال سبحانه : ((وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة واعلموا أن اللّه مع المتقين)) (٢) .

٣ - ويقول عز وجل : ((يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم ومأواهم جهنم وبئس المصير)) (٣) .

٤ - ويقول سبحانه : ((إنّ اللّه اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأنّ لهم الجنة يقاتلون في سبيل اللّه فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا في التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعهده من اللّه فاستبشروا ببيعكم الذي بايعتم به وذلك هو الفوز العظيم)) (٤) .

٥ - ويقول جل شأنه : ((يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم

---

(١) سورة التوبة - آية : ٢٩ .
(٢) " " - " : ٣٦ .
(٣) " " - " : ٧٣ .
(٤) " " - " : ١١١ .

مِنَ الكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ)) (١) .

فهذه بعض آيات جاء فيها الأمر عاما مطلقا . . فتكون دليلا على أن الجهاد هو قتال الكفار سواء كان طلبا أم مبادأة أم دفاعا عن المسلمين أو عن بلاد الاسلام ومقدساته ، والبلاد التي ليست من بلاد الاسلام فهي بلاد حرب وان كان فيها قلة مسلمين محكومين (٢) .

أما محاولة ايجاد مبررات دفاعية للجهاد الاسلامي بالمعنى الضيق للمفهوم العصري للحرب الدفاعية ، ومحاولة البحث عن أسانيد لاثبات أن وقائع الجهاد الاسلامي كانت لمجرد صد العدوان من القوى المجاورة على الوطن الاسلامي . . . فهي محاولة تنم عن قلة ادراك لطبيعة هذا الدين ، ولطبيعة الدور الذي جاء ليقوم به في الأرض ، كما أنها تشي بالهزيمة أمام ضغط الواقع الحاضر ، وأمام الهجوم الاستشراقي الماكر على الجهاد الاسلامي (٣) .

والعبرة بنهاية المراحل التي وصلت اليها حركة الجهاد في الاسلام بأمر من الله لا بأوائل أيام الدعوة ولا بأوسطها .

وبذلك يتبين أن الرسول صلى الله عليه وسلم قد جاهد بلسانه وسنانه ، وبمكاتباته ، وأنه لم يقتصر في جهاده على العرب ولا على بلاد العرب خاصة مما يدل دلالة قاطعة على عموم رسالته صلى الله عليه وسلم .

---

(١) سورة التوبة - آية : ١٢٣ .
(٢) انظر : الجهاد في الاسلام لصالح اللحيدان ص ١٠٥ - ١٠٦ .
(٣) انظر : طريق الدعوة في ظلال القرآن ، لأحمد فائز جـ ١ ص ٣١٢ .

المبحث الخامس : شهادات بعض علماء غير المسلمين بعالمية الاسلام :

لقد شهد بعالمية الاسلام علماء كثيرون من غير المسلمين ، أكتفي منهم بشهادة المستشرق سير توماس ، وأرنولد في كتابه الدعوة الى الاسلام تحت عنوان (الاسلام دين عالمي) حيث قال :

" وفي القرآن آيات كثيرة توجه الأنظار الى منشأ هذا الشعور القومي ، وتحث أهل بلاد العرب على ادراك ما منحوه من فضل بنزول الوحي الالهي بلغتهم ، وعلى لسان واحد منهم . " .

وبعد أن ذكر بعض الآيات التي تفيد بأن القرآن الكريم نزل بلغة العرب نحو قوله تعالى : ((انا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون)) (١) .

وقوله تعالى : ((وكذلك أوحينا اليك قرآنا عربيا لتنذر أم القرى ومن حولها)) (٢) .

وقوله تعالى : ((ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا لولا فصلت آياته)) (٣) .

وقوله تعالى : ((ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل لعلهم يتذكرون قرآنا عربيا غير ذي عوج لعلهم يتقون)) (٤) .

وقوله تعالى : ((وانه لتنزيل رب العالمين . . . بلسان عربي مبين)) (٥) .

---

(١) سورة الزخرف - آية : ٣ .
(٢) " الشورى - آية : ٧ .
(٣) " فصلت - آية : ٤٤ .
(٤) " الزمر - آية : ٢٧ - ٢٨ .
(٥) " الشعراء - آية : ١٩٢ - ١٩٥ .

وقوله تعالى : ((فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنْذِرَ بِهِ قَوْمًا لُدًّا)) (١) .

قال : " ولم تكن رسالة الاسلام مقصورة على بلاد العرب ، بل ان للعالم نصيبا فيها . ولما لم يكن هناك غير اله واحد ، كذلك لا يكون هناك غير دين واحد يدعى اليه الناس كافة ، ولكي تكون هذه الدعوة عامة ، وتحدث أثرها المنشود في جميع الناس وفي جميع الشعوب ، نراها تتخذ صورة عملية في الكتب التي بعث بها محمد - صلى الله عليه وسلم - في السنة السادسة من الهجرة (٦٢٨ م) الى عظماء ملوك ذلك العصر . وفي هذه السنة أرسل الرسول كتبا الى هرقل قيصر الروم ، والى كسرى فارس ، والى حاكم اليمن ، والى حاكم مصر ، والى النجاشي . . . " .

الى أن قال : " وتدل هذه الكتب دلالة أكثر وضوحا وأشد صراحة على ما تردد ذكره في القرآن من مطالبة الناس جميعا بقبول الاسلام ، فقد قال الله تعالى : ((إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ * وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ)) (٢) .

((إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ * لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ)) (٣) .

((وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ)) (٤) .

---

(١) سورة مريم - آية : ٩٧ .
(٢) " ص - آية : ٨٧ - ٨٨ .
(٣) " يس - آية : ٦٩ - ٧٠ .
(٤) " الأنبياء - آية : ١٠٧ .

((تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا)) (١) .

((وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) (٢) .

((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)) (٣) .

ثم يقول : " وفي ساعة من ساعات اليأس العميق ، عندما كان أهل مكة يمعنون في النفور من كلام النبي صلى الله عليه وسلم ، وعندما عذبوا من هداهم النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام حتى كفروا من بعد ايمان وعندما لجأ آخرون الى المهاجرة في الله من بعد ما ظلمهم مضطهدوهم ، عند ذلك تلقى النبي صلى الله عليه وسلم الوعد : ((ويوم نبعث من كل أمة شهيدا)) (٤) .

ثم قال : " وان ما يعبر به النبي - صلى الله عليه وسلم - في تلك الآيات من مطالبة البشرية كلها بارتضاء الاسلام دينا ليزداد وضوحا في قول محمد حتما ، ان بلالا أول ثمار الحبشة ، وان صهيبا أول ثمار الروم ، أما سلمان ، وهو أول من أسلم من الفرس ، فقد كان عبدا نصرانيا بالمدينة اعتنق الاسلام في السنة الأولى من الهجرة ، وهكذا صرح الرسول بكل وضوح وجلاء ، أن الاسلام ليس مقصورا على الجنس العربي قبل أن يدور بخلد العرب أي شيء

---

(١) سورة الفرقان - آية : ١ .
(٢) " سبأ - آية : ٢٨ .
(٣) " الصف - آية : ٩ .
(٤) " النحل - آية : ٨٤ .

يتعلق بحياة الفتح والغزو بزمن طويل .

ويؤيد دعوى عموم الرسالة والحق في المطالبة بأن يستجيب لهـــا جميع الناس أن الاسلام كان الدين السماوى الذى اختاره الله للجنس البشرى كافة ، ثم أوحى به اليهم من جديد على لسان محمد ((خاتم النبيين))(١) ، كما أوحى به من قبل على لسان غيره من الرسل .

ثم أخذ يمدد الأدلة التي جاءت في القرآن بوحدة الدين نحو قوله تعالى : ((وما كان الناس إلا أمة واحدة فاختلفوا ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم فيما كانوا فيه يختلفون))(٢) .

وقوله : ((قل ما كنت بدعا من الرسل))(٣) .

((كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين وأنزل معهم الكتاب بالحق ليحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه وما اختلف فيه الا الذين أوتوه من بعد ما جاءتهم البينات بغيا بينهم فهدى الله الذين آمنوا لما اختلفوا فيه من الحق باذنه والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم))(٤) .

وقوله : ((ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين))(٥) .

وقوله : ((قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين))(٦) .

---

(١) سورة الأحزاب - آية : ٤٠ .
(٢) ،، يونس - آية : ١٩ .
(٣) ،، الأحقاف - آية : ٩ .
(٤) ،، البقرة - آية : ٢١٣ .
(٥) ،، النحل - آية : ١٢٣ .
(٦) ،، الأنعام - آية : ١٦١ .

الى غير ذلك من الآيات التي ذكرها في وحدة الدين ، مؤيدا بهما قوله بعالمية الاسلام ، وأنه دين عالمي وليس مقصورا على العرب . (١)

هذه شهادة من رجل غير مسلم بعالمية الاسلام ، والاسلام ليس بحاجة الى هذه الشهادة أو سواها ، وانما أوردناها زيادة في اقامة الحجة على الذين لم يعترفوا الى الآن أن الاسلام هو الدين الوحيد الذى اختاره الله تعالى الى الناس جميعا في كل مكان وزمان .

****

******

****

**

---

(١) الدعوة الى الاسلام للسير توماس و أرنولد ص ٤٨ - ٥١ ترجمة الدكتور حسن ابراهيم وزميليه ، الطبعة الثالثة عام ١٩٧٠ م .

الفصل الثاني

اقامة الأدلة لأهل الكتاب على صدق النبي صلى الله عليه وسلم

ويشتمل على ثمانية مباحث :

المبحث الأول :

ثبوت علمهم بحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم .

المبحث الثاني :

ثبوت علمهم بحقيقة القرآن الكريم .

المبحث الثالث :

استفتاح اليهود بالرسول صلى الله عليه وسلم .

المبحث الرابع :

بشارة عيسى عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم .

المبحث الخامس :

هيمنة القرآن الكريم على ما سبقه من الكتب السماوية .

المبحث السادس :

اقامة الحجة على أهل الكتاب عن طريق الاستشهاد بما أنزل اليهم .

المبحث السابع :

اقامة الحجة عليهم لا متناعهم عن المباهلة .

المبحث الثامن :

البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم الحالية .

ويشتمل هذا المبحث على : تمهيد ، وثلاثة مطالب :

المطلب الأول : البشارات في العهد القديم .

المطلب الثاني : " " " الجديد .

المطلب الثالث : " " انجيل برنابا .

المبحث الأول : ثبوت علمهم بحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم :

من أهم الطرق والأساليب التي اتبعها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام تنبيههم الى حقيقة ما يعلمونه عن اسم وصفة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأن علماءهم يعرفون أمره معرفة تامة كما يعرف أحدهم ولده ، وذلك بما يجدونه موصوفا عندهم في التوراة والانجيل بصفاته الكاملة .

قال تعالى : ((الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)) (١) .

وكرر هذا القول في موضع آخر من القرآن الكريم فقال تعالى :

((الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)) (٢) .

قال القرطبي : " روى أن عمر قال لعبد الله بن سلام : أتعرف محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ كما تعرف ابنك ؟ فقال : نعم وأكثر ، بعث الله أمينه في سمائه الى أمينه في أرضه بنعته فعرفته ، وابني لا أدري ما كان من أمه " (٣) .

وقد أخبر تعالى أنهم مع هذه المعرفة التامة والتحقق الأكيد ، فان جماعة منهم وهم علماؤهم ورؤساؤهم ليخفون على الناس ما في كتبهم من صفة النبي صلى الله عليه وسلم كما في قوله تعالى : ((وإن فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون)) .

---

(١) سورة البقرة ـ آية : ١٤٦ .
(٢) ،، الأنعام ـ آية : ٢٠ .
(٣) تفسير القرطبي جـ ٢ ص ١٦٣ .

ومما جاء صراحة أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مكتوب عندهم في التوراة والانجيل ، قوله تعالى : ((... ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم ، فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذي أنزل معه أولئك هم المفلحون)) (١) .

فقد أخبر - تبارك وتعالى - أن رحمته يوم القيامة خاصة بالذين ((يتقون)) الكفر وكبائر الذنوب ، ممتثلين أوامره ومجتنبين نواهيه ((ويؤتون)) زكاة أموالهم بعد أن زكت وطهرت بها نفوسهم ، ويصدقون بجميع كتب الله ورسله . ومن ذلك بأنهم :

((الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...)) .

قال القرطبي : قال بعض المفسرين : " طمع في هذه الآية كل شيء حتى ابليس ، فقال : أنا شيء ، فقال الله تعالى : ((فسأكتبها للذين يتقون)) فقالت اليهود والنصارى : نحن متقون ، فقال الله تعالى : ((الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...)) الآية . فخرجت الآية عن العموم والحمد لله " (٢) .

---

(١) سورة الأعراف - آية : ١٥٦ - ١٥٧ .
(٢) تفسير القرطبي جـ ٧ ص ٢٩٦ .

قال الطبرى : " وهذا القول ابانة من الله جل ثناؤه عن أن الذين وعد موسى - نبيه عليه السلام - أن يكتب لهم الرحمة التي وصفها جل ثناؤه بقوله : ((ورحمتي وسعت كل شيء)) هم أمة محمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه لا يعلم لله رسول وصف بهذه الصفة ، أعني الأمي غير نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، وبذلك جاءت الروايات عن أهل التأويل " . وذكر عدة روايات عن ابن عباس ، وسعيد بن جبير ، وقتادة ، وغيرهم تؤيد ما ذهب اليه (١) .

والآية الكريمة وصفت نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - بعدة صفات ونعوت :

الأولى : قوله تعالى : ((الذين يتبعون الرسول النبي الأمي ...))

والأمي منسوب الى الأمة الأمية ، التي على أصل ولادتها ، لم تتعلم الكتابة ولا قراءتها (٢) .

قال تعالى : ((هُوَ الذى بعث في الأميين رسولاً منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة ، وإن كانوا من قبل لفي ضلال مبين)) (٣) .

وقال تعالى : ((وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون)) (٤) .

---

(١) انظر : تفسير الطبرى جـ ٩ ص ٨١ - ٨٣ .
(٢) تفسير القرطبي جـ ٧ ص ٢٩٨ .
(٣) سورة الجمعة - آية : ٢ .
(٤) " العنكبوت - آية : ٤٨ .

وقال أيضا : ((وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان ولكن جعلناه نورا نهدي به من نشاء من عبادنا وانك لتهدي الى صراط مستقيم)) (١) .

قال صاحب تفسير المنار : " والأمية آية من أكبر آيات نبوته صلى الله عليه وسلم ، فانه جاء بعد النبوة بأعلى العلوم النافعة وهي ما يصلح ما فسد من عقائد البشر وأخلاقهم وآدابهم وأعمالهم وأحكامهم ، وعمل بها فكان لها من التأثير في العالم ما لم يكن ولن يكون لغيره من خلق الله " (٢) .

الثانية : قوله تعالى : ((الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل)) . أي أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - من صفاته وجود اسمه ونعته في التوراة والانجيل .

قال أبو السعود : ((الذي يجدونه مكتوبا)) باسمه ونعوته بحيث لا يشكون أنه هو ، ولذلك عدل عن أن يقال يجدون اسمه أو وصفه مكتوبا ((عندهم)) لزيادة التقرير ، وأن شأنه عليه الصلاة والسلام حاضر عندهم لا يغيب عنهم أصلا " (٣) .

الثالثة : قوله تعالى : ((يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر)) . فمحمد صلى الله عليه وسلم لا يأمر الا بخير مستحسن ، ولا ينهى الا عن قبيح مستكره .

---

(١) سورة الشورى - آية : ٥٢ .

(٢) تفسير المنار جـ ٩ ص ٢٢٥ .

(٣) تفسير أبي السعود جـ ٣ ص ٢٧٩ .

قال الامام ابن كثير في تفسير هذا الأمر والنهي ما نصه : "هذه صفة الرسول - صلى الله عليه وسلم - في الكتب المتقدمة ، وهكذا كانت حاله عليه الصلاة والسلام لا يأمر الا بخير ، ولا ينهى الا عن شر ، كما قال عبد الله بن مسعود : اذا سمعت الله يقول : ((يا أيها الذين آمنوا)) فارعها سمعك ، فانه خير تؤمر به أو شر تنهى عنه ، ومن أهم ذلك وأعظمه ما بعثه الله به من الأمر بعبادته وحده لا شريك له ، والنهي عن عبادة من سواه ، كما أرسل به جميع الرسل قبله ، كما قال تعالى : ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) (١) .

وقال الامام أحمد - وذكر سنده الى أبي حميد ، وأبي أسيد رضي الله عنهما - أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (اذا سمعتم الحديث عني تعرفه قلوبكم وتلين له أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم قريب فأنا أولاكم به واذا سمعتم الحديث عني تنكره قلوبكم وتنفر منه أشعاركم وأبشاركم وترون أنه منكم بعيد ، فأنا أبعدكم منه) (٢) .

الرابعة : قوله تعالى : ((ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث))

أي يحل لهم ما حرموه على أنفسهم من الطيبات بسبب ذنوبهم وشؤم ظلمهم ، ويحرم ما هو خبيث كالدم ، والميتة ، ولحم الخنزير ، والخمر والربا ، والرشوة ، والغلول ، والسرقة ، والخيانة ، والغصب . . .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٧٢ ، والآية ٣٦ من سورة النحل .
(٢) مسند الامام أحمد جـ ٣ ص ٤٩٧ ، جـ ٥ ص ٤٢٥ . قال ابن كثير : اسناده جيد . انظر : تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٧٣ .

وقد كان الله تعالى قد حرم على بني اسرائيل بعض الطيبات عقوبة لهم ، كما قال تعالى : ((فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا * وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما))(١) وحرموا هم على أنفسهم طيبات أخرى لم يحرمها الله تعالى عليهم ، كلحوم الابل وألبانها ، قال تعالى : ((كل الطعام كان حلا لبني إسرائيل الا ما حرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة))(٢) .

وأحلوا لأنفسهم أكل أموال غير الاسرائيليين بالباطل ، كما حكى الله تعالى عنهم بعد ذكر استحلال بعضهم أكل ما يأتمنهم عليه العرب ((ذلك بأنهم قالوا ليس علينا في الأميين سبيل ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون))(٣) .

الخامسة : قوله تعالى : ((ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم)) . والاصر : الثقل ، وهو الذى يأصر صاحبه عن الحراك .(٤) قال تعالى : ((ربنا ولا تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا))(٥) . ويطلق على العهد ، كما في قوله تعالى : ((قال أأقررتم وأخذتم على ذلكم إصرى))(٦) أى عهدى .

---

(١) سورة النساء - آية : ١٦٠ - ١٦١ .
(٢) ،، آل عمران - آية : ٩٣ .
(٣) ،، ،، - ،، : ٧٥ وانظر : تفسير المنار جـ ٩ ص ٢٢٨ .
(٤) تفسير أبي السعود جـ ٣ ص ٢٨٠ .
(٥) سورة البقرة - آية : ٢٨٦ .
(٦) ،، آل عمران - ،، : ٨١ .

قال القرطبي : " وقد جمعت هذه الآية المعنيين ، فان بني اسرائيل قد كان أخذ عليهم عهدا أن يقوموا بأعمال ثقال ، فوضع عنهم بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ذلك العهد وثقل تلك الأعمال ، كغسل البول ، وتحليل الغنائم ، ومجالسة الحائض ومؤاكلتها ومضاجعتها ، فانهم كانوا اذا أصاب ثوب أحدهم بول قرضه ، واذا جمعوا الغنائم نزلت نار من السماء فأكلتها ، واذا حاضت المرأة لم يقربوها ، الى غير ذلك مما ثبت في الحديث الصحيح وغيره " . (١)

والأغلال جمع غل ، وهو ما يوضع في الرقبة من الحديد ونحوه ، واستعير لتلك التكاليف الشاقة التي كلف بها بنو اسرائيل كترك العمل يوم السبت ، والقصاص من القاتل عمدا كان القتل أو خطأ دون الدية ، وقتل النفس في التوبة ، وقطع موضع النجاسة من الثوب ، الى غير ذلك مما كلفوا به من الشدة في العبادات والمعاملات والمأكولات جزاء ظلمهم وعدوانهم .

وجاء النبي الأمي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ بالسماحة والبشر والتخفيف ورفع الآصار والأغلال التي كلف بها بنو اسرائيل ، كما ورد في الحديث من طرق عن رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه قال : (اني لم أبعث باليهودية ولا بالنصرانية ولكن بعثت بالحنيفية السمحة) . (٢)

---

(١) تفسير القرطبي جـ ٧ ص ٣٠٠ .

(٢) رواه الامام أحمد في المسند جـ ٥ ص ٢٦٦ من حديث طويل رواه أبو أمامة .

وقال صلى الله عليه وسلم لأميريه معاذ ، وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما لما بعثهما الى اليمن : (بشرا ولا تنفرا ، ويسرا ولا تعسرا ، وتطاوعا ولا تختلفا)[١] .

قال ابن كثير رحمه الله : " وقد كانت الأمم الذين قبلنا في شرائعهم ضيق عليهم ، فوسع الله على هذه الأمة أمورها وسهلها لهم ، ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ان الله تجاوز لأمتي ما حدثت به أنفسها ما لم تقل أو تعمل)[٢] ، وقال : (رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه)[٣] . ولهذا قال أرشد الله هذه الأمة أن يقولوا : ((رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا ، رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا ، رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ))[٤] .

وثبت في صحيح مسلم أن الله تعالى قال بعد كل سؤال من هذه : (قد فعلت)[٥] .

---

(١) أخرجه البخاري بشرح الفتح جـ ٦ ص ١٦٢ كتاب الجهاد ، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب ، وعقوبة من عصى امامه .
ومسلم في صحيحه جـ ٣ ص ١٣٥٩ كتاب الجهاد والسير ، باب في الأمر بالتيسير وترك التنفير ، حديث رقم (٧) .

(٢) مسند الامام أحمد جـ ٢ ص ٢٥٥ .

(٣) رواه ابن ماجه جـ ١ ص ٦٥٩ ، كتاب الطلاق ، باب طلاق المكره والناسي .

(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٧٣ ، والآية ٢٨٦ من سورة البقرة .

(٥) انظر : صحيح مسلم جـ ١ ص ١١٦ ، كتاب الايمان ، باب بيان أنه سبحانه وتعالى لم يكلف الا ما يطاق ، حديث رقم (٢٠٠) .

والحق ان أمر الرسول - صلى الله عليه وسلم - يفرض على أهل الكتاب أن يقابلوه بالفرح والسرور والانقياد التام لما جاء به ، لأن في اتباعهم له سعادتهم وفلاحهم في الدنيا والآخرة ، فهو يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

ولهذا ختم الله - تبارك وتعالى - الآية الكريمة بقوله : ((فالذين آمنوا به وعزروه ونصروه واتبعوا النور الذى أنزل معه أولئك هم المفلحون)) أى فالذين صدقوا النبي الأمي العربي وعظموه ووقروه ونصروا دينه وشرعه ، واتبعوا نور القرآن الذى جاء به ودعا الناس الى اتباعه ، أولئك هم الفائزون بالرحمة والرضوان في كل مكان وزمان .

وبعد هذه الآية أمر الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أن يعلن للناس كافة أنه رسول الى جميعهم لا الى بعضهم دون بعض ، فقال تعالى : ((قل يا أيها الناس إني رسول الله اليكم جميعا الذى له ملك السموات والأرض ، لا اله الا هو يحيي ويميت فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي الذى يؤمن بالله وكلماته واتبعوه لعلكم تهتدون)) (١) .

وقد تقدم الكلام على عموم رسالة النبي - صلى الله عليه وسلم - وأنها شاملة للانس والجن ، فلا داعي للاعادة .

---

(١) سورة الأعراف - آية : ١٥٨ .

يقول الأستاذ الدكتور محمد سيد طنطاوى في كلامه عن هاتين الآيتين : " وفي وصفه صلى الله عليه وسلم بالأمية مرة ثانية ، اشارة الى كمال علمه ، لأنه مع عدم مطالعته للكتاب ، أو مصاحبته لمعلم ، فتح الله له أبواب العلم ، وعلمه ما لم يكن يعلم من سائر العلوم التي تعلمها الناس عنه ، وصاروا بها أئمة العلماء ، وقادة المفكرين ، فأكرم بها من أمية تضاءل بجانبها علم العلماء في كل زمان ومكان .

وبذلك تكون الآيتان الكريمتان قد وصفتا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشرف الصفات ، وأقامتا أوضح الحجج وأقواها على صدق نبوته ، ودعتا اليهود - بل الناس جميعا - الى الايمان به ، لأنه قد بشرت به الكتب السماوية السابقة ، ولأنه صلى الله عليه وسلم ما جاءهم الا بالخير ، وما نهاهم الا عن الشر ، ولأن شريعته تمتاز باليسر والسماحة ، ولأن أنصاره وأتباعه هم المفلحون ، ولأن رسالته عامة للجن والانس ، ومن كانت هذه صفاته ، وتلك شريعته ، جدير أن يتبع ، وقمن أن يصدق ويطاع ، وما يعرض عن دعوته الا من طغى وآثر الحياة الدنيا " .(١)

ومن أجمع ما جاء في التوراة خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم ما أخرجه البخارى عن عطاء بن يسار قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وسلم في التوراة ، قال : (أجل والله ، انه لموصوف في التوراة ببعض صفته في

---

(١) بنو اسرائيل في الكتاب والسنة جـ ١ ص ١١٧ .

القرآن : يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يفتح به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا)(١) .

وفي رواية له : أن هذه الآية التي في القرآن : ((يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا))(٢) .

(قال في التوراة : يا أيها النبي انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا وحرزا للأميين ، أنت عبدى ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب في الأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ، ولكن يعفو ويصفح ، ولن يقبضه الله حتى يفتح به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا اله الا الله ، فيفتح بها أعينا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا)(٣) .

وأخرج الامام أحمد ، عن أبي صخر العقيلي قال : حدثني رجل من الأعراب فقال : جلبت حلوبة الى المدينة في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما فرغت من بيعي قلت : لألقين هذا الرجل ، فلأسمعن منه ،

---

(١) صحيح البخارى جـ ٣ ص ٢١ ، كتاب البيوع ، باب كراهة السخب في الأسواق .

(٢) سورة الأحزاب - آية : ٤٥ ، وسورة الفتح - آية : ٨ .

(٣) صحيح البخارى جـ ٦ ص ٤٤ - ٤٥ ، كتاب التفسير ، سورة الفتح باب ((انا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا)) .

قال : فتلقاني بين أبي بكر ، وعمر يمشون ، فتبعتهم حتى أتوا على رجل من اليهود ، ناشر التوراة يقرأها يعزى بها نفسه عن ابن له في الموت كأجمل الفتيان وأحسنها ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (أنشدك بالذى أنزل التوراة هل تجد في كتابك هذا صفتي ومخرجي ؟) .

فقال برأسه هكذا ، أى لا ، فقال ابنه : أى والذى أنزل التوراة انا لنجد في كتابنا صفتك ومخرجك ، واني أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أنك رسول الله ، فقال : (أقيموا اليهودى عن أخيكم) ثم تولى كفنه ودفنه والصلاة عليه .(١)

قال ابن كثير : هذا حديث جيد قوى له شاهد في الصحيح عن أنس .(٢)

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " والأخبار بمعرفة أهل الكتاب بصفة محمد صلى الله عليه وسلم عندهم في الكتب المتقدمة متواترة عنهم ".(٣) وسيأتي في مبحث البشارات بالنبي محمد صلى الله عليه وسلم ايضاح هذه الحقيقة .

=/=/=/=/=/=/=/=/=/=

---

(١) المسند جـ ٥ ص ٤١١ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٧٠ .

(٣) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ١ ص ٣٤٠ .

المبحث الثاني : ثبوت علمهم بحقيقة القرآن الكريم :

كما بيّن الله - تعالى - أن أهل الكتاب يعلمون أن القرآن الكريم حق ، وأن خبره مدون في كتب الأنبياء السابقين ، وأن علماءهم يعلمون هذه الحقيقة ، قال تعالى : ((وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين * وإنه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني إسرائيل))(١) ، أي وأن هذا القرآن - معجزة النبي الخالدة - إنما هو تنزيل من الله رب العالمين ، نزل به جبريل - عليه السلام - على قلب النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - سالما من الزيادة والنقصان ((لتكون من المنذرين)) أي تحذر به من خالفه وكذبه ، وتبشر به من آمن به وصدقه . ((بلسان عربي مبين)) قال ابن كثير : " أي هذا القرآن الذي أنزلناه اليك أنزلناه باللسان العربي الفصيح الكامل الشامل ، ليكون بيّنا واضحا ظاهرا ، قاطعا للعذر ، مقيما للحجة ، دليلا الى المحجة "(٢) .

((وانه لفي زبر الأولين * أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل)) يقول تعالى : وان ذكر هذا القرآن والتنويه به لموجود في كتب الأولين المأثورة عن أنبيائهم الذين بشروا به في قديم الدهر وحديثه ، كما أخذ الله عليهم الميثاق بذلك حتى قام آخرهم خاتميا في ملئه بالبشارة بأحمد ((وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله اليكم

---

(١) سورة الشعراء - آية : ١٩٢ - ١٩٧ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٦٣ .

مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدي اسمه أحمد)) (١) .

والزبر ههنا هي الكتب ، وهي جمع زبور ، وكذلك الزبور وهو كتاب داود . قال الله تعالى : ((وكل شيء فعلوه في الزبر)) (٢) أي مكتوب عليهم في صحف الملائكة ، ثم قال تعالى : ((أولم يكن لهم آية أن يعلمه علماء بني اسرائيل)) : أي أولم يكفيهم من الشاهد الصادق على ذلك أن العلماء من بني اسرائيل يجدون ذكر هذا القرآن في كتبهم التي يدرسونها ، والمراد العدول منهم الذين يعترفون بما في أيديهم من صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - ومبعثه وأمته ، كما أخبر بذلك من آمن منهم كعبد الله بن سلام ، وسلمان الفارسي ، عمّن أدرك منهم ومن شاكلهم (٣) .

وممّا جاء في هذا الخصوص قوله تعالى : ((وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)) (٤) .

وقوله تعالى : ((والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين)) (٥) .

---

(١) سورة الصف - آية : ٦ .

(٢) سورة القمر - آية : ٥٢ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٦٣ .

(٤) سورة العنكبوت - آية : ٤٧ .

(٥) سورة الأنعام - آية : ١١٤ .

وبهذا فان الآيات الكريمة قد أوضحت لأهل الكتاب أنهم يعلمون حقيقة أمر الرسول صلى الله عليه وسلم ، وما أنزل عليه من القرآن ، وأنهم يعرفون ذلك تمام المعرفة ، وبناء على هذه المعرفة السبقة ، فانه يجب عليهم الايمان بالرسول صلى الله عليه وسلم وتصديقه واتباع هديه في كل ما جاء به صلوات الله وسلامه عليه .

. . . . . .

المبحث الثالث : استفتاح اليهود بالرسول صلى الله عليه وسلم :

ومن الأدلة التي أقامها القرآن الكريم على بني اسرائيل - وخاصة اليهود منهم - من أجل دخولهم في الاسلام وايمانهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - اخبارهم أن محمدا - صلى الله عليه وسلم - هو الذى كانوا يستفتحون به على المشركين من العرب قبل بعثته . جاء ذلك في كثير من الآيات المبينات .

من ذلك قوله تعالى : ((ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ، فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين)) (١) .

قال ابن كثير : يقول تعالى : ((ولما جاءهم)) يعني اليهود ((كتاب من عند الله)) وهو القرآن الذى أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم ((مصدق لما معهم)) يعني التوراة ، وقوله ((وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا)) أى وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين اذا قاتلوهم : يقولون انه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عاد وارم) (٢) .

وقد وردت آثار كثيرة في هذا الشأن :

من ذلك ما ذكره ابن اسحاق عن ابن عباس : أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله - صلى الله عليه وسلم - قبل مبعثه ، فلما بعثه

---

(١) سورة البقرة - آية : ٨٩ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٧ .

الله من العرب كفروا به ، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وبشر بن البراء بن معرور ، أخو بني سلمة : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فقد كنتم تستفتحون علينا بمحمد ونحن أهل شرك ، وتخبروننا أنه مبعوث ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال سلام بن مشكم ، أحد بني النضير : ما جاءنا بشيء نعرفه ، وما هو بالذي كنا نذكره لكم ، فأنزل الله في ذلك من قولهم : ((ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم وكانوا من قبل يستفتحون على الذين كفروا ...)) الآية (١) .

ومن ذلك ما جاء عن ابن اسحاق - أيضا - عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري عن رجال من قومه ، قالوا : ان مما دعانا الى الاسلام ، مع رحمة الله تعالى وهداه لنا ، لما كنا نسمع من رجال يهود وكنا أهل شرك أصحاب أوثان ، وكانوا أهل كتاب ، عندهم علم ليس عندنا ، وكانت لا تزال بيننا وبينهم شرور ، فاذا نلنا منهم بعض ما يكرهون ، قالوا لنا : انه قد تقارب زمان نبي يبعث الآن نقتلكم معه قتل عاد وارم ، فكنا كثيرا ما نسمع ذلك منهم ، فلما بعث الله رسوله - صلى الله عليه وسلم - أجبناه ، حين دعانا الى الله تعالى ، وعرفنا ما كانوا يتوعدوننا به ، فبادرناهم اليه فآمنا به ، وكفروا به ، ففينا وفيهم نزل قوله تعالى : ((ولما جاءهم كتاب من عند الله مصدق لما معهم ...)) . الآية (٢) .

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٤٧ تحقيق الابياري وشلبي . وتفسير الطبري جـ ١ ص ٤١٠ - ٤١١ . والجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص ٢٨٣ .

(٢) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٢١١ .

هذا هو موقف اليهود من رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعوته ، اذ لما رأوه وعرفوه حق المعرفة لما يجدونه في كتبهم من صفاته الكاملة ، كفروا به وبرسالته حسدا وظلما لما ليس لهم .

وقد توعدهم الله تعالى بالطرد والابعاد من رحمته بسبب كفرهم وجحودهم بمحمد صلى الله عليه وسلم وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فقد أتبع هذه الآية بقوله :

((بئسما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا بما أنزل الله بغيا أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده فباءوا بغضب على غضب وللكافرين عذاب مهين)) .

وفي هذا ذم وتقبيح لهم على كفرهم بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وما نزل عليه من الوحي ، وفيه تهديد ووعيد شديد بغضب الله تعالى زيادة على سابق غضبه عليهم ، بسبب جرائمهم الكثيرة البشعة ، وفيه مع الوعيد بالعذاب الشديد اهانة واذلال وصغار جزاء كبرهم وحسدهم .

ومن هذه الآيات قوله تعالى : ((ولما جاءهم رسول من عند الله مصدق لما معهم نبذ فريق من الذين أوتوا الكتاب كتاب الله وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون)) (١) .

وقوله تعالى : ((الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)) (٢) .

---

(١) سورة البقرة - آية : ١٠١ .
(٢) سورة الأنعام - آية : ٢٠ .

وقوله تعالى : ((أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل اليكم الكتاب مفصلا ، والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين)) (١) .

وقوله تعالى : ((قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني اسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين)) (٢) .

الى غير ذلك من الآيات التي تدل على أنهم عرفوا الحق وكفروا به ، فكانوا ممّن أضله الله على علم - والعياذ بالله تعالى - .

*
* * *
* * * * *
* * *
*

---

(١) سورة الأنعام - آية : ١١٤ .

(٢) سورة الأحقاف - آية : ١٠ .

المبحث الرابع : بشارة عيسى عليه السلام بمحمد صلى الله عليه وسلم :

ومن الأدلة التي أقامها القرآن الكريم في دعوة بني اسرائيل الى الاسلام تنبيههم واعلامهم أن محمدا صلى الله عليه وسلم الذى يدعوهم الى الاسلام انما هو الذى بشر به آخر أنبياء بني اسرائيل عيسى ابن مريم عليه السلام . جاء ذلك واضحا وصريحا في قوله تعالى :

((وإذ قال عيسى ابن مريم يا بني إسرائيل إني رسول الله اليكم مصدقا لما بين يدى من التوراة ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد فلما جاءهم بالبينات قالوا هذا سحر مبين)) (١) .

يقول ابن كثير في معنى الآية الكريمة : " يعني التوراة قد بشرت بي وأنا مصداق ما أخبرت عنه ، وأنا مبشر بمن بعدى وهو الرسول النبي الأمي العربي المكي أحمد . فعيسى - عليه السلام - هو خاتم أنبياء بني اسرائيل ، وقد أقام في ملأ بني اسرائيل مبشرا بمحمد (صلى الله عليه وسلم) وهو أحمد خاتم الأنبياء والمرسلين الذى لا رسالة بعده ولا نبوة (٢) .

وقد ثبت في الأحاديث الصحيحة أن أحمد من أسماء النبي - صلى الله عليه وسلم - من ذلك ما رواه البخارى ومسلم عن جبير بن مطعم عن أبيه قال : سمعت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يقول : (ان لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذى يمحو به الكفر ، وأنا الحاشر

---

(١) سورة الصف - آية : ٦ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٨٢ .

الذى يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب)[١] .

وفي رواية لمسلم عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمي لنا نفسه أسماء ، فقال : (أنا محمد ، وأحمد ، والمقفى ، والحاشر ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة)[٢] .

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (اني عند الله لخاتم النبيين ، وان آدم عليه السلام لمنجدل في طينته ، وسأنبئكم بأول ذلك : أنا دعوة أبي ابراهيم ، وبشارة عيسى بي ، ورؤيا أمي التي رأت ، وكذلك أمهات المؤمنين يرين)[٣] .

وفي رواية عن أبي أمامة قال : قلت يا نبي الله ما كان أول بدء أمرك ؟ قال : (دعوة أبي ابراهيم ، وبشرى عيسى بي ، ورأت أمي أنه يخرج منها نور أضاءت منها قصور الشام)[٤] .

قال الامام ابن كثير بعد أن ذكر كثيرا من الأحاديث الدالة على البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم : " والمقصد أن الأنبياء - عليهم السلام - لم تزل تنعته وتحكيه في كتبها على أممها ، وتأمرهم باتباعه ونصره ومؤازرته اذا بعث ، وكان ما اشتهر الأمر في أهل الأرض على لسان ابراهيم

---

(١) أخرجه البخارى بشرح الفتح جـ ٦ ص ٥٥٤ ، كتاب المناقب ، باب ما جاء في أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وجـ ٨ ص ٦٤٠ - ٦٤١ كتاب التفسير ، باب يأتي من بعدى اسمه أحمد . وصحيح مسلم جـ ٤ ص ١٨٢٨ كتاب الفضائل ، باب في أسمائه صلى الله عليه وسلم رقم (١٢٤) و (١٢٥) .

(٢) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٨٢٨ - ١٨٢٩ نفس الكتاب والباب رقم (١٢٦)

(٣) أخرجه الامام أحمد . انظر : المسند جـ ٤ ص ١٢٧ .

(٤) أخرجه الامام أحمد . انظر : المسند جـ ٥ ص ٢٦٢ .

الخليل والد الأنبياء بعده حين دعا لأهل مكة أن يبعث الله فيهم رسولا منهم ، وكذا على لسان عيسى ابن مريم ، ولهذا قالوا : أخبرنا عن بدء أمرك يعني في الأرض ، قال : (دعوة أبي ابراهيم ، وبشارة عيسى ابن مريم ، ورؤيا أمي التي رأت) أى ظهر في أهل مكة أثر ذلك ، والارهاص ، فذكره صلوات الله وسلامه عليه " .(١)

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي رحمه الله : ذكر بعض العلماء أن نصرانيا قال لعالم من علماء المسلمين : ناظرني في الاسلام والمسيحية أيهما أفضل ؟ فقال العالم للنصراني : هلم الى المناظرة في ذلك ، فقال النصراني : المتفق عليه أحق بالاتباع أم المختلف فيه ؟ فقال العالم : المتفق عليه أحق بالاتباع من المختلف فيه . فقال النصراني : اذن يلزمكم اتباع عيسى معنا ، وترك اتباع محمد صلى الله عليه وسلم ، لأننا نحن وأنتم نتفق على نبوة عيسى ، ونخالفكم في نبوة محمد عليهما الصلاة والسلام ، فقال المسلم : أنتم الذين تمتنعون من اتباع المتفق عليه ، لأن المتفق عليه الذى هو عيسى قال لكم ((ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد)) فلو كنتم متبعين عيسى حقا لاتبعتم محمدا صلى الله عليه وسلم ، فظهر أنكم أنتم الذين لم تتبعوا المتفق عليه ولا غيره ، فانقطع النصراني .

ولا شك أن النصارى لو كانوا متبعين عيسى ، لاتبعوا محمدا صلى الله عليه وسلم .(٢)

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٨٣ .

(٢) أضواء البيان جـ ٢ ص ٩٦ مطبعة المدني .

وبذلك يتضح أن الآية الكريمة قد صرحت بأن آخر أنبيـــاء بني اسرائيل وهو عيسى ابن مريم - عليه السلام - قد بشر بالنبي الخاتم محمد صلوات الله وسلامه عليه ، ودعاهم الى الايمـــان به وتصديقه اذا بعـــث .

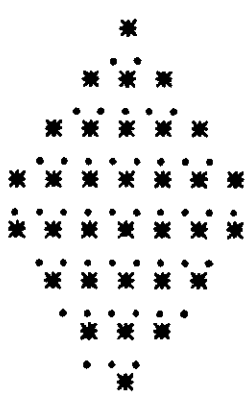

المبحث الخامس : هيمنة القرآن الكريم على ما سبقه من الكتب السماوية :

كذلك من الأدلة والأساليب التي ساقها القرآن الكريم في دعـــوة أهل الكتاب الى الاسلام بيان أن القرآن الكريم وهو المعجزة العظمى لمحمد صلى الله عليه وسلم مصدق لما سبقه من الكتب السماوية ومهيمن عليها .

جاء ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى :

((وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه فاحكم بينهم بما أنزل الله ولا تتبع أهواءهم عما جاءك من الحق ، لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم فاستبقوا الخيرات إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)) (١) .

قال أبو السعود : " ومعنى ((وأنزلنا اليك الكتاب)) أى الفرد الكامل الحقيقي بأن يسمى كتابا على الاطلاق لحيازته جميع الأوصاف الكمالية لجنس الكتاب السماوى وتفوقه على بقية أفراده وهو القرآن الكريم فاللام للعهد (٢) .

((ومصدقا لما بين يديه من الكتاب)) أى من الكتب المتقدمة المتضمنة ذكره ومدحه ، وأنه سينزل من عند الله على عبده ورسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فكان نزوله كما أخبرت به مما زادها صدقا عند حاملها من ذوى البصائر الذين انقادوا لأمر الله واتبعوا شرائع الله وصدقوا رسول الله ، كما قال تعالى : ((إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم

---

(١) سورة المائدة ـ آية : ٤٨ .

(٢) انظر : تفسير أبي السعود جـ ٣ ص ٤٤ .

يخرون للأذقان سجدا * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا)) (١) .

أى ان كان ما وعدنا الله على ألسنة رسله المتقدمة من مجيء محمد عليه السلام لمفعولا أى كائنا لا محالة ولا بد .

وقوله : ((ومهيمنا عليه)) عن ابن عباس رضي الله عنهما : أى مؤتمنا عليه - وعنه أيضا - المهيمن الأمين ، قال : القرآن أمين على كل كتاب قبله . وروى عنه أنه قال : شهيد . وقال ابن جريج : القرآن أمين على الكتب المتقدمة قبله ، فما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل .

ذكر هذه الأقوال الحافظ ابن كثير ثم قال : " وهذه الأقوال كلها متقاربة المعنى ، فان اسم المهيمن يتضمن هذا كله ، فهو أمين وشاهد وحاكم على كل كتاب قبله ، جعل الله هذا الكتاب العظيم الذى أنزله آخر الكتب وخاتمها أشملها وأعظمها وأكملها ، حيث جمع فيه محاسن ما قبله وزيادة من الكمالات ما ليس في غيره ، فلهذا جعله شاهدا وأمينا وحاكما عليها (٢) .

وقال أبو السعود ما نصه : (ومهيمنا عليه : أى رقيبا على سائر الكتب المحفوظة من التغيير ، لأنه يشهد لها بالصحة والثبات ، ويقرر أصول شرائعها وما يتأبد من فروعها ، ويعين أحكامها المنسوخة ببيان انتهاء مشروعيتها المستفادة من تلك الكتب وانقضاء وقت العمل بها ، ولا ريب

---

(١) سورة الاسراء - آية : ١٠٧ - ١٠٨ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٧٠ .

في أن تميز أحكامها الباقية على المشروعية أبدا عما انتهى وقت مشروعيته وخرج عنها ، من أحكام كونه مهيمنا عليه)[١] .

وقوله : ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)) عن ابن عباس رضي الله عنهما : سبيلا وسنة ، وبه قال مجاهد وعكرمة والحسن البصري وقتادة وغيرهم وقد نصره ابن كثير . قال : (ويدل على ذلك قوله تعالى بعده : ((ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة)) فلو كان هذا خطابا لهذه الأمة لما صح أن يقول ((ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة)) وهم أمة واحدة ، ولكن هذا خطاب لجميع الأمم واخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد ، وشريعة واحدة ، لا ينسخ شيء منها ، ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ، ثم نسخها أو بعضها برسالة الآخر الذي بعده ، حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي ابتعثه الى أهل الأرض قاطبة ، وجعله خاتم الأنبياء كلهم ، ولهذا قال تعالى : ((ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ولكن ليبلوكم في ما آتاكم)) أي أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويثيبهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله ... ثم انه تعالى ندبهم الى المسارعة الى الخيرات والمبادرة اليها فقال : ((فاستبقوا الخيرات)) وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله ، ثم

---

(١) تفسير أبي السعود جـ ٣ ص ٤٥ .

قال تعالى : ((الى الله مرجعكم)) أى معادكم أيها الناس ومصيركم اليه يوم القيامة ((فينبئكم بما كنتم فيه تختلفون)) أى فيخبركم بما اختلفتم فيه من الحق فيجزى الصادقين بصدقهم ، ويعذب الكافرين الجاحدين المكذبين بالحق العادلين عنه الى غيره بلا دليل ولا برهان ، بل هم معاندون للبراهين القاطعة ، والحجج البالغة والأدلة الدامغة " (١) . اهـ .

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله تعالى : ((وهذا كتاب أنزلناه مبارك مصدق الذى بين يديه ولتنذر أم القرى ومن حولها والذين يؤمنون بالآخرة يؤمنون به وهم على صلاتهم يحافظون)) (٢) .

((وهذا)) يعني القرآن ((كتاب أنزلناه مبارك)) أى كثير المنافع والفوائد ، لاشتماله على منافع الدارين ، وعلوم الأولين والآخرين وما لا يتناهى من الفوائد ، ومعنى ((مصدق الذى بين يديه)) أى من التوراة أو من الكتب التي أنزلت قبله ، في اثبات التوحيد والأمر به ، ونفي الشرك والنهي عنه ، وفي سائر أصول الشرائع التي لا تنسخ (٣) .

((ولتنذر أم القرى)) يعني مكة ((ومن حولها)) من أحياء العرب ومن سائر طوائف بني آدم من عرب وعجم (٤) .

وقال تعالى : ((وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وإياى فاتقون)) (٥) .

---

(١) أنظر : تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٧١ - ٧٢ .
(٢) سورة الأنعام - آية : ٩٢ .
(٣) تفسير القاسمي جـ ٦ ص ٦٢٨ - ٦٢٩ دار الفكر / بيروت .
(٤) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ١٦٩ .
(٥) سورة البقرة - آية : ٤١ .

قال الألوسي : " ومعنى تصديقه لها أنه نازل حسبما نعت فيها ، أو مطابق لها في أصل الدين والملة أو لما لم ينسخ كالقصص والمواعظ ومحض المحرمات ـ كالكذب ، والزنا ـ أو لجميع ما فيها والمخالفة في بعض جزئيات الأحكام التي هي للأمراض القلبية كالأدوية الطبية للأمراض البدنية المختلفة بحسب الأزمان والأشخاص ليست بمخالفة في الحقيقة ، بل هي موافقة لها من حيث أن كلا منها حق في عصره متضمن للحكمة التي يدور عليها فلك التشريع وليس في التوراة ما يدل على أبدية أحكامها المنسوخة حتى يخالفها ما ينسخها بل ان نطقها بصحة القرآن الناسخ لها نطق بنسخها وانتهاء وقتها الذى شرعت للمصلحة فيه " (١) .

ومن هذه الآيات قوله تعالى :

((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ)) (٢) .

وقال تبارك وتعالى : ((نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)) (٣) .

---

(١) روح المعاني جـ ١ ص ٢٤٤ ادارة الطباعة المنيرية .

(٢) سورة البقرة ـ آية : ٩١ .

(٣) سورة آل عمران ـ آية : ٣ ـ ٤ .

وقال سبحانه : ((لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ما كان حديثا يفترى ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل كل شيء وهدى ورحمة لقوم يؤمنون)) (١) .

وقال جل ذكره : ((وما كان هذا القرآن أن يفترى من دون الله ولكن تصديق الذى بين يديه وتفصيل الكتاب لا ريب فيه من رب العالمين)) (٢) .

وقال تعالى : ((والذى أوحينا اليك من الكتاب هو الحق مصدقا لما بين يديه إن الله بعباده لخبير بصير)) (٣) .

وقال أيضا : ((ومن قبله كتاب موسى إماما ورحمة وهذا كتاب مصدق لسانا عربيا لينذر الذين ظلموا وبشرى للمحسنين)) (٤) .

وقد شهدت الجن بأن القرآن الكريم مصدق لما بين يديه من الكتب وأنه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم . جاء ذلك حكاية عنهم في قوله تعالى : ((قالوا يا قومنا إنا سمعنا كتابا أنزل من بعد موسى مصدقا لما بين يديه يهدى الى الحق والى طريق مستقيم)) (٥) .

فهذه الآيات الكثيرة قد أقامت الحجة القاطعة على أهل الكتاب باثبات أن القرآن الكريم الذى أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - مصدق لما في الكتب السماوية السابقة من صحة وصواب ، ومهيمن ومؤتمن عليها ،

---

(١) سورة يوسف - آية : ١١١ .
(٢) " يونس - آية : ٣٧ .
(٣) " فاطر - آية : ٣١ .
(٤) " الأحقاف - آية : ١٢ .
(٥) " " - آية : ٣٠ .

وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل ، ويظهر ما أخفاه منها أحبارهم ورهبانهم ، ويصحح ما وقعوا فيه من أخطاء وأوهام ، ويقص الحق في خلافاتهم ، ويفصل ما جاء به الشارع الحكيم من حلال وحرام وخير وشر ، ويبيّن أن ما وافقه منها فهو حق ، وما خالفه منها فهو باطل .

فعلى أهل الكتاب أن يعوا هذه الحقائق ، وأن يدخلوا في الاسلام تاركين التكبر والعناد ، ففي الاسلام عزهم وسعادتهم في دنياهم وآخرتهم .

* * * * *

المبحث السادس : اقامة الحجة عليهم عن طريق الاستشهاد بما أنزل اليهم :

ومن الأدلة التي ساقها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام ما صرحت به الآيات الكثيرة من التنويه والاشادة بمؤمني أهل الكتاب وتصديقهم ما جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وشهادتهم أن ما أنزل عليه هو الحق ، وأنهم يعرفون ذلك كما يعرفون أبناءهم ، لما يجدونه من صفات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في التوراة والانجيل ، معبرين عن ايمانهم بشدة فرحهم وخشوعهم عند سماع قراءة القرآن ، وقد دعا القرآن الكريم الباقين منهم على الكفر الى الرجوع الى كتبهم ، فهي لم تزل ناطقة بالحق الذى جاء به الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ .

ومن ذلك قوله تعالى : ((وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ، أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) (١) .

قال ابن كثير : " يخبر ـ تعالى ـ عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الايمان ، ويؤمنون بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) مع ما هم مؤمنون به من الكتب المتقدمة ، وأنهم خاشعون لله مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه ، لا يشترون بآيات الله ثمنا قليلا أى لا يكتمون ما بأيديهم من البشارة بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته ، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم سواء كانوا هودا أو نصارى " (٢) .

---

(١) سورة آل عمران ـ آية : ١٩٩ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٦٦ .

وقال تعالى : ((الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * واذا يتلى عليهم قالوا آمنا به انه الحق من ربنا انا كنا من قبله مسلمين * أولئك يؤتون أجرهم مرتين بما صبروا ويدرؤون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون)) (١) .

وقال تعالى : ((الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته أولئك يؤمنون به ، ومن يكفر به فأولئك هم الخاسرون)) (٢) .

وقال تعالى : ((ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق وبه يعدلون)) (٣) .

وقال تعالى : ((ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون)) (٤) .

وقال تعالى : ((قل آمنوا به أو لا تؤمنوا إن الذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا * ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا لمفعولا * ويخرون للأذقان يبكون ويزيدهم خشوعا)) (٥) .

قال ابن كثير : وهذه الصفات توجد في اليهود ولكن قليلا ، كما وجد في عهد الله بن سلام وأمثاله ممن آمن من أحبار اليهود ولم يبلغوا عشرة أنفس ، وأما النصارى فكثير منهم يهتدون وينقادون للحق كما قال (٦)

---

(١) سورة القصص - آية : ٥٢ - ٥٤ .
(٢) " البقرة - " : ١٢١ .
(٣) " الأعراف - " : ١٥٩ .
(٤) " آل عمران - " : ١١٣ .
(٥) " الاسراء - " : ١٠٧ - ١٠٩ .
(٦) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢٦٦ .

تعالى : ((لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ، ذلك بأن منهم قسيسين ورهباناً وأنهم لا يستكبرون * وإذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق ، يقولون ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها ، وذلك جزاء المحسنين)) (١) .

وقد ثبت في الحديث أن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما قرأ سورة ((كهيعص)) بحضرة النجاشي ملك الحبشة ، وعنده البطارقة والقساقسة ، بكى وبكوا معه ، حتى أخضبوا لحاهم (٢) .

وثبت في الصحيحين أن النجاشي لما مات نعاه النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أصحابه ، وقال :(ان أخا لكم بالحبشة قد مات فصلوا عليه ، فخرج الى الصحراء فصفهم وصلى عليه) (٣) .

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله تعالى :

((لكن الراسخون في العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة والمؤمنون بالله واليوم الآخر ، أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما)) (٤) .

---

(١) سورة المائدة ـ آية : ٨٢ ـ ٨٥ .
(٢) رواه الامام أحمد . انظر : المسند جـ ١ ص ٢٠٣ دار صادر .
(٣) انظر : صحيح البخاري جـ ٢ ص ٧١ كتاب الجنائز ، باب الرجل ينعى الى أهل الميت بنفسه . وصحيح مسلم جـ ٢ ص ٦٥٦ ـ ٦٥٧ كتاب الجنائز ، باب التكبير على الجنازة ، حديث رقم (٦٢) و(٦٣) .
(٤) سورة النساء ـ آية : ١٦٢ .

وقوله تعالى : ((الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون)) (١) .

وقوله تعالى : ((أفغير الله أبتغي حكما وهو الذي أنزل إليكم الكتاب مفصلا والذين آتيناهم الكتاب يعلمون أنه منزل من ربك بالحق فلا تكونن من الممترين)) (٢) .

وقوله تعالى : ((الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل ...)) الآية (٣) .

وقوله تعالى : ((فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل الذين يقرأون الكتاب من قبلك لقد جاءك الحق من ربك فلا تكونن من الممترين)) (٤) . ولا يفهم من هذه الآية ونحوها أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حصل له شك فيما أوحي اليه من ربه حاشا وكلا .

قال قتادة بن دعامة : بلغنا أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال : (لا أشك ولا أسأل) (٥) ، وكذا قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن البصري (٦) .

وقال القرطبي : الخطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمراد غيره أي لست في شك ولكن غيرك شك (٧) .

---

(١) سورة الأنعام - آية : ٢٠ .
(٢) " الأنعام - " : ١١٤ .
(٣) " الأعراف - " : ١٥٧ .
(٤) " يونس - " : ٩٤ .
(٥) أخرجه ابن جرير في تفسيره جـ ١١ ص ١٦٨ .
(٦) انظر : تفسير ابن جرير - المرجع السابق والصفحة - وتفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٤٦٣ .
(٧) تفسير القرطبي جـ ٨ ص ٣٨٢ .

وقيل : المعنى على سبيل الفرض والتقدير . قال الزمخشري : " فان قلت : كيف قال لرسول الله - صلى الله عليه وسلم - ((فان كنت في شك مما أنزلنا اليك)) مع قوله في الكفرة ((وانهم لفي شك منه مريب)) ؟ قلت : فرق عظيم بين قوله - وانهم لفي شك منه مريب - باثبات الشك لهم على سبيل التأكيد والتحقيق ، وبين قوله - فان كنت في شك - بمعنى الفرض والتمثيل ، كأنه قيل : فان وقع لك شك مثلا وخيل لك الشيطان خيالا منه تقديرا ((فاسئل الذين يقرأون الكتاب)) والمعنى أن الله عز وجل قدم ذكر بني اسرائيل وهم قرأة الكتاب ووصفهم بأن العلم قد جاءهم لأن أمر رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مكتوب عندهم في التوراة والانجيل ، وهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، فأراد أن يؤكد علمهم بصحة القرآن وصحة نبوّة محمد - عليه الصلاة والسلام - ويبالغ في ذلك فقال : فان وقع لك شك فرضا وتقديرا ، فسل علماء أهل الكتاب : يعني أنهم من الاحاطة بصحة ما أنزل اليك وقتلها علما بحيث يصلحون لمراجعة مثلك ومساءلتهم فضلا عن غيرك ، فالغرض وصف الأحبار بالرسوخ في العلم بصحة ما أنزل الى رسول الله لا وصف رسول الله بالشك فيه "(١) .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله : ((والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل اليك)) الآية(٢) .

وقوله : ((قل كفى بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم الكتاب))(٣) .

---

(١) الكشاف جـ ٢ ص ٢٥٢ - ٢٥٣ .
(٢) سورة الرعد - آية : ٣٦ .
(٣) سورة الرعد - آية : ٤٣ .

وقوله : ((وكذلك أنزلنا إليك الكتاب فالذين آتيناهم الكتاب يؤمنون به ومن هؤلاء من يؤمن به وما يجحد بآياتنا الا الكافرون)) (١) .

وقوله : ((قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم إن الله لا يهدي القوم الظالمين)) (٢) .

وهكذا جاءت الآيات الكثيرة تبين وتؤكد أن أهل الكتاب لا سيما علماؤهم يعلمون علم اليقين صدق محمد - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل اليه من ربه لما يجدونه في كتبهم من صفاته الواضحة ، فلزمهم بناء على هذه المعرفة الايمان والتصديق وترك العناد والكبرياء والحسد .

* · * · * · *
· * · * · * ·
* · * · * · *
· * ·
* · *

---

(١) سورة العنكبوت - آية : ٤٧ .

(٢) سورة الأحقاف - آية : ١٠ .

المبحث السابع : اقامة الحجة عليهم لامتناعهم عن المباهلة :

ومن بين الأدلة والوسائل التي استعملها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام الدعوة الى المباهلة .

وهي في اللغة : الملاعنة ، والابتهال الاجتهاد في الدعاء واخلاصه .(١)

قال ابن الأثير : " وهو أن يجتمع القوم اذا اختلفوا في شيء فيقولون لعنة الله على الظالم منا ".(٢)

وعلى هذا فان المباهلة هي أن يقف الفريقان المختلفان ويدعوان الله عز وجل بهلاك الكاذب منهما .

ولنأخذ أولا المباهلة مع اليهود في هذا الشأن ، ثم المباهلة مع النصارى :

أ ـ المباهلة مع اليهود :

لقد كان اليهود يزعمون أنهم شعب الله المختار ، وأنهم وحدهم الفائزون بمغفرة الله ورضوانه ، وأنه ليس لغيرهم من الأمم في الآخرة عند الله نصيب . وقد قص الله ـ تعالى ـ عنهم تلك الدعاوى الباطلة كقوله تعالى : ((وقالوا لن تمسنا النار الا أياما معدودة))(٣) ، وقوله : ((وقالوا لن يدخل الجنة الا من كان هودا أو نصارى))(٤) ، وقوله : ((وقالت اليهود والنصارى نحن أبناء الله وأحباؤه))(٥) .

---

(١) النهاية في غريب الحديث جـ ١ ص ١٦٧ ، والقاموس المحيط جـ ٣ ص ٣٣٩ .
(٢) النهاية في غريب الحديث جـ ١ ص ١٦٧ .
(٣) سورة البقرة ـ آية : ٨٠ .
(٤) " البقرة ـ آية : ١١١ .
(٥) " المائدة ـ آية : ١٨ .

عند ذلك أكذبهم الله عز وجل وأمر رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يقول لهم : ((قل إن كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت إن كنتم صادقين * ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم والله عليم بالظالمين * ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا يود أحدهم لو يعمر ألف سنة وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر والله بصير بما يعملون)) (١) .

فعن ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال الله لنبيه صلى الله عليه وسلم : ((قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس فتمنوا الموت ان كنتم صادقين)) أي ادعوا بالموت على أي الفريقين أكذب . وعنه : فتمنوا الموت : فسلوا الموت ، وعنه أيضا : لو تمنى يهود الموت لماتوا ، وعنه : لو تمنوا الموت لشرق أحدهم بريقة .

أورد هذه الآثار بأسانيدها الحافظ ابن كثير في تفسيره وعلق عليها بقوله : وهذه أسانيد صحيحة الى ابن عباس . ثم قال : وهذا الذي فسر به ابن عباس الآية هو المتعين ، وهو الدعاء على أي الفريقين أكذب ، منهم أو من المسلمين على وجه المباهلة ، ونقله ابن جرير عن قتادة وأبي العالية والربيع بن أنس رحمهم الله تعالى . ثم قال : وأما من فسر الآية على معنى ((ان كنتم صادقين)) أي في دعواكم فتمنوا الآن الموت ، ولم يتعرض هؤلاء للمباهلة ، كما قرره طائفة من المتكلمين وغيرهم . ومال اليه ابن جرير بعد ما قارب القول الأول ، فانه قال : القول في تأويل قوله تعالى :

---

(١) سورة البقرة ـ آية : ٩٤ ـ ٩٦ .

((قل ان كانت لكم الدار الآخرة عند الله خالصة من دون الناس)) الآية . فهذه الآية مما احتج الله سبحانه لنبيه صلى الله عليه وسلم على اليهود الذين كانوا بين ظرانـي مهاجرة ، وفضح بها أحبارهم وعلماءهم .

وذلك أن الله جل ثناؤه أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يدعوهم الى قضية عادلة فيما بينه وبينهم من الخلاف ، كما أمره أن يدعو الفريق الآخر من النصارى ، اذ خالفوه في عيسى عليه السلام وجادلوه فيه الى فاصلة بينه وبينهم في المباهلة ، وقال لفريق اليهود : ان كنتم محقين فتمنوا الموت ، فان ذلك غير ضاركم ان كنتم محقين فيما تدعون من الايمان وقرب المنزلة من الله ، بل ان أعطيتم أمنيتكم من الموت اذا تمنيتم ، فانما تصيرون الى الراحة من تعب الدنيا ونصبها وكدر عيشها ، والفوز بجوار الله في جنانه ان كان الأمر كما تزعمون من أن الدار الآخرة لكم خالصة دوننا ، وان لم تمنطوها علم الناس أنكم المبطلون ، ونحن المحقون في دعوانا وانكشف أمرنا وأمركم لهم ، فامتنعت اليهود من اجابة النبي صلى الله عليه وسلم الى ذلك لعلمها أنها ان تمنت الموت هلكت ، فذهبت دنياها ، وصارت الى خزي الأبد في آخرتها ، كما امتنع فريق النصارى الذين جادلوا النبي صلى الله عليه وسلم في عيسى ، اذ دعوا الى المباهلة من المباهلة " .

قال ابن كثير : " فهذا الكلام منه ـ أي من ابن جرير ـ أوله حسن وآخره فيه نظر ، وذلك لأنه لا تظهر الحجة عليهم على هذا التأويل ، اذ يقال : انه لا يلزم كونهم يعتقدون أنهم صادقون في دعواهم أنهم يتمنون الموت ، فانه لا ملازمة بين وجود الصلاح وتمني الموت ، وكم من صالح لا يتمنى الموت ، بل يود أن يعمر ليزداد خيرا وترفع درجته في الجنة . . .

ولهم مع ذلك أن يقولوا على هذا : فها أنتم تعتقدون أيها المسلمون أنكم أصحاب الجنة وأنكم لا تتمنون في حال الصحة الموت ، فكيف تلزموننا بما لا يلزمكم ؟ وهذا كله انما نشأ من تفسير الآية على هذا المعنى . فأما على تفسير ابن عباس فلا يلزم عليه شيء من ذلك ، بل قيل لهم كلام نصف : ان كنتم تعتقدون أنكم أولياء الله من دون الناس ، وأنكم أبناء الله وأحباؤه ، وأنكم من أهل الجنة ومن عداكم من أهل النار ، فباهلوا على ذلك ، وادعوا على الكاذبين منكم أو من غيركم ، واعلموا أن المباهلة تستأصل الكاذب لا محالة .

فلما تيقنوا ذلك وعرفوا صدقه نكلوا عن المباهلة لما يعلمون من كذبهم وافترائهم وكتمانهم الحق من صفة الرسول صلى الله عليه وسلم ونعته ، فعلم كل أحد باطلهم وخزيهم وضلالهم وعنادهم - عليهم لعائن الله المتتالية الى يوم القيامة - .

وسميت هذه المباهلة تمنيا لأن كل محق يود لو أهلك الله المبطل المناظر له ، ولا سيما اذا كان في ذلك حجة له في بيان حقه وظهوره ، وكانت المباهلة بالموت لأن الحياة عندهم عزيزة عظيمة لما يعلمون من سوء مآلهم بعد الموت " (١) .

وقوله : ((ولن يتمنوه أبدا بما قدمت أيديهم)) أي لن يتمنوا الموت بسبب ما عملوا من المعاصي والكفر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل عليه من القرآن الكريم ، وتحريفهم للتوراة ، لأن هذه الأعمال توجب دخول النار ان لم يسلموا .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٣٠ - ١٣٢ ، وتفسير ابن جرير الطبري جـ ١ ص ٤٢٤ .

وقوله : ((والله عليم بالظالمين)) فهو سبحانه عالم بظلمهم وكفرهم وكذبهم ، وسيجازيهم على ذلك ، وفي هذا زجر وتهديد شديد لهم .

وقوله : ((ولتجدنهم أحرص الناس على حياة ومن الذين أشركوا)) أي لتجدن اليهود أشد الناس حرصا من جميع الناس على حب الحياة الدنيا حتى من المشركين ، وذلك لعلمهم بسوء المصير والعياذ بالله .

وقوله : ((يود أحدهم لو يعمر ألف سنة)) أي يتمنى أحدهم أن يعيش ألف سنة ((وما هو بمزحزحه من العذاب أن يعمر)) أي فان عمره مهما طال ليس بمنجيه ومبعده من عذاب الله ((والله بصير بما يعملون)) أي فان الله - تعالى - بصير ومطلع على جميع أعمالهم فيجازيهم عليها ، وفي هذا التذييل بالآية وعيد وتهديد أيضا .

ومثل هذه الآيات قوله تعالى : ((قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ)) (١) .

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال : قال أبو جهل - قبحه الله - " إن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأتيته حتى أطأ على عنقه "، قال : فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لو فعل لأخذته الملائكة عيانا ، ولو أن اليهود تمنوا الموت لماتوا ولرأوا مقاعدهم من النار ، ولو خرج الذين يباهلون رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لرجعوا لا يجدون أهلا

---

(١) سورة الجمعة - آية : ٦ - ٧ .

ولا مـــالا)[1] .

بهذلك تكون الآيات الكريمـة قد قطعت على اليهود مزاعمهـــــــم الكاذبة ، لا متناعهم عن المباهلة ولزمتهم الحجة في وجوب اتباع الرســـــول محمد صلى الله عليه وسلم .

ب ـ المباهلة مع النصـــارى :

أما دعوة النصارى الى المباهلة فقد جاء في قوله تعالى : ((إنَّ مثل عيسى عند اللّه كمثل آدم خلقه من تراب ثمّ قال له كن فيكون * الحق من ربك فلا تكن من الممترين * فمن حاجّك فيه من بعـــد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنت اللّه على الكاذبين * إنّ هذا لهو القصص الحق وما من اله إلا اللّه وإنّ اللّه لهو العزيـــز الحكيم * فان تولّوا فانّ اللّه عليم بالمفسدين))[2] .

وكان سبب نزول هذه المباهلة وما قبلها من أول سورة آل عمران الى هنا في وفد نصارى نجران لما قدموا على النبي ـ صلى الله عليه وســـلم ـ

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٦ ص ٨٩ ، كتاب التفسير ، باب قوله تعالى ((كلا لئن لم ينته لنسفعن بالناصية)) .
والترمذي مع التحفة جـ ٩ ص ٢٧٧ ـ ٢٧٩ في كتاب التفسير ، بـــاب (ومن سورة اقرأ باسم ربك) رقم (٣٤٠٦ ، ٣٤٠٧) .
وأحمد في المسند جـ ١ ص ٢٤٨ .
وأخرجه مسلم عن أبي هريرة جـ ٤ ص ٢١٥٤ كتاب صفات المنافقـــين وأحكامهم ، باب قوله ((ان الانسان ليطغى * أن رآه استغنى)) رقم ٣٨ .

(٢) ســورة آل عمران ـ آية : ٥٩ ـ ٦٣ .

وجعلوا يحاجون في عيسى - عليه السلام - ويزعمون فيه ما يزعمون من النبوة والالهية ، فأنزل الله تعالى صدر هذه السورة ردا عليهم .(١)

قال ابن اسحاق : وقدم على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وفد نصارى من نجران ستون راكبا ، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرافهم يؤول أمرهم اليهم ، فدخلوا عليه مسجده حين صلى العصر ، وقد حانت صلاتهم فقاموا في مسجد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - دعوهم فصلوا الى المشرق . قال : فكلم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - منهم أبو حارثة بن علقمة ، والعاقب عبد المسيح ، والايهم - يقولون : (أى المسيح) هو الله ، ويقولون : هو ولد الله ، ويقولون : هو ثالث ثلاثة ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا ، ويحتجون في قولهم هو الله بأنه كان يحي الموتى ويبرىء الأكمه والأبرص والأسقام ويخبر بالغيوب ويخلق من الطين كهيئة الطير فينفخ فيه فيكون طيرا - وذلك كله بأمر الله . وليجعله آية للناس - ويحتجون في قولهم بأنه ابن الله يقولون : لم يكن له أب يعلم ، وقد تكلم في المهد بشيء لم يصنعه أحد من بني آدم قبله ، ويحتجون على قولهم بأنه ثالث ثلاثة بقول الله - تعالى - فعلنا وأمرنا ، وخلقنا ، وقضينا ، فيقولون : لو كان واحدا ما قال الا فعلت وأمرت وقضيت وخلقت ، ولكنه هو وعيسى ومريم - تعالى الله وتقدس وتنزه عما يقول الظالمون والجاحدون علوا كبيرا - ، وفي كل ذلك من قولهم قد نزل القرآن .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٣ .

فلما كلمه الحبران قال لهما رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم : (أسلما) ، قالا : قد أسلمنا . قال : " انكم لم تسلما فأسلما " ، قالا : بلى ، قد أسلمنا قبلك ، قال : " كذبتما يمنعكما من الاسلام ادعاؤكما لله ولدا وعبادتكما للصليب وأكلكما الخنزير " قالا : فمن أبوه يا محمد ؟ فصمت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عنهما فلم يجبهما ، فأنزل الله في ذلك من قولهم واختلاف أمرهم صدر سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها .

ثم تكلم ابن اسحاق عن تفسير السورة الى أن قال :

فلما أتى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الخبر من الله والفصل من القضاء بينه وبينهم ، وأمر بما أمر به من ملاعنتهم ان ردوا ذلك عليه ، دعاهم الى ذلك ، فقالوا له : يا أبا القاسم ، دعنا ننظر في أمرنا ، ثم نأتيك بما نريد أن نفعل فيما دعوتنا اليه ، ثم انصرفوا عنه ، ثم خلوا بالعاقب ، وكان ذا رأيهم ، فقالوا : يا عبد المسيح ماذا ترى ؟ فقال : والله يا معشر النصارى لقد عرفتم أن محمدا لنبي مرسل ، ولقد جاءكم بالفصل من خبر صاحبكم ، ولقد علمتم أنه ما لاعن قوم نبيا قط فبقي كبيرهم ولا نبت صغيرهم ، وانه للاستئصال منكم ان فعلتم ، فان كنتم أبيتم الا الف دينكم ، والاقامة على ما أنتم عليه من القول في صاحبكم ، فوادعوا الرجل وانصرفوا الى بلادكم .

فأتوا النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا : يا أبا القاسم قد رأينا أن لا نلاعنك ونتركك على دينك ونرجع على ديننا ، ولكن ابعث معنا رجلا من أصحابك ترضاه لنا يحكم بيننا في أشياء اختلفنا فيها في أموالنا فانكم عندنا رضا ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (ائتوني العشية أبعث معكم القوى الأمين) فكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول : ما أحببت الامارة قط

هبي اياها يومئذ ، رجاء أن أكون صاحبها ، فرهت الى الظهر مهجـــرا ، فلما صلى بنا رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ الظهر سلم ، ثم نظر عـــن يمينه وعن يساره ، فجعلت أتطاول له ليراني ، فلم يزل يلتمس ببصره حـــتى رأى أبا عبيدة بن الجراح ، فدعاه فقال : (اخرج معهم ، فاقض بينهـــم بالحق فيما اختلفوا فيـه) قال عمر : فذهب بها أبو عبيدة .(١)

وثبت في الصحيحين عن حذيفة رضي الله عنه قال : جاء العاقـب والسيد صاحبا نجران الى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ يريـــدا أن يلاعناه ، قال : فقال أحدهما لصاحبه : لا تفعل ، فو الله لئن كان نبيـا فلاعنـا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا ، قالا : انا نعطيك ما سألتنـا ، وابعث معنا رجلا أمينا ، ولا تبعث معنا الا أمينا . فقال : لأبعثن معـكم رجلا أمينا ، حق أمين . فاستشرف لها أصحاب رسول الله ـ صلى الله عليـه وسلم ـ فقال : قم يا أبا عبيدة بن الجراح . فلما قام قال رسول الله صلى اللـه عليه وسلم ـ هذا أمين هذه الأمة .(٢)

ومعنى قوله تعالى : ((ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون)) أى ان خلق عيسى ـ عليه السلام ـ بدون

---

(١) انظر : السيرة النبوية لابن هشام جـ ١ ص ٥٧٣ ـ ٥٨٤ . وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٣ ـ ٣٨٤ . والروض الأنف جـ ٥ ص ٧ ومـا بعدها . وزاد المعاد لابن القيم جـ ٣ ص ٤٤ وما بعدها .

(٢) صحيح البخارى جـ ٥ ص ١٢٠ كتاب المغازى ، باب قصة أهـل نجران . ومسلم جـ ٤ ص ١٨٨٢ كتاب فضائل الصحابة ، فضائـل أبي عبيدة بن الجراح . والامام أحمد جـ ١ ص ٤١٤ .

أب ليس أغرب من خلق آدم الذى خلق بلا أب ولا أم ، بل خلقه من طين ثم كان بكلمة الله تعالى ((كن)) فكان .

قال الزمخشرى : "هو مثله في أحد الطرفين فلا يمنع اختصاصه دونه بالطرف الآخر من تشبيهه به ، لأن المماثلة مشاركة له في بعض الأوصاف ولأنه شبه به في أنه وجد وجودا خارجا عن العادة المستمرة ، وهما في ذلك نظيران ، ولأن الوجود من غير أب وأم أغرب ليكون أقطع للخصم وأحسم لمادة شبهته اذا نظر فيما هو أغرب مما استغربه "(١) .

وقوله : ((الحق من ربك فلا تكن من الممترين)) أى هذا هو القول الحق في عيسى لا محيد عنه ، ولا صحيح سواه ، وماذا بعد الحق الا الضلال(٢) .

وقوله : ((فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم)) أى فمن جادلك وخاصمك في شأن عيسى بعد ما جاءك وظهر لك من الحق بأنه عبد الله ورسوله ((فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم)) أى هلموا نجتمع ثم يدعو كل منا ومنكم أبناءه ونساءه ونفسه الى المباهلة ((ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين)) أى نتضرع الى الله في الدعاء نقول اللهم العن الكاذب منا في أمر عيسى عليه السلام .

---

(١) الكشاف للزمخشرى جـ ١ ص ٤٣٣ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٣ .

وفي صحيح مسلم لما نزلت هذه الآية دعا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فاطمة وحسنا وحسينا فقال اللهم هؤلاء أهلي (١).

فلما دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم الى هذه المباهلة امتنعوا وطلبوا منه أن يدفعوا له كل عام ألفي حلة ألفا في صفر وألفا في رجب ، وثلاثين درعا عادية من حديد فصالحهم على ذلك (٢).

قال أبو حيان : وفي ترك النصارى الملاعنة لعلمهم بنبوته شاهد عظيم على صحة نبوته (٣) (صلى الله عليه وسلم) .

ثم قال تعالى : ((ان هذا لهو القصص الحق)) أى ان هذا القصص في شأن عيسى -عليه السلام- هو الحق الواضح الذى لا ريب فيه .

وقوله : ((وما من اله الا الله)) أى لا يوجد اله بحق غير الله -تعالى- وهو رد على النصارى القائلين بألوهية عيسى . وقوله ((وان الله لهو العزيز الحكيم)) . قال صاحب تفسير المنار : أى لا يساويه أحد في عزته في ملكه ، ولا يسامية سام في حكمه في خلقه ، فيكون شريكا له في ألوهيته أو ندا في ربوبيته ، وما الولد الا نسخة من الوالد يساويه في جنسه ونوعه ، وهو تعالى فوق الأجناس والأنواع وفوق التصورات والأوضاع (٤).

---

(١) صحيح مسلم جـ ٤ ص ١٨٧١ كتاب فضائل الصحابة ، باب فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حديث رقم (٣٢) .

(٢) تفسير أبي السعود جـ ٢ ص ٤٦ - ٤٧ .

(٣) البحر المحيط جـ ٢ ص ٤٨٠ .

(٤) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣٢٤ .

وقوله : ((فان تولوا فان الله عليم بالمفسدين)) أى فان أعرض هؤلاء عن التوحيد وأبوا الا البقاء على الشرك ، فان الله سبحانه سيجازيهم على افسادهم . وفيه وعيد شديد لقول النصارى في حق عيسى -عليه السلام - .

وبهذا نرى أن المباهلة أسلوب من أساليب الدعوة التي استعملها النبي - صلى الله عليه وسلم - بوحي من الله عز وجل ، وأن النصارى امتنعوا عن هذه المباهلة لمعرفتهم المسبقة بصدق النبي -صلى الله عليه وسلم - وبذلك لزمتهم الحجة ، فعليهم الرجوع الى الحق والايمان بما جاء به النبي الخاتم محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

* * * * * * *
* * * * * * *
* * * * * * *
* * * * * * *

المبحث الثامن : البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب

الحالية :

ويشتمل على تمهيد ، وثلاثة مطالب :

تمهيد :

ان التأمل للنصوص التاريخية المتحدثة عن فترة ما قبل البعثة المحمدية وأثنائها يدرك أن أهل الكتاب كانوا ينتظرون ظهور نبي ، وأنهم يعرفون اسمه ونعته وصفته ، وأنه يخرج من بلاد العرب ، ولذلك فان بعض علمائهم قد أعلن اسلامه بمجرد اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم .

فمن ذلك ما جاء في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما أن أبا سفيان عندما استدعاه هرقل في بلاد الشام قال في آخر حديثه : (وقد كنت أعلم أنه خارج (نبي) ولم أكن أظنه منكم ولو أعلم أني أخلص اليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت قدميه ، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي) (١) .

ومن ذلك حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال : (كنت رجلا فارسيا من أهل أصبهان من قرية منها يقال لها جيّ وذكر الحديث الى أن قال في قصته مع الرهبان النصارى . . . فالى من توصي بي وما تأمرني ؟ قال : أي بني والله ما أعلمه أصبح على ما كنا عليه أحد من الناس آمرك أن

---

(١) صحيح البخاري جـ ١ ص ٥ - ٦ كتاب الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومسلم جـ ٣ ص ١٣٩٣ كتاب الجهاد ، باب كتاب النبي صلى الله عليه وسلم الى هرقل يدعوه الى الاسلام ، رقم الحديث (٧٤) .

تتبعه ، ولكنه قد أظلك زمان نبي هو مبعوث بدين ابراهيم يخرج بأرض العرب مهاجرا الى أرض بين حرتين بينهما نخل به علامات لا تخفى ، يأكل الهدية ولا يأكل الصدقة ، بين كتفيه خاتم النبوة ، فان استطعت أن تلحق بتلك البلاد فافعل ...) الحديث .(١)

ومن ذلك ما ذكرته صفية بنت حيي أم المؤمنين رضي الله عنها عن أبيها وعمها اليهود بين قالت : (لما قدم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- المدينة ونزل قباء ، غدا عليه أبي حيي بن أخطب ، وعمي أبو ياسر مغلسين ،(٢) فلم يرجعا حتى كان غروب الشمس ، فأتيا كالين كسلانين ساقطين يمشيان الهوينا ، فهششت(٣) اليهما فما التفت اليّ أحد منهما مع ما بهما من الهم ، فسمعت عمي أبا ياسر يقول لأبي : أهو هو ؟ أى المبشر به في التوراة . قال : نعم والله . قال : أتثبته وتعرفه ؟ قال : نعم . قال : فما في نفسك منه ؟ قال : عداوته والله ما بقيت أبدا) .(٤)

---

(١) رواه الامام أحمد . انظر : المسند ٥/٤٤١ وما بعدها . دار صادر وانظر : دلائل النبوة للبيهقي ١/٣٤٨ ط الأولى ١٣٨٩ هـ .
قال ابن حجر في الاصابة : ورويت قصته من طرق كثيرة من أصحها ما أخرجه أحمد من حديث نفسه ، وأخرجها الحاكم من وجه آخر عنه أيضا ، وأخرجه الحاكم من حديث بريدة ، وعلق البخارى طرفا منها . الاصابة ٢/٦٢ .

(٢) الغلس : ظلمة آخر الليل اذا اختلط بضوء الصباح .
النهاية جـ ٣ ص ٣٧٧ .

(٣) يقال : هش لهذا الأمر يهش هشاشة ، اذا فرح واستبشر ، وارتاح له وخفّ . النهاية جـ ٥ ص ٢٦٤ .

(٤) ابن هشام جـ ٢ ص ٥١٨ وما بعدها ، وفاء الوفاء جـ ١ ص ٢٧٠ ، دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٣٩ .

ومن ذلك قصة اسلام عبد الله بن سلام :

قال ابن اسحاق : " وكان من حديثه كما حدثني بعض أهله عنه وعن اسلامه حين أسلم ، وكان حبرا عالما ، قال : لما سمعت برسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ عرفت صفته واسمه وزمانه الذى كنا نتوكف(١) له ، فكنت مسرا لذلك صامتا عليه حتى قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة ، فلما نزل بقباء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة ابنة الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيرى : خيبك الله ، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت ، قال : فقلت لها : أى عمة ، هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به ، قال : فقالت : فذاك اذن ، قال : ثم خرجت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلمت ثم رجعت الى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا ...)(٢) .

ومن ذلك ما رواه أبو داود عن أبي موسى الأشعرى رضي الله عنه قال : (أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم أن ننطلق الى أرض النجاشي ، فذكر حديثه ، قال النجاشي : أشهد أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنه الذى بشر به عيسى بن مريم ، ولولا ما أنا فيه من الملك لأتيته حتى أحمل نعليه)(٣) .

---

(١) نتوكف : نترقب ونتوقع خبره .

(٢) ابن هشام جـ ١ ص ٥١٦ .

(٣) سنن أبي داود جـ ٣ ص ٢١٢ ، كتاب الجنائز ، باب في الصلاة على المسلم يموت في بلاد الشرك رقم (٣٢٠٥) واسناده حسن .
انظر : جامع الأصول في أحاديث الرسول جـ ١١ ص ٢٦٣ - ٢٦٤ تحقيق عبد القادر الأرناؤوط .

وقد اشتهر حديث اليهود للأوس والخزرج عن أوان ظهور نبي ، وكان ذلك ـ بتوفيق الله ـ من الأسباب التي حملت الأوس والخزرج على الدخول في الاسلام .

فمن ذلك ما جاء عن سلمة بن سلامة رضي الله عنه ، وكان من أصحاب بدر قال : كان لنا جار من يهود بني عبد الأشهل ، فذكر القيامة والبعث والحساب والميزان والجنة والنار ، فقالوا له : ويحك يا فلان ، أو ترى هذا كائنا أن الناس يبعثون بعد موتهم الى دار فيها جنة ونار يجزون فيها بأعمالهم ؟ قال : نعم والذى يحلف به ، ولودّ أن له بحظه من تلك النار أعظم تنور في الدار ، يحمونه ثم يدخلونه اياه فيطينونه عليه ، بأن ينجو من تلك النار غدا ، فقالوا له : ويحك يا فلان وما آية ذلك ؟ قال : نبي مبعوث من نحو هذه البلاد ، وأشار بيده الى مكة واليمن ، فقالوا : ومتى تراه ؟ قال : فنظر اليّ وأنا من أحدثهم سنا ، فقال : ان يستنفدهذا الغلام عمره يدركه ، قال سلمة : فو الله ما ذهب الليل والنهار حتى بعث الله محمدا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وهو (أى ذلك اليهودى) حي بين أظهرنا ، فآمنا به ، وكفر به بغيا وحسدا . قال : فقلنا له : ويحك يا فلان ألست الذى قلت لنا فيه ما قلت ؟ قال : بلى ، ولكن ليس به)[1] .

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٢١٢ . وانظر : السيرة النبوية لابن كثير جـ ١ ص ٢٨٦ وما بعدها ، دار المعرفة / بيروت ط ١٣٩٦ هـ . ودلائل النبوة للبيهقي جـ ١ ص ٣٤٦ ، الطبعة الأولى ١٣٨٩ هـ . ودلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٣٥ - ٣٦ .

ومن ذلك ما ثبت في الصحيحين من حديث ورقة بن نوفل الـــذى ترويه عائشة رضي الله عنها في بدء الوحي : (أول ما بدئ به رسول اللـــه صلى الله عليه وسلم من الوحي الرؤيا الصادقة في النوم ، فكان لا يرى رؤيـــا الا جاءت مثل فلق الصبح . ثم حبّب اليه الخلاء ، وكان يخلو بغار حـــراء فيتحنث فيـه ـ وهو التعبد ـ الليالي ذوات العدد ... الى أن قالت : (فأتت به خديجة ورقـة بن نوفل ، وكان قد تنصر في الجاهلية ، وكـــان يكتب الكتاب العبراني ، فيكتب من الانجيل ما شاء الله أن يكتب ، فقالـت : اسمع من ابن أخيك ، فأخبره رسول الله ـصلى الله عليه وسلم ـ خبر ما رأى ، فقال ورقة : "هذا الناموس الذى نزّل الله على موسى ، يا ليتني فيهـــا جذعـــا ، ليتني أكون حيا اذ يخرجك قومك ، فقال رسول الله صلى اللـــه عليه وسلم : أو مخرجي هم ؟ قال : نعم ، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به الا عودى ، وان يدركني يومك أنصرك نصرا مؤزرا " ، ثم لم ينشب[1] ورقـــة أن توفـــى[2] .

وقال ابن اسحاق : وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو بمكة عشرون رجلا أو قريب من ذلك من النصارى ، حين بلغهم خبره بالحبشـــة ،

---

(١) لم ينشب : أى لم يلبث . قال في النهاية : وحقيقته : لم يتعـــلق بشيء غيره ، ولا اشتغل بسواه .
النهاية جـ ٥ ص ٥٢ .

(٢) صحيح البخارى جـ ١ ص ٣ ـ ٤ كتاب بدء الوحي ، باب كيف كان بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصحيح مسلم جـ ١ ص ١٣٩ وما بعدهـــا كتاب الايمان ، باب بدء الوحي الى رسول الله صلى الله عليه وســـلم حديث رقم (٢٥٢) .

فوجدوه في المسجد ، فجلسوا اليه وكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم - عما أرادوا ، دعاهم رسول الله -صلى الله عليه وسلم -الى الله عز وجل وتلا عليهم القرآن ، فلما سمعوا القرآن فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا لله ، وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره "(١) .

وتبرز لنا الكتب التي جادلت أهل الكتاب ، والكتب التي تتحدث عن دلائل النبوة ، أن اسم محمد صلى الله عليه وسلم كان مذكورا بصراحة ووضوح في كتب أهل الكتاب الى وقت متأخر .

ولكن مع مرور الزمن عملوا على اخفائه ومحوه من كتبهم ، كما هو ديدنهم التقليدي في الاخفاء والكتمان والتحريف والتبديل .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية : " وقد رأيت أنا من نسخ الزبور ما فيه تصريح بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم باسمه ، ورأيت نسخة أخرى بالزبور فلم أر ذلك فيها ، وحينئذ فلا يمتنع أن يكون في بعض النسخ من صفات النبي -صلى الله عليه وسلم - ما ليس في أخرى "(٢) .

ونقل ابن تيمية نصا من سفر دانيال في وصف النبي -صلى الله عليه وسلم - قال : " وقال دانيال النبي أيضا : فلا يزالون ملعونين (أى بني اسرائيل) عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبي بني اسماعيل الذى بشرت

---

(١) ابن هشام جـ ١ ص ٣٩١ - ٣٩٢ .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٢ ص ٢٧ .

به هاجر ، وأرسلت اليها ملاكي ببشرها ، وأوحى الى ذلك النبي ، وأعلمه الأسماء ، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البر شعاره والتقوى ضميره ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسرى به اليّ ، وأرقيه من سماء الى سماء حتى يملو فأدنيه ، وأسلم عليه ، وأوحي اليه ، ثم أرده الى عبادى بالسرور والغبطة ، حافظا لما استودع صادقا فيما أسر ، يدعو الى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، رؤوف بمن والاه ، رحيم بمن آمن به ، خشن على من عاداه ، فيدعو قومه الى توحيدى وعبادتي ، ويخبرهم بما رأى من آياتي ، فيكذبونه ويؤذونه .

ثم سرد دانيال قصة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بما أملاه عليه الملك ، حتى أوصل آخر أيام أمته بالنفخة وانقضاء الدنيا .

وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرأونها ويقولون لم يظهر صاحبها بعد " .(١)

ونقل الامام القرافي وشيخ الاسلام ابن تيمية ، والامام ابن القيم قول دانيال عليه السلام : (ستنزع في مشيك اغراقا وترتوى السهام بأسرك يا محمد ارتواء)(٢) .

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٤ ص ٤ - ٥ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٢٥٩ ، الجواب الصحيح جـ ٤ ص ٣ هداية الحيارى ص ٨٢ .

وقال أشعيا : (انما سمعنا من أطراف الأرض صوت محمد) .

قال ابن تيمية : " وهذا افصاح من أشعيا باسم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فليرنا أهل الكتاب نبيا نصت الأنبياء على اسمه صريحا ، سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم " .(١)

وقال أشعيا : (قال ابراهيم خليل الله الذى قويته ودعوته من أقاصي الأرض لا يخاف ولا يرهب . . . وأنت تبتهج وترتاح ويكون محمدا) .

قال الامام القرافي : " فرح عليه السلام باسمه . . . ولا يكاد أشعيا عليه السلام يهمل ذكر اسمه كأنه عليه ضريبة لازب وحتم واجب " .(٢)

وقال أشعيا عليه السلام مخاطبا للناس عن محمد عليه السلام في نبواته : (افهمي أيتها الأمم أن الرب أهاب من بعيد وذكر اسمي وأنا في الرحم وجعل لساني كالسيف الصارم وأنا في البطن وخاضني بظل يمينه وجعلني كالسهم المختار من كنانته وحزني لمسرة وقال لي : أنت عبدى فصر في عدلي حق قدام الرب وأعمالي بين يدى الهي فصرت محمدا عبد الرب وبالهي حولي وقوتي) .(٣)

ونقل الماوردى والقرافي وابن القيم عن أشعيا : (لتفرح البادية العطشى وتبتهج البرارى والفلوات ، ولتزهو فانها ستعطي بأحمد مجلس لبنان . . . وسيرون جلال الله الهنا) .(٤)

---

(١) الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٣٠ ، وانظر : الأجوبة الفاخرة ص ٢٥٥ وهداية الحيارى ص ٨١ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٢٥٤ .

(٣) الأجوبة الفاخرة ص ٢٥٠ .

(٤) أعلام النبوة ص ١٣٠ ، الأجوبة الفاخرة ص ٢٥٣ ، هداية الحيارى ص ٨٦ .

ونقل القرافي وابن تيمية وابن القيم عن أشعيا عليه السلام معلنا باسم الرسول صلى الله عليه وسلم : (اني جعلت اسمك محمدا ، يا محمد يا قدوس الرب اسمك موجود الى الأبد)[١].

(وقال داود عليه السلام في مزمور له : ان ربنا عظيم محمود جدا - وفي ترجمة اليهنا قدوس - ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا) .

(قالوا : فقد نص داود على اسم محمد وبلده ، وسماها قرية الله ، وأخبر أن كلمته تعم الأرض كلها)[٢].

وقال داود عليه السلام في الزبور : (سبحوا لله تسبيحا جديدا ، وليفرح اسرائيل بخالقه ، وبيوت صهيون من أجل أن الله اصطفى له أمته وأعطاه النصر ، وسدد الصالحين بالكرامة يسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرون الله بأصوات مرتفعة ...) .

قال ابن القيم : " وهذه الصفات انما تنطبق على محمد وأمته ، فهم الذين يكبرون بأصوات مرتفعة في أذانهم للصلوات الخمس وعلى الأماكن العالية ... وهم يكبرون الله بأصوات عالية مرتفعة في الأذان ، وفي عيد الفطر ، وعيد النحر ، وفي عشر ذى الحجة ، وعقيب الصلوات في أيام منى ، وذكر البخارى عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه كان يكبر بمنى فيسمعه أهل المسجد فيكبرون بتكبيره ، فيسمعهم أهل الأسواق فيكبرون ، حتى

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٥٤ ، الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣٢٦ ، هداية الحيارى ص ٧٤ .

(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٢٤٦ ، الجواب الصحيح جـ ٣ ص ٣١٩ ، هداية الحيارى ص ٧٢ .

ترتج منى تكبيرا " ... (١)

ويكبرون أيضا على قرابينهم وضحاياهم ، وعند رمي الجمار ، وعلى الصفا والمروة ، وعند محاذاة الحجر الأسود ، وفي أدبار الصلوات الخمس ، وليس هذا لأحد من الأمم ، لا أهل الكتاب ولا غيرهم سواهم ، فاليهود يجمعون الناس بالبوق ، والنصارى بالناقوس ، وأما تكبير الله بأصوات مرتفعة فشعار محمد بن عبد الله وأمته " .. (٢)

وقال ابن القيم : " ومن المعلوم بالضرورة أن محمدا بن عبد الله صلوات الله وسلامه عليه نادى معلنا في هاتين الأمتين اللتين هما أعظم الأمم في الأرض قبل مبعثه بأن ذكره ونعته وصفته بعينه عندهم في كتبهم ، وهو يتلو ذلك عليهم ليلا ونهارا ، وسرا وجهارا ، في كل مجمع وفي كل ناد يدعوهم بذلك الى تصديقه والايمان به ، فمنهم من يصدق ويؤمن به ، ويخبر بما في كتبهم من نعته وصفته وذكره ... وغاية المكذب الجاحد أن يقول هذا النعت والوصف حق ، ولكن لست أنت المراد به بل نبي آخر ، وهذا غاية ما يمكنه من المكابرة ... فالصفات والنعوت والعلامات المذكورة عندهم منطبقة عليه حذو القذة بالقذة بحيث لا يشك من عرفها ورآه أنه هو ... " . (٣)

وجاء في (منية الأذكياء في قصص الأنبياء) ما نصه : ان نبينا عليه الصلاة والسلام قد بشرت به الأنبياء السالفون ، وشهدوا بصدق نبوته ،

---

(١) روى الحديث البخاري في صحيحه جـ ٢ ص ٧ كتاب العيدين ، باب ١٢ التكبير أيام العيدين واذا غدا الى عرفة .

(٢) هداية الحيارى ص ٧٠ .

(٣) هداية الحيارى ص ٤٣ .

ووصفوه وصفا رفع كل احتمال ، حيث صرحت باسمه وبلده وجنسه وحليتـــــه وأطواره وسنته .

غير أن أهل الكتاب حذفوا اسمه - يعني من نسخهم الأخيرة - الا أن ذلك لم يجدهم نفعا ، لبقاء الصفحات التي اتفق عليها المؤرخون من كـــل جنس وملة ، وهي أظهر دلالة من الاسم على المسمى ، اذ قد يشترك اثنـان في اسم ، ويمتنع اشتراك اثنين في جميع الأوصاف ، ليبعد صدقها على النبي عليه الصلاة والسلام .

فترى كل نسخة متأخرة تختلف عما قبلها في بعض المواضع ، اختلافا لا يخفى على اللبيب أمره ، ولا ما قصد به ، ولم يفدهم ذلك غير تقويـــة الشبهة عليهم لانتشار النسخ بالطبع ، وتيسير المقابلة بينها (١) .

وقال الماوردي : " وقد تقدمت بشائر من سلف من الأنبياء بنبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - مما هو حجة على أممهم ، ومعجزة على صدقه عنـــد غيرهم بما ألهمه الله تعالى على غيبه ليكون عونا للرسول وحثا على القبول (٢) .

الى أن قال : " فمنهم من عينه باسمه ، ومنهم من ذكره بصفتـــه ، ومنهم من عزاه الى قومه ، ومنهم من أضافه الى بلده ، ومنهم من خصـــه بأفعاله ، ومنهم من ميزه بظهوره وانتشاره ، وقد حقق الله تعالى جميعهـــا فيه ، حتى صار جليا بعد الاحتمال ، ويقينا بعد الارتياب " (٣) .

---

(١) نقلا عن تفسير القاسمي جـ ٧ ص ٢٦٩ - ٢٧٠ .
(٢) اعلام النبوة للماوردي ص ١٢٧ - ١٢٨ دار الكتب العلميـة ، ط ٢ ١٤٠١ هـ .
(٣) المرجع السابـــق ص ١٣٨ .

وقال شهاب الدين القرافي : " وقد نصت الأنبياء عليهم السلام من ابراهيم عليه السلام الى المسيح عليه السلام على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام ورسالته ، وأنه أفضل النبيين والمرسلين ، ونصوا على اسمه ونعته وحليته وأرضه ومولده وجميل سيرته وصلاح أمته وسعادة ملته ، وأنه من ولد اسماعيل عليهما السلام ، وأن دعوته تدوم الى قيام الساعة " . (١)

الى غير ذلك من النصوص الكثيرة التي أوردها العلماء في هذا الخصوص .

ورغم دخول التحريف والتبديل ، على كتب أهل الكتاب ، فانه لا يزال يوجد بها النصوص الكثيرة التي تبشر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - قبل ميلاده بمئات السنين . وهذا مصداقا لقوله تعالى : ((يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) . (٢)

ولقد تحدثت كتب كثيرة لعلماء كبار عن هذه البشارات ، ولعل أعظم هذه الكتب - حسب علمي - هو كتاب (اظهار الحق) للشيخ رحمة الله الهندي ، الذي قام بدراسة نقدية واسعة ودقيقة لنصوص العهدين القديم والجديد الحاليين ، ورد على الشبه والاعتراضات التي يثيرها بعض أتباع هذين العهدين ضد الاسلام ، كما أورد ثماني عشرة بشارة بالنبي صلى الله عليه وسلم .

قال رحمه الله : " ان الأخبار الواقعة في حق محمد صلى الله عليه وسلم توجد كثيرة الى الآن مع وقوع التحريفات في هذه الأسفار ، ومن عرف أولا طريق

---

(١) الأجوبة الفاخرة ص ٢٣٥ .
(٢) سورة الصف - آية : ٨ .

أخبار النبي المتقدم عن النبي المتأخر . . ثم نظر ثانيا بنظر الانصاف الى هذه الاخبارات ، وقابلها بالاخبارات التي نقلها الانجيليون في حق عيسى عليه السلام . . جزم بأن الاخبارات المحمدية في غاية القوة " .(١)

والى القارىء بعض بشارات كتب أهل الكتاب بالنبي محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في العهدين القديم والجديد الحاليين ، مع الاستشهاد في ذلك بما قاله العلماء الأجلاء .

المطلب الأول : البشارات في العهد القديم :

١ ـ جاء في الاصحاح الثامن عشر من سفر التثنية :

(أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثلك ، وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بما أوصيه به . ويكون الانسان الذى لا يسمع لكلامي الذى يتكلم به باسمي أنا أطالبه . وأما النبي الذى يطغى فيتكلم باسمي كلاما لم أوصه أن يتكلم به أو الذى يتكلم باسم آلهة أخرى فيموت ذلك النبي . . .)(٢) .

قال الشيخ رحمة الله الهندى : " وهذه البشارة ليست بشارة بيشوع ـ عليه السلام ـ كما يزعم الآن أحبار اليهود(٣) ، ولا بشارة بعيسى ـ عليه السلام ـ كما يزعم البروتستنت ، بل هي بشارة بمحمد ـ صلى الله عليه

---

(١) اظهار الحق ص ٥٠٧ .

(٢) سفر التثنية ١٨ : ١٨ ـ ٢٠ .

(٣) يقول الدكتور أحمد حجازى السقا في تعليقه على هذا : " يقول اليهود في هذه البشارة أنها لنبي الى الآن لم يأت ، وقد قال المؤلف انهم يعنون بها يشوع فتى موسى والأصح ما قلته ..." هامش اظهار الحق ص ٥٠٨ .
قلت : ولعل القول بأنها بشارة بيشوع ـ عليه السلام ـ لبعض فرق اليهود ، وما أكثر اختلافاتهم .

وسلم لعشرة أوجـــه " (١)

ثم ذكر رحمه الله هذه الأوجه في كتابه (اظهار الحق) .

ويقول الأستاذ أحمد ديدات في كتابه (ماذا قالت التوراة عـــن محمد) : أنه سمع محاضرا يقول : يوجد في التوراة ألف دليل ودليل عـــلى التبشير بعيسى - عليه السلام - وكان يشير الى هذه الآية " أقيم لهـــم نبيا من وسط اخوتهم مثلك وأجعل كلامي في فمه فيكلمهم بكل ما أوصيـــه بـــــه " .

قال المؤلف : ناقشت المحاضر ، وقلت : هل يوجد في التـــوراة ما يشير الى ظهور محمد صلى الله عليه وسلم ؟ قال : لا . . قلت : كيـــف تنبأت التوراة بكل هذه الحوادث التي تذكرها ولا تذكر شيئا عن نبي جـــاء بدين يؤمن به أكثر من تسعمائة مليون ، وكلهم يؤمنون بنبوة السيد المسيـــح وأمه ويحترمونهما ؟

أجاب المحاضر : انه قرأ التوراة أعواما طويلة ولم يجد اشارة الى ظهور النبي محمد (صلى الله عليه وسلم) .

قال المؤلف : قابلت من كثير من رجال الدين النصارى موعدا أناقشه في هـذه الآية ، فلم يقبل اثنا عشر منهم وكنت سعيدا اذ قبل الثالث عشر طلـــبي ، فجئته وناقشته في هذه الآيـــة .

قال القسيس : ورد في الآية : (أقيم لهم نبيا من وسط اخوتهم مثـــلك) وهي تدل على المسيح عليه السلام لأنه يشبه موسى فان موسى كان يهوديـــا وكذلك عيسى ، كما ان كلاهما نبي .

---

(١) اظهـار الحـــق ص ٥٠٨ .

قلت : ولكن استنباطك هذا ينطبق على كل نبي يهودي جاء بعد موسى مثل سليمان ، وحسقيل ، واليسع ، ودانيال ، وغيرهم .

فلم يجب القسيس . . قلت : انني سأقول لك ان عيسى عليه السلام لا يشبه موسى عليه السلام ، فان أخطأت تصحح لي خطأي :

أولا : ان عيسى (حسبما تعتقدون) هو اله ، وموسى ليس الها .

ثانيا : حسبما تعتقدون ان عيسى مات ليكفر من خطايا البشر ، ولكن موسى لم يمت ليكفر من خطايا البشر .

ثالثا : كما تعتقدون أن عيسى ذهب الى جهنم ثلاثة أيام ، ولكن موسى لم يذهب الى هناك . . فهل ما قلته هو الصواب والحق ؟

قال : نعم .

قلت : اذا عيسى لا يشبه موسى . .

قلت للقسيس : هذه عقائد ليست ملموسة قد لا يقبلها بعض الشباب فلنتركها ولنبحث في الآية بصورة سهلة مبسطة يفهمها كل أحد فهل توافق ؟

فانشرح صدر القسيس لهذا الاقتراح .

قلت : أولا : ان موسى كان له أم وأب وكذلك محمد (صلى الله عليه وسلم) ولكن عيسى لم يكن له غير أم فهو ولد بلا أب ، فهل ذلك صحيح ؟

قال القسيس : نعم .

قلت : اذا عيسى لا يشبه موسى ولكن محمد يشبه موسى .

ثانيا : ان موسى ومحمد ولدا في الطريق الطبيعي - أي من رجل وامرأة - ولكن عيسى خلق بمعجزة . . قلت له : هل تعتقد أن عيسى ولد بمعجزة ؟ قال بفخر : نعم . . قلت : اذا عيسى لا يشبه موسى وانما محمد يشبه موسى .

ثالثا : قلت : ان موسى ومحمدا تزوجا وأنجبا أولادا ، ولكن عيسى بقي أعزبا كل حياته ، فهل هذا صحيح ؟ قال القسيس : نعم .

قلت : اذا عيسى لا يشبه موسى ، ولكن محمدا (صلى الله عليه وسلم) يشبهه .

رابعا : لقد قبل شعب موسى وشعب محمد نبوتهما في حياتهما . . وفي الانجيل عدم قبول شعب عيسى لرسالته . . (الى خاصته جاء وخاصته لم تقبل) (١) .

خامسا : كان موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام عندهما القدرة على تنفيذ الأحكام الشرعية كالقتل ونحوه . أما عيسى عليه السلام فليس كذلك .

سادسا : لقد جاء موسى ومحمد بقوانين جديدة . . الى شعبيهما . . أما عيسى فلم يأت بقانون جديد ، وقد قال : (لا تظنوا أني جئت لأنقض الناموس أو الأنبياء ، ما جئت لأنقض بل لأكمل . .) (٢) .

سابعا : ان كلا النبيين موسى ومحمد عليهما السلام ماتا ودفنا في الأرض ولكن حسبما تقولون ان عيسى عليه السلام استقر في السماء ، فهل هذا صحيح ؟ قال القسيس : نعم .

قلت : فان عيسى لا يشبه موسى ، بل يشبهه محمدا (صلى الله عليه وسلم) . . قال القسيس : كل ما عرضته معقول ومنطقي جدا ، ولكن لا نجد له أثرا حقيقيا عند النصارى لأنهم يعتبرون المسيح الاله المجسد الذي افتداهم من الخطيئة الأولى .

قلت للقسيس : هذا لا يهم أبدا ، فان الله يعلم أن سيرفض هذه

---

(١) انجيل يوحنا : ١ : ١١ .

(٢) انجيل متى ٥ : ١٧ - ١٨ .

الحجة كثيرون من أمثالك ، ولذلك عقب هذه الآية وأكلها بالآية التي بعدها بقوله : (ويكون الذى يتكلم باسمي .. أنا أطالبه) ، وفي انجيل الكاثوليك تنتهي الآية بقوله : (أنا أنتقم منه) . قلت للقسيس : ينتقم الله منك .. اسمع يقول أطالبه ، يقول سوف أنتقم منه ، ألا يخيفك ذلك ؟ ألا يخيفك تهديد الله ؟

اننا نرتجف رعبا اذا هددنا سفاح أو فرد من عصابة ، ألا تخاف انذار الله ؟

هذه الآية ؟ ! تدل بصورة كاملة على أن النبي الذى سيقام هو محمد وليس عيسى ، لأن الآية تقول ان كلماتي التي يتكلم بها باسمي .. فلننظر بأى اسم يتكلم محمد صلى الله عليه وسلم ، ان كل سور القرآن الكريم عدا سورة براءة تبدأ باسم الله الرحمن الرحيم .. (١)

وهذه الفقرة آية من آيات صدق الرسول محمد صلى الله عليه وسلم فقد بعث الله تعالى من اخوة بني اسرائيل لأنه من ذرية اسماعيل ، وبني اسرائيل من ذرية اسحاق ، واسماعيل واسحاق أبناء ابراهيم عليه السلام . ولو كان المبشر به من بني اسرائيل لقال منهم لا من اخوتهم .

وقوله (من وسط اخوتهم) ينطبق على الرسول صلى الله عليه وسلم ، لأنه من أحسن العرب نسبا كما قال المغيرة بن شعبة للمقوقس حين سأله : كيف نسبه في قومه ؟ فقال : (هو أوسطهم نسبا) (٢) أى أحسنهم نسبا .

---

(١) انظر : مجلة الدعوة السعودية العدد ٦٢٧ ، مقتبسة من مجلة التربية الاسلامية ، العدد الأول من السنة العشرين ، شعبان ١٣٩٧ هـ اقتباس الدكتور وجيه زين العابدين من كتاب (ماذا قالت التوراة عن محمد) وهو مطبوع طبعة ثالثة ١٩٧٧ م باللغة الانجليزية (بتصرف) .

(٢) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ١ ص ٩٩ .

وقد انتقم الله به من الذين حاربوه ، من الذين لم يسمعوا لكلام الله تعالى من المشركين واليهود والنصارى وغيرهم .

ولم يقتل صلى الله عليه وسلم على كثرة المحاولات التي اتخذها المشركون واليهود ضده . والنص الأصلي للعبارة هنا : (فأما النبي الذي يجترئ بالكبرياء ويتكلم في اسمي ما لم آمره بأنه يقوله أم باسم آلهة غيرى فليقتل)[١] .

ولكن حرّفها أهل الكتاب من (فليقتل) الى (فيموت ذلك النبي) والتحريف ليس بغريب منهم ، والبشارة واضحة .

جاء في اظهار الحق : " انه صرح في هذه البشارة بأن النبي الذي ينسب الى الله ما لم يأمره به يقتل ، فلو لم يكن محمد صلى الله عليه وسلم نبيا حقا لكان قد قتل ، وقد قال الله في حقه في القرآن المجيد : ((ولو تقوّل علينا بعض الأقاويل * لأخذنا منه باليمين * ثم لقطعنا منه الوتين))[٢] ، وما قتل بل قال الله في حقه : ((والله يعصمك من الناس))[٣] ، وأوفى بوعده ولم يقدر على قتله أحد حتى لحق بالرفيق الأعلى صلى الله عليه وسلم . . . "[٤] .

وقد جاء في سفر التثنية : (ولم يقم نبي في اسرائيل مثل موسى الذي عرفه الرب وجها لوجه)[٥] .

---

(١) انظر : اظهار الحق ص ٥٠٨ .
(٢) سورة الحاقة - آية : ٤٤ - ٤٦ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٦٧ .
(٤) اظهار الحق ص ٥١٢ .
(٥) سفر التثنية ٣٤/ ١٠ .

٢ - جاء في سفر التثنيـــة :

(هم أغاروني بما ليس الها . أغاظوني بأباطيلهم فأنا أغيرهـــم بما ليس شعبا . بأمة غبية أغيظهم)[١] .

وفي طبعة أخرى : (هم أغاروني بغير اله وأغضبوني بمعبوداتهم الباطـلة وأنا أيضا أغيرهم بغير شعب وبشعب جاهل أغيظهم)[٢] .

قال رحمة الله الهندى : " والمراد بشعب جاهل : العرب ، لأنهم كانوا في غاية الجهل والضلال ، . . . وكانوا محتقرين في نظر اليهـــود ، فالمقصود من الآية أن بني اسرائيل أغاروني بعبادة المعبودات الباطـــلة فلذلك أغيرهم باصطفائي للذين هم عندهم محتقرون وجاهلون ، وقد أوفى الله بما وعد وبعث من العرب النبي صلى الله عليه وسلم فهداهم الى الصـــراط المستقيم كما قال تعالى في سورة الجمعة : ((هو الذى بعث فـــي الأميين رسولا منهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وان كانوا من قبل لفي ضلال مبين))[٣] .

ولا شك أن العرب قبل الاسلام كانوا في جاهلية جهلاء وضلالة عمياء ومثل الآية السابقة في وصفهم بذلك قوله تعالى : ((لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولاً مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ))[٤] .

---

(١) سفر التثنيـة ٣٢ : ٢١ .
(٢) اظهـار الحـق ص ٥١٦ .
(٣) اظهـار الحـق ص ٥١٦ ، والآيـة ٢ من سورة الجمعة .
(٤) سـورة آل عمـران - آيـة : ١٦٤ .

٣ ـ جاء في سفر التثنية :

(جاء الرب من سيناء وأشرق لهم من سعير وتلألأ من جبل فاران وأتى من ربوات القدس وعن يمينه نار شريعة لهم) (١) .

قال الماوردي : " فمجيء الله تعالى من طور سيناء هو انزاله التوراة على موسى ، واشراقه من ساعير انزاله الانجيل على عيسى ، لأنه كان في ساعير أرض الخليل في قرية ناصرة ، واستعلاؤه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم ، وفاران هي جبال مكة في قول الجميع " (٢) .

وكذا قال ابن حزم ، والفخر الرازي ، والقرافي ، وابن تيمية ، وابن القيم ، ورحمة الله الهندي ، وغيرهم (٣) .

وقال شيخ الاسلام ابن تيمية : قال كثير من العلماء ، واللفظ لمحمد بن قتيبة ـ ليس بهذا خفاء على من تدبره ولا غموض ، لأن مجيء الله من طور سيناء انزاله التوراة على موسى من طور سيناء كالذي هو عند أهل الكتاب وعندنا ، وكذلك يجب أن يكون اشراقه من ساعير انزاله الانجيل على المسيح ، وكما يجب أن يكون اشراقه من ساعير بالمسيح ، فكذلك يجب أن يكون استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم

---

(١) سفر التثنية ٣٣ : ٢ .
(٢) اعلام النبوة ص ١٢٩ .
(٣) انظر : الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم ١/ ١١١-١١٢ ، والتفسير الكبير للفخر الرازي ٣/ ٣٦ - ٣٧ ، والأجوبة الفاخرة للقرافي ص ٢٣٨ - ٢٣٩ ، والجواب الصحيح لابن تيمية جـ ٣ ص ٣٠٠ وما بعدها ، وهداية الحيارى لابن القيم ص ٦٧ وما بعدها ، واظهار الحق لرحمة الله الهندي ص ٥١٧ .

وجبال فاران هي جبال مكة ، قال : وليس بين المسلمين وأهل الكتاب خلاف في أن فاران هي جبال مكة ، فان ادعوا أنها غير مكة . . . قلنا : أليس في التوراة أن ابراهيم أسكن هاجر واسماعيل فاران ؟ ، وقلنا : دلونا على الموضع الذى استعلن الله منه واسمه فاران . . . ؟ .

ثم يقول ابن تيمية : وعلى هذا فيكون قد ذكر الجبال الثلاثة حقا ، فراء الذى ليس حول مكة أعلى منه ، وفيه ابتدئ رسول الله صلى الله عليه وسلم بنزول الوحي عليه ، وحوله جبال كثيرة ، وذلك المكان يسمى فاران الى هذا اليوم ، والبرية التي بين مكة وطور سيناء تسمى برية فاران ، ولا يمكن أحدا أن يدعي أنه بعد المسيح نزل كتاب في شيء من تلك الأرض ولا بعث نبي ، فعلم أنه ليس المراد باستعلانه من جبال فاران الا ارسال محمد صلى الله عليه وسلم .(١)

وقد ذكر الله تعالى هذه الأماكن الثلاثة في قوله تعالى :

((والتين والزيتون * وطور سينين * وهذا البلد الأمين))(٢) .

فالتين والزيتون هو في الأرض المقدسة التي بعث منها المسيح وأنزل عليه فيها الانجيل ، ((وطور سينين)) وهو الجبل الذى كلم الله عليه موسى تكليما ، وناداه من واديه الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة التي فيه ، وأقسم (بالبلد الأمين) وهو مكة التي أسكن ابراهيم واسماعيل وأمه فيه وهو فاران . . . وقد علم بالتواتر واتفاق الأمم أن اسماعيل انما ربي

---

(١) الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص ٣٠٠ - ٣٠١ ، وانظر : هداية الحيارى ص ٦٧ .

(٢) سورة التين - آية : ١ - ٣ .

بمكة ، وهو وأبوه ابراهيم بنيا البيت ، فعلم قطعا أن فاران هي أرض مكة (١) .

وهذا النص ينطبق على الرسول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد ذكرت هذه البشارة أماكن الرسالات الثلاث ، وقد جاء في بعض تراجم النص : (ومعه ألوف الأطهار) (٢) .

وهذا ينطبق تماما على الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كان معه ألوف الأطهار ، كما قال تعالى : ((فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المطهرين)) (٣) .

ولكن أسقط بعض المترجمين هذه العبارة ليطمسوا شيئا من نور البشارة ولكن هيهات .

وجاء في التوراة : (وسكن في برية فاران وأخذ له زوجة من أرض مصر) (٤) .

فكل ذلك يثبت أن استعلانه من جبال فاران انزاله القرآن على محمد صلى الله عليه وسلم في مكة .

---

(١) انظر : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح جـ ٣ ص ٣٠٢ - ٣٠٥ ، وهداية الحيارى ص ٦٨ .

(٢) انظر : اظهار الحق ص ٥١٧ .

(٣) سورة التوبة ـ آية : ١٠٨ .

(٤) سفر التكوين ٢١ : ٢١ .

المطلب الثاني : البشارات في العهد الجديد :

١ ـ جاء في انجيل يوحنا في الاصحاح الرابع عشر :

(١٦ وأنا أطلب من الآب فيعطيكم فار قليطا آخر ليثبت معكم الى الأبد .

١٧ روح الحق الذى لا يستطيع العالم أن يقبله لأنه لا يراه ولا يعرفه ....

٢٦ والفار قليط روح القدس الذى يرسله الآب باسمي هو يعلمكم كل شيء

ويذكركم كل ما قلته لكم) .

وفي الاصحاح الخامس عشر منه :

(٢٦ واذا جاء الفار قليط الذى أرسله اليكم من الآب روح الحق الذى

من عند الآب فهو يشهد لي) .

وفي الاصحاح السادس عشر :

(٧ ان لم أنطلق لا يأتيكم الفار قليط . ولكن ان ذهبت أرسله اليكم .

٨ ومتى جاء ذاك يبكت العالم على خطية وعلى بر وعلى دينونة ... وأما

متى جاء ذاك روح الحق فهو يرشدكم الى جميع الحق لأنه لا يتكلم من نفسه

بل كل ما يسمع يتكلم به ويخبركم بأمور آتية . ذاك يمجدني لأنه يأخذ

مما لي ويخبركم) .

وهذه البشارة أوردها الشيخ رحمة الله الهندى في كتابه اظهار الحق وذكر أنه نقلها عن التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ م ، وسنة ١٨٣١ م وسنة ١٨٤٤ م في بلدة لندن .(١)

---

(١) انظر : اظهار الحق ص ٥٣٨ .

قال ابن القيم : " والفار قليط بلغتهم لفظ من ألفاظ الحمد اما أحمد أو محمد أو محمود أو حامد أو نحو ذلك " .(١)

وقال القرافي : " والفار قليط عند النصارى الحماد وقيل الحامد وجمهورهم أنه المخلص " .(٢)

ويترجم كثير من النصارى في الوقت الحاضر كلمة الفار قليط بالمعزى أو المخلص وهو ليس بصحيح ، والصواب أنه محمد أو أحمد أو كثير الحمد .

وقد جاء في سيرة ابن هشام : " فلو قد جاء المنحمنّا هذا الذى يرسله الله اليكم من عند الرب ، روح القدس هذا الذى من عند الرب خرج ، فهو شهيد عليّ وأنتم أيضا ، لأنكم قديما كنتم معي في هذا قلت لكم : لكيما لا تشكوا " .

" والمنحمنّا بالسريانية : محمد وهو بالرومية : البرقليطس ، صلى الله عليه وسلم " .(٣)

وجاء في قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار : " كان المسيح يعبر عن المبشر به بلفظ النبي ، وبلفظ سيا ، وبلفظ فار قليط ، وهو تعريب بيريكلتوس اليونانية ، ومعناها الذى له حمد كثير " .(٤)

وذكر الشيخ النجار أنه سأل العلامة الكبير الدكتور كارلو نلينو المستشرق الايطالي الحاصل على شهادة الدكتوراه في آداب اليهود اليونانية القديمة عن كلمة (بيركليتوس) فأجابني بقوله : ان القسس يقولون ان هذه الكلمة

---

(١) هداية الحيارى ص ٥٥ .
(٢) الأجوبة الفاخرة ص ٢٣٩ .
(٣) سيرة ابن هشام ١/ ٢٣٣ .
(٤) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٩٧ .

معناها (المعزى) فقلت : اني أسأل الدكتور (كارلو نلينو) الحاصل على الدكتوراه في آداب اللغة اليونانية ولست أسأل قسيسا .

فقال : ان معناها " الذى له حمد كثير " .

فقلت : هل ذلك يوافق أفعل التفضيل من حمد ؟

فقال : نعم .

فقلت : ان رسول الله صلى الله عليه وسلم من أسمائه أحمد .

فقال : يا أخي أنت تحفظ كثيرا . ثم افترقنا . وقد ازددت بذلك تثبتا في معنى قوله تعالى حكاية عن المسيح ((ومبشرا برسول يأتي من بعدى اسمه أحمد)) (١) .

وعبارات هذه النصوص كلها تنطبق على محمد - صلى الله عليه وسلم - بصرف النظر عن معنى لفظة (فارقليط) فان قوله (ليثبت معكم الى الأبد) يعني أن رسالته خالدة باقية الى يوم الدين .

وقوله : (فهو يعلمكم بكل شيء) ينطبق عليه صلى الله عليه وسلم لأنه لم يترك طريقا من طرق الخير الا دل أمته عليه ولا طريقا من طرق الشر الا حذرها منه كما قال تعالى : ((ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء)) (٢) ، وفي قوله : (يبكت العالم على خطية) يقول ابن القيم : فانه لم يوجد أحد يبكت جميع العالم على الخطيئة الا محمد صلى الله عليه وسلم ، فانه أنذر جميع العالم من أصناف الناس ووبخهم على الخطيئة من الكفر والفسوق والعصيان ولم يقتصر على مجرد الأمر والنهي ، بل وبخهم وفزعهم وتهددهم (٣) .

---

(١) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٣٩٧ - ٣٩٨ الحاشية .

(٢) سورة النحل - آية : ٨٩ .

(٣) هداية الحيارى ص ٥٩ .

وقوله : (ذاك يمجدني لأنه يأخذ مما لي ويخبركم) فان هـــذا منطبق على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقد جاء بعد المسيح عليه السلام وشهد له بأنه عبد الله ورسوله ، وأعلن بتنزيه الله تعالى عن الصاحبة والولد . كما قال تعالى ((قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَـدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَـدٌ))(١) .

٢ ـ جاء في انجيل متى في الاصحاح الثالث :

(وفي تلك الأيام جاء يوحنا المعمدان يكرز في برية اليهود قائلا : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات) .

وجاء في الاصحاح الرابع : (١٧ من ذلك الزمان ابتدأ يسوع يكرز ويقـول : توبوا لأنه قد اقترب ملكوت السماوات) .

وجاء في هذا الاصحاح أيضا : (٢٣ وكان يسوع يطوف كل الجليل يعـلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت) .

وجاء في الاصحاح السادس : (٩ فصلوا أنتم هكذا . أبانا الذى فـــي السماوات ليتقدس اسمك . ١٠ ليأت ملكوتك) .

وفي الاصحاح الحادى والعشرين : (٤٣ لذلك أقول لكم ان ملكوت اللـــه ينزع منكم ويعطي لأمة تعمل أثماره) .

وفي الاصحاح الرابع والعشرين : (١٣ ولكن الذى يصبر الى المنتهى فهذا يخلص . ١٤ ويكرز ببشارة الملكوت هذه في كل المسكونة شهادة لجميع الأمم ، ثم يأتي المنتهى) .

---

(١) سـورة الاخـــلاص .

وفي انجيل مرقس في الاصحاح الأول : (١٤ وبعد ما أسلم يوحنا جاء يسوع الى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ١٥ ويقول قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالانجيل) .

فهذه الفقرات تفيد أن الملكوت دين جديد ينزله الله تعالى الى الخلق ، وهذا الدين لا يصح أن يكون النصرانية بدليل قوله (اقترب ملكوت السماوات) وقوله (ليأت ملكوتك) لأن النصرانية دين حاصل لا مقترب ، فلم يكن هذا الملكوت الا الاسلام ، وقوله (ان ملكوت الله ينزع منكم ويعطى لأمة تعمل أثماره) أى ان الله سينزع الرسالة من بني اسرائيل ، وقد فعل الله ذلك اذ بعث الله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ من العرب ، وجعل رسالته للناس جميعا الى آخر الدهر .

قال رحمة الله الهندى : " فظهر أن كلا من يحي وعيسى والحواريين والتلاميذ السبعين بشر بملكوت السموات ، وبشر بعيسى عليه السلام بالألفاظ التي بشر بها يحي عليه السلام .

فعلم أن هذا الملكوت كما لم يظهر في عهد يحي عليه السلام فكذلك لم يظهر في عهد عيسى عليه السلام ولا في عهد الحواريين السبعين ، بل كل منهم مبشر به ومخبر عن فضله ومترج لمجيئه ، فلا يكون المراد بملكوت السموات طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة عيسى عليه السلام ، والا لما قال عيسى عليه السلام والحواريون السبعون : ان (ملكوت السموات قد اقترب) ... فمن أجل ذلك يكون الملكوت : عبارة عن طريقة النجاة التي ظهرت بشريعة محمد صلى الله عليه وسلم " .(١)

---

(١) اظهار الحق ص ٥٣٣ .

٣ - جاء في رؤيا يوحنا اللاهوتي :

(١١ ثم رأيت السماء مفتوحة ، واذا فرس أبيض والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا وبالعدل يحكم ويحارب ١٢ وعيناه كلهيب نار وعلى رأسه تيجان كثيرة وله اسم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو . . . ١٤ والأجناد الذين في السماء كانوا يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض ونقيا . ١٥ ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم وهو سيرعاهم بعصا من حديد ...) (١) .

جاء في كتاب (الفارق بين المخلوق والخالق) : " أقول ان هذه الأوصاف لا تصدق الا على أحمد - صلى الله عليه وسلم - لأنه حارب وحكم بالعدل ، وهو المسمى بالصادق الأمين قبل النبوة وبعدها ، وعيسى لم يسم بهذا الاسم ، ثم نبينا وخلفاؤه استولوا على تيجان الملوك " (٢) .

وهذا النص ينطبق على الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - من عدة أوجه ، وايضاح ذلك كالتالي :

١) قوله : (والجالس عليه يدعى أمينا وصادقا) فان ذلك من صفات الرسول محمد -صلى الله عليه وسلم - لأنه كان يدعى الأمين الصادق ، وقد قال المغيرة بن شعبة الى المقوقس حين سأله عن صدق حديثه ؟ قلنا : ما يسمى الا الأمين من صدقه (٣) .

٢) وقوله : (وبالعدل يحكم ويحارب) صفة أخرى للرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد أمره الله تعالى وأمته باقامة العدل ، فقال

---

(١) رؤيا يوحنا اللاهوتي - الاصحاح / ١٩ الفقرات ١١ - ١٥ .

(٢) الفارق للقرافي ص ٤٠٠ .

(٣) دلائل النبوة لأبي نعيم الأصبهاني ص ٤٩ ، والجواب الصحيح جـ ١ ص ٩٩ ، والخصائص الكبرى للسيوطي جـ ١ ص ١٩٣ .

تعالى ((ولا يجرمنكم شنآن قوم على ألا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى)) (١) .

وقال : ((واذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل)) (٢) .

وكانت حروبه صلى الله عليه وسلم قائمة على العدل والرحمة ، فقد كان يوصي أصحابه ألا يقتلوا امرأة ولا شيخا فانيا ولا طفلا ولا عابدا في صومعة ، ولا يقطعوا شجرة ، وكانوا حافظين للوعود والعهود ، كما قال تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود)) (٣) .

٣) وقوله : (عيناه كلهيب من نار) ومعنى ذلك أن في عينيه حمرة ، وهي من صفات الرسول صلى الله عليه وسلم ، فقد كانت الحمرة لا تفارق عينيه صلى الله عليه وسلم (٤) .

٤) وقوله : (وعلى رأسه تيجان كثيرة) فان الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه قد استولوا على تيجان فارس وقيصر وغيرهما ، وقسموا خزائنهما في سبيل الله تعالى .

٥) وقوله : (له اسم مكتوب ليس أحد يعرفه الا هو) أي أن اسمه ليس معتادا بين الناس ، وهذا ما حصل ، فان اسم محمد صلى الله عليه وسلم لم يكن معتادا لدى العرب فضلا عن بني اسرائيل (٥) .

---

(١) سورة المائدة - آية : ٨ .

(٢) سورة النساء - آية : ٥٨ .

(٣) سورة المائدة - آية : ١ .

(٤) انظر : طبقات ابن سعد جـ ١ ص ١٥٩ ، ص ١٦١ - ١٦٢ ، ودلائل النبوة للأصبهاني ص ٤١ ، ٤٩ ، وهداية الحيارى ص ٩٠ ، ٩١ ، ٩٣ .

(٥) السيرة النبوية لابن كثير جـ ١ ص ٢١٠ ، والخصائص الكبرى للسيوطي جـ ١ ص ١٩٥ .

٦) وقوله : (والأجناد الذين في السماء يتبعونه على خيل بيض لابسين بزا أبيض ونقيا) وهذه صفة محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقد نزلت معه الملائكة في بدر والأحزاب وحنين ، حتى عاينوها في بدر تقاتل عيانا بين يدى رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن يمينه وعن شماله (١) .

٧) وقوله : (ومن فمه يخرج سيف ماض لكي يضرب به الأمم) وهذا اشارة الى تعاليمه وأحكامه النافذة التي تشبه حد السيف في القوة والانفاذ .

وبهذه البشارات يتضح جليا بأنه على الرغم من ادخال التحريف والتبديل والاخفاء على مصادر ديانات أهل الكتاب ، التي يقرون بصحتها وتقديسها ، فانه لا يزال يوجد بها الكثير من البشارات بالرسول محمد صلى الله عليه وسلم ، وما أوردناه هنا انما هو غيض من فيض ، وقليل من كثير ، مما حفلت به التوراة ، واشتملت عليه الأناجيل المختلفة ، وما ذلك الا مصداقا لما قرره الله عز وجل في القرآن الكريم ((... الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ)) (٢) .

هذا وننتقل الآن الى انجيل برنابا الذى يذكر اسم محمد ـ صلى الله عليه وسلم صراحة في كثير من فقراته .

---

(١) تفسير القرطبي جـ ٤ ص ١٩٢ ، وهداية الحيارى ص ٨٢ ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤١٩ .

(٢) سورة الأعراف ـ آية : ١٥٧ .

المطلب الثالث : البشارات في انجيل برنابا :

يورد انجيل برنابا اسم محمد -صلى الله عليه وسلم- صريحا في كثير من المواطن ، وقبل الحديث عن هذه البشارات نود القاء بعض الضوء على هذا الانجيل ومؤلفه لأهميته .

من هو برنابا ؟

برنابا : كان يهوديا من اللاويين ، وكان اسمه يوسف ، وقد سماه الحواريون (برنابا) ومعنى هذه الكلمة ابن الوعظ ، وهو من التلاميذ السبعين على الأرجح ، وقد باع جميع ما يملكه من أرض في فلسطين وقدم ثمنه للحواريين ليستعينوا به في الدعوة الى النصرانية ، وساعدة فقراء النصارى ، وهو الذى ضمن بولس أمام الحواريين وشهد بصحة ايمانه ، وقد قام بعدة مهام تتعلق بالدعوة الى النصرانية الأولى ، ثم اصطحب بولس بعد ذلك وعملا معا على تبليغ رسالة المسيح الى الكفار وهدايتهم الى النصرانية واصطحبا معهما مرقص ابن أخت برنابا (صاحب أحد الأناجيل الأربعة) فطوفا معا لهذه الغاية في كثير من البلاد ومنها أنطاقية وقبرص . وقد نجحا في رسالتهما أيما نجاح)[1] .

وبرنابا قديس أحد الرسل تكبره الكنيسة وتعظمه ، جاء في أعمال الرسل التي ينسب تدوينها الى لوقا :

(ويوسف الذى دعي من الرسل برنابا الذى يترجم ابن الوعظ ، وهو لاوى

---

(١) انظر : الأسفار المقدسة للدكتور علي وافي ص ٧٣ - ٧٤ ، ومحاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ص ٦٧ وما بعدها .

قبرصي الجنس ، اذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ، ووضعها عند أرجل الرسل)[١] .

وجاء في الاصحاح الحادى عشر :

(فسمع الخبر عنهم في آذان الكنيسة التي في أورشليم ، فأرسلوا برنابا لكي يجتاز الى أنطاكية ، الذى لما أتى ورأى نعمة الله فرح ووعظ الجميع أن يثبتوا في الرب بعزم القلب لأنه كان رجلا صالحا . ومتلئا من الروح القدس والايمان . .)[٢] .

وجاء في الاصحاح الثاني عشر قوله :

(ورجع برنابا وشاول من أورشليم بعد ما كمّلا الخدمة وأخذا معهما يوحنا الملقب مرقس)[٣] .

وجاء في الاصحاح الثالث عشر قوله :

(قال الروح القدس افرزوا لي برنابا وشاول للعمل الذى دعوتهما اليه)[٤] .

الى غير ذلك مما جاء في أعمال الرسل من الاجلال والاكبار لهذا القديس.

اكتشاف هذا الانجيل :

ولهذا القديس انجيل ينسب اليه ـ سبق أن ورد ذكره ضمن الأناجيل غير المعتمدة عند النصارى ـ وكان هذا الانجيل معلوما لدى النصارى منذ أقدم عصورهم .

---

(١) الاصحاح الرابع ـ فقرة : ٣٦ ـ ٣٧ .

(٢) أعمال الرسل ـ الاصحاح ١١ فقرة : ٢٢ ـ ٢٤ .

(٣) " " ـ " " ١٢ " : ٢٥ .

(٤) " " ـ " " ١٣ " : ٢ .

(يذكر التاريخ أن البابا جلاسيوس الأول الذى جلس على الأريكة البابوية سنة ٤٩٢ أصدر أمرا يعدد فيه أسماء الكتب المنهي عن مطالعتها ، وذكر من بين هذه الكتب انجيل برنابا . وفي هذا دليل على أن هذا الانجيل كان موجودا قبل ظهور الاسلام بنحو قرنين من الزمن)[1] .

يقول الدكتور خليل سعادة - مترجم انجيل برنابا الى اللغة العربية - :

والنسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم التي نقل عنها هذا الانجيل انما هي نسخة ايطالية في مكتبة بلاط فينا وهي تعد من أنفس الذخائر والآثار التاريخية فيها ، تقع في ٢٢٥ صحيفة سميكة مجلدة بصفيحتين رقيقتين متينتين من المقوى . . . وأول من عثر على النسخة الايطالية ممن لم يصف التاريخ أثرهم ولم تدرس الأيام ذكرهم هو " كريمر " أحد مستشارى ملك بروسيا أثناء اقامته في أمستردام ، فأخذها سنة ١٧٠٩ م من مكتبة أحد مشاهير وجهاء المدينة المذكورة . . . فأقرضها " كريمر " طولند ، ثم أهداها بعد ذلك بأربع سنين الى البرنس " أيوجين سافوى " الذى كان شديد الولع بالعلوم والآثار التاريخية ، ثم انتقلت النسخة المذكورة سنة ١٧٣٨ م مع سائر مكتبة البرنس المنوه عنه الى مكتبة البلاط الملكي في فينا حيث لا تزال هناك حتى الآن . . .

ويضيف الدكتور سعادة قائلا : بأنه وجد في أوائل القرن الثامن عشر نسخة أخرى أسبانية تقع في مئتين واثنين وعشرين فصلا وأربعمائة وعشرين صفحة ، وقد ترجمها المستشرق " سايل " الى اللغة الانجليزية ، ولكن

---

(١) انظر : مقدمة انجيل برنابا للدكتور خليل سعادة ص (ل) مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر سنة ١٣٧٣ هـ ، والأسفار المقدسة ص ٩٥ .

لم يعلم من تلك النسخة وترجمتها الا شذرات أشار اليها الدكتور " هوايت " في احدى الخطب ، وقيل ان الذى ترجم النسخة الأسبانية من الايطالية الى الأسبانية مسلم .

. . . ومكتشف النسخة الايطالية راهب لاتيني يسمى " فرامرينو " عثر على رسائل " لابرينايوس " وان " أرينايوس " أسند تنديده هذا الى انجيل القديس برنابا فأصبح من ذلك الحين الراهب " مرينو " المشار اليه شديد الشغف بالعثور على هذا الانجيل .

واتفق أنه أصبح حينا من الدهر مقربا من البابا " سكتس الخامس " فحدث يوما أنهما دخلا معا مكتبة البابا " فران الكرى " على أجفان قد استه فأهب " مرينو " أن يقتل الوقت بالمطالعة الى أن يفيق البابا ، فكان الكتاب الأول الذى وضع يده عليه هو هذا الانجيل نفسه ، فكاد أن يطير فرحا من هذا الاكتشاف ، فخبأ هذه الذخيرة الثمينة في أحد ردنيه ولبث الى أن استفاق البابا فاستأذنه بالانصراف حاملا ذلك الكنز معه ، فلما خلا بنفسه طالعه بشوق عظيم ، فاعتنق على اثر ذلك الدين الاسلامي . . .

ولما شاع خبر انجيل برنابا في فجر القرن الثامن عشر أحدث دويا عظيما في أندية الدين والعلم ، ولا سيما في انجلترا فكثر بشأنه الجدل ، واحتدمت بين العلماء مناقشات كان بعضها أقرب الى التخرصات والأوهام منه الى المباحث العلمية ، وأول أمر توجهت اليه همم الباحثين الخوض في أمر النسخة الايطالية ، وفيما اذا كانت منقولة عن نسخة أخرى أو هي النسخة الأصلية التي كانت عند الراهب " فرا مرينو " وادعى اختلاسها من مكتبة البابا " سكتس الخامس " . . (١)

---

(١) انظر مقدمة انجيل برنابا للدكتور خليل سعادة الصفحات جـ ، د ، هـ ، و .

الأمور التي يتفق فيها انجيل برنابا مع الاسلام :

هذا الانجيل يختلف اختلافا جوهريا عن الأناجيل الأربعة المعتمدة عند النصارى في كثير من مسائل العقيدة وشخصية المسيح -عليه السلام- ويتفق فيما يقرره مع العقيدة الاسلامية المستمدة من القرآن الكريم . وتتلخص مخالفة انجيل برنابا لما عليه النصارى ووافق فيه العقيدة الاسلامية في أربعة أمور :

أولا : انه يقرر أن المسيح ليس الها ولا ابنا لله ، وانما هو بشر مخلوق ومصنوع كسائر البشر ، جاء ذلك في مقدمة انجيله : (أيها الأعزاء ان الله العظيم العجيب قد افتقدنا في هذه الأيام الأخيرة بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى ، مبشرين بتعليم شديد الكفر . داعين المسيح ابن الله . الذين ضلّ في عدادهم أيضا بولس الذى لا أتكلم عنه الا مع الأسى . وهو السبب الذى لأجله أسطر ذلك الحق الذى رأيته) .

ويقول في آخر الفصل الثالث والتسعين : (أجاب الكاهن ان اليهودية اضطربت لآياتك وتعليمك حتى انهم يجاهرون بأنك أنت الله ، فاضطررت بسبب الشعب الى أن آتي الى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس ، فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بازالة الفتنة التي ثارت بسببك ، لأن فريقا يقول انك الله ، وآخر انك ابن الله ، ويقول فريق انك نبي .

أجاب يسوع : وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة ؟ هل جننت أنت أيضا ؟ هل أمست النبوات شريعة الله نسيا منسيا ؟ أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان ؟)(١)

---

(١) الفصل ٩٣ فقرة ١٨ - ٢٣ .

ولما قال يسوع هذا عاد فقال : (اني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني برىء من كل ما قال الناس من أني أعظم من بشر ، لأني بشر مولود من امرأة ، وعرضة لحكم الله ، أعيش كسائر البشر عرضة للشقاء العام) (١) .

وجاء في الفصل الثالث والتسعين قوله : (ولما هدأ نحيب القوم تكلم مرة أخرى : (أشهد أمام السماء ، وأشهد كل شيء على الأرض أني برىء من كل ما قد قلتم ، لأني انسان مولود من امرأة فانية بشرية ، وعرضة لحكم الله ، مكابد شقاء الأكل والمنام وشقاء البرد والحر كسائر البشر . . .) (٢) .

وجاء في آخر الفصل السبعين أن يسوع قد نظر الى الحواريين عندما بلغه افتتان الناس به ، وادعاؤهم أنه اله أو أنه ابن الله وطلب اليهم أن يبدوا رأيهم في ذلك (فأجاب بطرس : انك المسيح ابن الله) فغضب حينئذ يسوع وانتهره بغضب قائلا : (اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان وتحاول أن تسيء الي) (٣) .

ثانيا : يقرر هذا الانجيل أن المسيح عليه السلام لم يصلب ولم يقتل ولكن شبه لهم ، وانما ألقي شبه المسيح على يهوذا الاسخريوطي فأخذوه وصلبوه ظانين أنه المسيح ، وفي هذا جاء قوله :

(ولما دنت الجنود مع يهوذا من المحل الذى كان فيه يسوع سمع يسوع دنو جم غفير ، فلذلك انسحب الى البيت خائفا ، وكان الأحد عشر نياما (٤) . فلما رأى الله الخطر على عبده أمر سفراءه

---

(١) الفصل ٩٤ فقرة ١ - ٢ .
(٢) الفصل ٩٣ فقرة ٨ - ١٠ .
(٣) الفصل ٧٠ فقرة ١ - ٨ .
(٤) يقصد الحواريين الأحد عشر .

جبريل وميخائيل ورفائيل وأدرييل [١] أن يأخذوا يسوع من العالم . فجاء الملائكة الأطهار وأخذوا يسوع من النافذة المشرفة على الجنوب ، فحملوه ووضعوه في السماء الثالثة في صحبة الملائكة التي تسبح الله الى الأبد . ودخل يهوذا بعنف الى الغرفة التي أصعد منها يسوع . وكان التلاميذ كلهم نياما . فأتى الله العجب بأمر عجيب . فتغير يهوذا في النطق وفي الوجه فصار شبيها بيسوع حتى اعتقدنا أنه يسوع . أما هو فبعد أن أيقظنا أخذ يفتش لينظر أين كان المعلم . لذلك تعجبنا وأجبنا أنت يا سيدي معلمنا . أنسيتنا الآن ؟) [٢] .

ويقول في مكان آخر : (الحق أقول ان يهوذا ووجهه وشخصه بلغت من الشبه بيسوع أن اعتقد تلاميذه والمؤمنون به كافة أنه هو يسوع ، لذلك خرج بعضهم من تعليم يسوع معتقدين أن يسوع كان نبيا كاذبا ، وانه انما فعل الآيات التي فعلها بصناعة السحر ، لأن يسوع قال انه لا يموت الى وشك انقضاء العالم . . .) [٣] .

ثم يذكر أن يسوع طلب الله أن ينزل الى الأرض بعد رفعه ليرى أمه وتلاميذه وليزيل ما علق بنفوس الناس من شك في أمره . . . وأنه نزل لمدة ثلاثة أيام متواليـة . . .) [٤] .

---

(١) أي جبريل ، وميكائيل ، واسرافيل ، وعزرائيل . (انظر: الأسفار المقدسة ص٩٧).
(٢) برنابا الفصل ٢١٥ فقرة ١ - ٦ ، والفصل ٢١٦ فقرة ١ - ٧ .
(٣) انظر : الفصل ٢١٧ فقرة ٨٠ - ٨٣ .
(٤) انظر : الفصل ٢١٩ فقرة ٥ - ١٠ .

ثم يقول : (ووبخ كثيرين من الذين اعتقدوا أنه مات وقام قائلا : أتحسبونني أنا ، والله كاذبين ؟ لأن الله وهبني أن أعيش حتى قبيل انقضاء العالم كما قد قلت لكم . الحق أقول لكم اني لم أمت بل يهوذا الخائن . احذروا لأن الشيطان سيحاول جهده أن يخدعكم . ولكن كونوا شهودي في كل اسرائيل وفي العالم كله لكل الأشياء التي رأيتموها وسمعتموها) (١) .

وهذا الكلام يتفق مع ما جاء في القرآن الكريم اذ يقول تعالى : ((وَقَولِهِم إِنَّا قَتَلنَا المَسِيحَ عِيسَى ابنَ مَريَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِن شُبِّهَ لَهُم وَإِنَّ الَّذِينَ اختَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنهُ مَا لَهُم بِهِ مِن عِلمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَل رَّفَعَهُ اللَّهُ إِلَيهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا)) (٢) .

ثالثا : يقرر هذا الانجيل أن الذبيح الذى تقدم به ابراهيم -عليه السلام- للفداء انما هو اسماعيل وليس اسحاق . وهذا نص ما جاء في هذا الانجيل : (الحق أقول لكم انكم اذا أعطتم النظر في كلام الملاك جبريل تعلمون خبث كتبنا وفقهائنا ، لأن الملاك قال : يا ابراهيم سيعلم العالم كله كيف يحبك الله . ولكن كيف يعلم محبتك لله حقا يجب عليك أن تفعل شيئا لأجل محبة الله) . أجاب ابراهيم : (ها هو ذا عبد الله مستعد أن يفعل كل ما يريد الله) . فكلم الله حينئذ ابراهيم قائلا : (خذ ابنك بكرك اسماعيل واصعد الجبل لتقدمه ذبيحة . فكيف يكون اسحاق البكر وهو لما ولد كان اسماعيل ابن سبع سنين ؟) (٣) .

---

(١) الفصل ٢٢١ فقرة ١٥ - ١٩ .
(٢) سورة النساء -آية : ١٥٧ - ١٥٨ .
(٣) الفصل ٤٤ فقرة ٥ - ١١ .

رابعا : يقرر الانجيل أن سيا أو المسيح المنتظر ليس هو يسوع ، بل محمدا عليه الصلاة والسلام (١) . وقد ذكر محمدا صلى الله عليه وسلم باللفظ الصريح المتكرر في كثير من فصول هذا الانجيل . وهذا ما سنتناوله في الفقرة التالية :

بشارات انجيل برنابا :

وردت في هذا الانجيل فقرات كثيرة تبشر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - صراحة . وفي أماكن متعددة ، ومن ذلك على سبيل المثال :

١) قوله : (فلما انتصب آدم على قدميه رأى في الهوا " كتابة تتألق كالشمس نصها : " لا اله الا الله ومحمد رسول الله " ففتح حينئذ آدم فاه وقال : " أشكرك أيها الرب الهي لأنك تفضلت فخلقتني ولكن أضرع اليك أن تنبئني ما معنى هذه الكلمات " محمد رسول الله " . فأجاب الله : مرحبا بك يا عبدي آدم ، واني أقول لك انك أول انسان خلقت . وهذا الذي رأيته انما هو ابنك الذي سيأتي الى العالم بعد الآن بسنين عديدة . . . الذي متى جاء سيعطي نورا للعالم . . .) (٢) .

٢) قوله : (فلما التفت آدم رأى مكتوبا فوق الباب - " لا اله الا الله محمد رسول الله ") (٣) .

٣) يتكلم عن يوم الحشر الى أن يقول : (ثم يحي الله بعد ذلك سائر الأصفياء الذين يصرخون " اذكرنا يا محمد " . . .) (٤) .

---

(١) انظر : الأسفار المقدسة لعلي وافي ص ٩٦ - ٩٧ .
(٢) انظر : الفصل ٣٩ فقرة ١٤ - ٢٨ .
(٣) الفصل ٤١ فقرة ٢٩ - ٣٠ .
(٤) الفصل ٥٤ فقرة ٩ .

) قوله : (أجاب يسوع : أن اسم مسيا عجيب) الى أن يقول : قال الله : اصبر يا محمد . . . ان اسمه المبارك محمد) (١) .

٥) قوله : (ولكن متى جاء محمد رسول الله المقدس تزال عني هذه الوصمة) (٢) .

٦) قوله : (وذهب يسوع مع تلاميذه الى البرية وراء الأردن ، فلما انقضت صلاة الظهيرة جلس بجانب نخلة وجلس تلاميذه تحت ظل النخلة . حينئذ قال يسوع : أيها الأخوة ان سبق الاصطفاء لسر عظيم حتى اني أقول لكم الحق انه لا يعلمه جليا الا انسان واحد فقط وهو الذى تتطلع اليه الأمم . . . أجاب التلاميذ : يا معلم من عسى أن يكون ذلك الرجل الذى تتكلم عنه الذى سيأتي الى العالم ؟) .

أجاب يسوع بابتهاج قلب : (انه محمد رسول الله) (٣) .

الى غير ذلك من البشارات المتعددة في هذا الانجيل .

والنصارى لا يعترفون بهذا الانجيل ويحرمون قراءته ، ويزعم بعضهم أنه مزور بقلم بعض المسلمين ، لأنه يقوم على أسس تخالف عقائد الكنيسة التي تتمثل في التثليث وبنوة المسيح وألوهيته .

والحق (ان نسبة هذا الانجيل الى برنابا يرجح أن تكون صحيحة ، لأن نسخته الأولى وجدت في جو مسيحي خالص ، وكان معروفا قبل ذلك بقرون أن لبرنابا انجيلا ، وهو يدل على أن كاتبه على الماء تام بالتوراة التي

---

(١) الفصل ٩٧ فقرة ١٤ - ١٧ .
(٢) الفصل ١١٢ فقرة ١٧ .
(٣) الفصل ١٦٣ فقرة ١ - ٨ .

يندر من يعرفها من النصارى المختصين في علوم الدين ، وان برنابا كان من الدعاة الأولين الذين عملوا في الدعوة عملا لا يقل عن عمل بولس ، كما تذكر رسالة أعمال الرسل . . فهذه البينات تشهد بأن هذا الانجيل الذى كشف وعرف صحيح النسبة ، ووجود ذلك الانجيل بلغة مسيحية ، وبين ظهراني المسيحيين ، وفي مكاتبهم الخاصة دليل على أن المسلمين ليست لهم يد فيه ، وأن من ينحله للمسلمين كمن يحمل في يده شيئا يظن في حمله اتهاما له . فيسند ملكيته الى غيره نفيا للتهمة عن نفسه)[1] .

وقد قرر الدكتور النصراني خليل سعادة نفسه في مقدمة هذا الانجيل بقوله : " ثم انه لم يرد ذكر لهذا الانجيل في كتابات مشاهير الكتاب المسلمين سواء في الأعصر القديمة أو الحديثة حتى ولا في مؤلفات من انقطع منهم الى الأبحاث والمجادلات الدينية مع أن انجيل برنابا أمضى سلاح لهم في مثل تلك المناقشات وليس ذلك فقط ، بل لم يرد ذكر لهذا الانجيل في فهارس الكتب العربية القديمة عند الأعارب أو الأعاجم أو المستشرقين الذين وضعوا فهارس لأندر الكتب العربية من قديمة وحديثة " .

على أن انكار النصارى المعاصرين لهذا الانجيل ليس بدعا ، فان أسلافهم الذين نقلوا دينهم قد قرروا في مجمع نيقية عام ٣٢٥ م ألا يعترفوا بمثل هذا الانجيل)[2] .

ولا شك أنهم محجوجون بما قدمنا فلا وجه لانكارهم له .

* * * * * * *

---

(١) انظر : محاضرات في النصرانية لمحمد أبي زهرة ص ٧٣ بتصرف .
(٢) الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة لعبد القادر شيبة الحمد ص ٥٣ .

الفصل الثالث

((أساليب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام))

ويشتمل على أحد عشر مبحثا :

المبحث الأول : موافقة دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الأصول لما دعا اليه الأنبياء السابقون .

المبحث الثاني : الدعوة الى ملة ابراهيم عليه السلام وابطال مزاعم أهل الكتاب بأنهم على ملته .

المبحث الثالث : الدعوة الى الايمان بكتب الله ورسله .

المبحث الرابع : الدعوة الى كلمة سواء .

المبحث الخامس : قطع الحجة على أهل الكتاب بارسال خاتم الرسل واظهاره ما يكتمون من دينهم .

المبحث السادس : أسلوب الترغيب .

المبحث السابع : تذكير بني اسرائيل بنعم الله عليهم .

المبحث الثامن : تأنيبهم على عدم اسلامهم .

المبحث التاسع : التهديد والانذار بالعقوبة .

المبحث العاشر : اخبارهم بأن القرآن الكريم يقص عليهم الحق في خلافاتهم .

المبحث الحادى عشر : بيان سبب اختلافهم في الدين .

****
****
*****
***
*
*
*
*
*

المبحث الأول : موافقة دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الأصول لما دعا اليه الأنبياء السابقون :

ومن الأساليب التي ساقها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام بيان أن دعوة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ موافقة في أصولها وأهدافها وغاياتها لدعوة سائر الأنبياء السابقين من توحيد لله عز وجل وطاعته والايمان بكتبه ورسله وجميع أصول الأحكام التي لم تختلف فيها الشرائع على مر العصور والأزمان .

جاء ذلك في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ((شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ ما وَصَّى بِهِ نوحًا والذى أوحينا اليك وما وصينا بِهِ ابراهيم وموسى وعيسى أن أقيموا الدِّين ولا تتفرقوا فيه كبر على المشركين ما تدعوهم اليه اللّه يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)) (١) .

فذكر الله تعالى في هذه الآية أول الرسل بعد آدم وهو نوح ـ عليه السلام ـ وآخرهم وهو محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وذكر من بين ذلك بقية أولي العزم ، وهم : ابراهيم ، وموسى ، وعيسى بن مريم ، وقد انتظمتهم هذه الآية ، كما اشتملت عليهم آية الأحزاب في قوله تبارك وتعالى : ((وإذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح وابراهيم وموسى وعيسى ابن مريم)) الآية (٢) .

والدين الذى جاءت به الرسل كلهم ، هو عبادة الله وحده لا شريك له ، كما قال عز وجل : ((وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي اليه

---

(١) سورة الشورى ـ آية : ١٣ .
(٢) سورة الأحزاب ـ آية : ٧ .

أنه لا إله إلا أنا فاعبدون)) (١) .

وفي الحديث : (نحن معاشر الأنبياء أولاد علات ديننا واحد (٢)) أى القدر المشترك بينهم هو عبادة الله وحده لا شريك له ، وان اختلفت شرائعهم ومناهجهم كقوله تعالى : ((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا (٣))) ولهذا قال تعالى ههنا : ((أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)) أى أوصى الله تعالى جميع الأنبياء عليهم السلام بالائتلاف والجماعة ، ونهاهم عن الافتراق والاختلاف (٤) .

قال الصاوى : (خص هؤلاء بالذكر لأنهم أكابر الأنبياء ، وأولوا العزم ، وأصحاب الشرائع المعظمة ، فلكل واحد من هؤلاء الرسل شرع جديد ، وأما من عداهم ، فانما كان يبعث بتبليغ شرع من قبله ، ولم ينزل الأمر يتأكد بالرسل ، ويتناصر بالأنبياء ، واحدا بعد واحد ، وشريعة اثر شريعة ، حتى ختمها الله بخير الملل ، ملة أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فتبين أن شرعنا - معشر الأمة المحمدية - قد جمع جميع الشرائع المتقدمة في أصول الاعتقادات ، وأصول الأحكام (٥) .

---

(١) سورة الأنبياء - آية : ٢٥ .

(٢) أخرجه البخارى في صحيحه عن أبي هريرة جـ ٤ ص ١٤٢ ، كتاب الأنبياء ، باب ((وذكر في الكتاب مريم)) ، ومسلم جـ ٤ ص ١٨٣٧ كتاب الفضائل ، باب فضائل عيسى عليه السلام ، حديث رقم (١٤٥) .

(٣) سورة المائدة - آية : ٤٨ .

(٤) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١١٧ .

(٥) حاشية الصاوى على الجلالين جـ ٤ ص ٣٤ (بتصرف) ، دار احياء التراث العربي - بيروت .

وقال القاضي أبو بكر بن العربي : ثبت في الحديث الصحيح أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث الشفاعة الكبير المشهور : (ولكن ائتوا نوحا فانه أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض فيأتون نوحا فيقولون له أنت أول رسول بعثه الله الى أهل الأرض . . .) (١) .

وهذا صحيح لا اشكال فيه ، كما أن آدم أول نبي بغير اشكال ، لأن آدم لم يكن معه الا نبوة ، ولم تفرض له الفرائض ولا شرعت له المحارم ، وانما كان تنبيها على بعض الأمور واقتصارا على ضرورات المعاش ، وأخذا بوظائف الحياة والبقاء ، واستقر المدى الى نوح فبعثه بتحريم الأمهات والبنات والأخوات ، ووظف عليه الواجبات ، وأوضح له الآداب في الديانات ، ولم يزل ذلك يتأكد بالرسل ويتناصر بالأنبياء ـ صلوات الله عليهم ـ واحدا بعد واحد ، وشريعة اثر شريعة ، حتى ختمها الله بخير الملل ملتنا على لسان أكرم الرسل نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ، فكان المعنى أوصيناك يا محمد ونوحا دينا واحدا ، يعني في الأصول التي لا تختلف فيها الشريعة ، وهي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج ، والتقرب الى الله بصالح الأعمال ، ... والصدق والوفاء بالعهد ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وتحريم الكفر ، والقتل ، والزنا ، والاذاية للخلق كيفما تصورت ، والاعتداء على الحيوان كيفما دار ، واقتحام الدناءات وما يعود بخرم المروءات .

فهذا كله مشروع دينا واحدا ، وملة واحدة ، لم تختلف على ألسنة الأنبياء

---

(١) صحيح البخاري جـ ٥ ص ٢٢٥ ـ ٢٢٦ كتاب التفسير ، تفسير سورة بني اسرائيل ـ الأنبياء ـ باب ٥ ذرية من حملنا مع نوح انه كان عبدا شكورا .

وان اختلفت أعدادهم ، وذلك قوله تعالى : ((أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه)) أى اجعلوه قائما ، دائما مستمرا محفوظا مستقرا من غير خلاف فيه ولا اضطراب .

واختلفت الشرائع وراء هذا في معان حسبما أراده الله مما اقتضت المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم) . اهـ .(١)

وما تضمنته هذه الآية الكريمة من النهي عن الافتراق في الدين جاء مبنيا في كثير من الآيات الدالة عليه ، فمن ذلك قوله تعالى : ((وَاعتَصِمُوا بِحَبلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا)) الآية .(٢)

وقوله تعالى : ((وأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُستَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُم عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُم وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُم تَتَّقُونَ)) .(٣)

وقد هدد الله تعالى أولئك الناس الذين لا يجتنبون هذا النهي في آيات كثيرة ، منها قوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُم وَكَانُوا شِيَعًا لَّستَ مِنهُم فِي شَيءٍ إِنَّمَا أَمرُهُم إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفعَلُونَ))(٤)

وقوله تعالى : ((وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وأَنَا رَبُّكُم فَاتَّقُونِ * فَتَقَطَّعُوا أَمرَهُم بَينَهُم زُبُرًا كُلُّ حِزبٍ بِمَا لَدَيهِم فَرِحُونَ * فَذَرهُم فِي غَمرَتِهِم حَتَّى حِينٍ)) .(٥)

وقوله تعالى : ((إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُم أُمَّةً وَاحِدَةً وأَنَا رَبُّكُم فَاعبُدُونِ * وَتَقَطَّعُوا أَمرَهُم بَينَهُم كُلٌّ إِلَينَا رَاجِعُونَ)) .(٦)

---

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ١٦ ص ١٠ - ١١ .
(٢) سورة آل عمران - آية : ١٠٣ .
(٣) " الأنعام - " : ١٥٣ .
(٤) " الأنعام - " : ١٥٩ .
(٥) " المؤمنون - " : ٥٢ - ٥٤ .
(٦) " الأنبياء - " : ٩٢ - ٩٣ .

فقوله : ((ان هذه أمتكم أمة واحدة)) أى ان هذه شريعتكم شريعة واحدة ودينكم دين واحد ، وربكم واحد فلا تتفرقوا في الدين .

وفي قوله : ((فذرهم في غمرتهم حتى حين)) وقوله : ((كل الينا راجعون)) تهديد ووعيد عظيم بما سيجازيهم الله به من العذاب .

ومعنى قوله تعالى : ((كبر على المشركين ما تدعوهم اليه)) أى عظم وشق على المشركين ما تدعوهم اليه يا محمد من توحيد الله وافراده بالعبادة دون سواه وترك ما يعبدون من دونه من الأوثان والأنداد .

ثم قال تعالى : ((والله يجتبي اليه من يشاء ويهدى اليه من ينيب)) أى هو الذى يختار لطاعته من يشاء من عباده فيتوب ويرجع الى ربه مخلصا له الدين .

وبعد أن بيّن الله تعالى ما شرعه لعباده من اقامة الدين وعدم التفرق فيه بيّن أن ما حصل لليهود والنصارى وغيرهم من أهل الأديان من التفرق والاختلاف الا من بعد أن قامت عليهم الحجج والبراهين من الأنبياء الذين أرسلوا اليهم ، فقال تعالى : ((وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم ، وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم لفي شك منه مريب)) (١) .

فقوله تعالى : ((وما تفرقوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم)) أى أن مخالفتهم للحق وعدم انصياعهم اليه انما كان بعد بلوغه اليهم ، وظهور الحجة القاطعة عليهم ، وقد حملهم على هذا التفرق والاختلاف العناد والبغي والحسد وحب الرياسة في الدنيا ، ومثل ما جاء هنا في هذه الآية قوله تعالى : ((وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من

---

(١) سورة الشورى - آية : ١٤ .

بعد ما جاءتهم البينة (١) ، ثم قال عز شأنه : ((ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى لقضي بينهم)) أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد وامهالهم الى يوم القيامة لأنزل بهم العقوبة العاجلة في الدنيا . وقوله : ((وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم)) أي وان بقية أهل الكتاب الذين عاصروا رسول الله صلى الله عليه وسلم من بعد أسلافهم السابقين (٢) .

وقوله : ((لفي شك منه مريب)) أي ليسوا على يقين من أمرهم وايمانهم ، وانما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم ، بلا دليل ولا برهان ، وهم في حيرة من أمرهم ، وشك مريب وشقاق بعيد (٣) .

والمراد بالكتاب هنا : التوراة والانجيل (٤) .

ولأن أتباع الرسل تفرقوا - من بعد ما جاءهم العلم - ولأن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم كانوا في شك منه مريب ، لهذا وذلك ، ولخلو مركز القيادة البشرية من قائد ثبت مستيقن يعرف طريق الى الله ، أرسل الله محمدا - صلى الله عليه وسلم - ووجه اليه الأمر أن يدعو وأن يستقيم على دعوته ، وألا يلتفت الى الأهواء المصطرعة حوله وحول دعوته الواضحة المستقيمة ، وأن يعلن تجديد الايمان بالدعوة الواحدة التي شرعها الله للنبيين أجمعين ، قال تعالى :

((فلذلك فادع واستقم كما أمرت ، ولا تتبع أهواءهم ، وقل : آمنت بما أنزل الله من كتاب وأمرت لأعدل بينكم الله ربنا وربكم

---

(١) سورة البينة - آية : ٤ .
(٢) انظر : صفوة التفاسير للصابوني جـ ٣ ص ١٣٦ .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١١٧ .
(٤) انظر : تفسير القرطبي جـ ١٦ ص ١٢ .

لنا أعمالنا ولكم أعمالكم لا حجة بيننا وبينكم ، الله يجمع بيننا واليه المصير * والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم عذاب شديد)) (١) .

انها القيادة الجديدة للبشرية جمعاء . . . التي تعلن وحدة الرسالة ووحدة الكتاب ووحدة النهج والطريق ، والتي ترد الايمان الى أصله الثابت الواحد ، وترد البشرية كلها الى ذلك الأصل الواحد . . . وبعد وضوح القضية على هذا النحو . . . ينتهي الفصل في أمرهم بقوله تعالى : ((والذين يحاجون في الله من بعد ما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم ، وعليهم غضب ، ولهم عذاب شديد)) . ومن تكون حجته باطلة مخذولة عند ربه فلا حجة له ولا سلطان ، وراءه الهزيمة والبطلان في الأرض ، وله الغضب والعذاب الشديد في الآخرة ، وهو الجزاء المناسب على اللجاج بالباطل بعد استجابة القلوب الخالصة ، والجدل المفرض بعد وضوح الحق الصريح (٢) .

ولقد كان لتطابق الرسالة الجديدة مع الرسالتين الموسوية والعيسوية وكتابيهما في المنهج والمبادىء معقد أمل في تقبل اليهود والنصارى للدعوة الجديدة ، وانضوائهم اليها في اخاء ديني عام قبل غيرهم ، وتكون جبهة قوية تحمل مشعل الهداية الالهية لسائر البشر ، موحدة الأسس والأهداف والقوى والجهود ، وهي بعد لا تأتيهم بأسس جديدة ، ولا تكلفهم انكار مقدساتهم ، بل جاءتهم بما عرفوا أنه الحق ، وبما هو متطابق مع ما عندهم ، وبأسلوب محبب فيه عناية فائقة بهم ورغبة في الاتحاد والتآلف معهم ،

---

(١) سورة الشورى - آية : ١٥ - ١٦ .

(٢) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٧ ص ٢٧٧ - ٢٧٨ بتصرف .

ولا سيما أن الفتن والخلافات كانت مشتجرة بينهم، بين اليهود والنصارى ، وبين فرق اليهود أنفسهم ، وبين فرق النصارى أنفسهم أيضا ، يكذب بعضهم بعضا ، ويقتل بعضهم بعضا ، وكان المفروض أن يكونوا قد سئموا ذلك ، وأن يروا في الدعوة الجديدة التي تصدق بما معهم ، وتحترمه حلا لمنازعاتهم ومزيلا لبلبلاتهم .

ولقد كان اليهود يعتقدون بوحدانية الله ورسالات الرسل عدا المسيح ، والقرآن دعا الى الايمان بالله وحده ، ورسالات رسله ، وذكر التوراة ونوه بما فيها من هدى ونور ، وأمر باحترام الأنبياء الذين ذكروا فيها ومن جاء من أنبياء الله من بعد موسى . ولم يكن عليهم الا خطوة الاعتراف بالمسيح على الوجه المقرر بالقرآن ، والتصديق برسالة محمد صلى الله عليه وسلم ، والقرآن الذى أنزل اليه ، حتى تندمج اليهود في الاسلام ، وتصبح معه في وحدة تامة ، وقد عرفوا أنهما حق ، وكانوا يستفتحون بهذه المعرفة على الكفار - كما سبق بيانه .

والنصارى يعتقدون بوحدانية الله مؤولة بالعقيدة التثليثية ، وبرسالات الرسل ، وبالتوراة وقدسيتها وشريعتها ، وأنبياء بني اسرائيل بعد موسى ، وقد ذكر القرآن الانجيل ، ونوه بما فيه من هدى ونور ، وأسبغ على المسيح وأمه وولادته هالة نورانية ، مع تصحيح العقيدة فيه حين قرر أنه رسول كسائر الرسل ، وأن ولادته تمت بمعجزة ربانية كمعجزة خلق آدم من تراب ، وولادة يحي من أم عاقر وأب طاعن في السن ، ولم يكن عليهم الا خطوة الرجوع عن تأليهه والاعتراف بنبوته وبشريته على النحو الذى جاء في القرآن ، ثم الاعتراف بالرسالة المحمدية والقرآن ، ليندمجوا هم الآخرون في الاسلام ، ويصبحوا مع المسلمين في وحدة واحدة .

وهكذا تتوحد الديانات السماوية الثلاث تحت اسم عام مشترك وغير غريب عليها وهو " الاسلام " ، وهداية كتاب مصدق بما بين يديه

من الكتب ، وتتمم لها وهو " القـــرآن " ، ورسالة خاتم الأنبياء وهو " محمد " صلى الله عليه وسلم ، الذى يؤمن بالله وكلماته وأنبياءه ، والذى بعثه اللـــه على فترة من الرسل ليكون بشيرا ونذيرا ، ومنقذا وهاديا لجميع النـــاس ، ومن جملتهم أهل الكتاب ، يحمل الجميع مشعل الهداية للناس متحديـــن منددين في أخوة شاملة قوية متراصة . . . وبذلك يكونوا القدوة المثـــلى لسائر الملل التي لم تستند الى كتب ربانية ، ولا الى رسالات رسل من اللـــه تعالى ، والتي كانت واهية الأسس من الناحية الدينية ، ولم تكن لتصمـــد عند الجدل والتفكير أمام الحجج القرآنية الدامغة ، اذ يكونون بهـــذا التوحيد والاندماج قوة كبيرة تزلزل عقائد تلك الملل السخيفة الواهيـــة ، فلا تبقى لها قدرة على المقاومة والتحدى ، في حين يمكن أن يشتـــد تمسكها بهذه العقائد اذا وقف اليهود والنصارى من الدعوة الاسلاميـــة موقف المنقض المتصادم أو المعاند المكابـــر . .(١)

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد بينت أن رسالة جميع الأنبيـــاء متطابقة في أصولها وأهدافها وغاياتها .

فعلى أهل الكتاب أن يؤمنوا ويصدقوا بالرسالة الخاتمة الكاملة الصالحـــة لكل زمان ومكـــان .

* * * * * *

---

(١) انظر القرآن والمبشرون لمحمد عزه دروزة ص ١٢٣ - ١٢٥ بتصـــرف الطبعة الثانية ١٣٩٧ هـ المكتب الاسلامي .

المبحث الثاني : الدعوة الى ملة ابراهيم عليه السلام وابطال مزاعم أهل الكتاب بأنهم على ملته :

ومع كون هذه الدعوة الاسلامية ، لم تختلف في الهادئ والأهداف عن دعوة جميع الأنبياء السابقين - عليهم السلام - فانها تدعو وبصراحة الى اتباع ملة أبي الأنبياء ابراهيم - عليه السلام - .

فقال عز وجل : ((ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه ولقد اصطفيناه في الدنيا وانه في الآخرة لمن الصالحين * اذ قال له ربه أسلم قال أسلمت لرب العالمين * ووصى بها ابراهيم بنيه ويعقوب يا بني ان الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن الا وأنتم مسلمون * أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدي قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون * تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسئلون عما كانوا يعملون * وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) (١) .

فقوله تعالى : ((ومن يرغب عن ملة ابراهيم الا من سفه نفسه)) الآية . قال ابن عيينة : روى أن عبد الله بن سلام دعا ابني أخيه سلمة ومهاجرا الى الاسلام فقال لهما : قد علمتما أن الله تعالى قال في التوراة : اني باعث من ولد اسماعيل نبيا اسمه أحمد ، فمن آمن به فقد اهتدى ورشد ،

---

(١) سورة البقرة - آية : ١٣٠ - ١٣٥ .

ومن لم يؤمن به فهو ملعون . فأسلم سلمة وأبى مهاجر ، فنزلت فيه الآية (١) .

قال صاحب الخازن : " والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهو تعريض وتوبيخ لليهود والنصارى ومشركي العرب لأن اليهود والنصارى يفتخرون بالانتساب الى ابراهيم لأنهم من بني اسرائيل وهو يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم ، والعرب يفتخرون به لأنهم من ولد اسماعيل بن ابراهيم ، واذا كان كذلك وكان ابراهيم هو الذى طلب بعثة هذا الرسول في آخر الزمان ، فمن يرغب عن الايمان بهذا الرسول الذى هو دعوة ابراهيم فقد رغب عن ملة ابراهيم "(٢) .

ويبين الفخر الرازى في تفسيره أن كلا من اليهود والنصارى والعرب يفتخرون بابراهيم عليه السلام ، ثم قال : " فرجع عند التحقيق افتخار الكل بابراهيم عليه السلام ، ولما ثبت أن ابراهيم - عليه السلام - هو الذى طلب من الله تعالى بعثة هذا الرسول في آخر الزمان ، وهو الذى تضرع الى الله تعالى في تحصيل هذا المقصود ، فالعجب ممن أعظم مفاخره وفضائله الانتساب الى ابراهيم - عليه السلام - ثم انه لا يؤمن بالرسول الذى هو دعوة ابراهيم - عليه السلام - ومطلوبه بالتضرع ، لا شك أن هذا مما يستحق أن يتعجب منه "(٣) .

---

(١) لباب النقول في أسباب النزول لجلال الدين السيوطي ص ٢٩ ، الطبعة الثانية ، ١٩٧٩ م ، دار احياء العلوم / بيروت .

(٢) تفسير الخازن لأبي البركات عبد الله بن أحمد النسفي جـ ١ ص ٨٧ دار المعرفة / بيروت .

(٣) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٤ ص ٦٨ - ٦٩ .

هذه هي ملة ابراهيم ، الاسلام الخالص الصريح ، ولم يكتف ابراهيم بنفسه ، انما تركها في عقبه ، وجعلها وصيته في ذريته ، ووصى بها ابراهيم بنيه كما وصى بها يعقوب بنيه .

ولقد ذكر كل من ابراهيم ويعقوب بنيه بنعمة الله عليهم في اختياره الدين : ((يا بني ان الله اصطفى لكم الدين)) . فهو اختيار الله . فلا اختيار لهم بعده ولا اتجاه .

وأقل ما توجبه رعاية الله لهم ، وفضل الله عليهم ، هو الشكر على نعمة اختياره واصطفائه ، والحرص على ما اختاره لهم ، والاجتهاد في ألا يتركوا هذه الأرض الا وهذه الأمانة محفوظة فيهم :

((فلا تموتن الا وأنتم مسلمون)) .

وها هي ذى الفرصة سانحة ، فقد جاءهم الرسول الذى يدعوهم الى الاسلام ، وهو ثمرة الدعوة التي دعاها أبوهم ابراهيم .

تلك كانت وصية ابراهيم لبنيه ، ووصية يعقوب لبنيه . الوصية التي كررها يعقوب في آخر لحظة من لحظات حياته ، والتي كانت شغله الشاغل الذى لم يصرفه عنه الموت وسكراته ، فليسمعها بنو اسرائيل : ((أم كنتم شهداء اذ حضر يعقوب الموت اذ قال لبنيه ما تعبدون من بعدى ؟ قالوا نعبد الهك واله آبائك ابراهيم واسماعيل واسحاق الها واحدا ونحن له مسلمون)) . . .

وفي ضوء هذا التقرير ، يظهر الفارق الحاسم بين تلك الأمة التي خلت ، والجيل الذى كانت تواجهه الدعوة . . حيث لا مجال لصلة ، ولا مجال لوراثة ، ولا مجال لنسب بين السابقين واللاحقين : ((تلك أمة قد خلت

لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)) (١) .

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله تعالى :

((قل انني هداني ربي الى صراط مستقيم دينا قيما ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) (٢) .

وقوله تعالى : ((ان ابراهيم كان أمة قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين * شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه الى صراط مستقيم * وآتيناه في الدنيا حسنة وانه في الآخرة لمن الصالحين * ثم أوحينا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) (٣) .

وقوله عز وجل : ((فأقم وجهك للدين حنيفا فطرت الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يعلمون)) (٤) .

فهذه الآيات التي بدأت تنزل في عهد مكر ، واستمر نزولها في مختلف عهود التنزيل المكي ، كانت تمثل الاتجاه الأصيل في الدعوة المحمدية الى ملة ابراهيم الحنيفية ، ودعوة النبي الناس ومنهم أهل الكتاب الى الانضواء اليها ، لأنها هي الأصل ، فيخلص هؤلاء بخاصة مما ارتكسوا فيه ، ويصبحون أمة واحدة وملة واحدة وجبهة واحدة ، تحت راية كتاب جديد مصدق لما بين يديه من كتاب ، ومهيمن عليه ، وتحت قيادة رسول جديد ، هو الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ،

---

(١) انظر : في ظلال القرآن جـ ١ ص ١٥٨ - ١٦٠ بتصرف .
(٢) سورة الأنعام - آية : ١٦١ .
(٣) سورة النحل - آية : ١٢٠ - ١٢٣ .
(٤) سورة الروم - آية : ٣٠ .

يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحل لهم الطيبات ، ويحرم عليهم الخبائث ، ويضع عنهم اصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

ويبين لهم كثيرا مما كانوا يخفون من الكتاب ، ويعفو عن كثير ، وقد جاءهم من الله بنور وكتاب مبين ، يهدى به الله من اتبع رضوانه سبل السلام ، ويخرجهم من الظلمات الى النور باذنه ، ويهديهم الى صراط مستقيم ، وقد جاءهم على فترة من الرسل لئلا يقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير .

وهذا ما دار عليه الجدل في العهد المدني بين النبي صلى الله عليه وسلم وأهل الكتاب الذين لم يستطيعوا أن يتغلبوا على أنانيتهم ومآربهم، وينفلتوا من عقدهم ، فوقفوا يناوئون الدعوة المحمدية التي اندمج فيها اخوانهم في مكة ...(١)

وبعد أن ذكر تعالى أن ملة ابراهيم (عليه السلام) هي ملة الحنيفية السمحة ، وأن من لم يؤمن بها ورغب عنها فقد بلغ الذروة العليا في الجهالة والسفاهة ، ذكر تعالى ما عليه أهل الكتاب من الدعاوى الباطلة من زعمهم أن الهداية في اتباع اليهودية والنصرانية ، وبين أن تلك الدعوى لم تكن عن دليل أو شبهة ، بل هي مجرد جحود وعناد ، ثم عقب ذلك بأن الدين الحق هو في التمسك بالاسلام ، دين جميع الأنبياء والمرسلين .(٢)

فقال تعالى :

((وقالوا كونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين)) .

وقال تبارك وتعالى : ((قل صدق الله فاتبعوا ملة ابراهيم حنيفا

---

(١) انظر : القرآن والمبشرون لمحمد عزة دروزة ص ١٧٨ - ١٨٠ .

(٢) انظر : صفوة التفاسير للصابوني جـ ١ ص ٩٨ .

وما كان من المشركين))[١] . أى قل يا محمد : صدق الله في كل ما أوحى الي ، وفي كل ما أخبر به وشرعه في القرآن الكريم ، واتركوا اليهود يهودية والنصرانية واتبعوا ملة الاسلام التي لم يأت نبي بأكمل ولا أوضح منها ، لا سيما وأنها ملة أبيكم ابراهيم عليه السلام .

وقد رد الله تعالى زعم كل من اليهود والنصارى بأنهم على ملة ابراهيم عليه السلام ، فقال تعالى : ((يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون * ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون * ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين * إن أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المؤمنين))[٢] .

وقد ورد أن سبب نزول هذه الآيات كما ذكره محمد بن اسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : اجتمعت نصارى نجران ، وأحبار يهود عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فتنازعوا عنده ، فقالت الأحبار : ما كان ابراهيم الا يهوديا ، وقالت النصارى : ما كان ابراهيم الا نصرانيا ، فأنزل الله ((يا أهل الكتاب لم تحاجون ...)) الآية[٣] .

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٩٥ .

(٢) سورة آل عمران - آية : ٦٥ - ٦٨ .

(٣) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٧ ، وأسباب النزول للسيوطي ص ٣٥ .

قال سيد قطب :

" وسواء كانت هذه هي مناسبة نزول الآية أم لم تكن ، فظاهر من نصها أنها نزلت ردا على ادعاءات لأهل الكتاب ، وحجاج مع النبي - صلى الله عليه وسلم - أو مع بعضهم البعض في حضرة الرسول - صلى الله عليه وسلم - والهدف من هذه الادعاءات هو احتكار عهد الله مع ابراهيم - عليه السلام - أن يجعل في بيته النبوة ، واحتكار الهداية والفضل كذلك . ثم - وهذا هو الأهم - تكذيب دعوى النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه على دين ابراهيم ، وأن المسلمين هم ورثة الحنيفية الأولى ، وتشكيك المسلمين في هذه الحقيقة أو بث الريبة في نفوس بعضهم على الأقل .

ومن ثم ندد الله بهم هذا التنديد ، وكشف مراءهم الذي لا يستند الى دليل . فابراهيم سابق على التوراة وسابق على الانجيل ، فكيف اذن يكون يهوديا ؟ أو كيف يكون نصرانيا ؟

انها دعوى مخالفة للعقل ، تبدو مخالفتها بمجرد النظرة الأولى الى التاريخ : ((يا أهل الكتاب لم تحاجون في ابراهيم وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده أفلا تعقلون)) ؟ .

ثم يمضي في التنديد بهم واسقاط قيمة ما يدلون به من حجج وكشف تمنتهم وقلة اعتمادهم على منهج منطقي سليم في الجدل والحوار : ((ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم ، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم ؟ والله يعلم وأنتم لا تعلمون)) .

وقد جادلوا في أمر عيسى - عليه السلام - كما يبدو أنهم جادلوا في بعض الأحكام التشريعية حين دعوا الى كتاب الله ليحكم بينهم ، ثم تولوا وهم معرضون . وكان هذا وذاك في دائرة ما يعلمون من الأمر ، أما أن

يجادلوا فيما هو سابق على وجودهم ، ووجود كتبهم ودياناتهم . . فهو الأمر الذى لا سند له ولو كان سندا شكليا . . فهو الجدل اذن لذات الجدل . وهو المراء الذى لا يسير على منهج ، وهو الغرض اذن والهوى ، ومن كان هذا حاله فهو غير جدير بالثقة فيما يقول بل غير جدير بالاستماع أصلا لما يقول .

حتى اذا انتهى السياق من اسقاط قيمة جدلهم من أساسه ، ونزع الثقة منهم ومما يقولون ، عاد يقرر الحقيقة التي يعلمها الله ، فهو سبحانه الذى يعلم حقيقة هذا التاريخ البعيد ، وهو الذى يعلم كذلك حقيقة الدين الذى نزله على عبده ابراهيم ، وقوله الفصل الذى لا يبقى معه لقائل قول ، الا أن يجادل ويمارى بلا سلطان ولا دليل : ((ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين)) .

فيؤكد ما قرر من قبل ضمنا من أن ابراهيم - عليه السلام - ما كان يهوديا ولا نصرانيا ، وما أنزلت التوراة والانجيل الا من بعده .

ويقرر أنه كان مائلا عن كل ملة الا الاسلام ، فقد كان مسلما . . مسلما بالمعنى الشامل للاسلام . . ((وما كان من المشركين)) .

وهذه الحقيقة متضمنة في قوله قبلها ((ولكن كان حنيفا مسلما)) ولكن ابرازها هنا يشير الى عدة من لطائف الاشارة والتعبير : يشير أولا الى أن اليهود والنصارى - الذى انتهى أمرهم الى تلك المعتقدات المنحرفة - مشركون . . . ومن ثم لا يمكن أن يكون ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ، ولكن حنيفا مسلما .

ويشير (ثانيا) الى أن الاسلام شيء ، والشرك شيء آخر . فلا يلتقيان ، الاسلام هو التوحيد المطلق بكل خصائصه ، وكل مقتضياته . ومن ثم لا يلتقي مع لون من ألوان الشرك أصلا .

ويشير (ثالثا) الى ابطال دعوى المشركين من قريش كذلك أنهم على دين ابراهيم ، وسدنة بيته في مكة . . فهو حنيف مسلم ، وهم مشركون . ((وما كان من المشركين)) .

وما دام أن ابراهيم - عليه السلام - كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين ، فليس لأى من اليهود أو النصارى - أو المشركين أيضا - أن يدعي وراثته ، ولا الولاية على دينه ، وهم بعيدون عن عقيدته . . ((ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبي ، والذين آمنوا ، والله ولي المؤمنين)) .

فالذين اتبعوا ابراهيم - في حياته - وساروا على منهجه ، واحتكموا الى سنته هم أولياؤه . ثم هذا النبي الذى يلتقي معه في الاسلام بشهادة أصدق الشاهدين . ثم الذين آمنوا بهذا النبي - صلى الله عليه وسلم - فالتقوا مع ابراهيم - عليه السلام - في المنهج والطريق ((والله ولي المؤمنين)) (١) .

ومن هذه الآيات الكريمة يتبين أن القرآن الكريم قد دعا الى اتباع ملة أبي الأنبياء - ابراهيم عليه السلام - التي هي الاسلام ، وأبطل مزاعم اليهود والنصارى بأنهم على تلك الملة .

* * * * * * *

---

(١) انظر في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ١ ص ٦٠٨ - ٦١٠ بتصرف .

المبحث الثالث : الدعوة الى الايمان بكتب الله ورسله :

وردت في القرآن الكريم آيات كثيرة تشيد بما يجمع بين الديانات السماوية وأتباعها من لدن أبي الأنبياء ابراهيم ـ عليه السلام ـ الى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ في الأسس والمبادىء ووحدة المصدر ، داعية المسلمين اعلان هذه الوحدة الكبرى للدين ، وتدعو أهل الكتاب الى الايمان بالدين الاسلامي الذى لا يختلف عما أتى به الأنبياء السابقون .

من ذلك قوله تعالى : ((قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا وما أنزل الى إبراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) (١) .

قال صاحب المنار : أى لا تكن دعوتكم الى شيء خاص بكم يفصل بينكم وبين سائر أهل الأديان السماوية ، بل انظروا الى جهة الجمع والاتفاق ، وادعوا الى أصل الدين وروحه الذى لا خلاف فيه ولا نزاع ، وهو التسليم بنبوة جميع الأنبياء والمرسلين ، مع الاسلام لرب العالمين ، لا نعبد الا الله ، ولا نفرق بين أحد من رسل الله (٢) .

وقال الحافظ ابن كثير : " أرشد الله تعالى عباده المؤمنين الى الايمان بما أنزل الله اليهم بواسطة رسوله محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ مفصلا ، وما أنزل على الأنبياء السالفين مجملا ، ونص على أعيان من الرسل وأجمل ذكر بقية الأنبياء وأن لا يفرقوا بين أحد منهم بل يؤمنوا بهم كلهم (٣) .

---

(١) سورة البقرة ـ آية : ١٣٦ .
(٢) تفسير المنار جـ ١ ص ٤٨٢ - ٤٨٣ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٩٢ .

وقد روى البخارى في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وما أنزل الينا)(١) .

والأسباط : أولاد يعقوب وهم اثنا عشر رجلا ، ولكل واحد منهم من الأولاد جماعة ، والسبط في بني اسرائيل بمنزلة القبيلة في العرب ، وسموا الأسباط من السبط وهو التتابع ، فهم جماعة متتابعون(٢) .

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله تعالى : ((لَيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...)) الآية(٣) .

قال ابن كثير : " اشتملت هذه الآية الكريمة على جمل عظيمة وقواعد عميقة وعقيدة مستقيمة . . . فان الله تعالى لما أمر المؤمنين أولا بالتوجه الى بيت المقدس ، ثم حولهم الى الكعبة ، شق ذلك على نفوس طائفة من أهل الكتاب وبعض المسلمين ، فأنزل الله تعالى بيان حكمته في ذلك ، وهو أن المراد انما هو طاعة الله عز وجل وامتثال أوامره والتوجه حيثما وجه ، واتباع ما شرع ، فهذا هو البر والتقوى والايمان الكامل ، وليس في لزوم التوجه

---

(١) صحيح البخارى جـ ٥ ص ١٥٠ كتاب التفسير ، ٢ ـ سورة البقرة ١١ ـ باب قولوا آمنا بالله وما أنزل الينا .

(٢) انظر : القرطبي جـ ٢ ص ١٤١ ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٩٢ ـ ١٩٣ ، وفتح القدير للشوكاني جـ ١ ص ١٤٧ ، وتفسير المنار جـ ١ ص ٤٨٣ .

(٣) سورة البقرة ـ آية : ١٧٧ .

الى جهة من المشرق أو المغرب بر ولا طاعة ان لم يكن عن أمر الله وشرعه "(١).

والكتاب اسم جنس يشمل الكتب المنزلة من السماء على الأنبياء حتى ختمت بأشرفها ، وهو القرآن المهيمن على ما قبله من الكتب الذى انتهى اليه كل خير ، واشتمل على كل سعادة في الدنيا والآخرة ، ونسخ به كل ما سواه من الكتب قبله ، وآمن بأنبياء الله كلهم من أولهم الى خاتمهم محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين (٢).

والايمان بالكتاب والنبيين هو الايمان بالرسالات جميعا وبالرسل أجمعين ، وهو الايمان بوحدة البشرية ، ووحدة الهها ، ووحدة دينها ، ووحدة منهجها الالهي (٣).

ومن تلك الآيات قوله تعالى : ((آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ ، لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ ، وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ)) (٤).

فالمؤمنون يؤمنون بأن الله واحد أحد ، فرد صمد ، لا اله غيره ولا رب سواه . ويصدقون بجميع الأنبياء والرسل والكتب المنزلة من السماء على عباد الله المرسلين ، والأنبياء لا يفرقون بين أحد منهم ، بل الجميع عندهم صادقون بارون راشدون مهديون هادون الى سبيل الخير ، وان كان

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢١٣ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٢١٤ .
(٣) في ظلال القرآن جـ ١ ص ٢٢٥ .
(٤) سورة البقرة ـ آية : ٢٨٥ .

بعضهم ينسخ شريعته بعض باذن الله ، حتى نسخ الله الجميع بشرع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم الأنبياء والمرسلين الذى تقوم الساعة على شريعته ولا تزال طائفة من أمته على الحق ظاهرين (١) .

قال القرطبي : يعني يقولون آمنا بجميع الرسل ولا نكفر بأحد منهم ولا نفرّق بينهم كما فرقت اليهود والنصارى (٢) .

ومن هذه الآيات قوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا آمنوا بالله ورسوله والكتاب الذى نزّل على رسوله والكتاب الذى أنزل من قبل ومن يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر فقد ضلّ ضلالا بعيدا)) (٣) .

وقوله تعالى : ((إنّ الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا * أولئك هم الكافرون حقا ، وأعتدنا للكافرين عذابا مهينا * والذين آمنوا بالله ورسله ولم يفرّقوا بين أحد منهم أولئك سوف يؤتيهم أجورهم وكان الله غفورا رحيما)) (٤) .

وبذلك تكون الآيات الكريمة قد دعت المؤمنين بالاعتراف بجميع الأنبياء والمرسلين والكتب التي أنزلت عليهم .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٥٦ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ٣ ص ٤٢٥ .

(٣) سورة النساء ـ آية : ١٣٦ .

(٤) سورة النساء ـ آية : ١٥٠ ـ ١٥٢ .

ونحن المسلمون نؤمن بذلك كله طبق ما أمر الله عز وجل ، وان أهل الكتاب من اليهود والنصارى لمطالبون ومأمورون كذلك بالاعتراف بجميع الأنبياء والرسل والكتب التي أنزلت عليهم ، ومن بين أولئك الرسل آخرهم محمد - صلى الله عليه وسلم - والكتاب الذى أنزل عليه وهو القرآن العظيم الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

* * *

* *

*

المبحث الرابع : الدعوة الى كلمة سواء :

ومن الأساليب الواضحة والصريحة التي وجهها القرآن الكريم لأهل الكتاب الدعوة الى كلمة عادلة مستقيمة يقف أمامها الجميع على مستوى واحد ، لا يعلو بعضهم على بعض ، ولا يتعبد بعضهم بعضا ، فكلهم أمام خالقهم سواء ، ليس هناك فضل لأحد على أحد الا بالتقوى والعمل الصالح .

فمن ذلك قوله تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ)) (١) .

والمعنى : قل يا محمد لأهل الكتاب من اليهود والنصارى ومن جرى مجراهم (٢) ، هلموا وأقبلوا الى كلمة عادلة مستقيمة فيها انصاف وعدل من بعضنا لبعض ، لا تختلف فيها الرسل المرسلة ولا الكتب المنزلة .

وهي : ألا نعبد الا الله ولا نشرك به شيئا . أي نوحده بالعبادة ونخلص فيها ولا نجعل غيره شريكا له في استحقاق العبادة .

قال ابن كثير : " لا وثنا ولا صليبا ولا صنما ولا طاغوتا ولا نارا ، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له ، وهذه دعوة جميع الرسل (٣) . كما قال تعالى : ((وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٦٤ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٦ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٦ .

إلاّ أنا فاعبدون)) (١) .

وقال تعالى : ((ولقد بعثنا في كل أمة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)) (٢) .

وقوله : ((ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله)) أى لا يعبد بعضنا بعضا كما قالت اليهود عزير ابن الله ، أو كما قالت النصارى المسيح ابن الله ، ولا نطيع أحدا من الأحبار والرهبان فيما أحلوا وحرموا ، لأنهم بشر مثلنا ، وإنما التحليل والتحريم لله رب العالمين . كما روى الترمذى عن عدى بن حاتم رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ : ((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله)) قال : (انهم لم يكونوا يعبدونهم ، ولكنهم كانوا اذا أحلوا لهم شيئا استحلوه ، واذا حرموا عليهم شيئا حرموه) (٣) .

((فان تولوا)) أى فان أعرضوا عما دعوتهم اليه من قبول التوحيد لله تعالى وترك الاشراك به ، ورفضوا تلك الدعوة العادلة .

((فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون)) أى فقولوا أنتم أيها المسلمون اشهدوا يا أهل الكتاب أننا مسلمون مقرون لله تعالى بالوحدانية ، مخلصون له في العبادة .

---

(١) سورة الأنبياء - آية : ٢٥ .

(٢) سورة النحل - آية : ٣٦ .

(٣) أخرجه الترمذى في سننه مع التحفة جـ ٨ ص ٤٩٢ - ٤٩٣ كتاب التفسير ، سورة التوبة ، الطبعة الثانية سنة ١٣٨٧ هـ مطبعة الفجالة بالقاهرة .

قال صاحب المنار : (فان هذه الآية أساس الدين وأصله الأصيل ، ولذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم يدعو بها أهل الكتاب الى الاسلام ، كما ثبت في كتبه الى هرقل والمقوقس وغيرهما . . . فلولا أن هذه الآية الكريمة أساس الدين وعموده لما جعلها آية الدعوة الى الاسلام) (١) .

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد دعت أهل الكتاب الى كلمة التوحيد التي اتفق عليها جميع الأنبياء والمرسلين ، في أسلوب شيق لين محبب رحيم ، الأمر الذى يدعو العاقل المنصف الى الاستجابة والامتثال . ولا يمتنع الا متعنت مفسد مكابر أو ميت القلب والضمير .

* * *

* *

*

---

(١) تفسير المنار جـ ٣ ص ٣٢٧ - ٣٢٨ .

المبحث الخامس : قطع الحجة عليهم بارسال خاتم الرسل واظهاره ما يكتمون من دينهم :

وتتوالى آيات الدعوة تخاطب أهل الكتاب في عبارات واضحة وصريحة ، تدعوهم الى الاسلام ، وتقيم عليهم الحجة القاطعة باظهار الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على ما كانوا يخفونه عنه وعن المسلمين ، وهم يعلمون أنه أمي لم يدارس على شيء من كتبهم .

فقال تعالى : ((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ، قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ * يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ ، وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ)) (١) .

قيل : ان هذه الآية نزلت في قصة اخفاء اليهود حكم رجم الزاني حين تحاكموا الى النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك (٢) .

والصواب : أن الآية على اطلاقها فكان رسول الله وخاتم النبيين صلى الله عليه وآله وسلم قد بين لأهل الكتاب كثيرا من الأحكام والمسائل التي كانوا يخفونها مما أنزل الله عليهم ، ومنها حكم رجم الزاني وهو مما حفظوه من أحكام التوراة ، كما تراه في سفر التثنية :

(اذا وجد رجل مضطجعا مع امرأة زوجة بعل يقتل الاثنان الرجل المضطجع مع المرأة والمرأة ، فتنزع الشر من اسرائيل. اذا كانت فتاة عذراء مخطوبة

---

(١) سورة المائدة ـ آية : ١٥ ـ ١٦ .
(٢) انظر : تفسير ابن جرير جـ ٦ ص ١٦١ ، وأسباب النزول للسيوطي ص ٩٠ .

لرجل فوجدها رجل في المدينة واضطجع معها فأخرجوهما كليهما الى باب تلك المدينة وارجموهما بالحجارة حتى يموتا ...)[١].

ولم يلتزموا العمل بحكم الرجم ، وأنكروه أمام النبي صلى الله عليه وسلم ، فأقسم على عالمهم ابن صوريا وناشده الله حتى اعترف به ، فهذا مما كانوا يخفونه عند وجوب العمل به أو الفتوى . وكذلك أخفوا صفات النبي صلى الله عليه وسلم والبشارات به وحرفوها بالحمل على معان أخرى . اليهود والنصارى في هذا سواء . وهذا النوع غير ما أضاعوه من كتبهم ونسوه البتة ، كنسيان اليهود ما جاء في التوراة من خبر الحساب والجزاء في الآخرة[٢].

وقوله : ((يبين كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب))وذلك كبعثة محمد صلى الله عليه وسلم وآية الرجم في التوراة واخفاء التوحيد وبشارة عيسى بأحمد عليهما السلام في الانجيل .

قال الخازن : " يعني محمدا صلى الله عليه وسلم يظهر كثيرا مما أخفوا وكتموا من التوراة والانجيل ، وذلك أنهم أخفوا آية الرجم وصفة محمد صلى الله عليه وسلم وغير ذلك ، ثم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم بين ذلك وأظهره ، وهذا معجزة للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه لم يقرأ كتابهم ولم يعلم ما فيه ، فكان اظهار ذلك معجزة له . ((ويعفوا عن كثير)) يعني مما يكتمونه فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به ، لأنه لا حاجة الى اظهاره

---

(١) سفر التثنية - الاصحاح ٢٢ - فقرة : ٢٢ - ٢٤ ، المطبعة الأمريكانية ١٩٢٩ م / بيروت .

(٢) انظر : تفسير المنار ج ٦ ص ٣٠٣ .

والفائدة في ذلك أنهم يعلمون كون النبي صلى الله عليه وسلم عالما بما يخفونه ، وهو معجزة له أيضا ، فيكون ذلك داعيا لهم الى الايمان "(١) .

وقال أبو السعود عند قوله تعالى : ((ويعفوا عن كثير)) : " ولا يظهر كثيرا مما تخفونه اذا لم تدع اليه داعية دينية صيانة لكم عن زيادة الافتضاح ، كما يفصح عنه التعبير عن عدم الاظهار بالعفو ، وفيه حث لهم على عدم الاخفاء ترغيبا وترهيبا "(٢) .

وقوله تعالى : ((قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين)) قال صاحب المنار : " في المراد بالنور هنا ثلاثة أقوال : أحدها أنه النبي صلى الله عليه وسلم ، ثانيها أنه الاسلام ، ثالثها انه القرآن ، ووجه تسمية كل من هذه الثلاثة نورا هو أنها للبصيرة كالنور للبصر ، فلولا النور لما أدرك البصر شيئا من المبصرات ، ولولا ما جاء به النبي من القرآن والاسلام لما أدرك ذو البصيرة من أهل الكتاب ولا من غيرهم حقيقة دين الله ، وحقيقة ما طرأ على التوراة والانجيل من ضياع بعضها ونسيانه ، وعبث رؤساء الدين بالبعض الآخر باخفاء بعضه وتحريف البعض الآخر ، ولظلوا في ظلمات الجهل والكفر لا يبصرون . والكتاب المبين هو القرآن ، وهو بيّن في نفسه ، مبيّن لما يحتاج اليه الناس لهدايتهم "(٣) .

---

(١) تفسير الخازن جـ ١ ص ٤٤٧ دار المعرفة / بيروت .

(٢) تفسير أبي السعود جـ ٢ ص ١٨ .

(٣) تفسير المنار جـ ٦ ص ٣٠٤ .

يقول سيد قطب :

" لقد كان أهل الكتاب يستكثرون أن يدعوهم الى الاسلام نبي ليس منهم . . نبي من الأميين الذين كانوا يتعالون عليهم من قبل ويتعالمون ، لأنهم هم أهل الكتاب ، وهؤلاء أميون ، فلما أراد الله الكرامة لهؤلاء الأميين ، بعث منهم خاتم النبيين ، وجعل فيهم الرسالة الأخيرة ، الشاملة للبشر أجمعين . وعلم هؤلاء الأميين ، فاذا هم أعلم أهل الأرض ، وأرقاهم تصورا واعتقادا وأقومهم منهجا وطريقا ، وأفضلهم شريعة ونظاما ، وأصلحهم مجتمعا وأخلاقا . . وكان هذا كله من فضل الله عليهم ، ومن انعامه بهذا الدين وارتضائه لهم . . .

وفي هذا النداء الالهي لأهل الكتاب ، يسجل عليهم أنهم مدعوون الى الاسلام . ويسجل عليهم شهادته - سبحانه - بأن هذا النبي الأمي هو رسوله اليهم - كما أنه رسول الى العرب ، والى الناس كافة - فلا مجال لانكار رسالته من عند الله أولا ، ولا مجال للادعاء بأن رسالته مقصورة على العرب ، أو ليست موجهة الى أهل الكتاب ثانيا : ((يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا ، يبين لكم كثيرا مما كنتم تخفون من الكتاب ويعفوا عن كثير)) .

فهو رسول الله اليكم . ودوره معكم أن يبين لكم ويوضح ويكشف ما تواطأتم على اخفائه من حقائق كتاب الله الذى معكم . . سواء في ذلك اليهود والنصارى . . وقد أخفى النصارى الأساس الأول للدين . . التوحيد . . وأخفى اليهود كثيرا من أحكام الشريعة ، كرجم الزاني ، وتحريم الربا كافة . كما أخفوا جميعا خبر بعثة النبي الأمي ((الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة

والانجيل)) كما أنه ـ صلى الله عليه وسلم ـ يعفو عن كثير مما أخفوه أو حرفوه ، مما لم يرد به شرعه ، فقد نسخ الله من أحكام الكتب والشرائع السابقة ما لم يعد له محل في المجتمع الانساني ، مما كانت له وظيفة وقتية في المجتمعات الصغيرة الخاصة ، التي بعث اليها الرسل من قبل ولفترة محدودة ـ في علم الله ـ من الزمان ، قبل أن تجيء الرسالة الشاملة الدائمة ، وتستقر ـ وقد أكملها الله وأتم بها نعمته ورضيها للناس دينا ـ فلم يعد فيها نسخ ولا تبديل ولا تعديل . . .)) (١) .

ويتكرر النداء الالهي موجها الى أهل الكتاب حتى لا يبقى لهم أى حجة قائمة في البقاء على ما هم عليه من انحراف وانقسام وشذوذ ، وحتى لا يقولوا انه لم يأتيهم بشير ونذير يبين لهم ما هم عليه من خطأ وضلال .

فقال تعالى : ((يَا أَهْلَ الكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ أَنْ تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَاءَكُمْ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ ، وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٢) .

روى أبناء اسحاق ، وجرير ، والمنذر ، وأبي حاتم ، والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ يهود الى الاسلام ، فرغبهم فيه وحذرهم فأبوا عليه . فقال لهم معاذ بن جبل ، وسعد بن عبادة ، وعقبة بن وهب : يا معشر يهود

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٢ ص ٦٨١ ـ ٦٨٢ .

(٢) سورة المائدة ـ آية : ١٩ .

اتقوا الله ، فو الله (انكم) لتعلمون أنه رسول الله ، لقد كنتم تذكرونـــه لنا قبل مبعثه ، وتصفونه لنا بصفته ، فقال رافع بن حرملة ، ووهب بـــن يهوذا : انا ما قلنا لكم هذا ، وما أنزل الله من كتاب بعد موسى ، ولا أرسل بشيرا ولا نذيرا بعده . فأنزل الله الآية ، أى أنزلها في هذا السيـــاق متضمنة للرد عليهم .(١)

قال ابن كثير : يقول تعالى مخاطبا أهل الكتاب من اليهـــود والنصارى بأنه أرسل اليهم رسوله محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ خاتم النبيين الذى لا نبي بعده ولا رسول ، بل هو المعقب لجميعهم ، ولهذا قـال : ((على فترة من الرسل)) أى بعد مدة متطاولة ما بين ارساله وعيسى ابـن مريم . . . وكانت الفترة بين عيسى ابن مريم آخر أنبياء بني اسرائيل ، وبين محمد خاتم النبيين من بني آدم على الاطلاق ، كما ثبت في صحيح البخارى عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : (أنا أولى النـاس بابن مريم لأنه ليس بيني وبينه نبي)(٢) .

. . . . والمقصود أن الله بعث محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ على فترة من الرسل ، وطموس من السبل ، وتغير الأديان ، وكثرة عبادة الأوثان والنيران والصلبان ، فكانت النعمة به أتم النعم ، والحاجة اليه أمر عـم ، فان الفساد كان قد عم جميع البلاد ، والطغيان والجهل قد ظهر في سائر العبـــاد

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٣٢٠ ، وانظر : أسباب النزول للسيوطـــي ص ٩٠ ، وتفسير ابن جرير الطبرى جـ ٦ ص ١٦٦ .

(٢) صحيح البخارى جـ ٤ ص ١٤٢ ، كتاب الأنبياء ، باب ((واذكر فـي الكتاب مريـم)) .

الا قليلا من المتمسكين ببقايا من دين الأنبياء . . .)[١] . كما ثبت في الحديث الصحيح عن عياض بن حماد المجاشعي رضي الله عنه أن النبي - صلى الله عليه وسلم - خطب ذات يوم فقال في خطبته : (وان ربي أمرني أن أعلمكم ما جهلتم مما علمني في يومي هذا ، كل مال نحلته عبادي حلال ، وانني خلقت عبادي حنفاء كلهم ، وان الشياطين أتتهم فأضلتهم عن دينهم وحرمت عليهم ما أحللت لهم وأمرتهم أن يشركوا بي ما لم أنزل به سلطانا ، ثم ان الله عز وجل نظر الى أهل الأرض ، فمقتهم عربهم وعجمهم ، الا بقايا من بني اسرائيل . . . وفي لفظ لمسلم (من أهل الكتاب) الحديث)[٢] .

وكان الدين قد التبس على أهل الأرض كلهم حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم ، فهدى الخلائق وأخرجهم من الظلمات الى النور ، وتركهم على المحجة البيضاء ، والشريعة الغراء ، ولهذا قال تعالى : ((أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير)) أى لئلا تحتجوا وتقولوا يا أيها الذين بدلوا دينهم وغيروه ما جاءنا من رسول يبشر بالخير ، وينذر من الشر ، فقد جاءكم بشير ونذير ، يعني - محمدا - صلى الله عليه وسلم)[٣] .

قال صاحب المنار عند قوله تعالى : ((قد جاءكم رسولنا يبين لكم على فترة من الرسل)) : أى قد جاءكم رسولنا المبشر به في كتبكم ، المنتظر في اعتقادكم ، فان الله أخبركم على لسان موسى أنه سيقيم نبيا من

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٧ - ٣٨ .

(٢) رواه أحمد في المسند جـ ٤/١٦٢ دار صادر . ومسلم جـ ٤ ص ٢١٩٧ كتاب الجنة وصفة نعيمها ، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار رقم (٦٣) .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٣٨ .

بني اسماعيل اخوتكم ، وعلى لسان عيسى ابن مريم بأنه سيجيء بعده البارقليط روح الحق الذى يعلمكم كل شيء ، ولا تزال هذه البشارات في كتبكم ، وان حرفتموها بسوء فهم أو بسوء قصد منكم ، وهو النبي الكامل المعهود الذى سأل أجدادكم عنه يحى (يوحنا) عليه السلام ، ففي أوائل الانجيل الرابع أن اليهود أرسلوا كهنة ولاويين فسألوا يوحنا : أأنت المسيح ؟ قال : لا . أأنت ايليا ؟ قال : لا . أأنت النبي ؟ قال : لا .(١) وهذا هو الرسول محمد النبي العربي الأمي الذى لم يتعلم شيئا ، وهو يبين لكم على فترة أى انقطاع من الرسل ، وطول عهد على الوحي ، جميع ما تحتاجون اليه من أمر دينكم ، وما يصلح به أمر دنياكم ، من العقائد الحق التي أفسدتها عليكم نزعات الوثنية ، والأخلاق والآداب الصحيحة التي أفسدها عليكم الافراط والتفريط في الأمور المادية والروحية ، والعبادات والأحكام التي تصلح بها أموركم الشخصية والاجتماعية . . . ويدخل فيه ما بيّنه لكم مما كنتم تخفون من الكتاب لاقامة الحجة عليكم . ولو لم يكن رسولا من عند الله تعالى لما عرف هذا ولا ذاك مما تقاصرت عنه علوم أحباركم ورهبانكم وحكمائكم وساستكم ، جاء رسولنا محمد يبيّن لكم كل هذا ليقطع معذرتكم ويمنعكم يوم القيامة ((أن تقولوا ما جاءنا من بشير ولا نذير)) يبشرنا بحسن عاقبة المؤمنين الصالحين المتقين ، وينذرنا ويخوفنا سوء عاقبة المفسدين الضالين المغرورين ، ((فقد جاءكم بشير ونذير)) يبين لكم أن أمر النجاة والخلاص ، والسعادة

---

(١) انظر : انجيل يوحنا ـ الاصحاح الأول ـ فقرة ١٩ ـ ٢٢ .

الأبدية في دار القرار ، ليس منوطا بأمانيكم التي تتمنونها ، وأوهامكم التي تغترون بها ، بل هو منوط بالايمان والأعمال ، والله تعالى لا يحابي أحدا من الناس .(١)

قال تعالى : ((ليس بأمانيكم ولا أماني أهل الكتاب من يعمل سوءا يجز به ولا يجد له من دون الله وليا ولا نصيرا * ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو أنثى وهو مؤمن ، فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيرا))(٢) .

ويختتم الله تعالى الآية الكريمة بقوله : ((والله على كل شيء قدير)) ، وفي هذا اعلام لأهل الكتاب أن الله عز وجل لا يعجزه أن يرسل رسولا من العرب الأميين ، كما لا يعجزه عقاب العاصين المعاندين من خلقه .

وبهذه المواجهة الحاسمة لا تعود لأهل الكتاب حجة من الحجج في أن محمدا صلى الله عليه وسلم لم يرسل اليهم .

ومنها يتبين أن القرآن الكريم قد دعا أهل الكتاب الى الاسلام والى توحيد الله تعالى بأسلوب لين حكيم ، يقوم على اقناع العقول واطمئنان القلوب واقامة الحجة القاطعة باظهار خاتم الأنبياء والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم .

---

(١) تفسير المنار جـ ٦ ص ٣١٩ - ٣٢٠ .
(٢) سورة النساء - آية : ١٢٣ - ١٢٤ .

المبحث السادس : أسلوب الترغيب :

ومن الأساليب التي انتهجها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام ، ترغيبهم في أنهم لو حققوا منهج الله في التوراة والانجيل وما أنزل اليهم من التعاليم بدون تحريف ولا تبديل ، ثم آمنوا بما أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ تمام الايمان ، واتبعوه في كل ما جاء به من عند الله عز وجل ، لصلحت حياتهم في الدنيا ، وفاضت عليهم الأرزاق والخيرات ، ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم ، ولكفّر الله عنهم سيئاتهم ولأدخلهم جنات النعيم في الآخرة .

جاء ذلك في قوله تعالى : ((وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَّرْنَا عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتِ النَّعِيمِ * وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِم مِّن رَّبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِم مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)) (١) .

والمعنى أن الله سبحانه وتعالى يقول لأهل الكتاب أنهم لو آمنوا بالله ورسوله صلى الله عليه وسلم ، واتقوا الله عز وجل بامتثال أوامره واجتناب نواهيه ، لمحى عنهم ذنوبهم وآثامهم التي اقترفوها ، ولأدخلهم جنات النعيم في الآخرة ، وأنهم لو عملوا بما في الكتب التي أنزلها الله عليهم بدون تحريف ولا تبديل لساقهم ذلك الى اتباع الحق والعمل بمقتضى ما بعث الله به محمدا صلى الله عليه وسلم ، ولفاضت عليهم الأرزاق وأغدقت عليهم الخيرات

---

(١) سورة المائدة ـ آية : ٦٥ - ٦٦ .

بافاضة بركات السماء والأرض عليهم . ولكن اليهود والنصارى لا يؤمنون ولا يتقون ، الا جماعة قليلة منهم معتدلة غير غالية ولا مقصرة ، كعبد الله ابن سلام من اليهود ، والنجاشي وأصحابه من النصارى ، وكثير منهم أشرار لئام ، بئس ما يعملون من قبيح الأقوال وسوء الأفعال .

وقال تعالى : ((كُنتُم خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)) (١) .

فقوله جل شأنه : ((كنتم خير أمة أخرجت للناس)) خطاب للأمة المحمدية ، واخبار لها بأنها خير الأمم على الاطلاق ، وأنفع الناس للناس . ولهذا قال سبحانه : ((تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله)) .

وقد فضل الله جل وعلا الأمة المحمدية بهذه الصفات على من ذمهم من أهل الكتاب في قوله تعالى : ((كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) (٢) ، ((وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنَكْفُرُ بِبَعْضٍ)) (٣) .

ومعنى الآية : ولو آمن اليهود والنصارى بما أنزل الله على محمد - صلى الله عليه وسلم - وصدقوا بما جاء به ، لكان ذلك خيرا لهم في الدنيا والآخرة .

قال الفخر الرازي عند قوله تعالى : ((ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم)) : فيه وجهان :

الأول : ولو آمن أهل الكتاب بهذا الدين الذي لأجله حصلت صفة الخيرية

---

(١) سورة آل عمران - آية : ١١٠ .
(٢) سورة المائدة - آية : ٧٩ .
(٣) سورة النساء - آية : ١٥٠ .

لأتباع محمد عليه الصلاة والسلام لحصلت هذه الخيرية أيضا لهم ، فالمقصود من هذا الكلام ترغيب أهل الكتاب في هذا الدين .

الثاني : ان أهل الكتاب انما آثروا دينهم على دين الاسلام حبا للرياسة واستتباع العوام ، ولو آمنوا لحصلت لهم هذه الرياسة في الدنيا مع الثواب العظيم في الآخرة ، فكل ذلك خيرا لهم مما قنعوا به "(١) .

وكما أن في الآية ترغيب لأهل الكتاب في الاسلام ، فانها تتضمن ذمهم وتأنيبهم على عدم اسلامهم (٢) .

وقال تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ))(٣) .

قال ابن جرير : " فان قيل : كيف يؤمن المؤمن ؟ قيل : ليس المعنى الذي ظننته من انتقال من دين الى دين كانتقال اليهودي والنصراني الى الايمان . . . ولكن معنى ايمان المؤمن في هذا الموضع ثباته على ايمانه وتركه تبديله .

وأما ايمان اليهود والنصارى والصابئين ، فالتصديق بمحمد صلى الله عليه وسلم بما جاء به ، فمن يؤمن منهم بمحمد ، وبما جاء به واليوم الآخر ، ويعمل صالحا ، فلم يبدل ولم يغير ، حتى توفي على ذلك ، فله ثواب عمله وأجره عند ربه ، كما وصف جل ثناؤه . "(٤) .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازي جـ ٨ ص ١٨١ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤١٣ .
(٣) سورة البقرة - آية : ٦٢ .
(٤) تفسير ابن جرير الطبري جـ ١ ص ٣٢٠ .

وقال ابن كثير : " فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم خاتما للنبيين ورسولا الى بني آدم على الاطلاق ، وجب عليهم تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، والانكفاف عما عنه زجر ، وهؤلاء هم المؤمنون حقا "(١) .

ومثل هذه الآية قوله تعالى : ((إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون))(٢) .

فهذه الآيات الكريمة بينت لأهل الكتاب أن من آمن بالله ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم ، وصدق ما جاء به ، واستقام على ذلك حتى الممات ، فان له أجر كبير وثواب عظيم ، كما بينت الآيات أن الانسان مهما أسرف في الانحراف فانه بسلوك الطريق الصحيح والمنهج القويم ، والتزام السير فيه لن يؤثر عليه ما كان قبل ذلك كما جاء في الحديث عن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له : (أسلم يا عمرو فان الاسلام يجب ما كان قبله)(٣) .

فعلى اليهود والنصارى أن يفيئوا الى الحق ، ويلتزموا أساس العدل الذى ينأى بصاحبه عن التعصب لرأى أو جنس أو اقليم .

* * * * * *

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٠٦ .

(٢) سورة المائدة - آية : ٦٩ .

(٣) رواه أحمد في المسند جـ ٤ ص ١٩٩ .

المبحث السابع : تذكير بني اسرائيل بنعم الله عليهم :

ومع كون الرسالة الاسلامية - دعوة عالمية - مهمتها تبليغ دعوة الله الى الناس جميعا . غير أن العناية التي أولاها القرآن الكريم لأهل الكتاب كانت في غاية الخطورة ، فبالرغم من استنفاد كل الوسائل والأساليب التي بذلت في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام .

فان القرآن الكريم يلح في مخاطبة بني اسرائيل مؤكدا الرغبة في انضوائهم في الصف الاسلامي ليفوزوا بالسعادة والرضا في العاجل والآجل . وبالتالي اقامة الحجة الدامغة على المعاندين منهم ، وفيما يلي بعض الآيات التي تدعو بني اسرائيل الى الاسلام مذكرتهم بنعم الله العظيمة لعلهم يشكرون فيستجيبون :

قال تعالى : ((يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم ، وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم وايای فارهبون * وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وايای فاتقون * ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون * وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين * أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون * واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم إليه راجعون * يا بني إسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس شيئا ، ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)) (١) .

---

(١) سورة البقرة - الآيات : ٤٠ - ٤٨ .

يقول الامام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآيات الكريمة : (يأمر تعالى بني اسرائيل بالدخول في الاسلام ، ومتابعة محمد ـ عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ـ ومهيجا لهم بذكر أبيهم اسرائيل وهو نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ وتقدير الكلام يا بني العبد الصالح المطيع لله كونوا مثل أبيكم في متابعة الحق ، كما تقول : يا ابن الكريم افعل كذا ، يا ابن الشجاع بارز الأبطال ، يا ابن العالم اطلب العلم ونحو ذلك)(١) .

وفي اضافة النعمة اليه سبحانه ((نعمتي)) اشارة الى عظم قدرها ، وسعة برها ، وحسن موقعها ، لأن الاضافة تفيد التشريف ، كقوله ((بيت الله)) و ((ناقة الله)) .

ومعنى قوله تعالى : ((وأوفوا بعهدي أوف بعهدكم)) قال ابن جرير : (والصواب عندنا من القول في هذا الموضع ، عهد الله ووصيته التي أخذ على بني اسرائيل في التوراة أن يبينوا للناس أمر محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ أنه رسول ، وأنهم يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة أنه نبي الله ، وأن يؤمنوا به ، وبما جاء به من عند الله ((أوف بعهدكم)) وعهده اياهم : أنهم اذا فعلوا ذلك أدخلهم الجنة)(٢) .

ثم انتقل معهم من الترغيب الى الترهيب قائلا لهم : ((وايای فارهبون)) أي فاخشوني ولا تخافوا أحدا غيري .

ثم قال تعالى : ((وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم ولا تكونوا أول كافر به)) أي صدقوا بما أنزلت على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من القرآن الكريم ، وهو مصدق لما معكم من التوراة والانجيل ، وفي تصديقهم بالقرآن تصديق للتوراة التي معهم ، وتكذيبهم له تكذيب للتوراة والانجيل(٣) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨٤ .
(٢) تفسير ابن جرير الطبري جـ ١ ص ٢٥٠ .
(٣) تفسير ابن جرير الطبري جـ ١ ص ١٥١ بتصرف .

وقوله تعالى : ((ولا تكونوا أول كافر به)) قال ابن عباس رضي الله عنهما : (ولا تكونوا أول من كفر بمحمد -صلى الله عليه وسلم- بعد سماعكم بنعته) . واختار ابن جرير أن الضمير في قوله ((به)) عائد على القرآن الذى تقدم ذكره في قوله : ((بما أنزلت)) . وقال ابن كثير : وكلا القولين صحيح ، لأنهما متلازمان ، لأن من كفر بالقرآن فقد كفر بمحمد - صلى الله عليه وسلم - ومن كفر بمحمد -صلى الله عليه وسلم- فقد كفر بالقرآن .(١)

ومعنى قوله تعالى : ((ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا وايای فاتقون)) أى لا تستبدلوا بآياتي البينات عوضا قليلا ، وخافوا عقابي . وفي هذا وعيد لهم بكتمهم صفات النبي صلى الله عليه وسلم وعدم تصديقهم به مع معرفتهم التامة به .

وقوله تعالى : ((ولا تلبسوا الحق بالباطل وتكتموا الحق وأنتم تعلمون)) أى لا تخلطوا الحق المنزل من الله تعالى على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم - بالباطل الذى تخترعونه وتفترونه . وأنتم تعلمون أن ذلك حق ، أو حال كونكم تعلمون ما في ذلك من الضرر العظيم على الناس ، من اضلالهم عن الهدى المفضي بهم الى النار .(٢)

ثم قال تعالى : ((وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واركعوا مع الراكعين)) أى أقيموا الصلاة المفروضة ، وأدوا زكاة أموالكم طيبة بها نفوسكم ، واركعوا مع الراكعين من أمة محمد -صلى الله عليه وسلم- .

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨٥ .
(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨٦ .

وينتقل الخطاب بطريق الاستفهام على سبيل التوبيخ والتقريع قائلا لهم : ((أتأمرون الناس بالبر وتنسون أنفسكم وأنتم تتلون الكتاب أفلا تعقلون)) أى أتدعون الناس بالخير والطاعة لله تعالى وتتركون أنفسكم في حال أنكم تقرأون التوراة التي فيها صفة محمد صلى الله عليه وسلم . أفلا تفقهون قبح ما تأمرون به الناس مع مخالفتكم ما تأمرون به .

قال ابن كثير : (والغرض أن الله تعالى ذمهم على هذا الصنيع ونبههم على خطئهم في حق أنفسهم حيث كانوا يأمرون بالخير ولا يفعلونه وليس المراد ذمهم على أمرهم بالبر مع تركهم له ، بل على تركهم له ، فان الأمر بالمعروف معروف ، وهو واجب على العالم ، ولكن الواجب والأولى بالعالم أن يفعله مع أمرهم به ، ولا يتخلف عنهم كما قال شعيب -عليه السلام- ((وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه . إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت)) (١) .

فكل من الأمر بالمعروف وفعله واجب ، لا يسقط أحدهما بترك الآخر ، على أصح قولي العلماء من السلف والخلف ، وذهب بعضهم الى أن مرتكب المعاصي لا ينهى غيره عنها ، وهذا ضعيف . والصحيح أن العالم يأمر بالمعروف وان لم يفعله ، وينهى عن المنكر وان ارتكبه ، قال سعيد بن جبير : لو كان المرء لا يأمر بالمعروف ولا ينهى عن المنكر ، حتى لا يكون فيه شيء ما أمر أحد بمعروف ولا نهى عن منكر . قلت (أى ابن كثير) : لكنه والحالة هذه مذموم على ترك الطاعة وفعله المعصية ، لعله بها ومخالفته على بصيرة ، فانه ليس من يعلم كمن لا يعلم ، ولهذا جاءت الأحاديث في الوعيد على ذلك (٢) .

---

(١) سورة هود - آية : ٨٨ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨٧ .

ومما جاء في هذا المعنى قوله تعالى ((. . . لِمَ تقولون ما لا تفعلون ؟ كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون)) (١) .

وقوله تعالى : ((واستعينوا بالصبر والصلاة وانها لكبيرة الا على الخاشعين * الذين يظنون أنهم ملاقوا ربهم وأنهم اليه راجعون)) .

قال ابن جرير :(معنى الآية : واستعينوا أيها الأحبار من أهل الكتاب بحبس أنفسكم على طاعة الله ، وكفها عن معاصي الله ، وباقامة الصلاة المانعة من الفحشاء والمنكر ، المقربة من مراضي الله العظيمة اقامتها الا على المتواضعين لله ، المستكينين لطاعته ، المتذللين من مخالفته) (٢) .

والذي يظهر أن الآية عامة ، وهذا ما ذهب اليه الحافظ ابن كثير حيث قال : " والظاهر أن الآية وان كانت خطابا في سياق انذار بني اسرائيل فانهم لم يقصدوا بها على سبيل التخصيص ، وانما هي عامة لهم ولغيرهم ، والله أعلم . " (٣) .

والضمير في قوله : ((وانها لكبيرة)) عائد الى الصلاة ، نص عليه مجاهد ، واختاره ابن جرير ، ويحتمل أن يكون عائدا على ما يدل عليه الكلام وهو الوصية بذلك (٤) .

ويعود النداء مذكرا بني اسرائيل بنعمة الله عليهم وتخويفهم ذلك اليوم الرهيب : ((يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم

---

(١) سورة الصف ـ آية : ٢ ـ ٣ .
(٢) تفسير ابن جرير الطبري جـ ١ ص ٢٦١ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٩٠ .
(٤) انظر : تفسير ابن جرير الطبري جـ ١ ص ٢٦١ ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٨٩ .

وأني فضلتكم على العالمين * واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)) .

وتفضيل بني اسرائيل على العالمين موقوف بزمان استخلافهم واختيارهم ، فأما بعد ما عتوا عن أمر ربهم ، وعصوا أنبياءهم ، وجحدوا نعمة الله عليهم، وتخلوا عن التزاماتهم وعهدهم ، فقد أعلن الله حكمه عليهم باللعنة والغضب والذلة والمسكنة ، وقضى عليهم بالتشريد ، وحق عليهم الوعيد وتذكيرهم بتفضيلهم على العالمين هو تذكيرهم بما كان لهم من فضل الله وعهده ، واطماع لهم لينتهزوا الفرصة المتاحة لهم على يدى الدعوة الاسلامية .(١)

وقوله تعالى : ((واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا ولا يقبل منها شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون)) تخويف وتحذير من ذلك اليوم الرهيب ، يوم لا ينفع مال ولا بنون ، ولا تقضي نفس عن نفس شيئا ، كما قال تعالى : ((لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه))(٢) ، وقوله تعالى : ((يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزى والد عن ولده ، ولا مولود هو جاز عن والده شيئا ، إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور))(٣) .

ولا تقبل في ذلك اليوم شفاعة في نفس كافرة كما قال تعالى : ((فما تنفعهم شفاعة الشافعين))(٤) ، وكما قال تعالى عن أصحاب النار: ((فما لنا من شافعين * ولا صديق حميم))(٥) ، ولا يقبل من أى نفس

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ١ ص ٨٧ بتصرف .
(٢) سورة عبس - آية : ٣٧ .
(٣) سورة لقمان - آية : ٣٣ .
(٤) سورة المدثر - آية : ٤٨ .
(٥) سورة الشعراء - آية : ١٠٠ - ١٠١ .

فداء كما قال تعالى : ((فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهبا ولو افتدى به)) (١) ، ومعنى : ((ولا هم ينصرون)) أى لا أحد ينجيهم وينقذهم من عذاب الله لا من أنفسهم ولا من غيرهم ، كما قال تعالى : ((فما له من قوة ولا ناصر)) (٢) .

قال الفخر الرازى : واعلم أنه سبحانه ذكرهم تلك النعم أولا على سبيل الاجمال ، فقال : ((يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم وأوفوا بعهدى أوف بعهدكم)) وفرع على ذلك تذكيرها الأمر بالايمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ فقال : ((وآمنوا بما أنزلت مصدقا لما معكم)) ، ثم عقبها بذكر الأمور التي تمنعهم عن الايمان به ، ثم ذكرهم تلك النعم على سبيل الاجمال ثانيا بقوله مرة أخرى : ((يا بني اسرائيل اذكروا نعمتي التي أنعمت عليكم)) تنبيها على شدة غفلتهم ، ثم أردف هذا التذكير بالترغيب البالغ بقوله : ((وأني فضلتكم على العالمين)) مقرونا بالترهيب البالغ بقوله : ((واتقوا يوما لا تجزى نفس عن نفس شيئا)) الى آخر الآية ، ثم شرع بعد ذلك في تعديد تلك النعم على سبيل التفصيل ، ومن تأمل وأنصف علم أن هذا هو النهاية في حسن الترتيب لمن يريد الدعوة وتحصيل الاعتقاد في قلب المستمع (٣) .

---

(١) سورة آل عمران ـ آية : ٩١ .

(٢) سورة الطارق ـ آية : ١٠ .

(٣) التفسير الكبير جـ ٣ ص ٢٩ .

بعض نعم الله على بني اسرائيل :

وقد ذكر الله - تعالى - أنواعا لتلك النعم التي حظي بها بنو اسرائيل عبر تاريخهم - لتكون أبلغ في التذكير وأدعى الى الشكر برب العالمين ، ومن ثمّ امتثالهم الى دعوة الاسلام التي جاء بها النبي الأمي الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم .

فمن أعظم ما أنعم الله به على بني اسرائيل نجاتهم من فرعون وأتباعه الذين كانوا يعذبونهم أشد العذاب وأفظعه ، جاء ذلك في آيات كثيرة منها قوله تعالى : ((وَاذ نجّيناكم مِنَ آلِ فرعونَ يَسُومونكم سوءَ العذاب يذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * واذ فرقنا بكم البحر فأنجيناكم وأغرقنا آل فرعونَ وأنتم تنظرون)) (١) .

ففي مشاهدتهم لما حصل من نجاة أولياء الله وهلاك أعدائه نعمة كبيرة لمن شكر ، وآية باهرة لمن يتدبر ويتعظ .

وقال تعالى : ((وإذ أنجيناكم من آل فرعون يسومونكم سوءَ العذاب يقتلون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم)) (٢) .

وقال تعالى : (وإذ قال موسى لقومه اذكروا نعمة الله عليكم اذ أنجاكم من آل فرعونَ يسومونكم سوءَ العذاب ويذبحون أبناءكم ويستحيون نساءكم وفي ذلكم بلاء من ربكم عظيم * واذ تأذن ربكم

---

(١) سورة البقرة - آية : ٤٩ - ٥٠ .
(٢) سورة الأعراف - آية : ١٤١ .

لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد)) (١) .

ومن ذلك تخليصهم من العبودية كما قال تعالى : ((ونريد أن نمن على الذين استضعفوا في الأرض ونجعلهم الوارثين * ونمكن لهم في الأرض ونرى فرعون وهامان وجنودهما منهم ما كانوا يحذرون)) (٢) .

ومن ذلك عفوه عنهم بعد أن أشركوا به لعبادتهم للعجل ، قال تعالى : ((وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون * ثم عفونا عنكم من بعد ذلك لعلكم تشكرون)) (٣)

وقوله تعالى : ((وإذ قال موسى لقومه يا قوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم)) (٤) .

ومن أعظم هذه النعم انزال التوراة على نبيهم موسى -عليه السلام- فيها هدى ونور يحكم بها أنبياؤهم وعلماؤهم وفقهاؤهم ، وجعلها مفرقة بين الحق والباطل .

قال تعالى : ((إنا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا ، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون)) (٥) .

---

(١) سورة ابراهيم -آية : ٦ - ٧ .
(٢) سورة القصص -آية : ٥ - ٦ .
(٣) سورة البقرة -آية : ٥١ - ٥٢ .
(٤) سورة البقرة -آية : ٥٤ .
(٥) سورة المائدة -آية : ٤٤ .

وقال تعالى : ((وإذ آتينا موسى الكتاب والفرقان لعلكم تهتدون)) (١) .

وأظلهم بالغمام وأنزل عليهم المن والسلوى (٢) وغير ذلك من أطيب العيش وأرغده . قال تعالى : ((وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون * وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا وادخلوا الباب سجدا وقولوا حطة نغفر لكم خطاياكم وسنزيد المحسنين)) (٣) .

وقوله تعالى : ((وإذ قيل لهم اسكنوا هذه القرية وكلوا منها حيث شئتم رغدا وقولوا حطة وادخلوا الباب سجدا نغفر لكم خطيئاتكم سنزيد المحسنين)) (٤) .

وقال تعالى : ((يا بني اسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى * كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غضبي ومن يحلل عليه

---

(١) سورة البقرة - آية : ٥٣ .

(٢) قال الراغب : قيل المن شيء كالظل فيه حلاوة يسقط على الشجر والسلوى طائر يشبه بالسماني . وقيل : المن والسلوى كلاهما اشارة الى ما أنعم الله به عليهم ، وهما بالذات شيء واحد لكن سماه منّا بحيث أنه امتن به عليهم ، وسماه سلوى من حيث انه كان لهم به التسلي .
المفردات في غريب القرآن ص ٤٧٤ - ٤٧٥ ، وص ٢٤١ دار المعرفة .

(٣) سورة البقرة - آية : ٥٧ - ٥٨ .

(٤) سورة الأعراف - آية : ١٦١ .

غضبي فقد هوى * وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى (١))) .

ومن ذلك تفجير الصخر بالماء بعدد أسباطهم الاثنى عشر :

قال تعالى : ((وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين (٢))) .

ومثل ذلك قوله تعالى : ((وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطا أمما وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عينا قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى ، كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون (٣))) .

وبعث الله فيهم أنبياءه ورسله يوجهونهم الى طرق الخير ويحذرونهم من الشر والفساد ، وأنزل عليهم كتبه العظيمة التي لم تنزل على أمة سواهم ، وجعلهم يعيشون كالملوك أعزاء أقوياء بعد ان كانوا أذلاء مهانين من قبل فرعون وقومه ، وآتاهم ما لم يؤت أحدا من العالمين في زمانهم .

قال تعالى : ((وإذ قال موسى لقومه يا قوم اذكروا نعمة الله عليكم اذ جعل فيكم أنبياء وجعلكم ملوكا وآتاكم ما لم يؤت أحدا من العالمين (٤))) .

---

(١) سورة طه - آية : ٨٠ - ٨٢ .
(٢) سورة البقرة - آية : ٦٠ .
(٣) سورة الأعراف - آية : ١٦٠ .
(٤) سورة المائدة - آية : ٢٠ .

وقال تعالى : ((ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ان ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)) (١) .

الى غير ذلك من النعم العظيمة التي توجب شكر المنعم بها .

قال الفخر الرازى : واعلم أنه سبحانه وتعالى انما ذكرهم بهذه النعم لوجوه ، أحدها : أن في جملة النعم ما يشهد بصدق محمد صلى الله عليه وسلم وهو التوراة والانجيل والزبور . وثانيها : أن كثرة النعم توجب عظم المعصية ، فذكرهم تلك النعم لكي يحذروا مخالفة ما دعوا اليه من الايمان بمحمد صلى الله عليه وسلم والقرآن . وثالثها : أن تذكير النعم الكثيرة يوجب الحياء عن اظهار المخالفة . ورابعها : أن تذكير النعم الكثيرة يفيد أن المنعم خصهم من بين سائر الناس بها . . . فكأن تذكير النعم السالفة يطمع في النعم الآتية ، وذلك الطمع مانع من اظهار المخالفة والمخاصمة (٢) .

ولكن بني اسرائيل لم يقابلوا هذه النعم وتذكيرهم بها بالشكر والعرفان ، وامتثال الأوامر واجتناب النواهي ، بل كفروا بها وجحدوها فكان عاقبتهم أن أنزل الله بهم أنواعا من العذاب والتنكيل والعياذ بالله .

---

(١) سورة الجاثية - آية : ١٦ - ١٧ .

(٢) التفسير الكبير جـ ٣ ص ٣٤ .

نزول العذاب والتنكيل ببني اسرائيل نتيجة كفرهم :

وقد أنزل الله ـ تعالى ـ ببني اسرائيل أشد أنواع العذاب والتنكيل بسبب رذائلهم وأعمالهم القبيحة .

فمن ذلك أخذهم بالصاعقة لاشراكهم بالله وعدم ايمانهم بنبيهم موسى ـ عليه السلام ـ .

قال تعالى : ((وإذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى نرى الله جهرة فأخذتكم الصاعقة وأنتم تنظرون)) (١) .

وبكفرهم بآيات الله وقتلهم لأنبيائه ضربت عليهم الذلة والمسكنة ، قال تعالى : ((... وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون)) (٢) .

وباعتدائهم في يوم السبت وقد حرم عليهم الاصطياد فيه مسخهم قردة خاسئين ، قال تعالى : ((ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين * فجعلناها نكالا لما بين يديها وما خلفها وموعظة للمتقين)) (٣) .

وبجحودهم بنعمة الله حل بهم عقابه الشديد ، قال تعالى : ((سل بني اسرائيل كم آتيناهم من آية بينة ومن يبدل نعمة الله من بعد ما جاءته فإن الله شديد العقاب)) (٤) .

---

(١) سورة البقرة ـ آية : ٥٥ .
(٢) سورة البقرة ـ آية : ٦١ .
(٣) سورة البقرة ـ آية : ٦٥ ـ ٦٦ .
(٤) سورة البقرة ـ آية : ٢١١ .

وبظلمهم وصدهم عن سبيل الله وأخذهم الربا وأكلهم أموال الناس بالباطل حرمت عليهم طيبات أحلت لهم ، قال تعالى : ((فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)) (١) .

وسلط عليهم من لا يرحمهم الى يوم القيامة ، قال تعالى : ((وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ)) (٢) .

وشتتهم في الأرض أمما ، قال تعالى : ((وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَلِكَ وَبَلَوْنَاهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)) (٣) .

ينقضهم للعهود والمواثيق وتركهم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لعنهم الله وأبعدهم عن رحمته ، قال تعالى : ((لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ * كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ)) (٤) .

وكل هذه الآيات خطاب لبني اسرائيل وعلى الأخص اليهود منهم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، تحذرهم وتخوفهم أن يحل بهم - باصرارهم على الكفر وعدم اتباعهم لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وتصديقه بما جاء به من عند ربه عز وجل - مثل ما حل بأوائلهم من المسخ والرجف والصعق وغضب الله وسخطه .

---

(١) سورة النساء - آية : ١٦٠ - ١٦١ .
(٢) سورة الأعراف - آية : ١٦٧ .
(٣) سورة الأعراف - آية : ١٦٨ .
(٤) سورة المائدة - آية : ٧٨ - ٧٩ .

المبحث الثامن : تأنيبهم على عدم اسلامهم :

ومن الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الدخول في دين الاسلام ذمهم وتأنيبهم وتوبيخهم على عدم اسلامهم وارعوائهم للحق ، وعلى صدهم من أراد الدخول في الاسلام بالتلبيس والتضليل .

من ذلك قوله تعالى : ((يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الحَقَّ بِالبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ * يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ)) (١) .

ومعنى قوله تعالى : ((يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله)) أى يا أهل الكتاب لم تجحدون بالقرآن المنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((وأنتم تشهدون)) أى وأنتم تشهدون الحق واضحا جليا في هذا الدين .

قال سيد قطب : " ولقد كان أهل الكتاب وقتها ـ وما يزالون حتى اليوم ـ يشهدون الحق واضحا في هذا الدين ، سواء منهم المطلعون على حقيقة ما جاء في كتبهم عنه من بشارات واشارات ـ وكان بعضهم يصرح بما يجد

---

(١) سورة آل عمران ـ الآيات : ٧٠ ـ ٧٤ .

من هذا كله ، وبعضهم يسلم بناء على هذا الذى يجده في كتبه ويشهده متحققا أمامه - وسواء كذلك غير المطلعين ، ولكنهم يجدون في الاسلام من الحق الواضح ما يدعو الى الايمان . . غير أنهم يكفرون . . لا لنقص في الدليل ، ولكن للهوى والمصلحة والتضليل . . والقرآن يناديهم : ((يا أهل الكتاب)) . . لأنها الصفه التي كان من شأنها أن تقودهم الى آيات الله وكتابه الجديد .(١)

وقوله تعالى : ((يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)) أى يا أهل الكتاب لم تخلطون الحق بالباطل للالباس وتضليل الناس وتخفون ما في كتبكم من صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - وأنتم على علم بحقيقة أمره .

ثم ذكر الله - تعالى - نوعا من أنواع مكرهم وخبثهم وهو التظاهر بالاسلام في أول النهار ثم الارتداد عن الاسلام في آخر النهار ليشككوا الناس في دين الاسلام .

فقال تعالى : ((وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره لعلهم يرجعون)) أى يقول بعضهم لبعض تظاهروا بالاسلام في أول النهار واكفروا آخره لعل المسلمين يرجعون عن دينهم . وليكن ذلك سرا بينكم لا يطلع عليه المسلمون .

قال ابن كثير : " هذه مكيدة أرادوها ليلبسوا على الضعفاء من الناس أمر دينهم ، وهو أنهم اشتوروا بينهم أن يظهروا الايمان أول النهار

---

(١) في ظلال القرآن جـ ١ ص ٦١٢ .

ويصلوا مع المسلمين صلاة الصبح ، فاذا جاء آخر النهار ارتدوا الى دينهم ليقول الجهلة من الناس انما ردهم الى دينهم اطلاعهم على نقيصة وعيب في دين المسلمين " . (١)

وقبل أن تنتهي مقالة اليهود ، يوجه الله نبيه -صلى الله عليه وسلم- أن يعلن لليهود ((ان الهدى هدى الله)) أى قل لهم يا محمد : ان الهدى للاسلام ليس بأيديكم وانما الله وحده يهدى من يشاء من خلقه ويثبته عليه .

ثم يعرض تعالى بقية تآمرهم فيقول : ((أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم عند ربكم)) أى يقول اليهود لا تعترفوا لأحد بالنبوة الا اذا كان على دينكم ، خشية أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم أو يحاجوكم بالشهادة يوم القيامة أنهم آمنوا وكفرتم بعد الوضوح والبيان فتنكشفوا وتنفضحوا .

ويختتم الله تعالى هذه الآيات بقوله : ((قل ان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء والله واسع عليم * يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)) أى قل لهم يا محمد : أمر النبوة ليس اليكم وانما هو بيد الله تعالى ، وهو الذى يختص بالنبوة من يشاء ويختار ، وهو ذو الفضل الواسع الذى لا يحد ولا يمنع .

قال سيد قطب : (وقد شاءت ارادته أن يجعل الرسالة والكتاب في غير أهل الكتاب ، بعد ما خاسوا بعهدهم مع الله . ونقضوا ذمة أبيهم ابراهيم . وعرفوا الحق ولبسوه بالباطل . وتخلوا عن الأمانة التي ناطها الله بهم . وتركوا أحكام كتابهم وشريعة نبيهم ، وكرهوا أن يتحاكموا الى كتاب

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٨ .

الله بينهم . وخلت قيادة البشرية من منهج الله وكتابه ورجاله المؤمنين .. عندئذ سلم القيادة ، وناط الأمانة ، بالأمة المسلمة فضلا منه ومنة)[١] .

ومن الآيات في هذا المعنى قوله تعالى : ((قُلْ يا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَكْفُرونَ بآيَاتِ اللَّهِ واللَّهُ شَهِيدٌ على ما تعملونَ * قُل يا أَهْلَ الكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجاً وأَنتُم شُهَدَاءُ وما اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))[٢] .

والمعنى : قل يا محمد لأهل الكتاب لم تجحدون بالقرآن الذى أنزل على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعندكم من العلم عن الأنبياء السابقين من الأدلة والبراهين على صدق الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحة ما جاء به من عند الله عز وجل وهو سبحانه مطلع على جميع أعمالكم فيجازيكم عليها ، وقل لهم يا محمد لم تمنعون الناس من الدخول في الاسلام ؟ تريدون أن تكون الطريقة الواضحة المستقيمة معوجة . وأنتم تعلمون أن الاسلام هو الدين المستقيم الذى لا عوج فيه .

وفي قوله تعالى : ((وما الله بغافل عما تعملون)) وقوله : ((والله شهيد على ما تعملون)) وعيد وتهديد شديد لعدم اسلامهم . قال ابن كثير في تفسيره لهاتين الآيتين : هذا تعنيف من الله ـ تعالى ـ للكفرة أهل الكتاب على عنادهم للحق ، وكفرهم بآيات الله وصدهم عن سبيل الله مع علمهم بأن ما جاء به الرسول حق من الله ، وقد توعدهم الله على ذلك ، وأخبر بأنه شهيد على صنيعهم بما خالفوا ما بأيديهم عن

---

(١) في ظلال القرآن جـ ١ ص ٦١٦ .

(٢) سورة آل عمران ـ آية : ٩٨ ـ ٩٩ .

الأنبياء ، ومعاملتهم الرسول المبشر بالتكذيب والجحود والعناد ، فأخبر تعالى أنه ليس بغافل عما يعملون ، أى وسيجزيهم على ذلك[1] : ((يَوْمَ لَا يَنفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ))[2] .

فهذه الآيات الكريمة قد حملت التأنيب والتوبيخ لأهل الكتاب الذين لم تقدهم معرفتهم بالرسول صلى الله عليه وسلم الى الحق الواضح واتباع نور الاسلام الساطع .

* * * * *

---

(١) انظر : مختصر تفسير ابن كثير للصابوني جـ ١ ص ٣٠٣ .

(٢) سورة الشعراء - آية : ٨٨ .

المبحث التاسع : التهديد والانذار بالعقوبة :

وكما استعمل القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الحق واتباع نور الاسلام الكثير من أساليب اللين والترغيب ، فقد وجه اليهم الدعوة الى الايمان بما أنزل مصدقا لما معهم مستعملا أسلوب التهديد والوعيد والتحذير من شدة عذاب الله ونقمته بسبب كفرهم وعنادهم وعدم انصياعهم للحق مع علمهم ومعرفتهم له . رجاء أن يفيقوا من غفلتهم ويرعووا عن تكبرهم وعنادهم ، ويسلكوا الطريق الحق الذى اتفقت عليه جميع الرسالات السماوية من الاقرار لله بالتوحيد الخالص ، واتقاء الشرك كله كبيره وصغيره ، واثبات النبوة والرسالة لخاتم الأنبياء والمرسلين محمد -صلى الله عليه وسلم .

فقال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمِنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولًا * إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا)) (١) .

وفي سبب نزول هذه الآية أخرج ابن جرير ، وابن اسحاق ، عن ابن عباس رضي الله عنهما ، قال : (كلم رسول الله -صلى الله عليه وسلم- رؤساء من أحبار يهود ، منهم عبد الله بن صوريا ، وكعب بن أسد ، فقال لهم : يا معشر يهود ، اتقوا الله وأسلموا ، فو الله انكم لتعلموا أن الذى جئتكم به الحق ، فقالوا : ما نعرف ذلك يا محمد . وجحدوا ما عرفوا ، وأصروا على الكفر ، فأنزل الله فيهم : ((يا أيها الذين أوتوا الكتاب

---

(١) سورة النساء -آية : ٤٧ - ٤٨ .

آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا)) (١) .

قال ابن كثير : (يقول تعالى آمرا أهل الكتاب بالايمان بما نزل على رسوله محمد - صلى الله عليه وسلم - من الكتاب العظيم الذى فيه تصديق الأخبار التي بأيديهم من البشارات وتهددا لهم ان لم يفعلوا بقوله : ((من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها)) (٢) .

والطمس : استئصال أثر الشيء ، بمحو أو اخفاء ، ومنه قوله تعالى : ((فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٣))) ، أى ذهب ضوؤها .

نطمس ، ونطمس - بكسر الميم وضمها - لغتان في المستقبل ، ويقال : طمس الأثر أى امحى (٤) ، ومنه قوله تعالى : ((رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ (٥))) . أى اهلكها . وطمس الله بصره ، وهو مطموس البصر اذا ذهب أثر العين ، ومنه قوله تعالى : ((ولو نشاء لطمسنا على أعينهم (٦))) أى أعميناهم . وورد قوله تعالى حكاية عن قوم لوط : ((وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ (٧))) .

---

(١) تفسير ابن جرير جـ ٥ ص ١٢٤ ، وأسباب النزول للسيوطي ص ٧٠ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٣٩ .

(٣) سورة المرسلات - آية : ٨ .

(٤) انظر : تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٢٤٤ ، والقاموس المحيط للفيروزآبادى جـ ٢ ص ٢٢٧ ، والنهاية لابن الأثير جـ ٣ ص ١٣٩ .

(٥) سورة يونس - آية : ٨٨ .

(٦) سورة يس - آية : ٦٦ .

(٧) سورة القمر - آية : ٣٧ .

واختلف العلماء في المعنى المراد بهذه الآية ، هل هو حقيقة فيجعل الوجه كالقفاء ، فيذهب بالأنف والفم والحاجب والعين ، أو أن ذلك عبارة عن الضلالة في قلوبهم وسلبهم التوفيق ؟ قولان (١) :

قال ابن عباس رضي الله عنهما : أن تعمى ((فنردها على أدبارها)) أى نجعل وجوههم من قبل أقفيتهم فيمشون القهقرى ونجعل لأحدهم عينين في قفاه (٢) . وكذا قال قتادة ، وعطية العوفي .

قال ابن كثير : وهذا أبلغ في العقوبة والنكال (٣) .

وقال الفخر الرازى : وهذا المعنى انما جعله الله عقوبة لما فيه من التشويه في الخلقة والمثلة والفضيحة ، لأن عند ذلك يعظم الغم والحسرة (٤) .

والقول الثاني : ان ذلك عبارة عن الضلالة في قلوبهم وصرفهم عن الحق وردهم الى الباطل ، ورجوعهم عن المحجة البيضاء الى سبيل الضلالة يهرعون ويمشون القهقرى على أدبارهم .

قال ابن كثير : وهذا كما قال بعضهم في قوله تعالى : ((إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ * وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ)) (٥) .

أى هذا مثل سوء ضربه الله لهم في ضلالهم ومنعهم من الهدى .

قال مجاهد : من قبل أن نطمس وجوها ، يقول : عن الصراط الحق ،

---

(١) تفسير القرطبي جـ ٥ ص ٢٤٤ .
(٢) تفسير الطبرى جـ ٥ ص ١١١ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٣٩ .
(٤) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ١٠ ص ١٢١ .
(٥) سورة يس - آية : ٨ - ٩ .

فنردها على أدبارها ، أى في الضلال . .

وقال السدى : فنردها على أدبارها : فنمنعها عن الحق أى نوجعها كفارا (١) .

وقال الضحاك : يعني أن نردهم عن الهدى والبصيرة ، فنردهم على أدبارهم فكفروا بمحمد صلى الله عليه وسلم (٢) .

وذكر الرازى وجوها أخرى منها : أن المراد بالوجوه : رؤساؤهم ووجهاؤهم ، والمعنى من قبل أن تغير أحوال وجهائهم فنسلب منهم الاقبال والوجاهة ونكسوهم الصغار والادبار والمذلة .

ومنها قول عبد الرحمن بن زيد : أن هذا الوعيد قد لحق اليهود ومضى ، وتأول ذلك في اجلاء قريظة والنضير الى الشام ، فرد الله وجوههم على أدبارهم حين عادوا الى أذرعات وأريحاء من أرض الشام ، كما جاءوا منها .

قال الرازى : وطمس الوجوه على هذا التأويل يحتمل معنيين : أحدهما : تقبيح صورتهم ، يقال : طمس الله صورته كقوله : قبح الله وجهه . والثاني : ازالة آثارهم عن بلاد العرب ومحو أحوالهم عنها (٣) .

والقول الذى أرجحه هو الأخذ بظاهر الآية وهو قول ابن عباس واختاره الامام الطبرى حيث قال : وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال : معنى قوله ((من قبل أن نطمس وجوها)) أى من قبل أن نطمس أبصارها ، ونمحو آثارها ، فنسويها كالأقفاء ، فنجعل أبصارها في أدبارها

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٣٩ .
(٢) تفسير الطبرى جـ ٥ ص ١٢٢ ، والمنار جـ ٥ ص ١٤٥ .
(٣) الفخر الرازى جـ ١٠ ص ١٢١ .

فيشون القهقـــرى .(١)

وهو قول الشيخ القاسمي حيث قال : وأقول : لا يخفى أن جميع ما ذكـــر من التأويلات ، غير الأول لا يساعده مقام تشديد الوعيد ، وتعميم التهديد ، فان المتبادر من اللفظ الحقيقـة .

ولا يصار الى المجاز الا اذا تعذر ارادتها ، ولا تعذر هنا ، كما أن المتبادر من اللعن ، المشبه بلعن أصحاب السبت ، هو المسخ ، وهو الذى تقتضيه بلاغة التنزيل ، اذ فيه الترقي الى الوعيد الأفظع ، ولا ننكر أن تكون هـــذه التأويلات مما يشمله لفظ الآية . وانما البحث في دعوى ارادتها دون سابقها ، فالحق أن المتبادر من النظم الكريم هو الأول ، لأنه أدخل في الزجر .(٢)

ويؤيده : ما روى أن كعب الأحبار أسلم حين سمع هذه الآيـــة ، رواه ابن جرير ، وابن أبي حاتم ، ولفظه بعد اسناده : عن أبي ادريـــس عائذ الخولاني قال : كان أبو مسلم الجليليّ معلم كعب ، وكان يلومـــه في ابطائه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، قال : فبعثه اليه ينظر أهو هو ؟ قال كعب : فركبت حتى أتيت المدينة ، فاذا تال يقرأ القرآن ، ويقـــول : ((يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها)) فاغتسلت ، واني لأمشي وجهـــي مخافة أن أطمس ، ثم أسلمت .(٣)

---

(١) تفسير الطبرى جـ ٥ ص ١٢٢ - ١٢٣ .
(٢) تفسير القاسمي جـ ٥ ص ١٩٦ - ١٩٧ .
(٣) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥٣٩ - ٥٤٠ ، وتفسير ابن جريـــر الطبرى جـ ٥ ص ١٢٤ .

وقوله تعالى : ((أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت)) : أى مسخهم قردة وخنازير كما فعل بأسلافهم الذين اعتدوا في السبت بالحيلة على الاصطياد ، ((وكان أمر الله مفعولا)) أى كائنا ونافذا لا محالة ، وجعل بعضهم ، المراد بذلك اللعن التعارف عليه ، قال : ألا ترى الى قوله تعالى : ((قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ ، مَن لَّعَنَهُ اللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ))(١) .

ففصل تعالى بين اللعن وبين مسخهم قردة وخنازير .(٢)

ثم اختلفوا في متى يكون ذلك ؟ فقال المبرد : الوعيد باق منتظر وانه لابد من طمس في اليهود ومسخ قبل يوم القيامة .

وقال قوم : انه لما آمن بعضهم كعبد الله بن سلام ، وكعب الأحبار وغيرهما رفع الوعيد عن الباقين .

وقال آخرون : يكون في الآخرة ، وقد نصر هذا القول أبو السعود .(٣)

وظاهر الآية أن ذلك سيكون في الدنيا قبل قيام الساعة ، ويؤيده أن تهديدهم باللعن في الجملة الثانية من الآية كان عقابا دنيويا .

ومعنى الآية : آمنوا يا أهل الكتاب بما نزلنا على محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ من الكتاب العظيم الذى فيه تصديق الأخبار التي بأيديكم ـ والا فانا سوف نطمس على وجوهكم أو نمسخكم قردة وخنازير كما فعلنا بأسلافكم ممن اعتدوا في يوم السبت وهو محرم عليهم .

---

(١) سورة المائدة ـ آية : ٦٠ .
(٢) روح المعاني للألوسي جـ ٥ ص ٥٠ .
(٣) انظر : تفسير أبي السعود جـ ٢ ص ١٨٦ ، والقرطبي جـ ٥ ص ٢٤٥ ، وروح المعاني جـ ٥ ص ٤٩ ـ ٥٠ .

ثم يأتي تهديد ووعيد آخر في الآخرة ، بعدم المغفرة لمن يشـــرك بالله سبحانه ، فقال تعالى : ((ان الله لا يغفر أن يشرك به ويغفـــر ما دون ذلك لمن يشاء ومن يشرك بالله فقد افترى اثما عظيما)) .

ومع أن الآية عامة في مخاطبة أهل الكتاب وغيرهم ، الا أن سياقها يخص أهل الكتاب من طريق الأولى .

وقد ورد في القرآن الكريم قول اليهود : ((عزير ابن الله [1])) ، وقـــول النصارى : ((المسيح ابن الله [2])) ، وهو شرك أكبر لا ريب فيه .

كذلك أخبر القرآن الكريم أن اليهود والنصارى ((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)) [3] .

ومن هذا يتضح أن الآيتين الكريمتين قدعتا أهل الكتاب الـــى الايمان بالرسالة المحمدية التي جاءت مصدقة لما معهم ، والسير في طريق الاسلام الصحيح ، وتذكيرهم بما كان من نكال الله لأوائلهم الذين اعتـــدوا في السبت ، وانذارهم بنكال مماثل اذا لم يستجيبوا للدعوة الجديـــدة الخالـــدة . وأنهم ان ماتوا على هذه الحالة فان مصيرهم النار الدائمة الرهيبة جزاء شركهم بالله سبحانه وتعالى ، وعدم امتثالهم لأوامـــره واجتناب نواهيـــه .

* * * * *

---

(١) سورة التوبة - آية : ٣٠ .

(٢) نفس السورة والآيـــة .

(٣) سورة التوبة - آية : ٣١ .

المبحث العاشر : اخبارهم بأن القرآن الكريم يقص عليهم الحق في خلافاتهم :

ومن الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام : اخبارهم بما وقعوا فيه من خلاف وتناقض ليفتحوا قلوبهم وينقادوا الى هديه ، فيقيهم من الاختلاف والضلال ، ويرشدهم الى الحق والى الطريق المستقيم .

قال تعالى : ((إِنَّ هَـٰذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ * وَإِنَّهُ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُم بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ * فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ * إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ * وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمْيِ عَن ضَلَالَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ))(١) . فهذه الآيات تبين أن القرآن الكريم يكشف لأهل الكتاب جل اختلافاتهم في أمر الدين .

ولقد اختلف النصارى في المسيح ـ عليه السلام ـ وفي أمه مريم . قالت جماعة : ان المسيح انسان محض . وقالت جماعة : ان الاب والابن وروح القدس ان هي الا صور مختلفة أظن الله بها نفسه للناس . فالله بزعمهم مركب من أقانيم ثلاثة ـ الآب والابن وروح القدس ـ ، والابن هو عيسى ، فانحدر الله الذي هو الآب في صورة روح القدس وتجسد في مريم انسانا وولد منها في صورة يسوع . وجماعة قالت : ان الابن ليس أزليا كالأب ، بل هو مخلوق من قبل العالم ، ولذلك هو دون الأب وخاضع له ، وجماعة أنكروا كون روح القدس أقنوما . وقرر مجمع نيقية سنة ٣٢٥ ميلادية ، ومجمع القسطنطينية سنة ٣٨١ م بأن الابن وروح القدس

---

(١) سورة النمل ـ الآيات : ٧٦ ـ ٨١ .

مساويان للأب في وحدة اللاهوت ، وأن الابن قد ولد منذ الأزل من الأب ، وأن الروح القدس منبثق من الأب .

وقرر مجمع طليطلة سنة ٥٨٩ م بأن روح القدس منبثق من الابن أيضا . فاختلفت الكنيسة الشرقية والكنيسة الغربية عند هذه النقطة ، وظلتا مختلفتين . . فجاء القرآن الكريم يقول كلمة الفصل بين هؤلاء جميعا . وقال عن المسيح : انه كلمة الله ألقاها الى مريم وروح منه وانه بشر . . ((إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ))(١) ، وكان هذا فصل الخطاب فيما كانوا فيه يختلفون .

واختلفوا في مسألة صلبه مثر هذا الاختلاف ، منهم من قال : انه صلب حتى مات ودفن ثم قام من قبره بعد ثلاثة أيام وارتفع الى السماء .

ومنهم من قال : ان يهوذا أحد حواريه الذى خانه ودل عليه ألقى عليه شبه المسيح وصلب . ومنهم من قال : ألقى شبهه على الحوارى سيمون وأخذ به . . وقص القرآن الكريم الخبر اليقين فقال : ((وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ))(٢) ، وقال : ((يا عيسى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا))(٣) ، وكانت كلمة الفصل في ذلك الخلاف .

ومن قبل حرّف اليهود التوراة وعدلوا تشريعاتها الالهية ، فجاء القرآن الكريم يثبت الأصل الذى أنزله الله : ((وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ ، وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ ، وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ ، وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ ، وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ ، وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ))(٤) .

---

(١) سورة الزخرف - آية : ٥٩ .
(٢) سورة النساء - آية : ١٥٧ .
(٣) سورة آل عمران - آية : ٥٥ .
(٤) سورة المائدة - آية : ٤٥ .

وحدثهم حديث الصدق عن تاريخهم وأنبيائهم ، مجردا من الأساطير الكثيرة التي اختلفت فيها رواياتهم ، مطهرا من الأقذار التي ألصقتها هذه الروايات بالأنبياء ، والتي لم يكد نبي من أنبياء بني اسرائيل يخرج منها نظيفا .

ابراهيم - بزعمهم - قدم امرأته لأبي مالك ملك الفلسطينيين ، والى فرعون ملك مصر باسم أنها أخته لعله ينال بسببها نعمة في أعينهما .

ويعقوب الذي هو اسرائيل أخذ بركة جده ابراهيم من والده اسحاق بطريق السرقة والحيلة والكذب ، وكانت - بزعمهم - هذه البركة لأخيه الأكبر عيصو .

ولوط - بزعمهم - أسكرته بنتاه كل منهما ليلة ليضطجع معها لتنجب منه كي لا يذهب مال أبيهما اذ لم يكن له وارث ذكر ، وكان ما أرادتا .

وداود رأى من سطوح قصره امرأة جميلة عرف أنها زوجة أحد جنده ، فأرسل هذا الجندي الى المهالك ليفوز - بزعمهم - بامرأته .

وسليمان مال الى عبادة بعل - بزعمهم - مجاراة لاحدى نسائه التي كان يعشقها ولا يملك معارضتها .

وقد جاء القرآن فطهر صفحات هؤلاء الرسل الكرام مما لوثتهم به الأساطير الاسرائيلية التي أضافوها الى التوراة المنزلة ، كما صحح تلك الأساطير عن عيسى ابن مريم - عليه السلام - .(١)

قال أبو السعود عند قوله تعالى : ((ان هذا القرآن يقص على بني اسرائيل الذي هم فيه يختلفون)) : من جملته ما اختلفوا في شأن

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٦ ص ٣٠٤ - ٣٠٥ .

المسيح وتحزبوا فيه أحزابا ، وركبوا متن العتو والغلو في الافراط والتفريط ، والتشبيه والتنزيه ، ووقع بينهم التناكد في أشياء حتى بلغ المشاقة الى حيث لعن بعضهم بعضا ، وقد نزل القرآن الكريم ببيان كنه الأمر لو كانوا في حيز الانصاف " .(١)

وقوله : ((وانه لهدى ورحمة للمؤمنين)) أى ان القرآن الكريم مع أنه يقص على بني اسرائيل أكثر اختلافاتهم ، فهو أيضا هدى ورحمة لقلوب المؤمنين به الآخذين بتعاليمه ، السائرين على هديه ومنهجه . قال القرطبي : " خص المؤمنين بالذكر لأنهم المنتفعون به " .(٢)

وقوله : ((ان ربك يقضي بينهم بحكمه وهو العزيز العليم)) أى ان ربك يا محمد هو الذى يحكم بين بني اسرائيل يوم القيامة بحكمه العادل فيجازى المحق بما يستحق ، ويجازى المبطل بمثل ذلك .

((وهو العزيز)) في انتقامه ((العليم)) بأفعال عباده وأقوالهم لا يخفى عليه شيء منهم .

ثم أمر - الله تعالى - نبيه محمدا - صلى الله عليه وسلم - بالتوكل عليه والمضي في تبليغ دعوته وعدم المبالاة بأعداء الاسلام والمسلمين ، الذين يتبعون أهواءهم وشهواتهم ، فقال تعالى : ((فتوكل على الله انك على الحق المبين)) أى انك يا محمد على الدين الحق الواضح الذى لا اشتباه فيه .

قال ابن كثير : ((انك على الحق المبين)) أى أنت على الحق المبين وان خالفك من خالفك ممن كتبت عليه الشقاوة ، وحقت عليهم كلمة

---

(١) تفسير أبي السعود جـ ٦ ص ٢٩٩ .

(٢) تفسير القرطبي جـ ١٣ ص ٢٣١ .

ربك أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية ، ولهذا قال تعالى : ((انك لا تسمع الموتى)) أى لا تسمعهم شيئا ينفعهم ، فكذلك هؤلاء على قلوبهم غشاوة وفي آذانهم وقر الكفر ، ولهذا قال تعالى : ((ولا تسمع الصم الدعاء اذا ولوا مدبرين * وما أنت بهادى العمي عن ضلالتهم ، ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون)) أى انما يستجيب لك من هو سميع بصير ، السمع والبصر النافع في القلب والبصيرة ، الخاضع لله ، ولما جاء عنه على ألسنة الرسل عليهم السلام (١) .

ومن الآيات التي وردت في هذا المعنى قوله تعالى : ((كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِيمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِن بَعْدِ مَا جَاءتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ مِنَ الْحَقِّ بِإِذْنِهِ وَاللَّهُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ)) (٢) .

وقوله تعالى : ((وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ فَمَا اخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)) (٣) .

وقوله عز وجل : ((تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنزَلْنَا

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٣٩١ .

(٢) سورة البقرة ـ آية : ٢١٣ .

(٣) سورة يونس ـ آية : ٩٣ .

عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ)) (١) .

فهذه الآيات تبين لأهل الكتاب أن القرآن الكريم يقص عليهم أكثر اختلافاتهم مع أنبيائهم ، ومع بعضهم البعض ، فلو كانوا منصفين لأسلموا ، لأن القرآن جاءهم بالرأى الساطع ، والخبر القاطع .

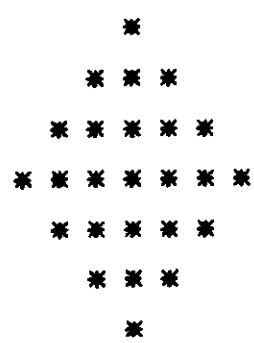

---

(١) سورة النحل ـ آية : ٦٣ ـ ٦٤ .

المبحث الحادي عشر : بيان سبب اختلافهم في الدين :

ومن الأساليب التي اتبعها القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام أنه أرشدهم وأوضح لهم في كثير من الآيات البينات أن عدم دخولهم في الاسلام ، واختلافهم في الدين الواحد الذي جاء به جميع الأنبياء انما كان سببه البغي والحسد والعدوان . جاء ذلك في آيات كثيرة منها :

قوله تعالى : ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وما اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلا مِن بَعْدِ ما جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ، وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ ، وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ * إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * أُولَئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّاصِرِينَ * أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُدْعَوْنَ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّى فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ * ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَن تَمَسَّنَا النَّارُ إِلا أَيَّامًا مَّعْدُودَاتٍ وَغَرَّهُمْ فِي دِينِهِم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ * فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ)) (١) .

قال ابن كثير : وقوله : ((ان الدين عند الله الاسلام)) اخبار منه تعالى بأنه لا دين عنده يقبله من أحد سوى الاسلام ، وهو اتباع

---

(١) سورة آل عمران - الآيات : ١٩ - ٢٥ .

الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين ، حتى ختموا بمحمد -صلى الله عليه وسلم -الذى سد جميع الطرق اليه الا من جهة محمد -صلى الله عليه وسلم - فمن لقي الله بعد بعثة محمد -صلى الله عليه وسلم -بدين على غير شريعته فليس بمتقبل كما قال تعالى : ((ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه))(١) الآية . وقال في هذه الآية مخبرا بانحصار الدين المتقبل منه عنده في الاسلام : ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلام)) ، ثم أخبر تعالى بأن الذين أوتوا الكتاب الأول انما اختلفوا بعد ما قامت عليهم الحجة بارسال الرسل اليهم ، وانزال الكتب عليهم ، فقال : ((وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم)) أى بغى بعضهم على بعض ، فاختلفوا في الحق بتحاسدهم وتباغضهم وتدابرهم ، فحمل بعضهم بغض البعض الآخر على مخالفته في جميع أقواله وأفعاله ، وان كانت حقا ، ثم قال تعالى : ((ومن يكفر بآيات الله)) أى من جحد ما أنزل الله في كتابه ((فان الله سريع الحساب)) أى فان الله سيجازيه على ذلك ويحاسبه على تكذيبه ومعاقبه على مخالفة كتابه .(٢)

ثم أرشد الله تعالى رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم الى ما يقوله في موقفه من أهل الكتاب اذا جادلوه بقوله : ((فان حاجوك فقل أسلمت وجهي لله ومن اتبعن)) أى فان جادلك أهل الكتاب يا محمد في أمر الاسلام بعد أن ثبت بالحجج النيرة والآيات القاطعة فلا تخوض في مجادلتهم ، وقل لهم أخلصت عبادتي لله وحده لا شريك له ولا ند ولا صاحبة

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٨٥ .

(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٦٨ - ٣٦٩ .

ولا ولـــد .

قال أبو السعود : وانما عبر بالوجه لأنه أشرف الأعضاء الظاهـــرة ومظهر القوى والمشاعر ، ومجمع معظم ما تقع به العبادة من السجود والقـراءة وبه يحصل التوجه الى كل شيء .(١)

وذكر أبو مسلم الأصفهاني أن اليهود والنصارى وعبدة الأوثان كانـوا مقرين بتعظيم ابراهيم صلوات الله وسلامه عليه ، والاقرار بأنه كان محقا فـي قوله ، صادقا في دينه ، الا في زيادات من الشرائع والأحكام ، فأمر اللـه تعالى محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ بأنه يتبع ملته فقال : ((ثم أوحينـا اليك أن اتبع ملة ابراهيم حنيفـا)) ، ثم انه تعالى أمر محمدا ـ صلى الله عليه وسلم ـ في هذا الموضع أن يقول كقول ابراهيم صلى الله عليه وســـلم حيث قال : ((إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ))(٢) فقـول محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ((أسلمت وجهي)) كقول ابراهيم عليـــه السلام ((وجهت وجهي)) أي اعترضت عن كل معبود سوى الله تعـالى ، وقصدته بالعبادة وأخلصت له ، فتقدير الآية كأنه تعالى قال : فان نازعـوك يا محمد في هذه التفاصيل فقل : أنا مستمسك بطريقة ابراهيم ، وأنـــتم معترفون بأن طريقته حقة ، بعيدة عن كل شبهة وتهمة ، فكان هذا من بـاب التمسك بالالزامات وداخلا تحت قوله ((وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَن))(٣) .

ثم أمر الله تعالى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ أن يدعو أهـــل الكتاب والأميين من العرب على حد سواء بقوله : ((وقل للذين أوتـــوا الكتاب والأميين أأسلمتم)) أي هل أسلمتم أو أنكم باقون على كفركـــم ،

---

(١) تفسير أبي السعود جـ ٢ ص ١٨ .

(٢) سورة الأنعام ـ آية : ٧٩ .

(٣) انظر تفسير الفخر الرازي جـ ٧ ص ٢١١ ، والآية ١٢٥ من سورة النحل .

فلقد جاءكم من البينات ما يوجب ايمانكم وتصديقكم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به من الهدى ودين الحق .

قال الزمخشري : (يعني أنه قد أتاكم من البينات ما يوجب الاسلام ويقتضي حصوله لا محالة ، فهل أسلمتم أم أنتم بعد على كفركم ، وهذا كقولك لمن لخصت له المسألة ولم تبق من طرق البيان والكشف طريقا الا سلكته : هل فهمتها ؟ ومنه قوله -تعالى - : ((فهل أنتم منتهون))(١) بعد ما ذكر الصوارف عن الخمر والميسر ، وفي هذا الاستفهام تعبير بالمعاندة وقلة الانصاف ، لأن المنصف اذا تجلت له الحجة لم يتوقف اذعانه للحق وللمعاند بعد تجلي الحجة ما يضرب اسدادا بينه وبين الاذعان ، وكذلك في هل فهمتها توبيخ بالبلادة وكلة القريحة ، وفي : ((فهل أنتم منتهون)) توبيخ بالتقاعد عن الانتهاء والحرص على تعاطي المنهي عنه)(٢) .

ثم بين -تعالى - مآلهم وعاقبتهم نتيجة دخولهم في الاسلام أو اعراضهم عنه ، فقال تعالى : ((فان أسلموا فقد اهتدوا)) أى فان اتبعوا الاسلام فقد فازوا بخير الدنيا والآخرة ، ونفعوا أنفسهم بخروجهم من الظلمات الى النور ((وان تولوا)) أى أعرضوا عن قبول الحق ولم يعملوا بموجبه ، فلن يضرك يا محمد اعراضهم ((فانما عليك البلاغ)) أى انما أنت مأمور بتبليغ الدعوة فحسب ، والى الله عز وجل مصيرهم ومرجعهم وهو الذى يعلم جميع أحوالهم فيجازيهم عليها ، ولهذا قال تعالى : ((والله بصير بالعباد)) قال ابن كثير : وهذه الآية وأمثالها من أصح الدلالات على عموم بعثته صلوات الله وسلامه عليه الى جميع

---

(١) سورة المائدة - آية : ٩١ .

(٢) تفسير الكشاف جـ ١ ص ٤١٩ - ٤٢٠ .

الخلق كما هو معلوم من دينه ضرورة ، وكما دل عليه الكتاب والسنة في غير ما آية وحديث . . .) (١) .

ثم قال تعالى : ((ان الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حق ويقتلون الذين يأمرون بالقسط من الناس فبشرهم بعذاب أليم * أولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة وما لهم من ناصرين))

قال سيد قطب : فهذا هو الحصير المحتوم : عذاب أليم ، لا يحدده بالدنيا أو بالآخرة . فهو متوقع هنا وهناك ، يبطلان لأعمالهم في الدنيا والآخرة في تعبير مصور . . . وذكر الكفر بآيات الله مصحوبا بقتل النبيين بغير حق - وما يمكن أن يقتل نبي ثم يكون هناك حق - وقتل الذين يأمرون بالقسط من الناس - أى الذين يأمرون باتباع منهج الله القائم بالقسط المحقق وحده للقسط . .

وذكر هذه الصفات يوحي بأن التهديد كان موجها لليهود ، فهذه سمتهم في تاريخهم يعرفون بها متى ذكرت ، ولكن هذا لا يمنع أن يكون الكلام موجها للنصارى كذلك . فقد كانوا حتى ذلك التاريخ قتلوا الألوف من أصحاب المذاهب المخالفة لمذهب الدولة الرومانية النصرانية - بما فيهم من جاهروا بتوحيد الله تعالى وبشرية المسيح - عليه السلام - وهؤلاء من يأمرون بالقسط . . كما أنه تهديد دائم لكل من يقع منه مثل هذا الصنيع البشع . . وكثير ما هم في كل زمان (٢) .

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٦٩ .
(٢) في ظلال القرآن جـ ١ ص ٥٦١ - ٥٦٢ .

ثم قال تعالى : ((ألم تر الى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون ؟ * ذلك بأنهم قالوا : لن تمسنا النار الا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون * فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ، ووفيت كل نفس ما كسبت ؟ وهم لا يظلمون)) .

انه سؤال التعجب والتشهير من هذا الموقف المتناقض الغريب ، موقف الذين أوتوا نصيبا من الكتاب ، وهو التوراة لليهود ، ومعها الانجيل للنصارى ، وكل منهما ((نصيب)) من الكتاب باعتبار أن كتاب الله هو ما أنزل على رسله ، وقرر فيه وحدة ألوهيته ووحدة قوامته ، فهو كتاب واحد في حقيقته ، أوتي اليهود نصيبا منه ، وأوتي النصارى نصيبا منه ، وأوتي المسلمون الكتاب كله باعتبار القرآن جامعا لأصول الدين كله ، ومصدقا لما بين يديه من الكتاب . .

سؤال التعجب من هؤلاء ((الذين أوتوا نصيبا من الكتاب)).. ثم هم يدعون الى كتاب الله ليحكم بينهم في خلافاتهم ، وليحكم بينهم في شئون حياتهم ومعاشهم ، فلا يستجيبون جميعا لهذه الدعوة ، انما يتخلف فريق منهم ويعرض عن كتاب الله وشريعته . الأمر الذى يتناقض مع الايمان بأى نصيب من كتاب الله ، والذى لا يستقيم مع دعوى أنهم أهل كتاب . . .

ثم يكشف عن علة هذا الموقف المستنكر المتناقض : ((ذلك بأنهم قالوا : لن تمسنا النار الا أياما معدودات ، وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون)) .

هذا هو السبب في الاعراض عن الاحتكام الى كتاب الله ، والتناقض مع دعوى الايمان ودعوى أنهم أهل كتاب . . انه عدم الاعتقاد بجدية الحساب

يوم القيامة ، وجدية القسط الالهي الذى لا يحابي ولا يميل ، يتجلى هذا في قولهم : ((لن تمسنا النار الا أياما معدودات)) .

والا فلماذا لا تمسهم النار الا أياما معدودات ؟ لماذا وهم ينحرفون أصلا عن حقيقة الدين وهي الاحتكام في كل شيء الى كتاب الله ؟ لماذا اذا كانوا يعتقدون حقا بعدل الله ؟ بل اذا كانوا يحسون أصلا بجدية لقاء الله ؟ انهم لا يقولون الا افتراء ، ثم يغرهم هذا الافتراء : ((وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون)) .

وحقا انه لا يجتمع في قلب واحد جدية الاعتقاد بلقاء الله ، والشعور بحقيقة هذا اللقاء ، مع هذا التميع في تصور جزائه وعدله .. وحقا انه لا يجتمع في قلب واحد الخوف من الآخرة والحياء من الله ، مع الاعراض عن الاحتكام الى كتاب الله ، وتحكيمه في كل شأن من شئون الحياة ..

((فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه ووفيت كل نفس ما كسبت وهم لا يظلمون)) ؟ .

كيف ؟ انه التهديد الرعيب الذى يشفق القلب المؤمن أن يتعرض له وهو يستشعر جدية هذا اليوم وجدية لقاء الله ، وجدية عدل الله ، ولا يتميع تصوره وشعوره مع الأماني الباطلة والمفتريات الخادعة .. وهو بعد تهديد قائم للجميع .. مشركين وملحدين ، وأهل كتاب ، ومدعي اسلام ، فهم سواء في أنهم لا يحققون في حياتهم الاسلام .

((فكيف اذا جمعناهم ليوم لا ريب فيه)) .. وجرى العدل الالهي مجراه ؟ ((ووفيت كل نفس ما كسبت)) .. بلا ظلم ولا محاباة ؟ ((وهم لا يظلمون)) .. كما أنهم يحابون في حساب الله ؟

سؤال يلقى ويترك بلا جواب . وقد اهتز القلب وارتجف وهو يستحضر الجواب.(١)

---

(١) في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ١ ص ٥٦١ - ٥٦٤ بتصرف .

ومن الآيات التي بينت أن مرد اختلاف أهل الكتاب في الدين انما كان سببه البغي والحسد والعدوان . قوله تعالى : ((وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ))(١) أي وما اختلف أصحاب الأديان من اليهود والنصارى وغيرهم الا بعد قيام الحجج الواضحة والدلائل الثابتة من الأنبياء المرسلة اليهم .

وقوله : ((بغيا بينهم)) أي حسدا وظلما وعدوانا . قال ابن عباس رضي الله عنهما : هم اليهود والنصارى لقوله تعالى : ((وَمَا تَفَرَّقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ))(٢) .

ومعنى قوله تعالى : ((ولولا كلمة سبقت من ربك الى أجل مسمى)) قال ابن كثير : أي لولا الكلمة السابقة من الله تعالى بانظار العباد باقامة حسابهم الى يوم المعاد لعجل عليهم العقوبة في الدنيا سريعا .

وقوله جلت عظمته ((وان الذين أورثوا الكتاب من بعدهم)) يعني الجيل المتأخر بعد القرن الأول المكذب للحق ((لفي شك منه مريب)) : أي ليسوا على يقين من أمرهم ، وانما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم بلا دليل ولا برهان وهم في حيرة من أمرهم ، وشك مريب وشقاق بعيد .(٣)

---

(١) سورة الشورى - آية : ١٤ .
(٢) انظر : تفسير أبي السعود جـ ٨ ص ٢٦ ، والآية ٤ من سورة البينة .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ١١٧ .

وقال تعالى في سورة الجاثية : ((ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات وفضلناهم على العالمين * وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)) (١) .

يذكر تعالى ما أنعم به على بني اسرائيل من انزال الكتب عليهم ، وارسال الرسل اليهم ، وجعله الملك فيهم ، ولهذا قال تبارك وتعالى : ((ولقد آتينا بني اسرائيل الكتاب والحكم والنبوة ورزقناهم من الطيبات)) أى من المآكل والمشارب ((وفضلناهم على العالمين)) أى في زمانهم ((وآتيناهم بينات من الأمر)) أى حججا وبراهين وأدلة قاطعات فقامت عليهم الحجج ثم اختلفوا بعد ذلك . . . وانما كان ذلك بغيا منهم . . ((ان ربك)) يا محمد ((يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)) أى سيفصل بينهم بحكمه العدل ، وهذا فيه تحذير لهذه الأمة أن تسلك مسلكهم وأن تقصد منهجهم (٢) .

وضح من هذا أنهم لم يختلفوا في الأمر الا بعد قيام الحجج الواضحة والبراهين القاطعة ، وأن هذا الخلاف مرده الحسد والبغي والعدوان .

قال الفخر الرازى : " والمقصود من ذكر هذا الكلام التعجب من هذه الحالة لأن حصول العلم يوجب ارتفاع الخلاف وهنا صار العلم سببا لحصول الاختلاف ، وذلك لأنهم لم يكن مقصودهم من العلم نفس العلم

---

(١) سورة الجاثية - آية : ١٦ - ١٧ .

(٢) انظر : تفسير ابن كثير ج ٤ ص ١٦٠ .

وانما المقصود منه طلب الرياسة والتقدم . . . وقد وضع - تعالى - الدلائل والبينات التي لو تأملوا ما فيها لعرفوا الحق ، ولكنهم على وجه الحسد والعناد اختلفوا وأظهروا النزاع " (١) .

ومن الآيات في هذا الخصوص قوله تعالى : ((بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ فَبَاءُوا بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) (٢) .

والمعنى : بئس شيئا تافها باعوا به أنفسهم ((أن يكفروا بما أنزل الله)) أى كفرهم وجحودهم بالقرآن الذى أنزله الله على رسوله صلى الله عليه وسلم ((بغيا)) أى حسدا وعدوانا حيث بعث الرسول - صلى الله عليه وسلم - من غيرهم .

وقوله ((أن ينزل الله من فضله على من يشاء من عباده))أى حسدهم من أجل أن ينزل الله وحيه من فضله على من يريد من خلقه .

قال صاحب المنار : (وأى بغي أقبح من بغي من يريد أن يحجر على فضل الله ويقيد رحمته فلا يرضى عنه أن يجعل الوحي في آل اسماعيل كما جعله في آل أخيه اسحاق) (٣) .

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٢٧ ص ٢٦٥ .

(٢) سورة البقرة - آية : ٩٠ - ٩١ .

(٣) تفسير المنار جـ ١ ص ٣٨٢ .

وقوله ((فباءوا بغضب على غضب)) أى استحقوا بغضب من الله اضافة على سابق غضبه عليهم .

قال ابن عباس : غضب الله عليهم فيما كانوا ضيعوا من التوراة وهي معهم ، وغضب بكفرهم بهذا النبي الذى بعث الله اليهم .(١)

ومما لا شك فيه أن عبادة اليهود للعجل ، وتحريفهم للتوراة ، وقتلهم للأنبياء بغير حق ، وقولهم عزير ابن الله ، وكفرهم بعيسى - عليه السلام - واختلافهم فيه ، ثم كفرهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - وبغيهم - مع علمهم به - كل هذه الأعمال وغيرها مما ارتكبه بنو اسرائيل توجب غضب الله وسخطه والعياذ بالله .

وقوله ((وللكافرين عذاب مهين)) أى وللجاحدين المعاندين عذاب شديد مقرون بالاهانة والاذلال نتيجة بغيهم وحسدهم .

ثم بين تعالى موقف اهل الكتاب من دعوتهم للايمان بالقرآن الكريم بقوله : ((واذا قيل لهم آمنوا بما أنزل الله)) أى آمنوا وصدقوا بالقرآن الذى أنزله الله على عبده ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم . ((قالوا نؤمن بما أنزل علينا)) أى يكفينا الايمان بالتوراة والانجيل . ((ويكفرون بما وراءه وهو الحق مصدقا لما معهم)) أى يكفرون بالقرآن الكريم مع قيام الحجة عليهم لمعرفتهم السبقة بأنه الحق الذى لا ريب فيه كما قال تعالى : ((الذين آتيناهم الكتاب يعرفونه كما يعرفون أبناءهم)) .(٢)

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٨ .

(٢) سورة الأنعام - آية : ٢٠ .

ثم رد الله عليهم بقوله : ((قل فلم تقتلون أنبياء الله من قبل ان كنتم مؤمنين)) أى قل يا محمد - اذا كان دعواكم الايمان بما أنزل اليكم صحيحا فلم تقتلون أنبياء الله - الذين قد أرسلوا لارشادكم وهدايتكم ؟

قال ابن كثير : (أى ان كنتم صادقين في دعواكم الايمان بما أنزل الله اليكم فلم قتلتم الأنبياء الذين جاءوكم بتصديق التوراة التي بأيديكم والحكم بها وعدم نسخها وأنتم تعلمون صدقهم ؟ قتلتموهم بغيا وعنادا واستكبارا على رسل الله ، فلستم تتبعون الا مجرد الأهواء والآراء والتشهي ، كما قال تعالى : ((أفكلما جاءكم رسول بما لا تهوى أنفسكم استكبرتم ففريقا كذبتم وفريقا تقتلون)) (١) .

قال الشوكاني :"وهذا الخطاب وان كان مع الحاضرين من اليهود فالمراد به أسلافهم ، ولكنهم لما كانوا يرضون بأفعال سلفهم كانوا مثلهم" (٢) .

ولم يقف حسد أهل الكتاب عند رفضهم للاسلام وعدم استجابتهم له بل أدى بكثير منهم الى الرغبة في منع الداخلين فيه من المؤمنين كما جاء ذلك في آيات كثيرة ، من ذلك قوله تعالى : ((وَدَّ كَثِيرٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)) (٣) .

وقوله تعالى : ((وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ١٢٩ ، والآية ٨٧ من سورة البقرة .

(٢) فتح القدير للشوكاني جـ ١ ص ١١٣ .

(٣) سورة البقرة - آية : ١٠٩ .

إلاّ أنفسهم وما يشعرون)) (١) .

وقوله تعالى : ((ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يشترون الضلالة ويريدون أن تضلوا السبيل)) (٢) .

وقوله تعالى : ((يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين)) (٣) .

ويتفق الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في حسدهم للمسلمين فقال تعالى : ((ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء والله ذو الفضل العظيم)) (٤) .

ومما جاء مبينا ومؤكدا أن أهل الكتاب لم يتفرقوا ويختلفوا الا بعد مجيء البينة وقيام الحجة قوله تعالى : ((لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة * رسول من الله يتلو صحفا مطهرة * فيها كتب قيمة * وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة * وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة * إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية * إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية * جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من

---

(١) سورة آل عمران ـ آية : ٦٩ .
(٢) سورة النساء ـ آية : ٤٤ .
(٣) سورة آل عمران ـ آية : ١٠٠ .
(٤) سورة البقرة ـ آية : ١٠٥ .

تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ، ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ)) (١) .

فقوله : ((لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة)) قال صاحب الكشاف :

كان الكفار من الفريقين أهل الكتاب ، وعبدة الأصنام ، يقولون قبل مبعث النبي صلى الله عليه وسلم : لا ننفك مما نحن عليه من ديننا ولا نتركه حتى يبعث الله النبي الموعود الذى هو مكتوب في التوراة والانجيل وهو محمد - صلى الله عليه وسلم - فحكى الله تعالى ما كانوا يقولونه ثم قال - وما تفرق الذين أوتوا الكتاب - يعني أنهم كانوا يعدون اجتماع الكلمة والاتفاق على الحق اذا جاءهم الرسول ، ثم ما فرقهم عن الحق ولا أقرهم على الكفر الا مجيء الرسول - صلى الله عليه وسلم - ونظيره في الكلام أن يقول الفقير الفاسق لمن يعظه : لست بمنفك مما أنا فيه حتى يرزقني الله الغنى ، فيرزقه الله الغنى فيزداد فسقا ، فيقول واعظه : لم تكن منفكا عن الفسق حتى توسر ، وما غست رأسك في الفسق الا بعد اليسار ، يذكره ما كان يقوله توبيخا والزاما (٢) .

وقوله : ((رسول من الله يتلو صحفا مطهرة)) قال القرطبي : أى يقرأ ما تتضمن الصحف من المكتوب ، يتلوها عن ظهر قلبه لا عن كتاب ، لأنه عليه السلام كان أميا لا يكتب ولا يقرأ (٣) . و ((مطهرة)) قال ابن عباس: من الزور ، والشك ، والنفاق ، والضلالة ، وقال قتادة : مطهرة من الباطل .

---

(١) سورة البينة بتمامها .

(٢) الكشاف للزمخشرى جـ ٤ ص ٢٧٤ .

(٣) القرطبي جـ ٢٠ ص ١٤٢ .

وقيل : مطهرة من الكذب ، والشبهات ، والكفر ، والمعنى واحد (١) .

وقوله : ((فيها كتب قيمة)) أى في الصحف المطهرة كتب من الله قيمة عادلة مستقيمة ، ليس فيها خطأ ، لأنها من عند الله (٢) .

وقوله : ((وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة)) أى وما اختلف اليهود والنصارى في نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا من بعد قيام الحجة الواضحة الجلية التي لا ريب فيها .

قال أبو السعود : والآية مسوقة لغاية التشنيع على أهل الكتاب خاصة ، وتغليظ جناياتهم ، ببيان أن تفرقهم لم يكن الا بعد وضوح الحق ، وتبين الحال ، وانقطاع الأعذار بالكلية ، كقوله تعالى : ((وما اختلف الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم)) (٣) .

وقال في التسهيل : أى ما اختلفوا في نبوة سيدنا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الا من بعد ما علموا أنه حق ، وانما خص الذين أوتوا الكتاب بالذكر هنا بعد ذكرهم مع غيرهم في أول السورة ، لأنهم كانوا يعلمون صحة نبوته بما يجدون في كتبهم من ذكره (٤) .

وقوله : ((وما أمروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين)) أى وما أمروا في التوراة والانجيل الا أن يعبدوا الله ((مخلصين)) العبادة لله تعالى ((حنفاء)) مائلين عن جميع الأديان الى دين الاسلام ،

---

(١) تفسير القرطبي جـ ٢٠ ص ١٤٢ .

(٢) تفسير الطبرى جـ ٣٠ ص ٢٦٣ .

(٣) تفسير أبي السعود جـ ٩ ص ١٨٥ .

(٤) التسهيل في علوم التنزيل لأبي القاسم محمد بن أحمد الغرناطي جـ ٤ ص ٤١٥ .

((ويقيموا الصلاة)) التي هي أشرف العبادات البدنية ((ويؤتوا الزكاة)) بمذلها لمستحقيها عن طيب نفس . ((وذلك)) قال أبو السعود : اشارة الى ما ذكر من عبادة الله تعالى وبالاخلاص واقامة الصلاة وايتاء الزكاة وما فيه من معنى البعد للاشعار بعلو رتبته وبعد منزلته .(١) ((دين القيمة)) دين الملة المستقيمة - دين الاسلام .

ثم ذكر تعالى مصير كل من السعداء الذين جمعوا بين الايمان وصالح الأعمال ، والكفار الذين كذبوا بالقرآن ونبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - فقال تعالى : ((ان الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها أولئك هم شر البرية)) قال الفخر الرازى : " فان قيل : لم ذكر ((كفروا)) بلفظ الفعل ، ((والمشركين)) باسم الفاعل ؟ فالجواب تنبيها على أن أهل الكتاب ما كانوا كافرين من أول الأمر ، لأنهم كانوا مصدقين بالتوراة والانجيل ، ومقرين بمبعث محمد صلى الله عليه وسلم ثم انهم كفروا بذلك بعد مبعثه عليه السلام ، بخلاف المشركين فانهم ولدوا على عبادة الأوثان ، وانكار الحشر والقيامة ، وقوله ((أولئك هم شر البرية)) لافادة الحصر أى شر من السراق لأنهم سرقوا من كتاب الله صفة محمد - صلى الله عليه وسلم - وشر من قطاع الطريق ، لأنهم قطعوا طريق الحق على الخلق ".(٢)

ولما ذكر مقر الكفار الأشقياء ، ذكر مقر المؤمنين السعداء ، فقال تعالى : ((ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية

---

(١) تفسير أبي السعود جـ ٩ ص ١٨٥ .

(٢) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٣١ ص ٤٩ .

جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه)) .

فهذه الآيات قد أثبتت لأهل الكتاب أن اختلافهم في الدين وعدم دخولهم في الاسلام لم يكن الا بعد أن علموا بالأدلة القاطعة والآيات الواضحة حقيقة الأمر الذى لا محيد عنه ، فلم يكن كفرهم واختلافهم عن جهل أو شبهة أو خفاء ، وانما كان عن عناد واستكبار وحسد تأصل في نفوسهم .

وقد تضمنت الآيات تقريرا واضحا للدعوة الاسلامية وحجج جدلية دامغة على قلبهم البرهان من الرسول - صلى الله عليه وسلم - على صحة دعوته ، كما تضمنت الآيات تنديدا لاذعا بالذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين بعد قيام الحجة عليهم بثبوت نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم .

وقد ذكرهم القرآن الكريم ذلك لعلهم يرعووا عن غيهم ، ويفيئوا الى رشدهم ، ويتبعوا الطريق الحق - طريق الاسلام - الذى في اتباعهم له كل خير وبركة ، وفي اعراضهم عنه كل شر ومكروه .

* * * * * * *

الفصـــل الرابـــع

((سماحة الاسلام وانصافه لأهل الكتـــاب))

ويشتمل على : تمهيـــد ، وتسعة مباحـــث :

المبحث الأول : وصفهم بأهل الكتـــاب .

المبحث الثاني : عدالة القرآن في أحكامه عليهـــم .

المبحث الثالث : مجادلتهم بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم .

المبحث الرابع : اباحة طعامهم والزواج منهم والتعامل معهم .

المبحث الخامس: قبول الجزيـــة منهم .

المبحث السادس : نماذج من معاهدات الرسول صلى الله عليه وســـلم معهـــم .

المبحث السابع : القاعدة العامة في التعامل بين المسلمين وغيرهـــم بوجـــه عـــام .

المبحث الثامن : القاعدة العامة في التعامل بين المسلمين والذميـــن بوجه خـــاص .

المبحث التاسع : بعض شهادات علماء غير المسلمين بسماحة الاســـلام وعدلـــه .

****
****
*****
***
*
*
*
*
*
*

تمهيـــــد :

ان المتتبع لأحداث سير الدعوة الاسلامية يجد أن موقف الاســـلام من المشركين يقوم على ابطال عقائدهم ، وتسفيه أحلامهم ، والعمل عـــلى ازالة أوثانهم وأصنامهم ، لمنافاتها مع توحيد الله عز وجل وافراده بالعبـادة دون سواه ، وتحريم ذبائحهم والزواج بنسائهم ، وعدم السماح لهم باقامـة شعائرهم حول البيت الحرام ، أو الطواف به ، أو عمارتـه .

وقد أعلن الاسلام لهم يوم الحج الأكبر أن الله تعالى برىء مـــن المشركين ، ورسوله كذلك ، فقال تعالى : ((وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِيءٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُ)) (١) .

وحدد للمعاهدين منهم مدة أربعة أشهر يراجعون فيها أنفسهـــم فاذا لم يسلموا بعدها ، يقاتلهم المسلمون حيث وجدوهم ويأخذونهـــم ويحصرونهم ، ويقعدوا لهم كل مرصد لقتالهم ومقاطعتهم في الجزيـــرة العربية قاطبـــة .

قال تعالى : ((فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ، فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ)) (٢) .

وقد أخذ النبي صلى الله عليه وسلم يوم الفتح العظيم يطعن أصنـام المشركين وتماثيلهم عند البيت الحرام ، وهو يردد قوله تعالى : ((جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا)) (٣) .

---

(١) سـورة التوبـة - آيـة : ٣ .
(٢) سـورة التوبـة - آيـة : ٥ .
(٣) سـورة الاسـراء - آية : ٨١ .

((جَـاءَ الحـقُّ وَمَا يُبْـدِئُ البَاطِـلُ وَمَا يُعِيـدُ)) (١) .

أما موقف الاسلام من أهل الكتاب فيختلف عن ذلك ، فقد نالـــوا بسماحة الاسلام حظا طيبا من الرعاية والعناية ، وذلك في مجادلتهم فـــي الدعوة بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم ، وفي اقامة الحجج عليهـــم الدالة على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وما جاء به من الحـــق ، وفي انصافه لهم في المعاملة والحقوق الواجبة ، وفي اباحة طعامهـــم ، والتزوج بنسائهـــم ...

وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب أن يوافق عمله عمل أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء . فقد أخرج البخاري عن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما (أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يسدل شعره وكان المشركـــون يفرقون رؤوسهم ، وكان أهل الكتاب يسدلون رؤوسهم ، وكان النبي صلى الله عليه وسلم يحب موافقة أهل الكتاب فيما لم يؤمر فيه بشيء ، ثم فرق النـــبي صلى الله عليه وسلم رأســه) (٢) .

والى بعض مظاهر سماحة الاسلام وانصافه الى أهل الكتاب فـــي المباحث التاليـــة :

---

(١) سـورة سـبأ - آية : ٤٩ .

(٢) صحيح البخاري جـ ٤ ص ٢٦٩ ، كتاب المناقب ، باب ٢٥ اتيان اليهود النبي صلى الله عليه وسلم حين قدم المدينـــة .

المبحث الأول : وصفهم بأهل الكتاب :

أطلق القرآن الكريم لفظ أهل الكتاب على اليهود والنصارى أو على أحدهما في أغلب الآيات التي خوطبوا بها ، وذلك لأن الله -تعالى- أرسل اليهم رسلا وأنزل عليهم كتبا ، فالتوراة التي أنزلها على موسى -عليه السلام- لتكون هداية ونورا لبني اسرائيل -وفيها مع الهداية والنور شريعة مفصلة لهم فيها أمور معاشهم ومعادهم التي قدرها الله لهم ، وحكم بها عليهم ، كما قال تعالى : ((إِنَّا أَنزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا ، وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِن كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا عَلَيْهِ شُهَدَاءَ)) (١) .

وقال جل ذكره : ((وَعِندَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللَّهِ)) (٢) .

وفيها البشارة بمحمد -صلى الله عليه وسلم- وبرسالته كما قال تعالى : ((الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنجِيلِ)) (٣) .

وأنزل تعالى الانجيل على عيسى -عليه السلام- فيه هدى ، ونور وموعظة للمتقين ، كما قال تعالى : ((وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَاةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِلْمُتَّقِينَ)) (٤) ، وفيه أيضا البشارة بالنبي الأمي وقرب ظهوره بشريعة جديدة تحمل للعالم أنواع

---

(١) سورة المائدة - آية : ٤٤ .
(٢) سورة المائدة - آية : ٤٣ .
(٣) سورة الأعراف - آية : ١٥٧ .
(٤) سورة المائدة - آية : ٤٦ .

الخير والسماحة والمعروف ، وتحل الطيبات وتحرم الخبائث وتضع عن الناس اصرهم والأغلال التي كانت عليهم .

وفي وصف اليهود والنصارى بأهل الكتاب اشعار بما ورثوه من الكتب السماوية ، وفيه ميزة لهم عن غيرهم من الوثنيين ونحوهم .

وهذا الوصف جاء مرة على وجه اللين والتلطف لهم والمدح والثناء لمن يستحقه منهم .

وجاء أحيانا على سبيل التأنيب والتوبيخ والذم لأخلاقهم ومسالكهم الرديئة وعدم انضوائهم تحت راية الشريعة الاسلامية السمحة .

وهو في الحالة الأولى يتلطف معهم ليقبلوا الحق ويذكرهم بأنهم أصحاب ديانات سماوية ، فاللائق بهم أن يسارعوا الى الايمان بمحمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ ويتبعوا ما جاء به لأنه هو الرسول الذى يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والانجيل ، وأنهم يعرفونه كما يعرفون أبناءهم ، وفي اتباعهم له عزهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة .

ومما جاء من ثناء القرآن الكريم ومدحه لهم بهذه الصفة قوله تعالى :

((وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)) (١) .

وقوله تعالى : ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ)) (٢) .

---

(١) سورة آل عمران ـ آية : ١٩٩ .
(٢) سورة البقرة ـ آية : ١٢١ .

وقوله تعالى ((... ورحمتي وسعت كل شيء فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون * الذين يتبعون الرسول النبي الأمي الذي يجدونه مكتوبا عندهم في التوراة والإنجيل)) (١) .

وقوله سبحانه ((الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون * وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين)) (٢) .

الى غير ذلك من الآيات التي تحدثت عن مؤمني أهل الكتاب .

أما في الحالة الثانية فهو يؤنبهم على كفرهم وصدهم عن سبيل الله وتلبيسهم الحق بالباطل وكتمانهم للحق ، لأن تميزهم بهذا الوصف يقتضي منهم أن ينزلوا على حكم كتبهم التي تأمرهم باتباع محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عند بعثته (٣) .

قال تعالى : ((يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله وأنتم تشهدون * يا أهل الكتاب لم تلبسون الحق بالباطل وتكتمون الحق وأنتم تعلمون)) (٤) .

وقال تعالى : ((قل يا أهل الكتاب لم تكفرون بآيات الله ، والله شهيد على ما تعملون * قل يا أهل الكتاب لم تصدون عن سبيل الله من آمن تبغونها عوجا وأنتم شهداء ، وما الله بغافل عما تعملون)) (٥) .

---

(١) سورة الأعراف ـ آية : ١٥٦ ـ ١٥٧ .
(٢) سورة القصص ـ آية : ٥٢ ـ ٥٣ .
(٣) انظر : بنو اسرائيل في الكتاب والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوى جـ ١ ص ١٥٥ .
(٤) سورة آل عمران ـ آية : ٧٠ ـ ٧١ .
(٥) سورة آل عمران ـ آية : ٩٨ ـ ٩٩ .

المبحث الثاني : العدالة في الأحكام عليهم :

نعت القرآن الكريم أهل الكتاب بصفة عامة ، بنعوت سيئة كغلوهم في الدين واتباعهم طريق الباطل ودمغ اليهود منهم بصفة خاصة بكثير من الرذائل ، كقتلهم لأنبياء الله ، وتحريفهم للكلم عن مواضعه ، وأكلهم أموال الناس بالباطل ، وعدم تناهيهم عن منكر فعلوه ، الى غير ذلك من الصفات القبيحة التي وصفهم بها بسبب فسوقهم وفجورهم ، ولكن المتتبع لآيات القرآن الكريم يرى أنه قد فرق بين صالحيهم وطالحيهم ، وحكم على كل فريق منهم بما يستحقه من خير أو شر ، ملتزما في ذلك طريقة العدالة والصدق .(١)

ومن الآيات الكريمة التي استثنت بعضهم من تلك القبائح الشنيعة ونوهت بموقفهم من الدعوة الاسلامية ، والاشادة بهذا الموقف النبيل .

قوله تعالى : ((وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُعْرِضُونَ))(٢) .

فقوله : ((الا قليلا منكم)) قال صاحب المنار : هو استثناء لبعض من كانوا في زمن سيدنا موسى ـ عليه السلام ـ أو في أى زمن فانه لا تخلو أمة من الأمم ، من المخلصين الذين يحافظون على الحق بحسب معرفتهم وقدر طاقتهم ، والحكمة في ذكر هذا الاستثناء عدم بخس المحسنين حقهم وبيان أن وجود قليل من الصالحين في الأمة لا يمنع عنها العقاب الالهي

---

(١) بنو اسرائيل في الكتاب والسنة جـ ١ ص ١٥٦ .

(٢) سورة البقرة ـ آية : ٨٣ .

اذا فشا فيها المنكر وقل المعروف .(١)

وقال تعالى : ((لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتْلُونَ آيَاتِ اللَّهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ * يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ * وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَنْ يُكْفَرُوهُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ))(٢) .

قال ابن كثير : والمشهور عند كثير من المفسرين كما ذكره محمد بن اسحاق وغيره ، ورواه العوفي عن ابن عباس ، أن هذه الآيات نزلت فيمن آمن من أحبار أهل الكتاب ، كعبد الله بن سلام ، وأسيد بن عبيد ، وثعلبة بن شيهان وغيرهم : أي لا يستوى من تقدم ذكرهم بالذم من أهل الكتاب وهؤلاء الذين أسلموا ، ولهذا قال تعالى : ((مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ)) أي قائمة بأمر الله مطيعة لشرعه متبعة نبي الله فهي قائمة يعني مستقيمة .(٣)

والمعنيون بهذه الصفات الجليلة الجميلة من مؤمني أهل الكتاب ذكرهم الله عز وجل - أيضا - بقوله : ((وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ خَاشِعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ))(٤) .

ويسوق القرآن الكريم في سورة النساء عددا من قبائح ورذائل بني اسرائيل ، فقال تعالى : ((يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَنْ تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِ

---

(١) تفسير المنار جـ ١ ص ٣٧٠ .
(٢) سورة آل عمران - آية : ١١٣ - ١١٥ .
(٣) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤١٤ .
(٤) سورة آل عمران - آية : ١٩٩ .

مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَنْ ذَلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَى سُلْطَانًا مُبِينًا * وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِيثَاقِهِمْ وَقُلْنَا لَهُمُ ادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُلْنَا لَهُمْ لَا تَعْدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا * فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ وَكُفْرِهِمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَتْلِهِمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا * وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَى مَرْيَمَ بُهْتَانًا عَظِيمًا * وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا * بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا * وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا * فَبِظُلْمٍ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَاتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ كَثِيرًا * وَأَخْذِهِمُ الرِّبَا وَقَدْ نُهُوا عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا)) (١).

بعد هذه الحملة الشديدة التي تكشف لنا الصفات الخبيثة والنوايا السيئة لبني اسرائيل في عنادهم وتحديهم لأنبياء الله ورسله ، وعبادتهم للعجل واتخاذه الها من دون الله - بعد مجيء الدلائل القاطعة على نفي الشرك - واعتدائهم في السبت بصيد الحيتان فيه - وقد حرم الله عليهم الاصطياد في ذلك اليوم - ونقضهم للعهود والمواثيق ، وكفرهم بآيات الله من حججه وبراهينه ، ومعجزاته التي أظهرها على أيدي أنبيائه - عليهم

---

(١) سورة النساء - الآيات : ١٥٣ - ١٦١ .

السلام - وقتلهم لأنبياء الله - كيحي وزكريا عليهما السلام - وقولهم البهتان على مريم - وقد فضلها الله على نساء العالمين - ، وبكفرهم واختلافهم في ابنها عيسى - عبد الله ورسوله عليه السلام - ، وتعاطيهم بالربا وقد حرمه الله عليهم في كتبهم ، وأكلهم أموال الناس بالرشوة وسائر الوجوه المحرمة .

بعد هذا كله يحترس القرآن الكريم بانصاف القلة المؤمنة التي وفقها الله للحق والسير في طريقه ، فقال تعالى : ((لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي العِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا)) (١) .

وايضاح ذلك أن الله - تعالى - استثنى المتمكنين في العلم منهم الثابتين عليه من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام وأصحابه ، واستدعهم ومن آمن من غيرهم لايمانهم بمحمد - صلى الله عليه وسلم - والقرآن الذى أنزل عليه ، وايمانهم بأنبياء الله وكتبه ، واقامتهم للصلاة المفروضة ، واعطائهم زكاة أموالهم بعد أن زكت بها نفوسهم ، وايمانهم بوحدانية الله - تعالى - وبالبعث بعد الموت ، والجزاء على الأعمال خيرها وشرها .

واتم الله تعالى آيات الكافرين بقوله جل وعلا : ((وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما)) ختم هذه الآية بقوله عز وجل : ((أولئك سنؤتيهم أجرا عظيما)) .

قال أبو السعود : كأنه قيل اثر قوله تعالى : ((وأعتدنا للكافرين منهم عذابا أليما)) لكن المؤمنون منهم سنؤتيهم أجرا عظيما (٢) .

---

(١) سورة النساء - آية : ١٦٢ .
(٢) تفسير أبي السعود جـ ٢ ص ٢٥٤ .

ومن الآيات التي استثنت الفئة القليلة المؤمنة من الكثرة الكافرة :

قوله تعالى : ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ)) (١).

قال ابن كثير : لما مدح الله تعالى هذه الأمة على هذه الصفات شرع في ذم أهل الكتاب وتأنيبهم فقال تعالى : ((ولو آمن أهل الكتاب)) أي بما أنزل على محمد (صلى الله عليه وسلم) ((لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون)) أي قليل منهم من يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم ، وأكثرهم على الضلال والكفر والفسوق والعصيان (٢).

وورد في سورة المائدة آيات كثيرة من هذا القبيل نورد منها ما يلي :

١ - قوله تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ)) (٣).

٢ - وقوله تعالى : ((وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَارِعُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ السُّحْتَ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)) (٤).

٣ - وقوله تعالى : ((وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ ، غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، كُلَّمَا أَوْقَدُوا

---

(١) سورة آل عمران - آية : ١١٠ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤١٣ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٥٩ .
(٤) سورة المائدة - آية : ٦٢ .

نَاراً لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ ، وَيَسْعَوْنَ فِي الأَرْضِ فَسَاداً ، وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ)) (١) .

٤ - وقوله تعالى : ((وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ)) (٢) .

٥ - وقوله تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ طُغْيَاناً وَكُفْراً فَلاَ تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)) (٣) .

٦ - وقوله تعالى : ((تَرَى كَثِيراً مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ)) (٤) .

٧ - وقوله تعالى : ((وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ، وَلَكِنَّ كَثِيراً مِنْهُمْ فَاسِقُونَ)) (٥) .

فهذه بعض الآيات الكريمة التي استثنت القلة المؤمنة من الصفات الذميمة التي اتصفت بها غالبية بني اسرائيل ، وبذلك تظهر العدالة الالهية في أحكام القرآن الكريم على كل من صالحهم ومفسدهم .

* * * * * *

---

(١) سورة المائدة - آية : ٦٤ .
(٢) سورة المائدة - آية : ٦٦ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٦٨ .
(٤) سورة المائدة - آية : ٨٠ .
(٥) سورة المائدة - آية : ٨١ .

المبحث الثالث : مجادلتهم بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا :

أرشد القرآن الكريم المسلمين الى المنهج الصحيح الواضح في طريقة مجادلة أهل الكتاب بالحسنى واللين دون الاغلاظ والشدة ، مبينا لهم أن الدعوة التي حملها نوح - عليه السلام - والرسل من بعده حتى وصلت الى خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم - لهي دعوة واحدة من اله واحد ، ذات هدف واحد ، هو رد البشرية الضالة الى هداية الله عز وجل وطريقه الحق . ومبينا لهم الحكمة في الرسالة الجديدة الخاتمة ، والكشف عما بينها وبين الرسالات السماوية السابقة ، من قوة الصلة والترابط ، وضرورة اقناعهم بالأخذ بالرسالة الجديدة الموافقة لما قبلها من الرسالات ، المكملة لها وفق حكمة الله وعلمه بحاجة البشرية جمعاء .

فقال تعالى : ((وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ ، وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ)) (١) .

فقوله تعالى : ((ولا تجادلوا أهل الكتاب)) قال مجاهد : هي محكمة فيجوز مجادلة أهل الكتاب بالتي هي أحسن على معنى الدعاء لهم الى الله عز وجل ، والتنبيه على حججه وآياته ، رجاء اجابتهم الى الايمان ، لا على طريق الاغلاظ والمخاشنة .

قال القرطبي : وقوله على هذا ((الا الذين ظلموا منهم)) معناه ظلموكم ، والا فكلهم ظلمة على الاطلاق .

---

(١) سورة العنكبوت - آية : ٤٦ .

وقيل : المعنى لا تجادلوا من آمن بمحمد - صلى الله عليه وسلم - من أهل الكتاب المؤمنين كعبد الله بن سلام ومن آمن معه . ((الا بالتي هي أحسن)) أى بالموافقة فيما حدثوكم به من أخبار أوائلهم وغير ذلك . وقوله على هذا التأويل ((الا الذين ظلموا)) يريد به من بقي على كفره منهم ، كمن كفر وغدر من قريظة والنضير وغيرهم . والآية على هذا محكمة .

وقيل : هذه الآية منسوخة بقوله تعالى : ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ))(١) .

قال قتادة : ((الا الذين ظلموا)) أى جعلوا لله ولدا ، وقالوا : ((يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ))(٢) ، و ((إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ))(٣) ، فهؤلاء المشركون الذين نصبوا الحرب ولم يؤدوا الجزية فانتصروا منهم .

قال النحاس وغيره : من قال هي منسوخة احتج بأن الآية مكية ولم يكن في ذلك الوقت قتال مفروض ، ولا طلب جزية ، ولا غير ذلك(٤) .

والقول الأول هو الراجح ، لأنه موافق لظاهر الآية ، فالله - تعالى - أمر المسلمين بعدم مجادلة أهل الكتاب الا بالتي هي أحسن أى بالأسلوب الحسن الهادئ اللين القائم على الافهام والاقناع والتنبيه بأن اله الجميع واحد هو الله رب العالمين لا شريك له ولا صاحبة ولا ند ولا ولد .

---

(١) سورة التوبة - آية : ٢٩ .
(٢) سورة المائدة - آية : ٦٤ .
(٣) سورة آل عمران - آية : ١٨١ .
(٤) تفسير القرطبي جـ ١٣ ص ٣٥٠ .
وانظر : تفسير ابن جرير الطبرى جـ ٢١ ص ١ - ٢ ، وتفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٣٣ ، وفتح القدير للشوكاني جـ ٤ ص ٢٠٥ ، وروح المعاني للألوسي جـ ٢١ ص ٢ ، والبحر المحيط جـ ٧ ص ١٥٥ .

وأن الدين الذى اختاره لعباده واحد وهو الاسلام ، ولا يقبل سواه ، كما قال تعالى : ((وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الخَاسِرِينَ)) (١) .

أما الذين أفرطوا من أهل الكتاب وحادوا عن وجه الحق ، وعاندوا واعتدوا على المسلمين وحرماتهم ، ولم يتأدبوا ويقفوا عند حدودهم ، ولم تنفع معهم وسائل الرفق والاقناع بالحجج والبراهين ، فحينئذ ينتقل معهم الى ما يردهم ويمنعهم بالطرق الكفيلة بحماية الاسلام والمسلمين .

أما القول بأن المقصود بالآية عدم مجادلة من آمن من أهل الكتاب فغير ظاهر ، لأن من آمن لا يجوز جداله الا في غير الحق ، واذا جاء بغير الحق فقد صار من الظلمة .

وأما القول بالنسخ فلا يوجد ما يؤيده وهذا ما ذهب اليه القرطبي وغيره من المفسرين ، حيث قال : وقول مجاهد حسن ، لأن أحكام الله عز وجل لا يقال فيها انها منسوخة الا بخبر يقطع العذر ، أو حجة من معقول واختار هذا القول ابن العربي (٢) .

وقال الفخر الرازى : ان الشرك لما جاء بالمنكر الفظيع كان اللائق أن يجادل بالأخشن ، ويبالغ في تهجين مذهبه ، وتوهين شبهه ، قال تعالى في حقهم : ((صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ (٣))) ، وقال : ((لَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا (٤))) ، الى غير ذلك .

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٨٥ .

(٢) انظر : تفسير القرطبي جـ ١٣ ص ٣٥٠ .

(٣) سورة البقرة - آية : ١٨ .

(٤) سورة الأعراف - آية : ١٧٩ .

وأما أهل الكتاب فانهم آمنوا بانزال الكتب وارسال الرسل الا الاعتراف بالنبي عليه السلام فلمقابلة احسانهم يجادلون بالأحسن الا الذين ظلموا منهم باثبات الولد لله ، والقول بثالث ثلاثة فانهم يجادلون بالأخشن من تهجين مقالتهم ، وتبيين جهالتهم .(١)

وقوله تعالى : ((وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم)) قال ابن كثير : يعني اذا أخبروا بما لا نعلم صدقه ولا كذبه ، فهذا لا نقدم على تكذيبه لأنه قد يكون حقا ، ولا تصديقه فلعله أن يكون باطلا ، ولكن نؤمن به ايمانا مجملا معلقا على شرط وهو أن يكون منزلا لا مبدلا ولا مؤولا) .(٢)

وروى البخارى عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (كان أهل الكتاب يقرأون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الاسلام ، فقال رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم . وقولوا آمنا بالذى أنزل الينا وأنزل اليكم والهنا والهكم واحد ونحن له مسلمون) .(٣)

وروى الامام أحمد عن أبي نملة الأنصارى مرفوعا : (اذا حدثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم . وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله ، فان كان حقا لم تكذبوهم ، وان كان باطلا لم تصدقوهم) .(٤)

قال ابن كثير : ثم ليعلم أن أكثر ما يتحدثون به غالبه كذب ومهتان ، لأنه قد دخله تحريف وتبديل وتغيير وتأويل . وما أقل الصدق فيه . ثم ما أقل فائدة كثير منه لو كان صحيحا .(٥)

---

(١) تفسير الفخر الرازى جـ ٢٥ ص ٧٥ بتصرف .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٣٣ .
(٣) صحيح البخارى جـ ٨ ص ١٦٠ كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء .
(٤) مسند الامام أحمد جـ ٤ ص ١٣٦ دار صادر .
(٥) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٣٤ .

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : (كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذي أنزل على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أحدث تقرأونه محضا لم يشب . وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا وغيروا وكتبوا بأيديهم الكتاب ، وقالوا هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا . ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ؟ لا والله ما رأينا منهم رجلا يسألكم عن الذي أنزل عليكم) .(١)

وقال البخاري : وقال أبو اليمان : أخبرنا شعيب عن الزهري : أخبرني حميد بن عبد الرحمن أنه سمع معاوية يحدث رهطا من قريش بالمدينة . وذكر كعب الأحبار فقال : ان كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب . وان كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب .(٢)

قال ابن كثير : معناه : أنه يقع منه الكذب من غير قصد لأنه يحدث عن صحف هو يحسن بها الظن ، وفيها أشياء موضوعة ومكذوبة ، لأنهم لم يكن في ملتهم حفاظ متقنون كهذه الأمة العظيمة .(٣)

وبذلك نرى أن الآية الكريمة قد أرشدت المسلمين بعدم مجادلة أهل الكتاب الا بالرفق واللين الا الذين ظلموا منهم وتجاوزوا الحدود . وهذا الأسلوب في دعوتهم - غاية التسامح والانصاف - الموجب عليهم قبول الاسلام .

---

(١) صحيح البخاري جـ ٣ ص ١٦٣ كتاب الشهادات ، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها .

(٢) صحيح البخاري جـ ٨ ص ١٦٠ كتاب الاعتصام ، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم - لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٣٤ .

وقد جاء في معنى الآية السابقة آيات أخرى تبين أن الدعـــــوة الاسلامية تقيم أساسها على الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة منها قولـــه تعالى : ((ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ، وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْـــلَمُ بِالْمُهْتَـــدِينَ)) (١) .

وقال تعالى لموسى وهارون - عليهما السلام - حين بعثهمـــا الى فرعـــون : ((فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى)) (٢) .

ومن ذلك قول موسى - عليه السلام - لفرعون بأمر من ربـــــه :

((هَل لَّكَ إِلَى أَن تَزَكَّى * وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى)) (٣) .

وقوله تعالى : ((قُلْ هَـٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ)) (٤) .

* * * * * * * *

---

(١) سـورة النحـل - آية : ١٢٥ .
(٢) سـورة طـــه - آية : ٤٤ .
(٣) سـورة النازعات - آية : ١٨ - ١٩ .
(٤) سـورة يوسـف - آية : ١٠٨ .

المبحث الرابع : اباحة طعامهم والزواج منهم والتعامل معهم :

ومن مظاهر سماحة الاسلام مع أهل الكتاب أنه أجاز أكل طعامهم وأهل ذبائحهم والتعامل معهم بالبيع والشراء وغير ذلك من المعاملات.(١)

قال الله تعالى : ((الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ ...))(٢).

فقوله تعالى : ((وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم)) قال ابن عباس ، وأبو أمامة ، ومجاهد ، وسعيد بن جبير ، وغيرهم : يعني ذبائحهم .

وقال ابن كثير : وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء ، أن ذبائحهم حلال للمسلمين ، لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله ولا يذكرون على ذبائحهم الا اسم الله ، وان اعتقدوا فيه ما هو منزه عنه ، تعالى وتقدس.(٣)

وقال الجصاص : وظاهره يقتضي ذلك ، لأن ذبائحهم من طعامهم ولو استعطنا اللفظ على عمومه لانتظم جميع طعامهم من الذبائح وغيرها والأظهر أن يكون المراد الذبائح خاصة ، لأن سائر طعامهم من الخبز والزيت وسائر الأدهان لا يختلف حكمها بمن يتولاه ولا شبهة في ذلك على أحد ، سواء كان المتولي لصنعه واتخاذه مجوسيا أم كتابيا ، ولا خلاف فيه

---

(١) انظر بنو اسرائيل في الكتاب والسنة ، للدكتور محمد سيد طنطاوى جـ ١ ص ١٦٣ .

(٢) سورة المائدة ـ آية : ٥ .

(٣) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٢٠ .

بين المسلمين ، وما كان منه غير مذكى لا يختلف حكمه في ايجاب حظـــــره بين تولى اماتته من مسلم أو كتابي أو مجوسي ، فلما خص الله تعالى طعـــام أهل الكتاب بالاباحة وجب أن يكون محمولا على الذبائح التي يختلف حكمهـا باختلاف الأديـان (١) .

وفي صحيح البخارى ، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : (لمـــا فتحت خيبر ، أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم ، فقال النـبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ اجمعوا اليّ من كان ههنا من يهود ، فجمعوا لـه فقال لهم : اني سائلكم عن شيء فهل أنتم صادقيّ عنه ، فقالوا : نعـــم . قال لهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ : من أبوكم ؟ قالوا : فلان . فقال : كذبتم ، بل أبوكم فلان . قالوا : صدقت . قال : فهل أنتم صادقيّ عـــن شيء ان سألت عنه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم ، وان كذبنا عرفت كذبنـــا كما عرفته في أبينا . فقال لهم : من أهل النار ؟ قالوا نكون فيها يسيرا ، ثم تخلفونا فيها . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : اخسئوا فيها ، واللـــه لا نخلفكم فيها أبدا . ثم قال : هل أنتم صادقيّ عن شيء ان سألتكم عنـه ؟ فقالوا : نعم يا أبا القاسم . قال : هل جعلتم في هذه الشاة سمّا ؟ قالوا : نعم . قال : ما حملكم على ذلك ؟ قالوا : أردنا ان كنت كاذبا نستريـــح وان كنت نبيا لم يضـرك) (٢) .

ووجه الدلالة من الحديث ان النبي صلى الله عليه وسلم عزم على أكل ذبيحة اليهود ، ممّا يدل على اباحة ذبائحهم .

---

(١) أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٢٠ دار المصحف ـ شركـــة مكتبة ومطبعة عبد الرحمن محمد / القاهرة .

(٢) صحيح البخارى جـ ٤ ص ٦٦ كتاب الجزية والموادعة مع أهل الحـــرب باب ٧ اذا غدر المشركون بالمسلمين هل يعفى عنهم ؟ .

أما اباحة التزوج بحرائر نسائهم فعلى هذا جماهير أهل العلم من السلف والخلف .(١)

مستدلين بالآية السابقة ، وبما روى أن عثمان رضي الله عنه تزوج نائلة الكلبية ، وهي نصرانية ، على نسائه ، وأن طلحة بن عبيد الله تزوج بيهودية من أهل الشام ، ولم ينقل أن أحدا من الصحابة أنكر ذلك ، فعلم أنهم متفقون على جواز نكاح الكتابيات .(٢)

وروى عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه لا يرى ذلك ، ويحتج بقوله تعالى : ((وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَاتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ)) .(٣)
ويقول : لا أعلم شركا أعظم من أن تقول ربها عيسى أو عبد من عبيد الله .(٤)

وأجاب الجمهور أن ظاهر لفظ المشركات أو المشركين انما يتناول عند الاطلاق عبدة الأوثان ، ولا يدخل فيه أهل الكتاب بدليل قوله تعالى : ((لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ)) .(٥)
وقوله تعالى : ((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ)) .(٦)
وقوله تعالى : ((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ

---

(١) الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية جـ ٣٢ ص ١٧٨ .
(٢) المغني لابن قدامة جـ ٦ ص ٥٨٩ ، وأحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٢٤ .
(٣) سورة البقرة - آية : ٢٢١ .
(٤) أحكام القرآن للجصاص جـ ٣ ص ٣٢٤ .
(٥) سورة البينة - آية : ١ .
(٦) سورة البينة - آية : ٦ .

والذين أشركوا)) (١) .

وقوله تعالى : ((ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين)) (٢) .

وسائر آى القرآن الكريم يفصل بينهما ، فدل على أن لفظة " المشركين " باطلاقها غير متناولة لأهل الكتاب (٣) .

قال القرطبي : ففرّق بينهم في اللفظ ، وظاهر العطف يقتضي المغايرة بين المعطوف والمعطوف عليه (٤) .

فان قيل : فقد وصفهم الله بالشرك في قوله تعالى : ((اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون)) (٥) .

قيل : ان أهل الكتاب ليس في أصل دينهم شرك ، فان الله انما بعث الرسل بالتوحيد ، فكل من آمن بالرسل والكتب لم يكن في أصل دينهم شرك ، ولكن النصارى ابتدعوا الشرك كما قال تعالى : ((سبحانه عما يشركون)) فحيث وصفهم بأنهم أشركوا فلأجل ما ابتدعوه من الشرك الذى لم يأمر الله به وجب تميزهم عن المشركين)) (٦) .

---

(١) سورة المائدة - آية : ٨٢ .

(٢) سورة البقرة - آية : ١٠٥ .

(٣) المغني لابن قدامة جـ ٦ ص ٥٩٠ .

(٤) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي جـ ٣ ص ٦٩ .

(٥) سورة التوبة - آية : ٣١ .

(٦) الفتاوى لشيخ الاسلام ابن تيمية جـ ٣٢ ص ١٧٩ .

والقول الراجح هو ما ذهب اليه جمهور العلماء من جواز نكـــاح الكتابيات . ولعل ابن عمر كره الزواج منهن خشية على الزوج أو على الأولاد من الفتنة ، فانه اذا كان كذلك فان الزواج لا يجوز ، أما اذا لم يكن هناك خطر من فتنة على الزوج أو الأولاد أو كان هناك طمع في اسلامها فلا وجـــه للقول بالمنـــع . والله أعـلم .

قال سيد سابق : (وانما أباح الاسلام الزواج منهن ليزيـــــل الحواجز بين أهل الكتاب وبين الاسلام .

فان في الزواج المعاشرة والمخالطة وتقارب الأسر بعضها ببعض ، فتتـــاح الفرص لدراسة الاسلام ، ومعرفة حقائقه ومبادئه ومثله ، فهو أسلوب مـــن أساليب التقرب العملي بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب ، ودعاية للهدى ودين الحق . فعلى من يبتغي الزواج منهن أن يجعل ذلك غاية من غاياتـه وهدفا من أهدافـــه)[1] .

وأما عن التعامل مع أهل الكتاب : فقد ثبت أن النبي صلى اللـــه عليه وسلم كان يتعامل معهم بالبيع والشراء والرهن وغير ذلك من المعاملات . فعن عائشة رضي الله ـ تعالى ـ عنها قالت : (اشترى رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ من يهودي طعاما الى أجل ورهنه درعـه)[2] .

وعنها قالت : (توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم ودرعه مرهونـــة عند يهودي بثلاثين صاعا من شعير) وفي رواية (رهنه درعا من حديد)[3] .

---

(١) فقه السنة لسيد سابق جـ ٢ ص ١٠٢ .
(٢) صحيح البخاري جـ ٣ ص ١١٥ كتاب الرهن باب من رهن درعـه .
(٣) صحيح البخاري جـ ٣ ص ٢٣١ كتاب الجهاد والسير ٨٩ باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم .

يقول سيد قطب : (وهنا نطلع على صفحة من صفحات السماحة الاسلامية ، في التعامل مع غير المسلمين ، ممن يعيشون في المجتمع الاسلامي ... أو تربطهم به روابط الذمة والعهد ، من أهل الكتاب .

ان الاسلام لا يكتفي بأن يترك لهم حريتهم الدينية ، ثم يعتزلهم ، فيصبحوا في المجتمع الاسلامي مجفوين معزولين - أو منبوذين - انما يشطهم بجو من المشاركة الاجتماعية ، والمودة ، والمجاملة ، والخلطة . فيجعل طعامهم حلا للمسلمين ، وطعام المسلمين حلا لهم كذلك . ليتم التزاور والتضايف والمؤاكلة والمشاربة ، وليظل المجتمع كله في ظل المودة والسماحة .. وكذلك يجعل العفيفات من نسائهم - وهن المحصنات بمعنى العفيفات الحرائر - طيبات للمسلمين ، ويقرن ذكرهن بذكر الحرائر العفيفات من المسلمات ، وهي سماحة لم يشعر بها الا أتباع الاسلام من بين سائر أتباع الديانات والنحل .

فان الكاثوليكي المسيحي ليتحرج من نكاح الأرثوذكسية ، أو البروتستانتية أو المارونية المسيحية ، ولا يقدم على ذلك الا المتحللون عندهم من العقيدة . وهكذا يبدو أن الاسلام هو المنهج الوحيد الذى يسمح بقيام مجتمع عالمي ، لا عزلة فيه بين المسلمين وأصحاب الديانات الكتابية ، ولا حواجز بين أصحاب العقائد المختلفة ، التي تظلها راية المجتمع الاسلامي . فيما يختص بالعشرة والسلوك)[1] .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٢ ص ٦٦٠ - ٦٦١ .

المبحث الخامس : قبول الجزية منهم :

والجزية -بالكسر- خراج الأرض وما يؤخذ من الذمي . والجمع جزى ، وجزى ، وجزاء .(١)

وقال ابن الأثير : الجزية هي عبارة عن المال الذى يعقد للكتابي عليه الذمة .(٢)

وقيل : من الجزاء ، لأنها جزاء تركهم ببلاد الاسلام ، أو من الاجزاء لأنها تكفي من توضع عليه في عصمة دمه .(٣)

ومن هذا نستطيع أن نقول : ان الجزية هي مال مقدر تأخذه الدولة الاسلامية من الذمي مقابل أمنه وحمايته في وقت محدد اذا توفرت شروطها .

والأصل في مشروعيتها قوله تعالى : ((قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ))(٤) .

وأما السنة ، فما رواه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال لجند كسرى يوم نهاوند : (أمرنا نبينا رسول ربنا صلى الله عليه وسلم أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده أو تؤدوا الجزية)(٥) .

---

(١) القاموس المحيط جـ ٤ ص ٣١٢ مؤسسة الحلبي وشركاه / القاهرة .
(٢) النهاية في غريب الحديث لابن الأثير جـ ١ ص ٢٧١ .
(٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري لابن حجر جـ ٦ ص ٢٥٩ .
(٤) سورة التوبة - آية : ٢٩ .
(٥) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٤ ص ٦٣ كتاب الجزية والموادعة ، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب .

وثبت أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه توقف في أخذ الجزية من المجوس حتى شهد عبد الرحمن بن عوف أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أخذها من مجوس هجر .(١)

وقد أجمع العلماء على أن الجزية تؤخذ من أهل الكتاب ومن المجوس .(٢)

ومن سماحة الاسلام أنه روعي في أخذها الحرية والعدل والرحمة ولهذا اشترط لوجوبها الذكورة ، والبلوغ ، والعقل ، والحرية ، فلا تجب على الصبيان والنساء والمجانين والعبيد .

كما أنها لا تجب على المساكين والفقراء ، ولا على من لا قدرة له على العمل ، ولا على الأعمى أو الزمن ، وغيرهم من ذوى العاهات ولا على الشيخ الكبير ، ولا على الرهبان الا اذا كانوا أغنياء فتؤخذ منهم .(٣)

قال القرطبي : وهذا اجماع من العلماء على أن الجزية انما توضع على جماجم الرجال الأحرار البالغين ، وهم الذين يقاتلون دون النساء

---

(١) أخرجه البخارى في صحيحه جـ ٤ ص ٦٢ كتاب الجزية والموادعة ، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب .

(٢) بداية المجتهد ونهاية المقتصد لابن رشد جـ ١ ص ٤٠٤ . الطبعة الثالثة ١٣٧٩ هـ شركة مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر .
وأحكام أهل الذمة لابن القيم ـ تحقيق الدكتور صبحي الصالحي جـ ١ ص ١ الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ دار العلم للملايين بيروت .
والمغني لابن قدامة جـ ٨ ص ٤٩٨ .

(٣) المغني لابن قدامة جـ ٨ ص ٥٠٧ ـ ٥١٠ ، ونيل الأوطار للشوكاني جـ ٨ ص ٢١٨ ، وأحكام القرآن للجصاص جـ ٤ ص ٢٨٩ .

والذرية والعبيد والمجانين المغلوبين على عقولهم ، والشيخ الفانـــي .[١]

وروى أبو يوسف أن عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - مر على قـــوم أقيموا في الشمس في بعض أرض الشام ، فقال : ما شأن هؤلاء ؟ فقيل لـــه : أقيموا في الجزيـــة . فكره ذلك .

وفي رواية فقال : فما يقولون ، وما يعتذرون به في الجزية ؟ قالوا : يقولون : لا نجد ، قال : فدعوهم ، لا تكلفوهم ما لا يطيقون . . . ، وأمـــر بهم فخلى سبيلهم .[٢]

ومن وصية أبي يوسف لخليفة المسلمين في عهده[٣] : وينبغي يا أمـــير المؤمنين أيدك الله أن تتقدم في الرفق بأهل ذمة نبيك وابن عمك محمـــد - صلى الله عليه وسلم - والتفقد لهم حتى لا يظلموا ولا يؤذوا ولا يكلفوا فـــوق طاقتهم ولا يؤخذ شيء من أموالهم الا بحق يجب عليهم . . . وكان فيما تكلـم به عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند وفاته (أوصي الخليفة من بعـــــدي بذمة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتـل من ورائهم ولا يكلفوا فوق طاقتهم)[٤] .

والذي دل عليه عمل الصحابة ، أن الجزية وضعت على الذميـــين بدلا عن حمايتهم من قبل الدولة الاسلامية ، لأن الاسلام لم يلزمهم بواجـــب

---

(١) تفسير القرطبي جـ ٨ ص ١١٢ .
(٢) الخراج لأبي يوسف ص ١٢٥ دار المعرفة / بيروت .
(٣) هو : هارون الرشيد ، كما هو مبين في مقدمة كتاب الخراج .
(٤) الخراج لأبي يوسف ص ١٢٤ - ١٢٥ .

الدفاع عن دار الاسلام ، كما ألزم به المسلمين ، وان كان لهم أن يساهموا في هذا الواجب باختيارهم ، فتسقط عنهم الجزية .(١)

ومما يدل على أن الجزية وضعت على الذميين بدل الحماية ما يلي :

١ - جاء في كتاب خالد بن الوليد لأهل الحيرة : (بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من خالد لأهل الحيرة . ان خليفة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أبا بكر الصديق - رضي الله تعالى عنه - أمرني أن أسير بعد منصرفي من أهل اليمامة الى أهل العراق من العرب والعجم بأن أدعوهم الى الله جل ثناؤه والى رسوله - عليه السلام - وأبشرهم بالجنة ، وأنذرهم من النار ، فان أجابوا فلهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين . واني انتهيت الى الحيرة فخرج اليّ اياس بن قبيصة الطائي في أناس من أهل الحيرة من رؤسائهم . . .

واني نظرت في عدتهم فوجدت عدتهم سبعة آلاف رجل ، ثم ميزتهم فوجدت من كانت به زمانة ألف رجل فأخرجتهم من العدة ، فصار من وقعت عليه الجزية ستة آلاف رجل ، فصالحوني على ستين ألفا ، وشرطت عليهم أن عليهم عهد الله وميثاقه الذى أخذ على أهل التوراة والانجيل : أن لا يخالفوا ، ولا يمينوا كافرا على مسلم . . . وان هم حفظوا ذلك ورعوه وأدوه الى المسلمين فلهم ما للمعاهد ، وعلينا المنع لهم . . . وجعلت لهم أيما شيخ ضعيف عن العمل أو أصابته آفة من الآفات أو كان غنيا فافتقر وصار أهل دينه يتصدقون عليه ، طرحت جزيته ، وعيل من بيت مال المسلمين وعياله ما أقام بدار الهجرة ودار السلام .(٢)

---

(١) أحكام الذميين والمستأمنين في دار الاسلام للدكتور عبد الكريم زيدان ص ١٤٤ .

(٢) الخراج لأبي يوسف ص ١٤٣ - ١٤٤ ، ومجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ٣١٦ - ٣١٧ .

٢ - وقال أبو يوسف : فانما كان الصلح جرى بين المسلمين وأهل الذمة في أداء الجزية ، وفتحت المدن على أن لا نهدم بيعهم ولا كنائسهم داخل المدينة ولا خارجها ، وعلى أن يحفظوا لهم دماءهم ، وعلى أن يقاتلوا من ناوأهم من عدوهم ، ويذبوا عنهم ، فأدوا الجزية اليهم على هذا الشرط على أن لا يحدثوا بناء بيعة ولا كنيسة ، فافتتحت الشام كلها على هذا .(١)

٣ - ما جاء في كتاب سويد بن مقرن قائد جيش المسلمين في بلاد فارس ، في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، الى ملك جرجان :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من سويد بن مقرن ، لرزبان صول بن رزبان وأهل دهستان وسائر أهل جرجان ، ان لكم الذمة ، وعلينا المنعة ، على أن عليكم من الجزاء في كل سنة على قدر طاقتكم ، على كل عالم ، ومن استعنا به منكم فله جزاؤه في معونته عوضا عن جزائه ، ولهم الأمان على أنفسهم وأموالهم وملتهم وشرائعهم ، ولا يغير شيء من ذلك هو اليهم ما أدوا وأرشدوا ابن السبيل ، ونصحوا وقروا المسلمين ، ولم يبد منهم سل ولا غل ، ومن أقام منهم فله مثل ما لهم ، ومن خرج فهو آمن حتى يبلغ مأمنه ...) .(٢)

---

(١) الخراج لأبي يوسف ص ١٣٨ .

(٢) تاريخ الطبري جـ ٤ ص ١٥٢ الطبعة الثانية / دار المعارف بمصر تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم . ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٦١ - ٣٦٢ .

واذا اشترك الذميون في الدفاع عن دار الاسلام سقطت عنهم الجزية وفيما يلي بعض السوابق الدالة على ذلك :

١ - روى الطبرى عن ملك الباب في نواحي أرمينيا ، واسمه شهربراز ، أنه طلب من سراقة بن عمرو ، أمير تلك المناطق ، أن يضع عنه وعمن معه الجزية على أن يقوموا بما يريده منهم ضد عدوهم فقبل سراقة وقال له : (قد قبلت ذلك ممن كان معك على هذا ما دام عليه ، ولا بد من الجزاء ممن يقيم ولا ينهض . فقبل ذلك وصار سنة فيمن كان يحارب العدو من المشركين وفيمن لم يكن عنده الجزاء ، الا أن يستنفروا فتوضع عنهم جزاء تلك السنة . . . وكتب سراقة الى عمر بن الخطاب بذلك فأجازه وحسنه)[١] .

٢ - جاء في كتاب سراقة لأهل أرمينية :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى سراقة بن عمرو عامل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب شهربراز وسكان أرمينية والأرمن من الأمان ، أعطاهم أمانا لأنفسهم وأموالهم وملتهم ألا يضاروا ولا ينتقصوا ، وعلى أهل أرمينية . . . أن ينفروا لكل غارة وينفروا لكل أمر ناب أو لم ينب رآه الوالي صلاحا على أن توضع الجزاء عمن أجاب الى ذلك)[٢] .

٣ - جاء في كتاب عتبة بن فرقد الى أهالي أذربيجان :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما أعطى عتبة بن فرقد عامل

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ١٥٦ .
(٢) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ١٥٧ ، ومجموعة الوثائق السياسية ص ٣٧٤ .

عمر بن الخطاب أمير المؤمنين أهل أذربيجان ، سهلها وجبلهـــا وحواشيها ، وأهل ملتها كلهم الأمان على أنفسهم وأموالهـــــم وشرائعهم على أن يؤدوا الجزية على قدر طاقتهم . . ومن حشر منهم في سنة وضع عنه جزاء تلك السنة) (١) .

وبذلك يتبين أن قبول الجزية من الذميين انما هو مقابل حمايتهم وصيانـــة أموالهم وأعراضهم ، وحثا لهم على دخول الاسلام . وأن المسلمين قد راعـوا في أخذها أحوال الناس ، فأخذوا القليل من المستطيع ، وتركـــوا غـير المستطيـــع .

* * *

* *

*

---

(١) تاريخ الطبرى جـ ٤ ص ١٥٥ ، ومجموعة الوثائق السياسيـــة ص ٣٦٣ .

المبحث السادس : نماذج من معاهدات الرسول صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب :

ومن سماحة الاسلام مع أهل الكتاب أن الرسول صلى الله عليه وسلم لم يعنف على من حوله من اليهود والنصارى ، بل عقد معهم عدة معاهدات أمن وسلام وتعاون رجاء دخولهم في الاسلام ، وفيما يلي نذكر المعاهدة التي أبرمها الرسول صلى الله عليه وسلم مع اليهود في المدينة بعد مقدمه اليها ، ثم نعقبها بمعاهدته صلى الله عليه وسلم مع نصارى نجران كنماذج لمعاهداته صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب .

أ ـ المعاهدة مع اليهود في المدينة :

قال ابن اسحاق : وكتب رسول الله صلى الله عليه وسلم كتابا بين المهاجرين والأنصار ، وادع فيه يهود ودعاهم ، وأقرهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم ، واشترط عليهم .(١)

وهذا نص المعاهدة :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا كتاب من محمد النبي صلى الله عليه وسلم بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ، ومن تبعهم ، فلحق بهم ، وجاهد معهم ، انهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على ربعتهم(٢)

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٠١ .

(٢) قال ابن الأثير : يقال القوم على رباعتهم ورباعهم أى على استقامتهم ، يريد أنهم على أمرهم الذى كانوا عليه ، ورباعة الرجل شأنه وحاله التي هو رابع عليها أى مقيم ثابت . النهاية جـ ٢ ص ١٨٩ .
والمراد : على حالتهم التي كانوا عليها قبل الاسلام من عاداتهم في أحكام الديات والدماء وغير ذلك .

يتعاقلون[1] بينهم ، وهم يفدون عانيهم[2] بالمعروف والقسط بين المؤمنين ، وبنو عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو ساعدة على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الحارث على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو جشم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النجار على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو عمرو بن عوف على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو النبيت على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وبنو الأوس على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الأولى ، وكل طائفة منهم تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين . وان لا يتركوا مفرحا[3] بينهم أن

---

(١) أى يدفع بعضهم دية بعض ، والعقل الدية .
مختار الصحاح ص ٤٤٦ .

(٢) العاني : الأسير وكل من ذل واستكان وخضع فقد عنا يعنو ، وهو عان والمرأة عانية ، وجمعها عوان . النهاية لابن الأثير جـ ٣ ص ٣١٤ .

(٣) هو الذى أثقله الدين والغرم . وقد أفرحه يفرحه اذا أثقله . وأفرحه اذا غمه . وحقيقته : أزلت عنه الفرح ، كأشكيته اذا أزلت شكواه . والمثقل بالحقوق مغموم مكروب الى أن يخرج عنها .
النهاية جـ ٣ ص ٤٢٤ .
وقال ابن هشام : المفرح المثقل بالدين والكثير العيال .
سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٠٢ .

يعطوه بالمعروف في فداء أو عقل .

وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمن دونه . وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم ، أو ابتغى دسيعة[1] ظلم ، أو اثم ، أو عدوان ، أو فساد بين المؤمنين . وان أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن . وان ذمة الله واحدة ، يجير عليهم أدناهم .

وان المؤمنين بعضهم موالي بعض دون الناس . وانه من تبعنا من يهود فانه له النصر والأسوة ، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم . وان سلم المؤمنين واحدة ، لا يسالم مؤمن دون مؤمن في قتال في سبيل الله ، الا على سواء وعدل بينهم . وان كل غازية غزت معنا يعقب بعضها بعضا . وان المؤمنين يبيء[2] بعضهم على بعض بما نال دماءهم في سبيل الله . وان المؤمنين المتقين على أحسن هدى وأقومه . وانه لا يجير مشرك مالا لقريش ولا نفسا ، ولا يحول دونه على مؤمن . وانه من اعتبط[3] مؤمنا قتلا عن بينة فانه قود به الا أن يرضى وليّ المقتول ، وان المؤمنين عليه كافة ، ولا يحل لهم الا قيام عليه ، وانه لا يحل لمؤمن أقر بما في هذه الصحيفة ، وآمن بالله

---

(١) الدسيعة : العظيمة ، وهي في الأصل : ما يخرج من حلق البعير اذا رغا . وأراد بها ها هنا : ما ينال عنهم من ظلم .
هامش سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٠٢ .

(٢) من الهواء وهو المساواة .
انظر : البداية لابن كثير جـ ٣ ص ٢٢٥ ، والنهاية لابن الأثير جـ ١ ص ١٦٠ .

(٣) أي قتله بلا جناية كانت منه ولا جريرة توجب قتله .
النهاية جـ ٣ ص ١٧٢ .

واليوم الآخر ، أن ينصر محدثا ولا يؤويه ، وأنه من نصره أو آواه ، فان عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة . ولا يؤخذ منه صرف ولا عدل (١) ، وانكم مهما اختلفتم فيه من شيء ، فان مرده الى الله عز وجل ، والى محمد صلى الله عليه وسلم ، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين (٢) ، وان يهود بني عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم ، مواليهم وأنفسهم ، الا من ظلم وأثم ، فانه لا يوتغ (٣) الا نفسه ، وأهل بيته ، وان ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الحارث مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف ، وان ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف ، الا من ظلم وأثم فانه لا يوتغ الا نفسه وأهل بيته ، وان جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم ، وان لبني الشطيبة مثل ما ليهود بني عوف ، وان البرّ دون الاثم ، وان موالي ثعلبة كأنفسهم ، وان بطانة يهود كأنفسهم ، وانه لا يخرج منهم أحد الا باذن محمد صلى الله عليه وسلم ، وانه لا ينحجر (٤) على ثار جرح ،

---

(١) اختلف العلماء في معنى الصرف والعدل على أقوال كثيرة أقربها : ان الله تعالى لا يقبل منه فرضا ولا نفلا ، ولا توبة ولا فداء .
انظر : فتح البارى جـ ٤ ص ٨٦ ، والنووى على مسلم جـ ٩ ص ١٤١ .

(٢) تضمنت محالفة عسكرية بموجبها تتعاون الأمتان في كل حرب وعلى كل منهما تجيشها خاصة . هامش فقه السنة جـ ٢ ص ٧٠٧ .

(٣) يهلك . النهاية جـ ٥ ص ٤٩ .

(٤) تحجر : أى اجتمع والتأم وقرب بعضه من بعض . النهاية جـ ١ ص ٣٤٢ .
وفي رواية : ينحجز ـ بالزاى ـ قال مصحح البداية : ولعلها تصحيف . البداية جـ ٣ ص ٢٢٥ .

وانه من فتك فبنفسه فتك ، وأهل بيته ، الا من ظلم ، وان الله على أبرّ هذا ، وان على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ، وان بينهم النصح والنصيحة ، والبرّ دون الاثم ، وانه لم يأثم امرؤ بحليفه ، وان النصر للمظلوم ، وان اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين ، وان يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة ، وان الجار كالنفس غير مضار ولا آثم ، وانه لا تجار حرمة الا باذن أهلها ، وانه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو اشتجار يخاف فساده ، فانّ مرده الى الله عز وجل ، والى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وان الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وانه لا تجار قريش ولا من نصرها ، وان بينهم النصر على من دهم يثرب ، واذا دعوا الى صلح يصالحونه ويلبسونه ، فانهم يصالحونه ويلبسونه ، وانهم اذا دعوا الى مثل ذلك فانه لهم على المؤمنين ، الا من حارب في الدين ، على كل أناس حصتهم من جانبهم الذى قبلهم ، وان يهود الأوس ، مواليهم وأنفسهم ، على مثل ما لأهل هذه الصحيفة ، مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة ، وان البرّ دون الاثم ، لا يكسب كاسب الا على نفسه ، وان الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبرّه ، وانه لا يحول هذا الكتاب دون ظالم وآثم ، وانه من خرج آمن ، ومن قعد آمن بالمدينة ، الا من ظلم أو أثم ، وان الله جار لمن برّ واتقى ،

ومحمد رسول الله صلى الله عليه وسلم) . اهـ .(١)

وهذه المعاهدة أعطت اليهود المساواة الكاملة مع المسلمين في المعاملة ، والوقوف الى جانبهم في منع العدوان عنهم غير مظلومين ولا متناصر عليهم ، الى جانب منحهم الحرية الدينية .

ولكن اليهود لم يقدروا هذه السماحة الاسلامية ، اذ لم يلبثوا أن نقضوا عهودهم ومواثيقهم ، وأخذوا يكيدون للاسلام والمسلمين ، بشتى الوسائل والأساليب ، وما زالوا يكيدون ويكيدون .

ب ـ المعاهدة مع النصارى في نجران :

روى أبو عبيد القاسم بن سلام بسنده أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صالح أهل نجران ، وكتب لهم كتابا :

(بسم الله الرحمن الرحيم . هذا ما كتب محمد النبي رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ لأهل نجران ، اذ كان له حكمه عليهم : أن في كل سوداء(٢)

---

(١) سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٠١ - ٥٠٤ ، والسيرة النبوية لابن كثير جـ ٢ ص ٣٢٠ - ٣٢٣ ، والبداية والنهاية جـ ٣ ص ٢٢٤ - ٢٢٦ ، والسنن الكبرى للبيهقي جـ ٨ ص ١٠٦ كتاب الديات / دار الفكر . والأموال لأبي عبيد ص ٢٦٠ الكليات الأزهرية ، ودار الفكر . وعيون الأثر لابن سيد الناس جـ ١ ص ١٩٧ - ١٩٨ دار المعرفة . ومجموعة الوثائق السياسية في العهد النبوى والخلافة الراشدة للدكتور محمد حميد الله الحيدرى آبادى ص ٤١ وما بعدها دار الارشاد الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ .

(٢) أراد بالسوداء العامر منها لاخضرارها بالشجر والزرع .
النهاية جـ ١ ص ١٧٢ .

وبيضاء[1] وحمراء[2] وصفراء[3] وشرة ورقيق ، وأفضل عليهم ، وترك ذلك لهم : ألفي حلة[4] ، وفي كل رجب ألف حلة ، كل حلة أوقية ، ما زاد الخراج أو نقص فعلى الأواقي فليحسب ، وما قضوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بحساب ، وعلى أهل نجران مقرى رسلي عشرين ليلة فما دونها ؛ وعليهم عارية ثلاثين فرسا ، وثلاثين بعيرا ، وثلاثين درعا ، اذا كان كيدا باليمن ذو مفدرة[5] ، وما هلك مما أعاروا رسلي فهو ضامن على رسلي حتى يؤدوه اليهم ولنجران وحاشيتها ذمة الله ورسوله ، على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم . وشاهدهم وغائبهم ، وكل ما تحت أيديهم

---

(١) أراد بالبيضاء الخراب من الأرض ، لأنه يكون أبيض لا غرس فيه ولا زرع . النهاية جـ ١ ص ١٧٢ .

(٢) الأحمر : ما لونه الحمرة . القاموس المحيط جـ ٢ ص ١٣ . وهو ما يدخل تحت تحكمهم عليه . النهاية جـ ١ ص ١٧٢ بتصرف .

(٣) المراد به الذهب ، لأنهم كانوا يجبون الخراج ذهبا . النهاية جـ ١ ص ١٧٢ .

(٤) الحلة : واحدة الحلل ، وهي برود اليمن ، ولا تسمى حلة الا أن تكون ثوبين من جنس واحد . النهاية جـ ١ ص ٤٣٢ .

(٥) يعني اذا حصل غدر من أهل اليمن واحتاج المسلمين أن يستعيروا منهم هذه الأشياء للحرب ، فعليهم أن يعيروهم اياها ، ثم ترد عليهم بعد الحرب ، واذا تلف شيء ضمنه المسلمون . الأموال لأبي عبيد ص ٢٤٤ (الحاشية) .

من قليل أو كثير ، وعلى أن لا يغيروا أسقفا من سقيفاه ، ولا واقهـــا (١) من وقيهاه ، ولا راهبا من رهبانيته ، وعلى أن لا يحشروا ولا يعشروا ولا يطـــأ أرضهم جيش ، ومن سأل منهم حقا فالنصف بينهم بنجران ، على أن لا يأكلـوا الربا ، فمن أكل الربا من ذى قبل فذمتي منه بريئة ، وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين ، ولا معنوف عليهم ، شهد بذلك عثمان بن عفان ، ومعيقب ، وكتب)(٢) .

ونص المعاهدة الثانية مع نصارى نجران :

(بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبي الى الأسقف أبي الحـــارث وأساقفة نجران وكهنتهم ورهبانهم وأهل بيعهم ورقيقهم وملتهم وسواطتهـــم (٣) وعلى كل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير جوار الله ورسوله لا يغير أسقف مـــن أسقفيته ، ولا راهب من رهبانيته ، ولا كاهن من كهانته ، ولا يغير حـــق

---

(١) قال ابن الأثير : هكذا يروى بالقاف ، وانما هو بالفاء (ولا وافـــه عن وفهيته) والوافه : القيم على البيت الذى فيه صليب النصـــارى ، بلغة أهل الجزيرة ، ويروى الواقـه .

النهاية جـ ٥ ص ٢١١ ، ٢١٧ ، ٢٣٢ .

(٢) انظر : الأموال لأبي عبيد ص ٢٤٤ حديث رقم ٥٠٣ .
والخراج لأبي يوسف ص ٧٢ ، وزاد المعاد لابن القيم جـ ٣ ص ٤٥ ، ومجموعة الوثائق السياسية لمحمد حميد الله ص ١٤٤ - ١٤٥ .

(٣) قيل الشّرط الذين يكونون معهم الأسواط فيضربون بها الناس .
النهايـة جـ ٢ ص ٤٢١ .

من حقوقهم وسلطانهم ، ولا مما كانوا عليه على ذلك جوار الله ورسوله أبـــدا ما نصحوا وأصلحوا عليهم غير متقلبين بظالم ولا ظالمين وكتب المغيرة بـــــن شعبـــــة .

فلما قبض الأسقف الكتاب استأذن في الانصراف الى قومه ومن معه فأذن لهـــم الرسول صلى الله عليه وسلم فانصرفوا (١) .

وبهذه المعاهدة نال نصارى نجران عدة امتيازات من أهمها :

.. صيانة دمائهم .. وحفظ أموالهم .. وحرية ديانتهم .. وأمان كـــــل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير .. وحمايتهم من اعتداء المعتدين .. والحكم بينهم اذا تحاكموا الى المسلمين في خلافاتهم وحل منازعاتهم .

* * *

* *

*

---

(١) انظر : البداية والنهاية جـ ٥ ص ٥٥ ، وزاد المعاد لابن القيم جـ ٣ ص ٤٨ ، ومجموعة الوثائق السياسية ص ١٤٥ .

المبحث السابع : القاعدة العامة في التعامل بين المسلمين وغيرهم بوجه عام :

القاعدة الاسلامية الكبرى في العلاقات . . . بين المسلمين وغيرهم ، جعل المقاطعة والخصومة خاصة بحالة العداء والعدوان ، فأما حين ينتفي العداء والعدوان فهو البر لمن يستحق البر ، والقسط في المعاملة والعدل (١) ، قال الله تعالى : ((لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ * إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ)) (٢) .

فهذا ترخيص من الله تعالى في صلة الذين لم يعادوا المؤمنين ولم يقاتلوهم . . . والخطاب وان يكن في مشركي مكة ، الا أن العبرة بعموم لفظه ، وقد حاول بعض المفسرين تخصيصه فرد ذلك الامام ابن جرير بقوله : والصواب قول من قال عني بقوله تعالى : ((لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين)) من جميع أصناف الملل والأديان ، أن تبروهم وتصلوهم وتقسطوا اليهم ، فان الله عز وجل عمّ بقوله : ((الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم)) جميع من كان ذلك صفته فلم يخصص به بعضا دون بعض (٣) .

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٨ ص ٦٤ .
(٢) سورة الممتحنة - آية : ٨ - ٩ .
(٣) انظر : تفسير ابن جرير جـ ٢٨ ص ٦٦ ، وانظر : تفسير القاسمي جـ ١٦ ص ١٢٨ - ١٢٩ .

فالاسلام دين سلام ، وعقيدة حب ، ونظام يستهدف أن يظلل العالم كله بظله ، وأن يقوم فيه منهجه ، وأن يجمع الناس تحت لواء الله اخوة متعارفين متحابين وليس هنالك من عائق يحول دون اتجاهه هذا الا عدوان أعدائه عليه وعلى أهله ، فأما اذا سالموهم فليس الاسلام براغب في الخصومة ولا متطوع بها كذلك . وهو حتى في حالة الخصومة يستبقي أسباب الود في النفوس بنظافة السلوك وعدالة المعاملة ، انتظارا لليوم الذى يقتنع فيه خصومه بأن الخير في أن ينضووا تحت لوائه الرفيع . ولا ييأس الاسلام من هذا اليوم الذى تستقيم فيه النفوس ، فتتجه هذا الاتجاه المستقيم (١) .

* * * * * * *

---

(١) انظر : في ظلال القرآن لسيد قطب جـ ٨ ص ٦٥ .

المبحث الثامن : القاعدة العامة في التعامل بين المسلمين والذميين

بوجه خاص :

شاع بين الفقهاء القول المشهور عن الذميين "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"(١) ، فاذا ارتضى أهل الكتاب أن يعيشوا في ظل الدولة الاسلامية وحمايتها ، والتزموا معها طريقة المسالمة ، فلم يعلنوا عليها حربا ، ولم يظاهروا عليها عدوا يقاتلها ، ولم يدر منهم ما يمسها بسوء ، فان الاسلام في هذه الحالة يأمر أتباعه أن يعاملوهم بمقتضى هذه القاعدة العادلة الرحيمة "لهم ما لنا وعليهم ما علينا"(٢) .

وروى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه قال : (انما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا ، وأموالهم كأموالنا)(٣) .

وهذه القاعدة ليست مطلقة ، بل ترد عليها استثناءات يوجبها حكم الاسلام ، فالزكاة مثلا تجب على المسلم دون الذمي ، والجزية تلزم الذمي دون المسلم ، والجهاد بما فيه الدفاع عن دار الاسلام يجب على المسلم دون غيره . وتفصيل هذه الاستثناءات ليست من بحثنا(٤) . قال السيد سابق : وتجرى أحكام الاسلام على أهل الذمة في ناحيتين :

الناحية الأولى : المعاملات المالية ، فلا يجوز لهم أن يتصرفوا تصرفا لا يتفق

---

(١) أحكام الذميين والمستأمنين للدكتور عبد الكريم زيدان ص ٧٠ .

(٢) بنو اسرائيل في الكتاب والسنة للدكتور محمد سيد طنطاوى جـ ١ ص ١٦٥ .

(٣) المغني لابن قدامة جـ ٨ ص ٤٤٥ .

(٤) انظر في هذا مثلا : أحكام أهل الذمة لابن قيم الجوزية ـ تحقيق الدكتور صبحي الصالح . وأحكام الذميين والمستأمنين للدكتور عبد الكريم زيدان

مع تعاليم الاسلام ، كعقد الربا ، وغيره من العقود المحرمة .

الناحية الثانية : العقوبات المقررة : فيقتص منهم ، وتقام الحدود عليهم متى فعلوا ما يوجب ذلك . وقد ثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم رجم يهود يهون زنيا بعد احصانهما (١) . أما ما يتصل بالشعائر الدينية من عقائد وعبادات وما يتصل بالأسرة من زواج وطلاق ، فلهم فيها الحرية المطلقة ، تبعا للقاعدة الفقهية المقررة : " اتركوهم وما يدينون " (٢) .

وأهل الكتاب الذين التزموا بمعاهداتهم مع المسلمين قد نالوا حظا وافرا من السماحة والرعاية . جاء في كتاب الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ الى أهل نجران : (ولنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير . . . ولا يؤخذ رجل منهم بظلم آخر . . .)) (٣) .

وتجيز الشريعة الاسلامية تعزية المسلم لغير المسلم ، وتوصيته بتقوى الله والصبر ، أو الدعاء له بكثرة المال والولد ، والتهنئة بزوجة أو ولد أو قدوم غائب أو حصول عافية أو سلامة من مكروه ونحو ذلك (٤) .

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه جـ ٨ ص ٢٢ كتاب الحدود ، باب الرجم في البلاط .

(٢) فقه السنة لسيد سابق جـ ٢ ص ٦٦٣ .

(٣) الخراج لأبي يوسف ص ٧٢ .

(٤) انظر : أحكام أهل الذمة لابن القيم جـ ١ ص ٢٠٤ - ٢٠٥ .

وثبت في صحيح البخارى من حديث أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال : كان غلام يهودى يخدم النبي - صلى الله عليه وسلم - فمرض ، فأتاه النبي - صلى الله عليه وسلم - يعوده ، فقعد عند رأسه ، فقال له : (أسلم) فنظر الى أبيه وهو عنده ، فقال له : أطع أبا القاسم ، فخرج النبي صلى الله عليه وسلم وهو يقول : (الحمد لله الذى أنقذه من النار) .(١)

وثبت أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - زارعهم وساقاهم وأنه أكل طعامهم . فمن ذلك ما ثبت في الصحيحين عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع ..) .(٢)

والنصوص العامة في القرآن الكريم تحرم الظلم والعدوان على المسلم وغير المسلم . قال الله تعالى : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ))(٣) ، وقال تعالى : ((فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ))(٤) .

ووردت نصوص خاصة في حماية أهل الذمة ودفع الظلم عنهم ، وتوفير الحرية الشخصية لهم ، من ذلك ما روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه

---

(١) صحيح البخارى جـ ٢ ص ٩٧ كتاب الجنائز ، باب اذا أسلم الصبي فمات هل يصلى عليه وهل يعرض على الصبي الاسلام ؟ .

(٢) صحيح البخارى جـ ٣ ص ٦٩ كتاب الحرث والمزارعة ، باب المزارعة بالشطر ونحوه .
ومسلم جـ ٣ ص ١١٨٦ كتاب المساقاة ، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع ، الأحاديث من ١ - ٦ .

(٣) سورة البقرة - آية : ١٩٠ .

(٤) سورة البقرة - آية : ١٩٣ .

قال : (الا من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة)[١] .

وقد أوصى عمر بن الخطاب رضي الله عنه في آخر حياته بأهل الذمة فقال : " أوصى الخليفة من بعدى بأهل الذمة خيرا ، أن يوفى لهم بعهدهم وأن يقاتل من ورائهم ، وأن لا يكلفوا فوق طاقتهم "[٢] .

وقال أبو يوسف : " وحدثني عمر بن نافع ، عن أبي بكر قال : مر عمر رضي الله عنه بباب قوم وعليه سائل يسأل . وكان شيخا ضرير البصر ، فضرب عمر عضده . وقال : من أى أهل الكتاب أنت ؟ فقال : يهودى . فقال : فما ألجأك الى ما أرى ؟ قال : أسأل الجزية والحاجة والسن . فأخذ عمر بيده ، وذهب به الى منزله فرضخ له بشيء من المنزل ، ثم أرسل الى خازن بيت المال فقال : انظر هذا وضرباءه ، فوالله ما أنصفناه أن أكلنا شبيبته ، ثم نخذله عند الهرم ((إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ))[٣] والفقراء هم المسلمون ، وهذا من المساكين من أهل الكتاب ، ووضع عنه الجزية وعن ضرباءه . قال أبو بكر : أنا شهدت ذلك من عمر ورأيت ذلك الشيخ[٤] .

ومن هذا يتبين أن الذين عاشوا من أهل الكتاب في ظل حكم الدولة الاسلامية قد نالوا حظا وافرا من السماحة والرعاية .

* * * * * *

---

(١) رواه أبو داود جـ ٣ ص ١٧١ ، كتاب الخراج والامارة والفيء ، باب في تعشير أهل الذمة اذا اختلفوا بالتجارات رقم ٣٠٥٢ ، والخراج لأبي يوسف ص ١٢٥ ، والخراج ليحي بن آدم ص ٧٥ .

(٢) الخراج ليحي بن آدم ص ٧٤ ، والخراج لأبي يوسف ص ١٢٥ .

(٣) سورة التوبة ـ آية : ٦٠ .

(٤) الخراج لأبي يوسف ص ١٢٦ .

المبحث التاسع : بعض شهادات علماء غير المسلمين بسماحة الاسلام وعدله :

ان مظاهر التسامح والانصاف اللذين حملهما المسلمون الى البلاد التي فتحوها لم يكن حديث المسلمين وحدهم ، بل ان ذلك حديث أهالي تلك البلاد أنفسهم ، كما هو حديث كثير من علماء غير المسلمين قديما وحديثا .

يقول (سير توماس . و . أرنولد) : " ويمكننا أن نحكم من الصلات الودية التي قامت بين المسيحيين والمسلمين من العرب بأن القوة لم تكن عاملا حاسما في تحويل الناس الى الاسلام ، فمحمد -صلى الله عليه وسلم- نفسه عقد حلفا مع بعض القبائل المسيحية ، وأخذ على عاتقه حمايتهم ، ومنحهم الحرية في اقامة شعائرهم الدينية ، كما أتاح لرجال الكنيسة أن ينعموا بحقوقهم ونفوذهم القديم في أمن وطمأنينة .

وقد وجد حلف كهذا بين أتباع النبي -صلى الله عليه وسلم- وبين مواطنيهم الذين كانوا يدينون بالوثنية دينهم القديم ، والذين تقدم كثير منهم عن طواعية لمؤازرة المسلمين في حملاتهم الحربية ، وأظهروا للحكومة الجديدة نفس روح الولاء التي جعلتهم يقفون بمنأى عن الردة التي رفعت لواء العصيان في كافة أرجاء بلاد العرب على اثر وفاة النبي -صلى الله عليه وسلم-" .(١)

ويقول سير توماس : ولما بلغ الجيش الاسلامي وادي الأردن ، وعسكر أبو عبيدة في فحل ، كتب الأهالي المسيحيون في هذه البلاد الى العرب يقولون : " يا معشر المسلمين ، أنتم أحب الينا من الروم ، وان كانوا على ديننا ، أنتم أوفى لنا وأرأف بنا وأكف عن ظلمنا وأحسن ولاية علينا . ولكنهم غلبونا على أمرنا وعلى منازلنا " .

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ٦٥ - ٦٦ .

وغلق أهل حمص أبواب مدينتهم دون جيش هرقل ، وأبلغوا المسلمين أن ولا يتهم وعدلهم أحب اليهم من ظلم الاغريق وتعسفهم .(١)

ويؤكد سير توماس هذا التسامح من قبل المسلمين فيقول : أما ولايات الدولة البيزنطية ، التي سرعان ما استولى عليها المسلمون بهمالتهم ، فقد وجدت أنها تنعم بحالة من التسامح لم تعرفها طوال قرون كثيرة بسبب ما شاع بينهم من الآراء اليعقوبية والنسطورية ، فقد سمح لهم أن يؤدوا شعائر دينهم دون أن يتعرض لهم أحد .(٢)

ويتحدث سير توماس عن بعض الاضطهادات والمذابح الرهيبة التي كانت تحدث قبل الفتح الاسلامي بين الطوائف الدينية فيقول :

وفي القرن الخامس أغرى برصوما ، وهو أسقف نسطوري ، ملك الفرس بأن يدبر اضطهادا عنيفا للكنيسة الأرثوذكسية ، وذلك باظهار نسطوري بمظهر الصديق للفرس ، واظهار مبادئه بأنها أكثر ميلا الى مبادئهم ، ويقال ان عددا يبلغ (٧٨٠٠) من رجال الكنيسة الأرثوذكسية ، مع عدد ضخم من العلمانيين ، قد ذبحوا في هذا الاضطهاد ، وقام خسرو الثاني باضطهاد آخر للأرثوذكس ، بعد أن غزا هرقل بلاد فارس ، وذلك بتحريض أحد اليعاقبة الذى أقنع الملك بأن الأرثوذكس سوف يظهرون بمظهر العطف والميل الى البيزنطيين ، ثم يقول : ولكن مبادىء التسامح الاسلامي حرمت مثل هذه الأعمال التي تنطوى على الظلم ، بل كان المسلمون على خلاف غيرهم ، اذ يظهر لنا أنهم لم يألوا جهدا في أن يعاملوا كل رعاياهم من المسيحيين بالعدل والقسطاس . مثال ذلك أنه بعد فتح مصر ، استغل

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ٧٣ .

(٢) المرجع السابق ص ٧٤ .

اليعاقبة فرصة اقصاء السلطات البيزنطية ، ليسلموا الأرثوذكس كنائسهم ، ولكن المسلمين أعادوها أخيرا الى أصحابها الشرعيين ، بعد أن دلل الأرثوذكس على ملكيتهم لها . واذا نظرنا الى التسامح الذى امتد على هذا النحو الى رعايا المسلمين من المسيحيين في صدر الحكم الاسلامي ، ظهر أن الفكرة التي شاعت بأن السيف كان العامل في تحويل الناس الى الاسلام بعيدة عن التصديق (١) .

ويحلل سير توماس تحول الصليبيين الى الاسلام فيقول :

ويظهر أن أخلاق صلاح الدين وحياته التي انطوت على البطولة قد أحدثت في أذهان المسيحيين في عصره تأثيرا سحريا ، حتى أن نفرا من الفرسان المسيحيين قد بلغ من قوة انجذابهم اليه أن هجروا ديانتهم المسيحية وهجروا قومهم وانضموا الى المسلمين ، وكذلك كانت الحال عندما طرح النصرانية مثلا ، فارس انجليزى من فرسان المعبد ، يدعى روبرت أوف سانت ألبانس في سنة ١١٨٥ م ، واعتنق الاسلام ثم تزوج باحدى حفيدات صلاح الدين وحدث في سماء معركة حطين أن ترك ستة من فرسان مملكة القدس وفروا الى معسكر صلاح الدين حيث أسلموا بمحض ارادتهم (٢) .

ويتحدث سير توماس عن ترحيب النصارى الأقباط في مصر بالعرب المسلمين ، واعتناقهم للدين الاسلامي عن رغبة صادقة فيقول :

انما كان سبب ذلك كراهة الحكم البيزنطي الظالم ، ولما أضمروه من حقد مرير على علماء اللاهوت .

ويضيف سير توماس قائلا : فان اليعاقبة الذين كانوا يكونون السواد الأعظم

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ٨٧ - ٨٨ .

(٢) المرجع السابق ص ١١١ بتصرف .

من السكان المسيحيين ، قد عوملوا معاملة مجحفة من أتباع المذهب الأرثوذكسي التابعين للبلاط الذين ألقوا في قلوبهم بذور السخط والحنق اللذين لم ينسهما أعقابهم حتى اليوم . اذ كان بعضهم يعذب حتى يلقى بهم في اليم ، وتبع كثير منهم بطريقتهم الى المنفى لينجوا من أيدى مضطهديهم ، وأخفى عدد كبير منهم عقائدهم الحقيقية ، وتظاهروا بقبول قرارات مجمع خلقدونية .

وقد جلب الفتح الاسلامي الى هؤلاء القبط ، ذلك اللفظ الذى يطلق على المسيحيين من اليعاقبة في مصر ، حياة تقوم على الحرية الدينية التي لم ينعموا بها قبل ذلك بقرن من الزمان . وقد تركهم عمرو أحرارا على أن يدفعوا الجزية ، وكفل لهم الحرية في اقامة شعائرهم الدينية ، وخلصهم بذلك من هذا التدخل المستمر الذى أنوا من عبئه الثقيل في ظل الحكم الروماني . ولم يضع عمرو يده على شيء من ممتلكات الكنائس ، ولم يرتكب عملا من أعمال السلب والنهب . . . وليس هناك شاهد من الشواهد يدل على أن ارتدادهم عن دينهم القديم ودخولهم في الاسلام على نطاق واسع كان راجعا الى اضطهاد أو ضغط يقوم على عدم التسامح من جانب حكامهم الحديثين ، بل لقد تحول كثير من هؤلاء القبط الى الاسلام قبل أن يتم الفتح (١) .

وعن فترة حكم المسلمين لأسبانيا للفترة الواقعة بين ٧١١ م الى ١٥٠٢ م يقول سير توماس :

ولقد كتبت أسبانيا الاسلامية في القرون التي تقع بين هذين التاريخين صفحة من أنقى الصفحات وأسطعها في تاريخ أوربا في العصور

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ١٢٣ - ١٢٤ .

الوسطى ، وقد امتد تأثيرها من ولاية بروڤانس الى الممالك الأوربية الأخرى ، وأتت بنهضة جديدة في الشعر والثقافة ، ومنها تلقي طلاب العلم المسيحيون الفلسفة اليونانية والعلوم ما أثار في نفوسهم النشاط العقلي حتى جاء عصر النهضة الحديثة .(١)

ويبيّن سير توماس أن ترحيب الأسبان بالمسلمين لم يكن من قبل النصارى فحسب ، بل ان اليهود والأرقاء رحبوا بالمسلمين أيضا ، وذلك بسبب ما حل بهم من المظالم والبؤس والشقاء . فيقول عن ذلك :

ولما قدم المسلمون أول الأمر الى أسبانيا حاملين دينهم ، وجدوا المذهب الكاثوليكي قد استقر في هذه البلاد بعد انتصاره على المذهب الآري . وقد أصدر المجمع السادس في طليطلة قرارا يقضي بأن يقسم كل الملوك بأن لا يسمحوا بانتشار أى مذهب آخر غير المذهب الكاثوليكي ، وأن ينفذوا القانون بالقوة على الخارجين عليه . وقد تلا هذا القانون قانون آخر يحرم على كل شخص أن يتطرق الى ذهنه أى شك في الكنيسة الكاثوليكية . . ، وفي النظم الانجيلية . . اذا ما صودرت أملاكه أو حكم عليه بالسجن المؤبد .

وقد كسب رجال الدين لطائفتهم نفوذا راجحا في شئون الدولة وجلس الأساقفة وكبار رجال الدين في المجالس الوطنية التي كانت تجتمع لاقرار الشئون الهامة في الدولة ، والمصادقة على انتخاب الملك . . واتخذ القسس من وراء هذه القوة التي وصلوا اليها سبيلا لاضطهاد اليهود الذين كانوا طائفة كبيرة العدد في أسبانيا ، وصدرت الأوامر الشديدة ضد كل من امتنع عن الدخول في المسيحية ، وكان من أثر هذه الاضطهادات أن رحب

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ١٥٤ .

اليهود بالعرب . . وعدوهم مخلصين لهم مما حل بهم من المظالـــــم ، فساعدوهم على فتح أبواب المدن ، كما استعان بهم الفاتحون في حمايـــة المدن التي وقعت في أيديهم .

كذلك رحب بالمسلمين الأرقاء الذين حل بهم البؤس والشقاء في عهد المسيحيين الكاثوليك الذين كانت معرفتهم بأصول المسيحية سطحية ، اذا ما ووزنت بذلك التسامح الديني ، وهذه المزايا الكثيرة التي حصلوا عليهـــا بالقاء زمامهم للمسلمين .(١)

ويقول جوستاف لبون في كتابه (حضارة العرب) :

ان القوة لم تكن عاملا في انتشار القرآن ، فقد ترك العرب المغلوبين أحـرارا في أديانهم ، فاذا حدث أن اعتنق بعض الأقوام النصرانية الاسلام واتخذوا العربية لغة لهم ، فذلك لما رأوا من عدل العرب الغالبين ما لم يروا مثـله من ساداتهم السابقين ، ولما كان عليه الاسلام من السهولة التي لم يعرفوهـا من قبـــل . . .

ويضيف جوستاف قائلا : " ولم ينتشر القرآن بالسيف اذن ، بـــل انتشر بالدعوة وحدها ، وبالدعوة وحدها اعتنقته الشعوب التي قهرت العرب مؤخـرا ، كالترك والمغـول " .(٢)

ويقول في موضع آخر من كتابه هذا : " فقد أدرك الخلفاء السابقـون الذين كان عندهم من العبقرية السياسية ما ندر وجوده في دعاة الديانـات الجديدة ، ان النظم والأديان ليست مما يفرض قسرا فعاملوا أهل كل قطـر استولوا عليه بلطف عظيم تاركين لهم قوانينهم وأنظمتهم ومعتقداتهم ، غير فارضين

---

(١) الدعوة الى الاسلام ص ١٥٤ - ١٥٥ .

(٢) حضارة العرب لجوستاف لبون ص ١٢٧ - ١٢٨ مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه ، ترجمة عادل زعيـتر .

عليهم سوى جزية زهيدة في الغالب اذا ما قيست بما كانوا يدفعونه سابقا ، في مقابل حفظ الأمن بينهم ، فالحق أن الأمم لم تعرف فاتحين متسامحين مثل العرب ، ولا دينا سمحا مثل دينهم " . (١)

ويقول جيمس متشنر : " اعتقد الغرب أن توسع الاسلام ما كان يمكن أن يتم لو لم يعمد المسلمون الى السيف ، ولكن الباحثين لم يقبلوا هذا الرأى ، فالقرآن صريح في تأييده لحرية العقيدة ، والدليل قوى على أن الاسلام رحب بشعوب مختلفة الأديان ، ما دام أهلها يحسنون المعاملة ، وقد حرص محمد على تلقين المسلمين التعاون مع أهل الكتاب ، أى اليهود والنصارى ، ولا شك أن حروبا قد نشبت بين المسلمين وغيرهم في بعض الأحيان ، وكان سبب ذلك أن أهل هذه الديانات الأخرى أصروا على القتال ، . . . وقد قطع الرهبان بأن أهل الكتاب كانوا يعاملون معاملة طيبة ، وكانوا أحرارا في عباداتهم ، ولعل مما يقطع بصحة ذلك ، الكتاب الذى أرسله البطريرك النسطورى ايشوياب الثالث الى البطريرك سمعان زميله في المجمع بعد الفتح الاسلامي وجاء فيه : (هنا أن العرب الذين منحهم الرب سلطة العالم وقيادة الأرض أصبحوا عندنا ، ومع ذلك نراهم لا يعرضون للنصرانية بسوء ، ويساعدوننا . . . ويجلون الرهبان والقديسين ، ويعاونون بالمال الكنائس والأديرة) " . (٢)

---

(١) حضارة العرب لجوستاف لبون ص ٦٠٥ .

(٢) محمد رسولا نبيا ص ٢٠٣ - ٢٠٤ ، مؤسسة المطبوعات الحديثة الطبعة الأولى سنة ١٣٨٠ هـ .

ويقول المؤرخ العالمي (هـ . ج ويلز) في كتابه (معالم تاريخ الانسانية) وهو يحقق أسباب انتشار الاسلام :

" لقد تم في خمس وعشرين ومائة من السنين أن نشر الاسلام لواءه من نهر السند الى المحيط الأطلسي وأسبانيا ، ومن قشغر على حدود الصين الى مصر العليا ، ولقد ساد الاسلام لأنه كان خير نظام اجتماعي وسياسي . . ولقد انتشر لأنه كان يجد في كل مكان شعوبا بليدة سياسيا ، تسلب وتظلم وتخوف ولا تعلم ولا تنظم ، كذلك وجد حكومات أنانية سقيمة لا اتصال بينها وبين أي شعب أصالة ، كان أوسع وأحدث وأنظف فكرة سياسية اتخذت سمة النشاط الفعلي في العالم حتى ذلك اليوم ، وكان يهب بني الانسان نظاما أفضل من أي نظام آخر " . (١)

وهكذا نجد أن كتاب وعلماء غير المسلمين يتحدثون عن فرح وسرور أهالي البلاد التي فتحها المسلمون لما وجدوا في الاسلام من سماحة ويسر وحرية وعدل ومعاملة طيبة ، بعد أن عانوا كثيرا من الظلم والقهر النازل بهم من قبل حكامهم السابقين .

وبعد : فهذا منهج القرآن الكريم في دعوة أهل الكتاب الى الاسلام، وهذا موقف الاسلام منهم . وهو موقف - كما رأينا - يقوم على نصحهم وارشادهم الى طريق الحق والصواب ، من أجل سعادتهم في الدنيا والآخرة،

---

(١) معالم تاريخ الانسانية جـ ١ ص ٦٤٨ - ٦٤٩ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٠ م .

وبيان أن في انكارهم له واعراضهم عنه شقاؤهم وتعاستهم في الدنيا والآخرة ، وهو في دعوتهم يقيم لهم الحجج القاطعة والبراهين الواضحة الساطعة ، الدالة على صدق الرسول محمد - صلى الله عليه وسلم - فيما جاء به من عند ربه عز وجل ، ويبين لهم فساد معتقداتهم الباطلة ، ويوضح لهم ما دخل كتبهم من تحريف وزيف ، ويفهمهم بأن الشرائع السابقة قد جاءت لفترات محدودة قد انتهت بانتهاء وقتها ، ومن يطلبها الآن لا يجد لها شاهدا سوى هذا القرآن العظيم الذى جعله الله خاتما للكتب السماوية السابقة ومهيمنا عليها ، كما جعله خالدا وباقيا الى قيام الساعة ، وهو والسنة النبوية قد تكفلا بكل ما يحتاجه البشر في شئون حياتهم في كل مكان وزمان .

واذا كان ذلك كذلك فما هو موقف أهل الكتاب من الاسلام ؟ وكيف كان استقبالهم له ؟ هذا ما سنراه في الفصل الخامس من هذا الباب ، والأخير من هذه الرسالة .

وبالله التوفيق ،،،

* * *

* *

*

الفصـــــل الخامـــس

((موقف أهل الكتاب من الدعوة الى الاسـلام))

ويشتمـــل عـلى مبحثـــين :

المبحـــث الأولـــ :

موقـــــف اليهـــــــود .

المبحـــث الثانـــي :

موقـــــف النصـــــارى .

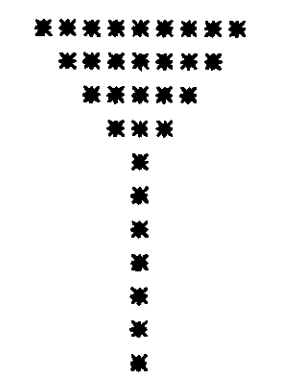

هذه الدعوة الهادئة الحكيمة التي دعا بها القرآن الكريم أهل الكتاب وقامت على الحجج الواضحة ، والبراهين القاطعة ، لهي جديرة بأن تجد طريقها الى قلوبهم ، وأن تلقى منهم كل التأييد والنصر والتسليم والايمان ، لكن الذى حصل منهم خلاف ذلك : إذ أن البراهين التي أقامها القرآن الكريم على ما وصل اليه أهل الكتاب من تحريف لكتبهم وانحراف في عقائدهم . وأنهم كغيرهم من البشر في حاجة شديدة الى هدى الاسلام الذى يصحح عقائدهم ، ويفصل في خلافاتهم ، لم تلبث أن وجدت مقاومة عنيفة ، ومواقف متنوعة ، لا باللسان فحسب ، ولكن بالمكر والكيد والسخرية والاستهزاء ، واعلان الحرب على الاسلام والمسلمين .

وان كان الوضع قد اختلف بالنسبة لكل من اليهود والنصارى على حسب ظروف الدعوة المحلية والعالمية ، واصطدام الاسلام بأحقاد القوم وأضغانهم تبعا لمجاورته لكلا الفريقين أو بعده عنهما ، وسنرى فيما يلي عرضا موجزا لبعض المواقف التي اتبعها كل منهما تجاه الدعوة الاسلامية ورسول الاسلام صلى الله عليه وسلم .

المبحث الأول : موقف اليهود :

لقد كان جوار اليهود للمسلمين بالمدينة وما حولها جديرا أن يجعلهم مع المسلمين قوة واحدة ويدا واحدة ، بل كان كفيلا أن يسارع أهل الكتاب من اليهود الى اعتناق الاسلام والدفاع عنه وحمل لوائه والتشرف بالانتساب اليه ، لا سيما وأنهم كانوا ينتظرون ظهور النبي صلى الله عليه وسلم ، وكانوا يتوعدون به الأوس والخزرج كلما اختلفوا معهم في أمر من الأمور قالوا لهم :

"ان نبيا مبعوثا الآن قد أظل زمانه ، نتبعه فنقتلكم معه قتل عاد وارم" (١) .

فلما هاجر الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى يثرب التي سميت فيما بعد بالمدينة المنورة ، عقد معهم معاهدة أمن ودفاع مشترك ، حمى لهم بموجبها دينهم وأموالهم وأعراضهم ، وجعلهم يعيشون مع أهل المدينة يدا واحدة وصفا واحدا ضد الأعداء .

لا سيما وقد جاء الاسلام باليسر والسماحة والعدالة والرحمة مما يحبب اليه النفوس ، ويجلب اليه القلوب .

غير أن نظرة اليهود الى شعوب العالم وزعمهم أنهم شعب الله المختار ، وأنهم أبناء الله وأحباؤه ، وأن الرسالة والزعامة يجب أن تكون فيهم ، جعلهم يكفرون بهذا الرسول الذى بعث من العرب ، كما قال تعالى : ((وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُم مَّا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ)) (٢) .

ونظرا لوجود اليهود في منطقة المدينة وما حولها عند ظهور الاسلام ، فقد كان اصطدام الاسلام بهم في وقت مبكر جدا .

ومع أن الاسلام قد وسعهم بعد ما ضاقت بهم الطل والنحل على مدار التاريخ ، فانهم لم يقابلوا الدعوة الاسلامية مقابلة حسنة ، بل كانوا يتقلبون بأنواع الكيد والمكر لها ، فحينا بالجحود والحجاج والمكابرة والعناد ، وحينا بالدس والسخرية والتشكيك والأذى بين المسلمين ، وحينا

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥١١ .

(٢) سورة البقرة - آية : ٨٩ .

بالتآمر مع المنافقين وتشجيعهم حتى أججوا نارهم بما بثوا فيهم من الكيد والشكوك ، وأحيانا باعلان الحرب على المسلمين ورسول الاسلام متآمرين في ذلك مع المشركين .

وقد تمثل هذا التآمر الخطير في غزوة الأحزاب أو الخندق التي وقعت على أرض المدينة في السنة الخامسة من الهجرة .

ومن المواقف التي وقفوها تجاه الاسلام ورسوله والمسلمين المواقف التالية :

١) انكارهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم :

لقد أنكر اليهود نبوة محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ عندما علموا أنه من العرب ، وردّ الله عليهم بقوله :

((هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَاةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (١) .

فبينت الآيات أنه ليس من حجر أو حرج على فضل الله تعالى ، فهو سبحانه يعطي من يشاء ويمنع من يشاء بحكمته وعدله ، وبهذا الفضل منّ على العرب الأميين فبعث منهم رسولا يهديهم ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة .

---

(١) سورة الجمعة ـ آية : ٢ ـ ٥ .

واليهود مكابرون في دعواهم وانكارهم للرسول - صلى الله عليه وسلم - الذى يجدون صفاته في التوراة والانجيل ، وبذلك استحقوا أن يشبهوا بالحمار الذى يحمل كتب العلم النافعة ولا يناله منها الا التعب والعناء بجامع عدم الانتفاع بما يحمله كل منهما .

٢) محاولتهم فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم عن دينه :

وحاول اليهود استدراج الرسول - صلى الله عليه وسلم - نفسه من أجل فتنته عن دينه . قال ابن اسحاق : وقال كعب بن أسد ، وابن صلوبا ، وعبد الله بن صوريا ، وشاس بن قيس بعضهم لبعض اذهبوا بنا الى محمد ، لعلنا نفتنه عن دينه فانما هو بشر ، فأتوه فقالوا له : يا محمد انك قد عرفت أنا أحبار يهود وأشرافهم وساداتهم ، وان اتبعناك اتبعتك يهود ولم يخالفونا ، وان بيننا وبين قومنا خصومة ، أفنحاكمهم اليك ، فتقضي لنا عليهم ونؤمن بك ونصدقك ، فأبى ذلك رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فأنزل الله فيهم : ((وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ * أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ)) (١) .

فلما رأى اليهود أن الاسلام يتقوى وينتشر ويدخل الناس فيه جماعات وأفرادا ، وأن اجتذاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - الى جانبهم

---

(١) سورة المائدة - آية : ٤٩ - ٥٠ . انظر : سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٦٧ ، وتفسير الطبرى جـ ٦ ص ٢٧٣ ، وتفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢١٣ ، وأسباب النزول للسيوطي ص ٩٢ .

دون غيرهم أصبح أمرا مستحيلا ، أخذوا يشنون عليه حملات شديدة ومتتالية ، ملؤها الكيد والتشكيك بالاسلام ورسول الاسلام .

٣) التظاهر بالدخول في الاسلام نفاقا :

وذلك بمحاولتهم التظاهر بالدخول في الاسلام أول النهار ، ثم الخروج منه في آخره . ليفتنوا بعض المسلمين - الذين لم يتمكن الايمان من قلوبهم - فيرتدوا عن دينهم ، وليظهروا أمام الناس أن بعض الذين يدخلون في الاسلام يرتدون عنه سخطة عليه ، وبذلك يجعلون بعض الذين يرغبون الدخول في الاسلام من مشركي العرب يمتنعون أو يتريثون . وقد فضح الله كيدهم ومكرهم ونزل فيهم قوله تعالى :

((وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ إِنَّ الْهُدَى هُدَى اللَّهِ أَن يُؤْتَى أَحَدٌ مِّثْلَ مَا أُوتِيتُمْ أَوْ يُحَاجُّوكُمْ عِندَ رَبِّكُمْ قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)) (١) .

قال الفخر الرازي : " الفائدة في اخبار الله تعالى عن تواطئهم على هذه الحيلة من وجوه ، الأول : أن هذه الحيلة كانت مخفية فيما بينهم ، وما أطلعوا عليها أحدا من الأجانب ، فلما أخبر الرسول عنها كان ذلك اخبارا عن الغيب ، فيكون معجزا . الثاني : أنه لما أطلع المؤمنين على تواطئهم على هذه الحيلة لم يحصل لهذه الحيلة أثر في قلوب المؤمنين

---

(١) انظر : تفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٨ ، وأسباب النزول للسيوطي ص ٥٣ ، والآية ٧٢ - ٧٣ من سورة آل عمران .

ولولا هذا الاعلان لكان ربما أثرت هذه الحيلة في قلب بعض من كان في ايمانه ضعف .

الثالث : أن القوم لما افتضحوا في هذه الحيلة صار ذلك رادعا لهم عن الاقدام على أمثالها من الحيل والتلبيس " . (١)

٤) أسئلة التعنت والاحراج :

وكان أحبار اليهود يوجهون الى الرسول - صلى الله عليه وسلم - عدة أسئلة يتعنتونه بها ، بقصد التلبيس على الناس وتضليل المسلمين وصد من لم يسلم من مشركي العرب عن الدخول في الاسلام ، وأن يفتنوا ضعفاء المسلمين عن دينهم ، وازعاج الرسول - صلى الله عليه وسلم - واحراجه بمطالب ليست هي من مهام الرسل عليهم السلام .

فكان القرآن الكريم ينزل فيما يسألون عنه . فمن ذلك : أنهم كانوا يطالبون الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يأتي بالمعجزات كما صرح بذلك القرآن الكريم ((الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ عَهِدَ إِلَيْنَا أَلاَّ نُؤْمِنَ لِرَسُولٍ حَتَّى يَأْتِيَنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ)) . (٢)

وطلب اليهود من الرسول - صلى الله عليه وسلم - أن يأتيهم بكتاب من السماء ، قال تعالى : ((يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَاباً مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَى أَكْبَرَ مِن ذَلِكَ فَقَالُوا : أَرِنَا اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ)) . (٣)

---

(١) التفسير الكبير للفخر الرازى جـ ٨ ص ٩٥ .

(٢) سورة آل عمران - آية : ١٨٣ .

(٣) سورة النساء - آية : ١٥٣ .

٥) نقض العهـــود :

وأما نقض العهود والمواثيق ومسالك الغدر والخيانة ، فهي مـــن القضايا المعروفة المشهورة في أخلاق اليهود ، وتقدم معنا أن الرســـول - صلى الله عليه وسلم - لما قدم المدينة كتب لليهود عهدا أمنهم فيه عـــلى أرواحهم وأموالهم وأعراضهم وحرياتهم الدينية ، بشرط ألا يغدروا ولا يخونوا ، ولا يعينوا أحدا على المسلمين ، لكن اليهود ما لبثوا أن خالفوا كل ذلك ، وامتدت أيديهم الآثمة بأنواع من الأذى للمسلمين ورسول الاسلام ، اذ أعـــلن يهود بني قينقاع عداوتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم وللمسلمين ، ووقفوا من الدعوة الاسلامية موقف التحدى والتصدى ، وبدأوا باثارة الفتن والقيـــام بأعمال عدائية ضد المسلمين ، من ذلك تعرضهم لامرأة مسلمة بأعمال عدوانية في سوقهـــم .

وحاول يهود بني النضير اغتيال الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهـــو في ضيافتهم . وأخذ اليهود في تأليب القبائل العربية لحرب الرسول صـــلى الله عليه وسلم والصحابة في المدينة ، ولم يلبث بنو قريظة أن نقضوا عهدهـــم في أشد الساعات حرجا عند المسلمين ، ودس يهود خيبر السم لرسول اللـــه صلى الله عليه وسلم في الطعام .

وتكرار نقض العهود سجله الله عليهم في قوله تعالى : ((أَوَكُلَّمَـــا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ)) (١) .

---

(١) ســورة البقــرة - آيــة : ١٠٠ .

٦) الاستهزاء والسخرية والطعن في الاسلام :

ولما لم يظفر اليهود بجني ثمار حرثهم الخبيث في صد المسلمين عن الاسلام ، أخذوا يواجهونهم بالاستهزاء والسخرية والطعن في تعاليم الاسلام السمحة .

من ذلك ما رواه ابن اسحاق عن ابن عباس رضي الله عنهما : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه دخل بيت المدراس على يهود ، فوجد منهم ناسا كثيرا قد اجتمعوا الى رجل منهم ، يقال له فنحاص ، وكان من علمائهم وأحبارهم ، ومعه حبر من أحبارهم يقال له : أشيع ، فقال أبو بكر لفنحاص : ويحك يا فنحاص ! اتق الله وأسلم ، فوالله انك لتعلم أن محمدا لرسول الله ، قد جاءكم بالحق من عنده ، تجدونه مكتوبا عندكم في التوراة والانجيل ، فقال فنحاص لأبي بكر : والله يا أبا بكر ، ما بنا الى الله من فقر ، وانه الينا لفقير وما نتضرع اليه كما يتضرع الينا ، وانا عنه لأغنياء ، وما هو عنا بغني ، ولو كان عنا غنيا ما استقرضنا أموالنا ، كما يزعم صاحبكم ، ينهاكم عن الربا ويعطيناه ، ولو كان عنا غنيا ما أعطانا الربا .

قال ابن اسحاق : فغضب أبو بكر ، فضرب وجه فنحاص ضربا شديدا ، وقال : والذى نفسي بيده ، لولا العهد الذى بيننا وبينكم ، لضربت رأسك ، أى عدو الله . قال : فذهب فنحاص الى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لأبي بكر : ما حملك على ما صنعت ؟ فقال أبو بكر : يا رسول الله ، ان عدو الله قال قولا عظيما ، انه زعم أن الله فقير وأنهم أغنياء ، فلما قال ذلك غضبت لله مما قال ، وضربت وجهه . فجحد

ذلك فنحاص ، على عادة اليهود من الكذب والبهتان في كل زمان ، وقال : ما قلت ذلك ، فأنزل الله تعالى تكذيب فنحاص وتصديق أبي بكر في قوله تعالى :

((لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا : إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ)) (١) .

وأنزل الله تعالى مخاطبا المؤمنين في معرض غضب أبي بكر الصديق رضي الله عنه من فنحاص قوله تعالى :

((وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا . وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ عَزْمِ الأُمُورِ)) (٢) .

وتصاعد حقد اليهود على الاسلام والمسلمين وواجهوا الرسول - صلى الله عليه وسلم - بعبارات الطعن في الاسلام وألفاظ السخرية والاستهزاء ولووا ألسنتهم مع الرسول صلى الله عليه وسلم . قال تعالى :

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَشْتَرُونَ الضَّلَالَةَ وَيُرِيدُونَ أَن تَضِلُّوا السَّبِيلَ * وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكَفَى بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَى بِاللَّهِ نَصِيرًا * مِنَ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ

---

(١) سورة آل عمران - آية : ١٨١ . وانظر : سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٥٨ ، وأسباب النزول للسيوطي ص ٦٢ ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٤٥٥ - ٤٥٦ .

(٢) سورة آل عمران - آية : ١٨٦ .

وَلَكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا)) (١) .

فهذه الآيات تبين موقف اليهود الساخر من النبي صلى الله عليه وسلم اذ كانوا يلوون ألسنتهم بكلمة راعنا لتكون وصفا للنبي صلى الله عليه وسلم بالرعونة ، ويجهرون بعصيانه فيما يأمر به ويدعو اليه ، ويستعملون كلمة عصينا بعد سمعنا بدلا من الجملة العربية المعتادة سمعنا وأطعنا ، أو سمعا وطاعة .(٢)

وقد حذر الله تعالى المؤمنين من موالاة أهل الكتاب من اليهود والنصارى وسائر الكفار الذين اتخذوا الدين هزوا ولعبا ، قال تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوًا وَلَعِبًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَالْكُفَّارَ أَوْلِيَاءَ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ اتَّخَذُوهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ)) (٣) .

٧) الطعن في من أسلم منهم بالتصغير والتنقيص :

ومن ذلك ما رواه ابن اسحاق أنه لما أسلم عبد الله بن سلام ، وثعلبة بن سعية ، وأسيد بن سعية ، وأسد بن عبيد ، ومن أسلم من يهود معهم ، فآمنوا وصدقوا ورغبوا في الاسلام ، ورسخوا فيه ، قالت أحبار يهود - أهل الكفر منهم - : ما آمن بمحمد ولا اتبعه الا شرارنا ، ولو كانوا من أخيارنا ما تركوا دين آبائهم وذهبوا الى غيره ، فأنزل الله في ذلك من قولهم :

---

(١) انظر : أسباب النزول للسيوطي ص ٦٩ - ٧٠ ، والآية : ٤٤ - ٤٦ من سورة النساء .
(٢) انظر : تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ص ٤٧١ .
(٣) سورة المائدة - آية : ٥٧ - ٥٨ .

((ليسوا سواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون)) (١) .

٨) الغـــرور والتبجـــح (٢) :

قال تعالى : ((فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون * وقالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودة قل اتخذتم عند الله عهدا فلن يخلف الله عهده أم تقولون على الله ما لا تعلمون)) (٣) .

فبينت الآيات أن اليهود كانوا يكتبون للناس كتابات من عند أنفسهم من أجل عرض من أعراض الدنيا ليظهروا أمام الآخرين أنهم أصحاب علم فيكسبون ثقتهم والاعتراف بمكانتهم ، كما ادعوا أن المذنب منهم لن يعذب في النار الا أياما قلائل ، ثم يناله عفو الله ومغفرته لما لهم من المكانة الخاصة عند ربهم .

وقد رد الله تعالى عليهم على سبيل التوبيخ والانكار بقوله :

((قل اتخذتم عند الله عهدا)) أى قل لهم يا محمد : هل أعطاكم الله ميثاقا وعهدا بذلك . ((أم تقولون على الله ما لا تعلمون)) أى أم أنكم تكذبون على الله فتجمعون بين التحريف والكذب على الله سبحانه وتعالى .

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٥٧ ، وتفسير الطبرى جـ ٤ ص ٥٢ - ٥٣ . والآية ١١٣ من سورة آل عمران .

(٢) يقال : فلان يتبجح بكذا أى يتعظم ويفتخر .
النهاية لابن الأثير جـ ١ ص ٩٦ .

(٣) سورة البقرة - آية : ٧٩ - ٨٠ .

ومن غرورهم وتهجمهم واستخفافهم بالدعوة الى الاسلام ما جاء في قوله تعالى : ((وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا نُؤْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ)) (١) .

وفي الآية الكريمة تنديد لاذع اذ لو كان ايمانهم بالتوراة صحيحا لما قتلوا أنبياء الله الذين أرسلوا من قبل لارشادهم وهدايتهم .

٩) موقفهم من القبلة :

ثبت في الصحيحين عن البراء رضي الله عنه (أن رسول الله صلى الله عليه وسلم صلى الى بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا . وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت ، وأنه صلى أول صلاة صلاها ، صلاة العصر ، وصلى معه قوم ، فخرج رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم راكعون ، قال : أشهد بالله لقد صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل مكة فداروا كما هم قبل البيت .) .

وهذا لفظ البخاري (٢) . وعند مسلم : عن البراء رضي الله عنه (صلينا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم نحو بيت المقدس ستة عشر شهرا أو سبعة عشر شهرا ، ثم صرفنا الى الكعبة) (٣) .

وعند ما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالاتجاه نحو الكعبة البيت الحرام ثارت ثائرة اليهود ، وعدّوا ذلك رجوعا من النبي صلى الله عليه وسلم

---

(١) سورة البقرة - آية : ٩١ .

(٢) صحيح البخاري جـ ٥ ص ١٥٠ - ١٥١ كتاب التفسير ، سورة البقرة ، باب سيقول السفهاء من الناس .

(٣) صحيح مسلم جـ ١ ص ٣٧٤ كتاب المساجد ومواضع الصلاة ، باب تحويل القبلة من القدس الى الكعبة ، حديث رقم (١٢) .

عن سياسته معهم ، وأشاعوا بأنه رجع الى دين آبائه وأجداده ، ولم يعد ملتزما لنهج أسلافه الأنبياء والمرسلين ، ورأوا أن هذا التغيير دليل على تحول خطير ضدهم ، فجاء نفر منهم : رفاعة بن قيس ، وقردم بن عمرو ، وكعب بن الأشرف ، الى النبي صلى الله عليه وسلم يقولون : يا محمد ، ما ولاك عن قبلتك التي كنت عليها ، وأنت تزعم أنك على ملة ابراهيم ودينه ؟ ارجع الى قبلتك التي كنت عليها نتبعك ونصدقك .(١)

ولكن الأمر لم يتغير وأصبحت مكة قبلة المسلمين يتجهون اليها في صلواتهم . ووصف القرآن الكريم هؤلاء المعترضين على الرسول صلى الله عليه وسلم بالسفهاء ورد على تعنتهم وعدم امتثالهم لأوامر الله بقوله تعالى : ((سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ الَّتِي كَانُوا عَلَيْهَا قُل لِّلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ))(٢) .

وقوله تعالى : ((لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ ...))(٣) .

١٠) اثارة الفتن والأحقاد الدفينة :

ومن مؤامراتهم على الاسلام والمسلمين استغلال الأحقاد الدفينة التي تعتلج في نفوس أهل يثرب من الأوس والخزرج قبل الاسلام ، واثارتها بعد أن دفنت ، ومما يدلنا على ذلك ما رواه ابن اسحاق وهذا ملخصه : (مر شاس بن قيس - وكان يهوديا شديد الطعن على المسلمين - بنفر من

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام ج ١ ص ٥٥٠ .
(٢) سورة البقرة - آية : ١٤٢ .
(٣) سورة البقرة - آية : ١٧٧ .

الأوس والخزرج بعد أن نزع الاسلام ما بينهم من أحقاد وضغائن ، فغاظه ما رأى من ألفتهم وصلاح ذات بينهم ، فجلس اليهم وأخذ يجر هم شيئا فشيئا الى أحداث الماضي المشحون بالعداوة والخصومة ، وأخذ ينشدهم بعض ما قيل في حروبهم من الشعر ، فحرك من وجدانهم وهاج من عصبيتهم ، وما زال بهم حتى تنادوا فيما بينهم : السلاح . السلاح . وكاد يقع الصدام فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج اليهم فيمن معه من أصحابه المهاجرين حتى جاءهم فقال : يا معشر المسلمين ، الله الله ، أبدعوى الجاهلية وأنا بين أظهركم بعد أن هداكم الله للاسلام وأكرمكم به ، وقطع به عنكم أمر الجاهلية ، واستنقذكم به من الكفر ، وألف به بين قلوبكم ، فعرف القوم عندئذ أنها نزعة من الشيطان ، وكيد من عدوهم ، فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا ، ثم انصرفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم سامعين مطيعين ، قد أطفأ الله عنهم كيد عدو الله شاس بن قيس .

فأنزل الله تعالى في شاس بن قيس وما صنع :

((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)) (١) .

(١) دسائسهم بين المسلمين :

قال تعالى : ((أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٥٥ - ٥٥٦ ، وأسباب النزول للسيوطي ص ٥٥ - ٥٦ ، والآية ٩٨ - ٩٩ من سورة آل عمران .

الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ)) (١) .

فقررت الآيات فقدان الأمل بايمانهم بالرسول - صلى الله عليه وسلم - واندماجهم في الصف الاسلامي ، وبيان تدليسهم على المسلمين وتحريفهم لكلام رب العالمين ، واعطاء صورة لتآمرهم على المسلمين بالتواصي فيما بينهم بأن لا يصدر منهم أى اعتراف للمؤمنين بصفة محمد صلى الله عليه وسلم الموجودة في التوراة ، حتى لا تكون لهم حجة عليهم يوم القيامة في ترك اتباع الرسول - صلى الله عليه وسلم - مع العلم بصدقه .

١٢) تآمرهم مع المنافقين :

وورد في القرآن الكريم آيات كثيرة تبين عمق الصلات بين اليهود والمنافقين ، من ذلك قوله تعالى :

((وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ)) (٢) .

فالمراد بـ ((شياطينهم)) اليهود على قول كثير من المفسرين . قال ابن عباس : هم أصحابهم من اليهود الذين يأمرونهم بالتكذيب وخلاف ما جاء به الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) .

وقال تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ)) (٤) .

---

(١) سورة البقرة - آية : ٧٥ - ٧٦ .
(٢) سورة البقرة - آية : ١٤ .
(٣) انظر : تفسير الطبرى جـ ١ ص ١٣٠ ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٥١ .
(٤) سورة المجادلة - آية : ١٤ .

قال ابن كثير : يعني اليهود الذين كان المنافقون يمالئونهم ويوالونهم في الباطن (١) .

وقال تعالى : ((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ)) (٢) .

والمقصود بالذين كفروا من أهل الكتاب هم اليهود ، لأن الآيات السابقة ومعظم سورة الحشر في صدد اجلاء يهود بني النضير عن المدينة وان كان النصارى تبعا لهم في الكفر (٣) .

وبذلك نرى قوة الصلة الوثيقة والتلازم المحكم بين اليهود والمنافقين في تآمرهم على الدعوة الاسلامية ، وأن اليهود كانوا دائما وأبدا وراء كل ما يدبره المنافقون من مكايد ضد الاسلام والمسلمين .

١٣) تآمرهم مع المشركين :

كان انتصار المسلمين في السابع عشر من رمضان في بدر من السنة الثانية للهجرة دليلا على قوة المسلمين ، وضربة قوية لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء عليهم .

وكان هذا الانتصار على الشرك والمشركين جديرا أن يشرح صدر اليهود ويفرحهم لأنهم أهل كتاب منزل كما فرح المسلمون لانتصار الروم على

---

(١) تفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٤٩ ، وانظر : تفسير الطبري جـ ٢٨ ص ٤٢ .

(٢) سورة الحشر - آية : ١١ .

(٣) انظر : تفسير الطبري جـ ٢٨ ص ٤٦ ، وتفسير ابن كثير جـ ٤ ص ٣٦٢ ، وتاريخ بني اسرائيل من أسفارهم ص ٤٩٨ .

الفرس ، لا لشيء الا لأن الروم أهل كتاب سماوى . لكن الذى حصل أن اليهود قابلوا هذا الانتصار بالتهويل والحزن العميق .

يقول كعب بن الأشرف في هذا الصدد : " هؤلاء أشراف العرب وملوك الناس ، والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها " . وخرج الى مكة يحرض على الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وينشد الأشعار ، ويبكي أصحاب القليب من قريش ، الذين أصيبوا ببدر .(١)

ثم رجع الى المدينة فشبب بنساء المسلمين حتى آذاهم .(٢)

الأمر الذى كان لابد من قتل هذا المجرم فقتله المسلمون .(٣)

ثم ماذا بعد توالي الهزائم التي لحقت باليهود على أيدى المسلمين بسبب ما اقترفته أيديهم الآثمة ؟

الذى حدث أن نفرا من اليهود منهم سلام بن أبي الحقيق ، وحيي ابن أخطب ، وكنانة بن أبي الحقيق ، وهوذة بن قيس ، وغيرهم ، خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة ، فدعوهم الى حرب رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقالوا : انا سنكون معكم عليه ، حتى نستأصله ، فقالت لهم قريش : يا معشر يهود ، انكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟

قالوا : بل دينكم خير من دينه ، وأنتم أولى بالحق منه .

فنزل فيهم قوله تعالى :

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٥١ - ٥٢ .

(٢) انظر : المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق جـ ٢ ص ٥٦ .

((أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا نَصِيبًا مِّنَ الْكِتَابِ يُؤْمِنُونَ بِالْجِبْتِ وَالطَّاغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا هَٰؤُلَاءِ أَهْدَىٰ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا سَبِيلًا * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ وَمَن يَلْعَنِ اللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُ نَصِيرًا *)) ... الى قوله تعالى : ((أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكًا عَظِيمًا * فَمِنْهُم مَّنْ آمَنَ بِهِ ، وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُ ، وَكَفَىٰ بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا)) (١) .

فلما قالوا ذلك لقريش ، سرهم ونشطوا لما دعوهم اليه ، من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فاجتمعوا لذلك واتعدوا له . ثم خرج أولئك النفر من يهود ، حتى جاءوا غطفان ، من قيس عيلان ، فدعوهم الى حرب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأخبروهم أنهم سيكونون معهم عليه ، وأن قريشا قد تابعوهم على ذلك فاجتمعوا معهم فيه (٢) .

وهكذا دفع بهم الحقد والحسد والعداء للنبي صلى الله عليه وسلم ودعوته الى عدم التورع في الشهادة الفاجرة بأن الشرك خير من التوحيد ، وأن آلهة المشركين وأصنامهم خير من اله محمد رب العالمين ، وأن ما عليه المشركون من عادات وتقاليد أهدى مما يدعو اليه محمد صلى الله عليه وسلم ، ثم الى عدم التورع في اعلانهم ، وايمانهم بآلهة المشركين وتكريمهم لأصنامهم ، وهكذا ينكرون أساس دينهم الذى هو الايمان بالله وحده ، في سبيل محاربة النبي الداعي الى التوحيد ، والناهي عن الشرك والاثم والفواحش .

---

(١) سورة النساء - آية : ٥١ - ٥٥ ، وانظر : أسباب النزول للسيوطي ص ٧٠ - ٧١ .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢١٤ - ٢١٥ .

وكان من نتيجة رحلة الوفد اليهودي وعقده الحلف مع زعماء المشركين بمكة أن استنفر هؤلاء أهل مكة وأحزابهم وحلفاءهم ، وزحفوا بجيوش جرارة على حرب الرسول صلى الله عليه وسلم ، وهو ما عرف بواقعة الخندق ، وان زلزل هذا الزحف أعصاب المسلمين وأدخل في قلوبهم الرعب (١) .

وبينما كان المسلمون يعانون تلك الساعات الرهيبة ، اذا بحلفائهم يهود بني قريظة يعلنون في خسة ونذالة نقض عهدهم مع المسلمين وانضمامهم الى جيوش الأحزاب الزاحفة على المسلمين ، مما زاد في حرج الموقف وشدة الخطورة .

وقد تحدث القرآن الكريم عن حالة الحرج والتأزم التي أصابت المسلمين أثناء تلك المحنة الرهيبة .
قال تعالى : ((إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا * هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً)) (٢) .

الى غير ذلك من المواقف المخزية التي وقفها اليهود ضد الاسلام والمسلمين ، وشخص الرسول صلى الله عليه وسلم .

ولم يقف كيد اليهود عند هذا الحد فحسب ، بل انتهى بهم المطاف أن يكونوا في الوقت الحاضر هم الذين يقودون المعارك ضد الاسلام والمسلمين في كل بقعة من بقاع الأرض ، وهم الذين يدبرون المؤامرات الشاملة على كل جذر من جذور الدين الاسلامي .

---

(١) انظر : سيرة الرسول لدروزة جـ ٢ ص ١٨٣ - ١٨٤ .
(٢) سورة الأحزاب - آية : ١٠ - ١١ .

المبحث الثاني : موقف النصـــارى :

أما مواقف النصارى تجاه الدعوة الاسلامية فهي متفاوتة ، فمنهـــم المستجيب المقبل أحسن اقبال ، ومنهم المنقبض المتمسك بما هو عليه ، بـــل المعاند الشاق العصا عن سبيل الله ، وهذا التفاوت قد يكون طبيعيـــا ، لأن الذين لقيهم النبي - صلى الله عليه وسلم - من النصارى أو من اتصل بهم في العهد المدني فئات متنوعة متباينة ، فيهم البدو والحضر ، والنســـاك والزهاد ، والمتجردون عن أعراض الدنيا الراغبون في الله وحقائقه ، وفيهـــم الأمراء أصحاب المراكز والجاه والمطامع ، ممن يخضعون على الأكثـــر لمؤثرات الدنيا وأعراضها ، كما أن فيهم عواما سذجا يتبعون رؤساءهـــم ويطيعونهم طاعة عمياء . (١)

ويمكن اجمال مواقفهم من الاسلام فيما يلي :

١ - المواقف الايجابيـــة :

لقد احتوى القرآن الكريم على بعض الآيات التي وصفت النصـــارى بصورة عامة وصفا طيبا ، لاستجابة طائفة منهم الى الدعوة الاسلامية وايمانهم بالنبي - صلى الله عليه وسلم - وما أنزل عليه من الحق . كما ذمت اليهـــود والمشركين على شدة عداوتهم للمؤمنين . جاء ذلك في قوله تعالى :

((لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُـــوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ * وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُـــونَ

---

(١) انظر : سيرة الرسول لمحمد عزة دروزة جـ ٢ ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين * وما لنا لا نؤمن بالله وما جاءنا من الحق ونطمع أن يدخلنا ربنا مع القوم الصالحين * فأثابهم الله بما قالوا جنات تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها وذلك جزاء المحسنين * والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم ..))(١)

ولقد تعددت الروايات في المشهد الذى وصفته الآيات . قال الامام القرطبي في تفسيره : " هذه الآية نزلت في النجاشي وأصحابه لما قدم عليهم المسلمون في الهجرة الأولى - حسب ما هو مشهور في سيرة ابن اسحاق وغيره - خوفا - من المشركين وفتنتهم ، وكانوا ذوى عدد ، ثم هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم الى المدينة بعد ذلك فلم يقدروا على الوصول اليه ، حالت بينهم وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم الحرب ، فلما كانت وقعة بدر وقتل فيها صناديد الكفار ، قال كفار قريش : ان ثأركم بأرض الحبشة ، فاهدوا الى النجاشي وابعثوا اليه رجلين من ذوى رأيكم لعله يعطيكم من عنده فتقتلونهم بمن قتل منكم ببدر ، فبعث كفار قريش عمرو بن العاص ، وعبد الله بن أبي ربيعة بهدايا ، فسمع النبي صلى الله عليه وسلم بذلك ، فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم عمرو بن أمية الضمرى ، وكتب معه الى النجاشي ، فقدم على النجاشي ، فقرأ كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم دعا جعفر بن أبي طالب والمهاجرين ، وأرسل الى الرهبان والقسيسين فجمعهم ، ثم أمر جعفرا أن يقرأ عليهم القرآن ، فقرأ سورة (مريم) فقاموا تفيض أعينهم من الدمع ، فهم الذين أنزل الله فيهم ((ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى)) وقرأ الى الشاهدين

---

(١) سورة المائدة - آية : ٨٢ - ٨٦ .

رواه أبو داود قال : حدثنا محمد بن سلمة المرادى قال : حدثنا ابن وهب قال : أخبرني يونس ، عن ابن شهاب ، عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن الحرث بن هشام ، وعن سعيد بن المسيب ، وعن عروة بن الزبير، أن الهجرة الأولى هجرة المسلمين الى أرض الحبشة ، وساق الحديث بطوله ، وذكر البيهقي عن ابن اسحاق قال : قدم على النبي صلى الله عليه وسلم عشرون رجلا وهو بمكة أو قريب من ذلك ، من النصارى حيث ظهر خبره من الحبشة ، فوجدوه في المسجد فكلموه وسألوه ، ورجال من قريش في أنديتهم حول الكعبة ، فلما فرغوا من مسألتهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عمّا أرادوا دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الله عز وجل ، وتلا عليهم القرآن فلما سمعوه فاضت أعينهم من الدمع ، ثم استجابوا له وآمنوا به وصدقوه ، وعرفوا منه ما كان يوصف لهم في كتابهم من أمره ، فلما قاموا من عنده اعترضهم أبو جهل في نفر من قريش فقالوا : خيبكم الله من ركب . بعثكم من وراءكم من أهل دينكم ترتادون لهم فتأتونهم بخبر الرجل ، فلم تظهر مجالستكم عنده حتى فارقتم دينكم وصدقتموه بما قال لكم ، ما نعلم ركبا أحمق منكم - أو كما قال لهم - فقالوا : سلام عليكم لا نجاهلكم لنا أعمالنا ولكم أعمالكم ، لا نألوا أنفسنا خيرا . فيقال ان النفر النصارى من أهل نجران ، ويقال : ان فيهم نزلت هؤلاء الآيات ((الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ)) الى قوله : ((لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ)) (١) .

---

(١) رواه البيهقي في دلائل النبوة جـ ٢ ص ٧٦ القسم المطبوع ، مطبعة دار النصر للطباعة / القاهرة . ونشر المكتبة السلفية بالمدينة المنورة . والآية ٥٢ - ٥٥ من سورة القصص .

وقيل : ان جعفرا وأصحابه قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا عليهم ثياب الصوف ، فيهم اثنان وستون من الحبشة وثمانية من أهل الشام ، وهم بحيراء الراهب ، وادريس ، وأشرف ، وأبرهة ، وثمامة ، وقثم ، ودريد ، وأيمن ، فقرأ عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم سورة (يس) الى آخرها ، فبكوا حين سمعوا القرآن وآمنوا ، وقالوا : ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى ، فنزلت فيهم ((لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود والذين أشركوا ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى)) يعني وفد النجاشي ، وكانوا أصحاب الصوامع ، وقال سعيد بن جبير : وأنزل الله فيهم أيضا ((الذين آتيناهم الكتاب من قبله هم به يؤمنون)) الى قوله ((أولئك يؤتون أجرهم مرتين)) الى آخر الآية .

وقال مقاتل والكلبي : كانوا أربعين رجلا من أهل نجران من بني الحرث بن كعب ، واثنان وثلاثون من الحبشة ، وثمانية وستون من أهل الشام . وقال قتادة : نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على شريعة من الحق مما جاء به عيسى ، فلما بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم آمنوا به فأثنى الله عليهم " . اهـ .(١)

قال ابن كثير : وقوله ((ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا انا نصارى)) أى الذين زعموا أنهم نصارى من أتباع المسيح ، وعلى منهاج انجيله فيهم مودة للاسلام وأهله في الجملة ، وما ذاك الا لما في قلوبهم

---

(١) تفسير القرطبي جـ ٦ ص ٢٥٥ - ٢٥٧ .

اذ كانوا على دين المسيح من الرقة والرأفة ، كما قال تعالى : ((وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً))(١) وفي كتابهم من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر . . .)(٢) .

فهذه الآيات وصفت هذه الطائفة من النصارى بأنهم اذا سمعوا ما أنزل على الرسول - صلى الله عليه وسلم - من القرآن تفيض أعينهم بالدمع تعبيرا عن التأثر العميق الذى لحق بهم مما عرفوا من الحق لما سمعوا من القرآن الكريم ، وقد عرفوا في كتابهم صفة محمد صلى الله عليه وسلم ، وأنهم يدعون الله أن يجعلهم مع الشاهدين من أمة محمد صلى الله عليه وسلم .

وقد حفظت لنا كتب السيرة القديمة وقائع اسلام فئات عديدة من النصارى في مناسبات مختلفة ، من ذلك :

١) أن النجاشي لما بلغه خبر الرسول - صلى الله عليه وسلم - قال للصحابة المهاجرين الى أرض الحبشة : أشهد أنه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وأنه الذى نجد في الانجيل . وأنه الرسول الذى بشر به عيسى بن مريم ، انزلوا حيث شئتم ، والله لولا ما أنا فيه من الملك لآتيته حتى أكون أنا الذى أحمل نعليه)(٣) .

٢) وأن عامل قيصر الروم على عمان من أرض البلقاء فروة بن عمرو الجذامى أسلم وكتب الى رسول الله صلى الله عليه وسلم باسلامه وأهدى

---

(١) سورة الحديد - آية : ٢٧ .
(٢) تفسير ابن كثير جـ ٢ ص ٩٢ .
(٣) انظر : الأموال لأبي عبيد ص ٣٢ ، والبداية والنهاية لابن كثير جـ ٣ ص ٦٩ ، ودلائل النبوة للبيهقي جـ ٢ ص ٩٨ القسم المطبوع .

له هدية (١) .

٣) وأن الأكيدر ملك دومة الجندل اعتنق الدين الاسلامي بعد كتاب النبي صلى الله عليه وسلم له وكان نصرانيا (٢) .

٤) وأن الأصبغ بن عمرو الكلبي زعيم قبيلة بني كلب في منطقة دومة الجندل أسلم هو وأناس كثيرون من قبيلته على يد عبد الرحمن بن عوف وكانوا نصارى (٣) .

٥) وأن جبلة بن الأيهم ملك غسان أسلم وكتب باسلامه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى له هدية (٤) .

٦) وأن حاجبا روميا اسمه سرى لأبي شمر الغساني استوضح من الرسول صفة النبي ثم أعلن ايمانه وتصديقه (٥) .

٧) وروى ابن هشام خبر اسلام عدى بن حاتم ورافع بن أبي رافع الطائيين وكانا نصرانيين (٦) .

٨) وروى ابن سعد خبر اسلام رفاعة بن زيد الجذامي وكان نصرانيا (٧) .

٩) وروى ابن سعد أيضا خبر اسلام الجارود من بني القيس الذى كان في جملة وفدهم الى النبي صلى الله عليه وسلم وكان نصرانيا (٨) .

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٢٩١ ، والبداية والنهاية جـ ٥ ص ٨٦

(٢) انظر : الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ٢٨٨ دار صادر / بيروت .

(٣) الطبقات لابن سعد جـ ٣ ص ١٢٩ ، والبداية والنهاية جـ ٤ ص ١٧٩ .

(٤) انظر : سيرة الرسول لمحمد عزة دروزة جـ ٢ ص ٢٣١ .

(٥) انظر : سيرة الرسول لمحمد عزة دروزة جـ ٢ ص ٢٣١ .

(٦) انظر : سيرة ابن هشام جـ ٢ ص ٥٨٠ ، وص ٦٢٤ .

(٧) انظر : الطبقات لابن سعد جـ ١ ص ٣٥٤ .

(٨) انظر : المرجع السابق جـ ١ ص ٣١٤ - ٣١٥ .

١٠) وروى البيهقي عن ابن اسحاق أن رسول اللصه صلى الله عليه وسلم بعث حاطب بن أبي بلتعة الى المقوقس صاحب الاسكندرية ، فعضى بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم اليه ، فقبّل الكتاب وأكرم حاطبا وأحسن نزله وسرحه الى النبي صلى الله عليه وسلم وأهدى له مع حاطب كسوة وبغلة يسرجها وجاريتين أحدهما أم ابراهيم رضي الله عنها ، وأما الأخرى فوهبها رسول الله صلى الله عليه وسلم لحسان بن قيس الهمدى .(١)

ولما تم الفتح الاسلامي في زمن الخلفاء الراشدين أقبل النصارى في بلاد الشام والعراق وجزيرة الفرات ومصر وشمال افريقية على اعتناق الاسلام ، فلم يكد يمضي بضعة أجيال حتى صاروا بين أكثريتهم الساحقة .(٢)

وفي قوله تعالى : ((والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب الجحيم)) انذار عظيم للذين كفروا بالنبي صلى الله عليه وسلم وما أنزل عليه من القرآن .

٢ ـ المواقف الحجاجية :

وفي القرآن المدني بعض الفصول والمقاطع التي تدل على أنه كان ينعقد بين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وبعض النصارى مجالس مناظرة وحجاج حول الدعوة الاسلامية وأسسها ، والعقيدة النصرانية في المسيح ـ

---

(١) انظر : دلائل النبوة للبيهقي جـ ٢ ص ١٨ (مخطوطة بالجامعة الاسلامية تحت رقم ٢٥٩٣) ، وانظر : البداية والنهاية لابن كثير جـ ٤ ص ٢٧٢ ، والسيرة النبوية لابن كثير ـ أيضا ـ جـ ٣ ص ٥١٤ .

(٢) انظر : سيرة الرسول لمحمد عزة دروزة جـ ٢ ص ٢٣٥ .

عليه السلام ـ وغلوّ النصارى فيها ، غير أنها قليلة اذا ما قيست بما احتواه القرآن من الفصول الكثيرة الطويلة في مواقف اليهود الحجاجية ، مما يتسق مع ظروف الفريقين في العهد المدني ، من قلة النصارى الذين لقيهم النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ وقلة المستقرين منهم في المدينة ، وما كان يتحلى به النصارى بصورة عامة من دماثة وبعد عن العنف واللجاج ، في حين كان اليهود جالية كبيرة لها مصالح متنوعة ، ولها طابع خاص وجبلة متوارثة في التفكير والحياة والمعيشة والأخلاق .

وأهم هذه المواقف الحجاجية ما كان بين النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ ووفد من نصارى نجران ، وتذكر الروايات التي لا اختلاف في جوهرها أن صدرا من سورة آل عمران الى بضع وثمانين آية منها نزل فيهم .

ويستفاد من هذه الروايات أن هذا الوفد كان مؤلفا من ستين شخصا ، منهم أربعة عشر من أشرافهم ، وثلاثة من كبار رجال دينهم ، فاجتمعوا بالنبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ في مسجده وعليهم ثياب الحبرات ، وجرت بينهم مناظرة كان أهم مواضيعها ولادة عيسى ـ عليه السلام ـ وصلته بالله تعالى ورسالته ، واستشهدوا في جدالهم بما جاء في القرآن من أن عيسى ـ عليه السلام ـ كلمة الله ، وروح منه ، وردّ عليهم الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ بما قرره القرآن الكريم من وحدانية الله تعالى ، وأنه لا يجوز في حقه أبوّة ولا بنوّة ، وأن وحدانيته أمر محكم لا يتحمل أى جدال أو نزاع ، وأن الله وملائكته وأولوا العلم يشهدون على هذا .

وبيّن لهم أن ما جاء في القرآن الكريم من أن عيسى ـ عليه السلام ـ كلمة الله وروحه فانما أريد به المعجزة الربانية التي تمت بولادته بكلمة

كن فكان عيسى بلا أب .

وبيّن لهم أن خلق عيسى - عليه السلام - ليس بأغرب من خلق آدم - عليه السلام - الذى خلقه الله تعالى من غير أم ولا أب .

ولكنهم لم يقتنعوا وأصروا على عنادهم ، وظلوا يدعون أنهم على الحق ، فطلبهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بأمر الله تعالى الى المباهلة ، أى قال لهم : هلموا نجتمع نحن وأنتم ويدعو كل واحد منا ومنكم أبناءه ونساءه ، وندعو الله تعالى أن يلعن الكاذب منا في أمر عيسى . ولكنهم رفضوا ذلك ولم يجيبوا الطلب وواادعوا الرسول صلى الله عليه وسلم وانصرفوا (١) .

وقد أثار المجادلون في هذا المقطع من السورة المذكورة عددا من القضايا المهمة منها : انكارهم لنزول القرآن الكريم وكونه من عند الله تعالى ، وقد ردت عليهم الآيات بأن القرآن الكريم ليس بدعا من الكتب ، وأنه يجب الايمان به مثل الايمان بالكتب السماوية السابقة ، وأن الذين لا يؤمنون به فسيكونون موضع عذاب الله وانتقامه منهم .

قال تعالى : ((الم * اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ * نَزَّلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنْزَلَ التَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ * مِنْ قَبْلُ هُدًى لِلنَّاسِ وَأَنْزَلَ الْفُرْقَانَ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ)) (٢) .

---

(١) انظر : سيرة ابن هشام جـ ١ ص ٥٧٣ وما بعدها ، وتفسير ابن كثير جـ ١ ص ٣٨٣ وما بعدها .

(٢) سورة آل عمران - آية : ١ - ٤ .

ومنها تقرير حقيقة الاسلام ومعناه ، وأنه الدين الحق الذى اختاره الله لعباده ، فيجب اتباعه والانقياد اليه .

جاء ذلك في الآيات التالية : ((إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلاَّ مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْياً بَيْنَهُمْ ، وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * فَإِنْ حَاجُّوكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ اتَّبَعَنِ وَقُل لِّلَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالأُمِّيِّينَ أَأَسْلَمْتُمْ ، فَإِنْ أَسْلَمُوا فَقَدِ اهْتَدَوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ)) (١) .

((أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)) (٢) .

((وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِيناً فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)) (٣) .

كما أثار المجادلون ملة ابراهيم عليه السلام وادعوا أنهم على ملته وقد رد الله عليهم بأن التوراة والانجيل انما أنزلتا من بعده ، وأن ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين . جاء ذلك في الآيات التالية :

((يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تُحَآجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالإِنجِيلُ إِلاَّ مِن بَعْدِهِ أَفَلا تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ هَؤُلاءِ حَاجَجْتُمْ فِيمَا لَكُم بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَآجُّونَ فِيمَا لَيْسَ لَكُم بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ * مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيّاً وَلا نَصْرَانِيّاً وَلَكِن كَانَ حَنِيفاً مُّسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ *

---

(١) سورة آل عمران - آية : ١٩ - ٢٠ .
(٢) سورة آل عمران - آية : ٨٣ .
(٣) سورة آل عمران - آية : ٨٥ .

إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ)) (١) .

والتفت القرآن الكريم الى الأمة الاسلامية فحذرها من موالاة أعدائها وكيدهم الممثل في نواياهم السيئة ، ووسائلهم القذرة ، وأهدافهم الخطرة ، بسبب ما حباها الله به الأمة الاسلامية من شرف رفيع ، وفضل عظيم ، جاء ذلك في مثل الآيات التالية :

((لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ ، وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ)) (٢) .

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ * وَكَيْفَ تَكْفُرُونَ وَأَنتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ ؟ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ * وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا ، وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ)) (٣) .

((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ، وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ، مِّنْهُمُ

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٦٥ - ٦٨ .
(٢) " " - " : ٢٨ .
(٣) " " - " : ١٠٠ - ١٠٣ .

الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ * لَن يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى ، وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ * ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ، ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا وَّكَانُوا يَعْتَدُونَ)) (١) .

((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا ، وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ ، قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ، قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ * هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ ، وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ، وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا : آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ، قُلْ مُوتُوا بِغَيْظِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ، وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا بِهَا ، وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا ، إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)) (٢) .

كما بين تعالى حقيقة القوى وموازينها في هذا الوجود ، وبين ضعف أعداء الأمة الاسلامية ، وهو انهم على الله عز وجل ان لم ينقادوا الى الاسلام ويتبعوا هديه ، جاء ذلك في أمثال هذه الآيات :

((إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُم مِّنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَٰئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ * كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا

---

(١) سورة آل عمران - آية : ١١٠ - ١١٢ .
(٢) " " - " : ١١٨ - ١٢٠ .

بآياتنا فأخذهم الله بذنوبهم والله شديد العقاب * قل للذين كفروا ستغلبون وتحشرون إلى جهنم وبئس المهاد * قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله وأخرى كافرة يرونهم مثليهم رأى العين والله يؤيد بنصره من يشاء إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار)) (١) .

((قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير إنك على كل شيء قدير)) (٢) .

ومن خلال الجدل والمناقشات التي دارت في المقطع الأول من سورة آل عمران ، يتبين لنا الموقف الذى سلكه أهل الكتاب من الاسلام والمسلمين ممثلا في أمثال هذه الآيات :

((هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات ، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله ...)) (٣) .

((ألم تر إلى الذين أوتوا نصيبا من الكتاب يدعون إلى كتاب الله ليحكم بينهم ثم يتولى فريق منهم وهم معرضون * ذلك بأنهم قالوا لن تمسنا النار إلا أياما معدودات وغرهم في دينهم ما كانوا يفترون ...)) (٤) .

---

(١) سورة آل عمران - آية : ١٠ - ١٣ .
(٢) " " - " : ٢٦ .
(٣) " " - " : ٧ .
(٤) " " - " : ٢٣ - ٢٤ .

((وَدَّت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ وَمَا يُضِلُّونَ إِلاَّ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ * يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَلْبِسُونَ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَقَالَت طَّائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ آمِنُوا بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَجْهَ النَّهَارِ وَاكْفُرُوا آخِرَهُ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَلَا تُؤْمِنُوا إِلاَّ لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ ...))(١).

((وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَا يُؤَدِّهِ إِلَيْكَ إِلاَّ مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَائِمًا ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْأُمِّيِّينَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))(٢).

((وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ))(٣).

((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ * قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ آمَنَ تَبْغُونَهَا عِوَجًا وَأَنتُمْ شُهَدَاءُ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ))(٤).

((هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ كُلِّهِ ، وَإِذَا لَقُوكُمْ قَالُوا : آمَنَّا ، وَإِذَا خَلَوْا عَضُّوا عَلَيْكُمُ الْأَنَامِلَ مِنَ الْغَيْظِ ...))(٥).

---

(١) سورة آل عمران - آية : ٦٩ - ٧٣ .
(٢) " " - " : ٧٥ .
(٣) " " - " : ٧٨ .
(٤) " " - " : ٩٨ - ٩٩ .
(٥) " " - " : ١١٩

((إن تمسسكم حسنة تسؤهم وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها)) (١) .

فهذه الآيات تكشف عن حقيقة أهل الكتاب وما يكنونه من حقد وكراهية للأمة الاسلامية ، حيث أصبح من الوضوح أنهم لم يكونوا يحاربونها بالسيف والرمح فحسب ، وانما كانوا يحاربونها في عقيدتها بالدس والتشكيك ونشر الشبهات لزحزحة المؤمنين عن ايمانهم وعقيدتهم ، وعند ذلك يجني هؤلاء الحاقدون حصائد جهودهم من استعمار واستغلال وغيرهما .

٣ ـ الصدام المسلح :

وليس كل من قال : انا نصارى أقرب مودة ورحمة للمؤمنين ، فالتاريخ خير شاهد على ما لقيه المؤمنون من ألوان الجحود والنكران والأذى من هؤلاء الذين قالوا انا نصارى ، وأنهم ما سنحت لهم فرصة من الفرص الا انتهزوها لاستئصال الاسلام والمسلمين .

ونظرا لأنه لم يكن في المدينة وما حولها جاليات نصرانية كبيرة ، كما كان من شأن وكيان اليهود ، فان الاسلام لم يصطدم بهم في بادىء الأمر اصطداما مباشرا ، وكان كثير منهم يأتون النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ يجادلونه ويجادلهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، ومنهم من يقتنع ويعلن اسلامه بمجرد اجتماعه بالنبي صلى الله عليه وسلم أو بسماع خبره .

لكن ذلك لم يبق طويلا بعد أن أخذ الرسول صلى الله عليه وسلم في مراسلة الملوك والأمراء في العالم يدعوهم الى الاسلام ، فأحس النصارى بالخطر على ما ادعوه من ألوهية كاذبة وسلطان يفرض قوته وجبروته على

---

(١) سورة آل عمران ـ آية : ١٢٠ .

الشعوب المغلوبة ، فتحركت الجيوش الضخمة ، والقوى الجبارة للقضاء على الاسلام والمسلمين ، ولكن الله عز وجل يأبى الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون .

فتوجهت الغزوات والسرايا الى شمال الجزيرة العربية لكبح جماح القوى المعتدية ، وبث نور الاسلام في ربوع تلك المناطق .

فكانت غزوة تبوك في السنة التاسعة من الهجرة آخر غزوة غزاها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وفيها انسحب الجيش الرومي لاصابته بالخوف والهلع من قوة المسلمين .

ومن غزوة تبوك الى معركة اليرموك وفتح بلاد الشام وما وراءها لم يخب أوار المعركة الدائرة بين الاسلام ومن زعموا الانتساب الى دين المسيح زورا وبهتانا .

وكانت الحروب الصليبية التي استمرت طوال قرنين من الزمان ضد الاسلام وأهله ، ثم في حرب الابادة التي شنوها على الاسلام والمسلمين في بلاد الأندلس ، وأخيرا في الحملات التنصيرية التي قاموا بها في كثير من بلاد العالم الاسلامي في العصر الحاضر ، مستخدمين في ذلك كل الوسائل المؤدية الى أهدافهم وأغراضهم من تعليم وتطبيب واذاعات وصحف ومجلات ، كلها أدلة ظاهرة على ما يكنه القوم من حقد وكراهية للاسلام وأهله ، والتي قامت على أساس من الجهل المركب والتعصب الأعمى وعدم تفتح عقولهم الى ما جاء به الاسلام من أهداف ومبادىء سامية ، ومن تكريم لعيسى - عليه السلام - ورفع لمقام الأنبياء عليهم السلام ، وما فيه من دعوة صادقة وجدل هادىء يقوم على الحجة والاقناع .

لكن الأمر عند النصارى أكبر من ذلك وأعظم . . كان ملكا وسلطانا وحكما مفروضا على أتباع الملوك والحكام ، ورغبة قوية في صد تيار الاسلام

دون نظر أو رويـة ، الأمر الذى اضطر المسلمون الأوائل الى خوض غمـــار الحروب الدامية ، والمعارك الحامية ، حتى أزاحوا عن طريقهم قـــوى الباطل ، وأسقطوا ملك الظالمين ، فتحررت الشعوب من عبادة العباد الـى عبادة رب العباد ، وذاقت طعم الحرية في ظل حكم الاسلام وعدلـه .

ومّما لا شك فيه أن كلا من اليهود والنصارى متفقون في موقفهـــم العدائي نحو الاسلام والمسلمين ، وما أثبته الواقع التاريخي من عداوة كـــلا الفريقين للأمة الاسلامية خلال أربعة عشر قرنا خلت ، قرره العليم الخبـــير في قوله تعـــالى : ((وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ ، وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْـــدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ)) (١) .

وقوله تعالى : ((يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُـــودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ ، وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُـــمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)) (٢) .

وقوله تعالى : ((قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَـــتَّىٰ تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ ، وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُـــم مَّا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا ، فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)) (٣) .

وقوله تعالى : ((يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ)) (٤) .

* * * * * * *

---

(١) سـورة البقـرة ـ آيـة : ١٢٠ .
(٢) سـورة المائـدة ـ آيـة : ٥١ .
(٣) سـورة المائـدة ـ آيـة : ٦٨ .
(٤) سـورة التوبـة ـ آيـة : ٣٢ .

الخاتمة

الخاتمـــــة

وفي نهاية هذا البحث أقدم للقارىء الكريم لمحة موجزة لأهـــم النتائج التي توصلت اليها فيما يأتي :

١ - ان التوراة والانجيل اللذين أنزلهما الله تعالى على رسوليه موســى وعيسى - عليهما السلام - كانا في الأصل كتابين سماويين فيهمـــا الهداية والنور لبني اسرائيل ، وفيهما البشارة بالرسول النبي الأمي محمـــد صلى الله عليه وسلم ، وبعثه بشريعة جديدة تحمل الخير والسماحة والمعروف ، وتحل الطيبات وتحرم الخبائث وتضع عن الناس اصرهم والأغلال التي كانـــت عليهم ، الا أنهما لم يبقيا على أصالتهما ، بل أصابهما التحريف والتبديل والنسيان والاخفاء .

فالتوراة الحالية قد دونت بأقلام اليهود على مدى يربو على تسعـة قرون من الزمان ، وبلغات مختلفـة ، واعتمادا على التناقل الشفوى ، وتمثلت فيها عقائد وشرائع مختلفة ، تعكس أفكار وأخلاق اليهود في مختلـف أدوار تاريخهم الطويل . أما التوراة التي أنزلت على موسى - عليه السلام - فانهـا قد ضاعت وفقدت أثناء المحن والأعاصير التي مرت على اليهود ، ولم يبق منها سوى فقرات قليلة كالوصايا العشر وبعض البشارات بالرسول محمد صلى اللـــه عليه وسلم ، وليس يوجد أى دليل على أن التوراة الحالية هي التوراة الـــتي أنزلت على موسى عليه السلام .

أما الأناجيل الموجودة حاليا فهي الأخرى لم تدون الا بعد رفـــع المسيح - عليه السلام - بمدة طويلة ، وفي وقت اشتد فيه الاضطهـــاد الروماني واليهودى على النصارى والنصرانية ، وتنسب الى أشخاص ليـــس

من بينهم عيسى - عليه السلام - وما يوجد بها من اختلاف وتناقض خير شاهد على ما بها من تحريف وزيف . والى جانب ذلك فانه لا يوجد أى سند لكتاب من كتب العهد القديم أو الجديد ، مما يدل على زيفها وبطلانها وعدم قدسيتها .

٢ - انه لا يوجد على ظهر الأرض كتاب تصح نسبته الى الله تعالى غير القرآن الكريم ، فهو كتاب الله الخالد الذى أنزله على خير خلقه وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم ، وجعله خاتما للكتب السماوية وتكفل بحفظه ورعايته من كل تحريف وتبديل ((إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ (١))) ، وقد تم تدوينه بمجرد نزوله من عند الله تعالى وسيظل - باذن الله تعالى - محفوظا في الصدور والسطور معا ، وتتلقاه الأمة جيلا بعد جيل غضا طريا لم يشب الى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

٣ - أثبت القرآن الكريم والسنة النبوية واجماع المسلمين بأن الدعوة الاسلامية دعوة عالمية ، وثروة مشتركة لجميع الأمم والأجناس في مختلف الأزمنة والأمكنة الى قيام الساعة ، وليست هي دعوة خاصة بالعرب كما يزعم أهل البغي والعدوان من أعداء الاسلام الذين ليس لهم فيما يدعون أى دليل أو مستند سوى الباطل وتضليل الناس .

٤ - أقام القرآن الكريم - لأهل الكتاب وغيرهم - كثيرا من الأدلة القوية التي تدل على صدق النبي صلى الله عليه وسلم ، وتحثهم على اتباعه ، ومن أهم ذلك :

---

(١) سورة الحجر - آية : ٩ .

أ ـ الزام أهل الكتاب بثبوت ما يعلمونه في كتبهم من صفة الرسول ـ صلى الله عليه وسلم وحقيقة أمره .

ب ـ الزام اليهود بما كانوا يستفتحون على العرب بالرسول صلى الله عليه وسلم ، ويتوعدونهم بتقارب زمان خروجه .

جـ ـ ان عيسى بن مريم وهو آخر أنبياء بني اسرائيل قد بشر بالرسول صلى الله عليه وسلم ودعا أتباعه الى الايمان به اذا بعث .

د ـ اقامة الحجة على أهل الكتاب بأن القرآن الكريم مصدق لما في كتبهم من صحة ، ومهيمن عليها ، وينفي ما وقع فيها من تحريف وتبديل ، ويظهر ما أخفاه منها أحبارهم ورهبانهم ، ويبين أن ما وافقه منها فهو حق وما خالفه منها فهو باطل .

هـ ـ الزامهم بالحجة عن طريق الاستشهاد بما أنزل اليهم ، وذلك بثبوت صفات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وما أنزل عليه من القرآن في التوراة والانجيل ، وقد صدق ذلك علماؤهم الذين أسلموا وبيّنوا أنهم يعرفون صفات الرسول صلى الله عليه وسلم كما يعرفون أبناءهم .

و ـ اثبات وجود صفات الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ في كتبهم الحالية على رغم دخول التحريف والتبديل عليها .

ه ـ اشتمل القرآن الكريم على كثير من الأساليب الصريحة التي تدعو أهل الكتاب الى الاسلام وتلزمهم بالانضواء تحت لوائه ، من أهمها ما يلي :

أ ـ موافقة دعوة الرسول صلى الله عليه وسلم لما دعا اليه سائر الأنبياء السابقين في الأصول والمبادىء والأهداف العامة .

ب ـ دعوة القرآن الكريم الى اتباع ملة أبي الأنبياء ابراهيم عليه السلام وهو الذى قد وصّى بنيه بأن لا يموتوا الا على ملة الاسلام ، كما

وصّى يعقوب بن اسحاق بن ابراهيم عليه السلام أبناءه بأن لا يموتوا الا على تلك الملة ، ملة الاسلام لله .

جـ - دعوة القرآن الكريم الى الايمان بجميع كتب الله ورسله ، وبما أن المسلمين يؤمنون بذلك كله ، فانه يلزم أهل الكتاب الايمان بجميع كتب الله ورسله ، ومن ضمن أولئك الرسل آخرهم محمد صلى الله عليه وسلم ، والايمان بالكتاب الذى أنزل عليه .

د - استعمل القرآن الكريم مع أهل الكتاب كثيرا من أساليب اللين والترغيب في الدعوة الى الاسلام ، وافراد الله وحده بالعبادة دون سواه ، ليقف جميع الناس أمام خالقهم على حد سواء . ودعاهم بالحسنى ، وذكرهم بنعم الله التي لا تعد ولا تحصى ، ودعاهم الى المباهلة ، وقد رفضوها لعلمهم بسوء العاقبة .

كما استعمل معهم القرآن الكريم أسلوب التأنيب والتنديد والتوبيخ على كفرهم وعنادهم وعدم ارعوائهم عن غيهم ، فأسلوب التهديد والانذار بالعقوبة العاجلة والآجلة اذا لم ينقادوا الى نور الاسلام وهديه .

هـ - كشف القرآن الكريم بأن عدم اسلام أهل الكتاب لم يكن عن جهل أو خفاء في الدين ، وانما كان بسبب البغي والحسد والعدوان من أجل أن بعث محمد صلى الله عليه وسلم من العرب ، ولم يبعث من بني اسرائيل .

٦ - بيان أن أهل الكتاب قد نالوا بسماحة الاسلام حظا وافرا من العدل والوفاء والرعاية التامة . وفيما يلي أهم ما حظوا به :

أ - وصفهم القرآن الكريم (بأهل الكتاب) وقد تضمن ذلك اعطاءهم مزية على غيرهم من عباد الأوثان والنيران وغيرهم .

ب - عدم مجادلتهم الا بالتي هي أحسن الا الذين ظلموا منهم .

جـ - اعطاؤهم حقوقهم كاملة حتى في استثناء الفئة القليلة الصالحة من الرذائل الكثيرة التي اتصفت بها غالبيتهم الكافرة .

د - اباحة طعامهم والتزوج بنسائهم ، والتعامل معهم بمقتضى قاعدة (لهم ما لنا ، وعليهم ما علينا) وذلك اذا رغبوا أن يعيشوا في ظل الدولة الاسلامية ، وحمايتها ، والتزموا معها طريقة المسالمة .

هـ - قبول الجزية منهم من أجل حمايتهم في ظل الدولة الاسلامية ، اذا رغبوا في البقاء على دينهم ، وقد راعى المسلمون في أخذها منهم أحوال الناس ، فأخذوا القليل من المستطيع وتركوا غير المستطيع .

و - عقدهم بعقد المعاهدات الأمنية التي تقوم على الحرية الدينية والتعاون المشترك بينهم وبين المسلمين .

كل هذه السماحة والرعاية من أجل تأليف قلوبهم واعطائهم فرصة لدراسة الاسلام والوقوف عن كثب على معرفة أهم مبادئه ونبله ، وليدخلوا فيه عن قناعة تامة ورغبة صادقة .

وقد ظهر أثر هذه السماحة في البلاد التي فتحها المسلمون حيث عبر أهلها عن عظيم فرحهم وسرورهم بما وجدوا في الاسلام من كامل العدل والحرية الدينية بعد أن عاشوا قرونا تحت ظلم حكامهم السابقين .

٧ - ان هذه الدعوة الحكيمة التي أقامت أسسها على الحجج الواضحة والبراهين القاطعة ، لم تقابل من جانب اليهود بالقبول والرضا ، وانما قابلوها بأنواع الكيد والمكر ، والجحود والحجاج ، والمكابرة

والعناد ، والتعنت والاحراج ، والسخرية والاستهزاء ، ونقض العهود وخلف الوعود ، واثارة الفتن والأحقاد ، والتآمر ضد الاسلام والمسلمين بشتى الوسائل والأساليب في كل زمان ومكان ، عدا فئات قليلة استجابت للحق الأبلج الذى تعرفه .

أما النصارى فان مواقفهم قد تنوعت تجاه الدعوة الاسلامية ، فمنهم من آمن بالرسول صلى الله عليه وسلم بمجرد التقائه به أو سماع خبره ، ومنهم من بقي على ما هو عليه دون أن يصدر عنه ما يفيد المعارضة ، بل ان بعضهم أثنى على الرسول صلى الله عليه وسلم وما جاء به وأرسل اليه بعض الهدايا .

ومنهم من يحاج ويجادل ويصد عن سبيل الله ، بل عمد هذا الفريق الى انتضاء الحسام وخوض المعارك الدامية ضد الاسلام والمسلمين ، وأخيرا أخذ النصارى يقومون بحملات تنصيرية واسعة في كثير من بلاد العالم الاسلامي مستعملين كل الوسائل والأساليب المؤدية الى أغراضهم وأهدافهم .

لذلك فاني أنصح دعاة المسلمين ببذل مزيد من الجهد في الدعوة الى الله تعالى ونشرها في جميع بلاد العالم ، وافهام الناس بأن الاسلام هو دين الله الحق الذى لا يقبل من أحد أى دين غيره ، ويشرحوا لهم محاسن الاسلام ومزاياه العظيمة ، جاعلين مناهجهم ووسائلهم وأساليبهم مستمدة من كتاب الله تعالى وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، اذ هما المصدران الأساسيان لكل دعوة صحيحة ، وليعلموا علم اليقين أن أى دعوة تقوم بدون هذين المصدرين فان مصيرها الفشل والانهيار .

وأخيرا : أرجو أن أكون قد وفقت فيما قدمت من جهد في هذا الموضوع .

وأسأل الله عز وجل أن يجعلني من الدعاة الى الاسلام على بصيرة ، وأن يوفقني لخدمة كتابه الكريم ، وسنة نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وأسأله تعالى أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم ، انه جواد كريم وصلى الله على نبينا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين .

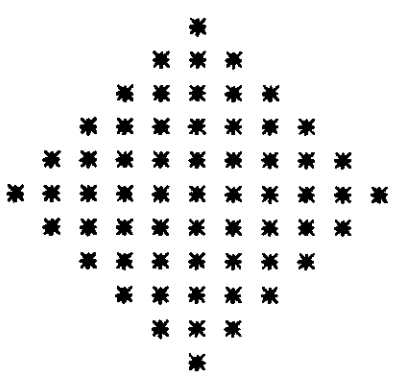

ثبت المصادر

ثبت المراجـــــع

(أ)

١ القـــرآن الكريـــم .

٢ الاتقان في علوم القرآن : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكـــر السيوطي (ت ٩١١ هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحـلبي وأولاده بمصر ، الطبعة الرابعة ١٣٩٨ هـ .

٣ الأجوبة الفاخرة عن الأسئلة الفاجرة : لشهاب الدين أحمد بن ادريس المالكي المعروف بالقرافي ، مطبوع بهامش كتاب الفارق بين المخـلوق والخالق لعبد الرحمن بك باجة جي زادة ، مطبعة التقدم بمصـــر سنة ١٣٢٢ هـ الطبعة الأولى .

٤ أحكام أهل الذمة : للامام العلامة شمس الدين محمد بن أبي بكـــر ابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تحقيق الدكتور صبحي الصالـــح ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ دار العلم للملايين / بيروت .

٥ أحكام الذميين والمستأمنيين في دار الاسلام : للدكتور عبد الكريـم زيدان ، نشر مؤسسة الرسالة / بيروت ، ومكتبة القدس ببغداد ١٤٠٢هـ

٦ أحكام القرآن : للامام أبي بكر أحمد بن علي الرازي الجصاص (ت ٣٧٠هـ) الطبعة الثانية ، نشر دار المصحف / القاهرة . تحقيق محمـــد الصادق قمحاوي .

٧ أدلة اليقين في الرد على كتاب ميزان الحق وغيره من مطاعن المشريـن والمسيحيين في الاسلام : لعبد الرحمن الجزيري ، مطبعة الارشـاد الطبعة الأولى سنة ١٣٥٣ هـ / القاهرة .

٨ الأديان في القرآن للدكتور محمود الشريف ، دار عكاظ للطباعة والنشر ١٣٩٩ هـ الطبعة الثالثة / جدة .

٩ الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة : للشيخ عبد القادر شيبة الحمد مطابع شركة المدينة للطباعة والنشر / جدة .

١٠ الاستخراج لأحكام الخراج للامام الحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الحنبلي (ت ٧٩٥ هـ) دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت .

١١ اسرائيل حرفت الأناجيل والأسفار المقدسة : لأحمد عبد الوهاب نشر مكتبة وهبة بمصر سنة ١٩٧٢ م .

١٢ الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للاسلام : للدكتور علي عبد الواحد وافي ، دار نهضة مصر للطبع والنشر / القاهرة .

١٣ الاسلام : لسعيد حوى ، دار الكتب العلمية / بيروت ، الطبعة الثانية سنة ١٣٩٩ هـ .

١٤ الاصابة في تمييز الصحابة : لشهاب الدين أبي الفضل أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) الطبعة الأولى سنة ١٣٢٨ هـ ، دار صادر / بيروت . تحقيق علي محمد البجاوى .

١٥ أصول الدعوة : لعبد الكريم زيدان ، جمعية الأماني ببغداد الطبعة الثالثة سنة ١٣٩٦ هـ .

١٦ أضواء البيان في ايضاح القرآن بالقرآن : للشيخ محمد الأمين الشنقيطي (ت ١٣٩٣ هـ) مطبعة المدني سنة ١٣٨٦ هـ / القاهرة .

١٧ اظهار الحق : للشيخ رحمة الله خليل الهندى (ت ١٣٨٦هـ) ، دار التراث العربي للطباعة والنشر / بمصر .

١٨ اعجاز القرآن : لأبي بكر محمد الطيب الباقلاني (ت ٤٠٣ هـ) دار المعارف بمصر ، الطبعة الثالثة .

١٩ اعجاز القرآن والبلاغة النبوية : لمصطفى صادق الرافعي ، دار الكتاب العربي / بيروت ، الطبعة التاسعة ١٣٩٣ هـ .

٢٠ اعلام النبوة : لأبي الحسن علي بن محمد الماوردى الشافعي (ت ٤٥٠ هـ) دار الكتب العلمية ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ بيروت .

٢١ الأموال لأبي عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) الطبعة الثانية سنة ١٣٩٥ هـ ، مكتبة الكليات الأزهرية ، ودار الفكر / القاهرة . تحقيق محمد خليل هراس .

٢٢ انجيل برنابا : مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالقاهرة سنة ١٣٧٣هـ .

======(ب)======

٢٣ بحوث في تاريخ السنة المشرفة : للدكتور أكرم ضياء العمرى ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٥ هـ .

٢٤ بدائع الصنائع : لعلاء الدين أبي بكر بن مسعود الكاساني الحنفي (ت ٥٨٧ هـ) مطبعة الامام يوسف / مصر . تحقيق زكريا علي .

٢٥ بدائع المنن في جمع وترتيب مسند الشافعي والسنن : الطبعة الأولى سنة ١٣٦٩ هـ ، دار الأنوار للطباعة والنشر / مصر .

٢٦ بداية المجتهد ونهاية المقتصد : لمحمد بن أحمد بن محمد بن أحمد ابن رشد القرطبي الأندلسي (ت ٥٩٥ هـ) الطبعة الثالثة سنة ١٣٧٩ هـ شركة البابي الحلبي وأولاده بمصر .

٢٧ البداية والنهاية : لأبي الفداء الحافظ عماد الدين بن كثير الدمشقي (ت ٧٧٤ هـ) مكتبة المعارف / بيروت .

٢٨ البرهان في علوم القرآن : للامام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤ هـ) الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ ، دار المعرفة / بيروت ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

٢٩ البرهان من علوم القرآن : لمحمد أحمد مهدى ، منشورات أحمد بيرون سنة ١٣٨٥ هـ .

٣٠ بنو اسرائيل في القرآن والسنة : للدكتور محمد سيد طنطاوى ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ دار مكتبة الأندلس ، بنغازى بليبيا .

٣١ بين الاسلام والمسيحية : لأبي عبيدة الخزرجي (ت ٥٨٢ هـ) الطبعة الثانية ، مطبعة المدني بالقاهرة ، تحقيق الدكتور محمد شامة .

== ==== (ت) ======

٣٢ تاج العروس من جواهر القاموس لمحب الدين أبي الفيض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطي الزبيدى المتوفى سنة ١٢٠٥ هـ الطبعة الأولى سنة ١٣٠٦ هـ المطبعة الخيرية .

٣٣ تاريخ ابن خلدون (كتاب العبر ودبوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر) : لعبد الرحمن بن خلدون المغربي ، نشر مكتبة المدرسة ، ودار الكتاب اللبناني / بيروت .

٣٤ تاريخ الاسلام السياسي : للدكتور حسن ابراهيم حسن ، الطبعة التاسعة ١٩٧٩ م ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة .

٣٥ تاريخ بني اسرائيل من أسفارهم : لمحمد عزة دروزة ، المكتبة العصرية بيروت .

٣٦ تاريخ الرسل والملوك : لأبي جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠هـ) الطبعة الثانية دار المعارف / بمصر ، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم .

٣٧ تاريخ العرب قبل الاسلام : للدكتور جواد علي ، مطبعة المجمع العلمي العراقي سنة ١٣٧٥ هـ .

٣٨ تاريخ اليعقوبي : لأحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح الكاتب العباسي المعروف باليعقوبي (ت ٢٨٤ هـ) دار صادر بيروت ١٣٧٩ هـ .

٣٩ تهويب آى القرآن من الناحية الموضوعية : للدكتور أحمد ابراهيم مهنا دار الشعب / القاهرة .

٤٠ التبيان في علوم القرآن : لمحمد علي الصابوني ، مكتبة الغزالي دمشق ، ومؤسسة مناهل العرفان / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .

٤١ تبيين الحقائق شرح كنز الدقائق : للعلامة فخر الدين عثمان بن علي الزيلعي الحنفي ، دار المعرفة / بيروت .

٤٢ تذكرة الدعاة : للبهي الخولي ، مكتبة الفلاح / الكويت ، الطبعة السادسة ١٣٩٩ هـ .

٤٣ الترتيب والبيان عن تفصيل آى القرآن : لمحمد زكي صالح ، دار المكتبة العلمية / بغداد ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

٤٤ تفسير أبي السعود المسمى ارشاد العقل السليم الى مزايا القرآن الكريم : لقاضي القضاة أبي السعود محمد بن محمد العمادى (ت ٩٥١ هـ) دار احياء التراث العربي / بيروت .

٤٥ تفسير الجلالين (تفسير الامامين الجليلين : جلال الدين المحلى ، وجلال الدين السيوطي) المكتبة الشعبية / بيروت .

٤٦ تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل : لمحمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) دار الفكر / بيروت .

٤٧ تفسير القرآن الجليل المسمى لباب التأويل في معاني التنزيل للعلامة علاء الدين علي بن محمد المعروف بالخازن ، دار المعرفة بيروت .

٤٨ تفسير القرآن الحكيم الشهير بتفسير المنار : لمحمد رشيد رضا ، دار المعرفة / بيروت . الطبعة الثانية ١٣٩٣ هـ .

٤٩ تفسير القرآن العظيم للامام الحافظ عماد الدين أبي الفداء بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) مطبعة الفجالة الجديدة / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٨٤ هـ نشر مكتبة النهضة الحديثة .

٥٠ التفسير الكبير : للامام محمد الرازى فخر الدين بن العلامة ضياء الدين (ت ٦٠٦ هـ) دار الكتب العلمية / طهران ، تصوير عن الطبعة البهية المصرية .

٥١ التفسير الكبير المسمى بالبحر المحيط لأثير الدين أبي عبد الله محمد يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بأبي حيان (ت ٧٥٤ هـ) مكتبة ومطابع النصر الحديثة / الرياض .

٥٢ تفسير الكشاف لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى (ت ٥٣٨ هـ) دار المعرفة / بيروت .

٥٣ تقريب التهذيب : لأحمد بن علي بن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) دار نشر الكتب الاسلامية / كوجرا نواله - باكستان .

٥٤ التلمود : تاريخه وتعاليمه ، لظفر الاسلام خان ، دار النفائس بيروت .

٥٥ تهذيب سيرة ابن هشام : لعبد السلام هارون ، دار الفكر للطباعة والنشر .

٥٦ تهذيب اللغة : لأبي منصور محمد بن أحمد الأزهرى (ت ١٣٧٠ هـ) الدار المصرية للتأليف والترجمة / مصر .

٥٧ التوراة : العقل ، العلم ، التاريخ : للدكتور بدران محمد بدران توزيع دار الأنصار / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٣٩٩ هـ .

======(ج)======

٥٨ جامع الأصول في أحاديث الرسول : للامام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن الأثير الجزرى (ت ٦٠٦ هـ) نشر مكتبة الحلواني ومطبعة الملاح ومكتبة دار البيان ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط . توزيع رئاسة ادارات البحوث العلمية والافتاء والدعوة والارشاد بالسعودية .

====== (خ) ======

٦٨ الخصائص الكبرى للسيوطي : الحافظ جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار الكتب الحديثة بمصر ، تحقيق محمد خليل هراس .

====== (د) ======

٦٩ دائرة معارف القرن العشرين : لمحمد فريد وجدى ، دار المعرفة الطبعة الثالثة ١٩٧١ م .

٧٠ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة : لموريس بوكاى دار المعارف بمصر .

٧١ الدستور القرآني والسنة النبوية في شئون الحياة : لمحمد عزة دروزة ، نشر المكتب الاسلامي ١٤٠١ هـ / بيروت ، ودمشق .

٧٢ الدعوة الى الاسلام : لسير توماس . و . أرنولد ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة ، ترجمة الدكتور حسن ابراهيم ، والدكتور عبد المجيد عابدين ، واسماعيل النحراوى ، الطبعة الثالثة ١٩٧٠ م .

٧٣ الدعوة الى الأسلام : لأبي بكر زكرى ، مكتبة دار العروبة / القاهرة .

٧٤ الدعوة في عصر النبوة : للدكتور أحمد أحمد غلوش ، مطبعة المدني الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

٧٥ دلائل النبوة : لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ) طبع في سنة ١٣٩٧ هـ دون ذكر اسم المطبعة أو الناشر .

٧٦ دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة : للحافظ أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) القسم الأول ، طبع بمطبعة دار النصر للطباعة / القاهرة ، ونشرته المكتبة السلفية بالمدينة المنورة ١٣٨٩ هـ ، تحقيق عبد الرحمن محمد عثمان ، والقسم الثاني مخطوط بالجامعة الاسلامية تحت رقم (٢٥٩٣) .

======(ذ)======

٧٧ ذيل الفارق : لعبد الرحمن بك باجة جي زادة ، طبع مع الفـــارق سنة ١٣٢٢ هـ بمطبعة التقدم / بمصـــر .

======(ر)======

٧٨ الرسول صلى الله عليه وسلم : لسعيد حوى ، الشركة المتحـــدة للتوزيع / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٩٤ هـ .

٧٩ روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني : لشهاب الدين السيد محمود الألوسي البغدادى (ت ١٢٧٠ هـ) نشر ادارة الطباعة المنيرية ، ودار احياء التراث العربي / بيروت .

٨٠ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية : لابن هشام / للامام المحدث عبد الرحمن ابن عبد الله بن أحمد الخثعمي السهيلي (ت ٥٨١ هـ) نشـر دار الكتب الحديثة / القاهرة ١٣٨٧ هـ .

======(ز)======

٨١ زاد المعاد في هدى خير العباد : للامام شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أبي بكر المعروف بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) شركـــة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده / بمصـــر .

======(س)======

٨٢ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي : لعبد الملك بـــن حسين بن عبد الملك العصامي المكي (ت ١١١١ هـ) المطبعـــة السلفية ومكتبتها / القاهرة ١٣٧٩ هـ .

٨٣ سنن ابن ماجه : للحافظ أبي عبد الله بن يزيد القزويني (ت ٢٧٥هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه بمصر ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٨٤ سنن أبي داود : للامام الحافظ أبي داود سليمان بن الأشعـــث السجستاني الأزدى (ت ٢٧٥ هـ) دار احياء السنة النبويـــة ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

٨٥ السنن الكبرى للبيهقي : الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) دار الفكر .

٨٦ السياسة الشرعية في اصلاح الراعي والرعية : لشيخ الاسلام تقي الدين أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية النمرى الحراني (ت ٧٢٨ هـ) دار الشعب / القاهرة .

٨٧ سيرة الرسول صلى الله عليه وسلم : لمحمد عزة دروزة ، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه / بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٨٤ هـ .

٨٨ السيرة النبوية لابن هشام : أبي محمد عبد الملك بن هشام (ت ٢١٨ هـ) دار الكنوز الأدبية ، تحقيق مصطفى السقا ، وابراهيم الابياري ، وعبد الحفيظ شلبي .

٨٩ السيرة النبوية : لأبي الفداء اسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤ هـ) ، دار المعرفة للطباعة والنشر / بيروت ، تحقيق مصطفى عبد الواحد .

====== (ش) ======

٩٠ شرح العقيدة الطحاوية للامام علي بن محمد بن أبي العز الحنفي (ت ٣٢١ هـ) المكتب الاسلامي / دمشق ، بيروت ، الطبعة الرابعة سنة ١٣٩١ هـ .

٩١ شرح النووى لصحيح مسلم : للامام الحافظ محي الدين أبي زكريا يحي ابن شرف بن مرى الحزامي الشافعي النووى (ت ٦٧٦ هـ) دار الفكر بيروت .

======= (ص) =======

٩٢ صحيح البخارى : للامام محمد بن اسماعيل بن ابراهيم بن المغيرة بن بردزبه البخارى (ت ٢٥٦ هـ) ، المكتبة الاسلامية / استانبول ، تركيا ، توزيع مكتبة العلم بالسعودية / جدة .

٩٣ صحيح مسلم : للإمام الحافظ أبي الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت ٢٦١ هـ) دار احياء التراث العربي / بيروت ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .

٩٤ صفوة التفاسير : لمحمد علي الصابوني ، دار القرآن / بيروت ، الطبعة الثانية ١٤٠١ هـ .

======(ط)======

٩٥ الطبقات الكبرى لابن سعد : محمد بن سعد بن منيع البصري الزهري المكنى بأبي عبد الله (ت ٢٣٠ هـ) دار صادر / بيروت .

٩٦ طريق الدعوة في ظلال القرآن : لأحمد فائز ، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠١ هـ .

======(ع)======

٩٧ عالمية الدعوة الاسلامية : للدكتور علي عبد الحليم محمود ، دار عكاظ للطباعة والنشر / جدة ، الرياض ، الطبعة الثانية ١٣٩٩ هـ .

٩٨ عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير : لفتح الدين أبي الفتح محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن سيد الناس (ت ٧٣٤ هـ) دار المعرفة / بيروت .

======(غ)======

٩٩ غزوة بني قريظة : لمحمد أحمد باشميل ، دار الفكر / بيروت الطبعة الثانية ١٣٩١ هـ .

======(ف)======

١٠٠ الفارق بين المخلوق والخالق : لعبد الرحمن بك باجة جي زادة ، مطبعة التقدم بمصر سنة ١٣٢٢ هـ .

١٠١ الفتاوى الهندية : تأليف جماعة من علماء الهند الأعلام في القرن الحادي عشر للهجرة ، وكان رئيسهم الشيخ نظام ، طبع بمحروسة مصر المحمية .

١٠٢ فتح الباري شرح صحيح الامام البخاري : للامام الحافظ أحمد بن علي ابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ) طبع المكتبة السلفية ، تحقيق الشيخ عبد العزيز بن باز ، ومحمد فؤاد عبد الباقي ، ومحب الدين الخطيب .

١٠٣ فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : لمحمد ابن علي الشوكاني ، الناشر محفوظ العلمي / بيروت .

١٠٤ فتوح البلدان :لأبي الحسن أحمد بن يحي بن جابر المعروف بالبلاذري (ت ٢٧٩ هـ) مكتبة النهضة المصرية ، تحقيق صلاح الدين المنجد .

١٠٥ الفتوحات الالهية بتوضيح تفسير الجلالين : لسليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل (ت ١٢٠٤ هـ) مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه / بمصر .

١٠٦ الفصل في الملل والأهواء والنحل : لأبي محمد بن علي بن أحمد بن حزم الظاهري (ت ٤٥٦ هـ) دار المعرفة / بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٥ هـ .

١٠٧ فقه السنة : للسيد سابق ، دار الكتاب العربي / بيروت .

١٠٨ فقه السيرة : لمحمد الغزالي، دار الكتب الحديثة بمصر، الطبعة السابعة ١٩٧٦ م .

١٠٩ في ظلال القرآن : لسيد قطب ، احياء التراث العربي / بيروت ، الطبعة السابعة ١٣٩١ هـ .

======= (ق) =======

١١٠ القاموس المحيط : لمجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (ت٨١٧هـ) مؤسسة الحلبي وشركاه / القاهرة .

١١١ القرآن والمبشرون : لمحمد عزة دروزة ، المكتب الاسلامي / دمشق بيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٢ هـ .

١١٢ قصص الأنبياء : لعبد الوهاب النجار ، مؤسسة الحلبي وشركاه / القاهرة ١٣٨٦ هـ .

١١٣ قصة الحضارة : لول ديورانت ، نشر الادارة الثقافية في جامعة الدول العربية ، مطابع الدجوى / القاهرة ، ترجمة محمد بدران .

======(ك)======

١١٤ الكامل في التاريخ : للعلامة عز الدين أبي الحسن علي بن محمد ابن عبد الكريم المعروف بابن الأثير الشيباني (ت ٦٣٠ هـ) ، دار صادر / بيروت ١٣٨٦ هـ .

١١٥ كتاب التسهيل لعلوم التنزيل : للامام الحافظ أبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى الكلبي الغرناطي (ت ٧٤١ هـ) دار الكتب الحديثة القاهرة ، تحقيق محمد عبد المنعم اليونسي . وابراهيم عطوة عوض .

١١٦ كتاب الخراج : للقاضي أبي يوسف يعقوب بن ابراهيم صاحب أبي حنيفة (ت ١٨٢ هـ) دار المعرفة / بيروت ١٣٩٩ هـ .

١١٧ كتاب الخراج : ليحي بن آدم بن سليمان القرشي الأموى أبو زكريا الأصول (ت ٢٠٣ هـ) دار المعرفة / بيروت ، تحقيق أحمد محمد شاكر .

١١٨ الكتاب المقدس (العهد القديم والعهد الجديد) المطبعة الأمريكانية في بيروت ١٩٢٩ م .

١١٩ الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : لأبي القاسم جار الله بن محمود بن عمر الزمخشري (ت ٥٣٨ هـ) شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر ١٣٩٢هـ .

١٢٠ كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون : لمصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة (ت ١٠٦٧ هـ) دار العلوم الحديثة بيروت .

====== (ل) ======

١٢١ لباب النقول في أسباب النزول : لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ت ٩١١ هـ) دار احياء العلوم / بيروت . الطبعة الثانية ١٩٧٩ م .

١٢٢ لسان العرب لأبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور (ت ٧١١ هـ) دار صادر ، ودار بيروت ١٣٧٥ هـ .

====== (م) ======

١٢٣ ما يقال عن الاسلام : لعباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي بيروت . الطبعة الثانية ١٩٦٦ م .

١٢٤ ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين : للسيد أبي الحسن علي الحسيني الندوى ، دار الكتاب العربي / بيروت ، الطبعة السادسة ١٣٨٥ هـ .

١٢٥ مباحث في علوم القرآن : لمناع القطان ، مؤسسة الرسالة / بيروت ، الطبعة الخامسة ١٣٩٨ هـ .

١٢٦ مجموع فتاوى شيخ الاسلام ابن تيمية ، جمع وترتيب عبد الرحمن بن قاسم وابنه محمد ، الطبعة السعودية ، تصوير عن الطبعة الأولى ١٣٩٨ هـ .

١٢٧ المجموع شرح المهذب : للامام أبي زكريا محي الدين بن شرف النووى (ت ٦٧٦ هـ) المكتبة العالمية بالفجالة / القاهرة ، تحقيق وتكملة محمد بخيت المطيعي .

١٢٨ مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوى والخلافة الراشدة : للدكتور محمد حميد الله ، دار الارشاد للطباعة والنشر والتوزيع / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٣٨٩ هـ .

١٢٩ محاضرات في النصرانية : للشيخ محمد أبي زهرة ، دار الفكر العربي ، الطبعة الثالثة ١٣٨١ هـ .

١٣٠ محمد رسولا نبيا : عبد الرزاق نوفل ، مؤسسة المطبوعات الحديثة بمصر .

١٣١ مختار الصحاح : للامام محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي ، مؤسسة علوم القرآن / بيروت ، ومكتبة النوري / بدمشق ، طبع سنة ١٣٩٨ هـ .

١٣٢ مختصر تفسير ابن كثير : لمحمد علي الصابوني ، دار القرآن الكريم/ بيروت ، الطبعة السابعة ١٤٠٢ هـ .

١٣٣ مدخل الى القرآن الكريم : للدكتور محمد عبد الله دراز ، دار القلم الكويت ١٤٠٠ هـ ، ترجمة محمد عبد العظيم علي .

١٣٤ المدخل لدراسة القرآن الكريم : لمحمد محمد أبي شهبة ، دار الكتب القاهرة ، الطبعة الثانية ١٩٧٢ م .

١٣٥ المستشرقون : لنجيب العقيقي ،دار المعارف بالقاهرة ، الطبعة الثالثة ، والرابعة سنة ١٩٦٥ م .

١٣٦ المسند : للامام أحمد بن حنبل ، الامام أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني (ت ٢٤١ هـ) دار صادر / بيروت .

١٣٧ المسيح في القرآن والتوراة والانجيل : لعبد الكريم الخطيب ، دار الكتب الحديثة بمصر ، الطبعة الأولى ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م .

١٣٨ المسيحية : للدكتور أحمد شلبي مكتبة النهضة المصرية / القاهرة الطبعة السادسة ١٩٧٨ م .

١٣٩ المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي ، العلامة أحمد محمد علي المقرىء الفيومي (ت ٧٧٠ هـ) دار المعارف بمصر ، تحقيق الدكتور عبد العظيم الشناوي .

١٤٠ مع الله : لمحمد الغزالي ، مطبعة حسان بالقاهرة ، نشر المكتبة الاسلامية ، الطبعة الخامسة ١٤٠١ هـ .

١٤١ معالم تاريخ الانسانية : هـ . ج . ولز ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر / القاهرة ، الطبعة الأولى ١٩٥٠ م ، مراجعة الأستاذ محمد مأمون نجا ، والدكتور عبد الحميد يونس .

١٤٢ معجم البلدان : للشيخ شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموى الرومي البغدادى ، دار صادر / بيروت .

١٤٣ المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى : تأليف لفيف من المستشرقين . نشره د / أ . ى ونسنك ، أستاذ العربية بجامعة ليدن / سنة ١٩٣٦ م .

١٤٤ معجم مقاييس اللغة : لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا ، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي / بمصر ، الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .

١٤٥ المغني لابن قدامة : أبي محمد عبد الله بن أحمد بن محمد ابن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) مكتبة الجمهورية / بمصر .

١٤٦ المفردات في غريب القرآن : لأبي القاسم الحسين بن محمد بن الفضل الراغب الأصفهاني (ت ٥٠٢ هـ) دار المعرفة / بيروت .

١٤٧ المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام : للدكتور جواد علي ، دار العلم للملايين / بيروت ، ومكتبة النهضة / ببغداد ، نشر بمساعدة جامعة بغداد ، الطبعة الأولى ١٩٧٠ م .

١٤٨ مكايد يهودية عبر التاريخ : لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني ، دار القلم / دمشق ، وبيروت ، الطبعة الثانية ١٣٩٨ هـ .

١٤٩ مكة والمدينة في الجاهلية وعهد الرسول : لأحمد ابراهيم الشريف ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، الطبعة الثانية .

١٥٠ الملل والنحل : لأبي الفتح محمد عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) دار المعرفة / بيروت ١٤٠٠ هـ ، تحقيق محمد سيد كيلاني .

١٥١ من وسائل الدعوة في العهد المدني : للدكتور محمد ابراهيم الجيوشي دار الطباعة المحمدية - الطبعة الأولى ١٤٠٢ هـ .

١٥٢ مناهل العرفان في علوم القرآن : لمحمد عبد العظيم الزرقاني ، دار احياء الكتب العربية ، عيسى البابي الحلبي وشركاه ، بمصر .

١٥٣ موطأ الامام مالك : أبي عبد الله مالك بن أنس بن مالك الأصبحي (ت ١٧٩ هـ) مطبعة الاستقامة / القاهرة .

====== (ن) ======

١٥٤ النبأ العظيم : لمحمد عبد الله دراز ، دار القلم ، الكويت الطبعة الثانية ١٣٩٠ هـ .

١٥٥ النبوة والأنبياء في ضوء القرآن : لأبي الحسن علي الحسيني الندوى دار القلم / دمشق ، وبيروت ، الطبعة الخامسة ١٤٠٠ هـ .

١٥٦ النبي الخاتم : لأبي الحسن علي الحسيني الندوى ، نشر المجمع الاسلامي العلمي ، لكنهؤ - الهند ١٣٩٩ هـ .

١٥٧ النهاية في غريب الحديث والأثر : للامام مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير (ت ٦٠٦ هـ) المكتبة الاسلامية لصاحبها الحاج رياض الشيخ ، تحقيق طاهر أحمد الزاوى ، ومحمود محمد الطناحي .

١٥٨ نيل الأوطار من أحاديث سيد الأخيار ، شرح منتقى الأخبار : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني (ت ١٢٥٥ هـ) دار الجيل بيروت ١٩٧٣ م .

=======(هـ)=======

١٥٩ هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى : للامام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) طبع في مؤسسة مكة للطباعة والاعلام ، من مطبوعات الجامعة الاسلامية بالمدينة المنورة ١٣٩٦ هـ .

======(و)======

١٦٠ وفاء الوفاء : لنور الدين علي بن أحمد المصري السمهودي (ت٩١١هـ) دار احياء التراث العربي / بيروت ، الطبعة الثالثة ١٤٠١ هـ ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد .

======(ى)======

١٦١ اليهود في القرآن : لعفيف عبد الفتاح طبارة ، دار العلم للملايين / بيروت ، الطبعة الثامنة ١٩٨٠ م .

١٦٢ اليهود في القرآن : لمحمد عزة دروزة ، المكتب الاسلامي / بيروت ، دمشق ١٤٠٠ هـ .

١٦٣ اليهودية للدكتور أحمد شلبي ، مكتبة النهضة المصرية / القاهرة الطبعة الخامسة ١٩٧٨ م .

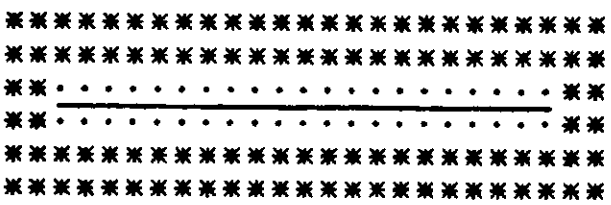

فهرست الموضوعات

فهرس الموضوعـــــــــــات

الموضـــوع	الصفحـــة
المقدمـــــة	أ
خطة البحث	ج
التمهيـــــد	١
تعريف المنهج	٢
تعريف القرآن	٣
تعريف الدعوة لغـــة	٤
تعريف الدعوة في الاصطلاح	٧
تعريف أهل الكتاب	٨
القول في الصابئـــة	٩
القول في المجوس	١٠
تعريف الاسلام لغة	١٣
تعريف الاسلام شرعا	١٤
البـــــاب الأول	
أهل الكتاب وموقف القرآن من مصادر ديانتهم	١٦
الفصل الأول : اليهود عند ظهور الاسلام	١٧
المبحث الأول : أسماء اليهود	١٨
المبحث الثاني : أسباب سكن اليهود في جزيرة العرب	٢١
المبحث الثالث : أصل اليهود	٢٩
رد شبهـــة	٣١
الفصل الثاني التوراة وما دخلها من تحريف	٣٥
تحريف التـــوراة	٣٦

الموضـــوع	الصفحـــة
أقسام العهد القديم	٣٦
تاريخ تدوين العهد القديم	٣٩
الأسفار الخفية عند اليهود	٤١
التلمود وبعض محتوياتـــه	٤٢
شواهد التحريف في العهد القديم	٤٥
أسباب تلف التوراة	٥١
موقف القرآن من التوراة	٥٢
الفصل الثالث : من هم النصارى ؟	٦٠
المبحث الأول : معنى كلمة نصارى ونصرانية	٦١
المبحث الثاني : النصارى عند ظهور الاسلام	٦٣
الفصل الرابع : الانجيل وما دخله من تحريف	٧١
تعريف الانجيل	٧٢
أقسام العهد الجديد وتاريخ تدوينها	٧٢
المجموعة الأولى (الأناجيل)	٧٣
نظرة في محتويات الأناجيل الأربعة	٧٥
المجموعة الثانية (رسائل بولس)	٧٧
المجموعة الثالثة (رسائل الكاثوليكية)	٨٠
سفر أعمال الرسل	٨٠
سفر رؤيا يوحنـــا	٨١
الأناجيل غير المعتمدة عند النصارى	٨١
شواهد التحريف في العهد الجديد	٨٣
أثر الاضطهادات في الديانة النصرانية	٨٧
موقف القرآن من الأناجيل	٨٨
انقطاع السند عند أهل الكتاب	١٠٦
شهادات العلماء المحققين على تحريف التوراة والانجيل	١٠٩

الموضـــــوع	الصفحـــــة
الفصل الخامس : صيانة القرآن الكريم عما وقع في التوراة والانجيل	١١٧
تمهيـــــد	١١٨
حفظ القرآن في الصدور	١١٨
حفظ القرآن في السطور	١٢٢
القرآن معجزة محمد الخالدة	١٢٥
التحدى بالقـــــرآن	١٢٨
وجوه اعجاز القرآن الكريم	١٣٠
شهادات بعض علماء الغرب في القرآن	١٣٤
البـــاب الثـــــاني	
دعوة القرآن الكريم لأهل الكتاب الى الاسلام	١٣٨
الفصل الأول : دخول أهل الكتاب في عموم رسالة الاسلام	١٣٩
تمهيـــــد	١٤٠
المبحث الأول : الأدلة من القرآن الكريم على عموم رسالة الاسلام	١٥٠
المبحث الثاني : الأدلة من السنة النبوية على عموم رسالة الاسلام	١٦١
المبحث الثالث : مكاتبات الرسول صلى الله عليه وسلم تدل علـى عموم رسالة الاسلام	١٦٤
اجماع المسلمين على عموم رسالة الاسلام	١٧٠
المبحث الرابع : الجهاد في سبيل الله يدل على عموم رســـالة الاسلام	١٧١
تعريف الجهاد	١٧١
مراحل تشريعـــه	١٧٤
خوض المعارك من أجل ابلاغ الدعوة ورد العدوان	١٧٧
١ - مع المشركين	١٧٧
٢ - مع اليهـــود	١٧٨

الموضـــوع	الصفحـــة
يهود بني قينقاع	١٧٨
يهود بني النضير	١٧٩
يهود بني قريظة	١٨١
يهود خيـــبر	١٨٢
٣ ـ مع النصارى (الروم)	١٨٤
غزوة مؤتـــة	١٨٤
غزوة تبـــوك	١٨٥
طبيعة الجهاد في الاسلام	١٨٩
المبحث الخامس : شهادات بعض علماء غير المسلمين بعالميـــة الاسلام	١٩٥
الفصل الثاني : اقامة الأدلة لأهل الكتاب على صدق النـــبي صلى الله عليه وسلم	٢٠٠
المبحث الأول : ثبوت علمهم بحقيقة النبي صلى الله عليه وسلم	٢٠١
المبحث الثاني : ثبوت علمهم بحقيقة القرآن الكريم	٢١٣
المبحث الثالث : استفتاح اليهود بالرسول صلى الله عليـــه وســـلم	٢١٦
المبحث الرابع : بشارة عيسى عليه السلام بمحمد صلى اللـــه عليه وسلم	٢٢٠
المبحث الخامس : هيمنة القرآن الكريم على ما سبقه من الكتـــب السماويـــة	٢٢٤
المبحث السادس : اقامة الحجة عليهم عن طريق الاستشهـــاد بما أنزل اليهم	٢٣١

الموضـــــوع	الصفحـــة
المبحث السابع : اقامة الحجة عليهم لا متناعهم عن المباهلة	٢٣٧
أ ـ المباهلة مع اليهـود	٢٣٧
ب ـ المباهلة مع النصـارى	٢٤٢
المبحث الثامن : البشارات بالنبي صلى الله عليه وسلم في كتب أهل الكتاب الحاليـة	٢٤٩
تمهيـــد	٢٤٩
المطلب الأول : البشارات في العهد القديم	٢٦١
المطلب الثاني : البشارات في العهد الجديد	٢٧١
المطلب الثالث : البشارات في انجيل برنابـا	٢٨٠
من هو برنابـا ؟	٢٨٠
اكتشاف انجيل برنابـا	٢٨١
الأمور التي يتفق فيها انجيل برنابا مع الاسلام	٢٨٤
بشارات انجيل برنابـا	٢٨٨
الفصل الثالث : أساليب القرآن الكريم في دعوة أهل الكتـاب الى الاسلام	٢٩١
المبحث الأول : موافقة دعوة محمد صلى الله عليه وسلم في الأصول لما دعا اليه الأنبيـاء السابقـون	٢٩٢
المبحث الثاني : الدعوة الى ملة ابراهيم عليه السـلام وابطال مزاعم أهل الكتاب بأنهم على ملته	٣٠١
المبحث الثالث : الدعوة الى الايمان بكتب الله ورسله	٣١٠
المبحث الرابع : الدعوة الى كلمة سواء	٣١٥

الموضـــوع	الصفحـــة
المبحث الخامس : قطع الحجة عليهم بارسال خاتـــم	
الرسل واظهاره ما يكتمون من دينهم	٣١٨
المبحث السادس : اسلوب الترغيب	٣٢٧
المبحث السابع : تذكير بني اسرائيل بنعم الله عليهم	٣٣١
بعض نعم الله على بني اسرائيل	٣٣٨
نزول العذاب والتنكيل ببني اسرائيل نتيجة كفرهم	٣٤٣
المبحث الثامن : تأنيبهم على عدم اسلامهم	٣٤٥
المبحث التاسع : التهديد والانذار بالعقوبة	٣٥٠
المبحث العاشر : اخبارهم بأن القرآن الكريم يقـــص	
عليهم الحق في خلافاتهم	٣٥٧
المبحث الحادى عشر : بيان سبب اختلافهم في الدين	٣٦٣
الفصل الرابع : سماحة الاسلام وانصافه لأهل الكتاب	٣٨٠
تمهيـــد	٣٨١
المبحث الأول : وصفهم بأهل الكتاب	٣٨٣
المبحث الثاني : العدالة في الأحكام عليهم	٣٨٧
المبحث الثالث : مجادلتهم بالتي هي أحسن الا الذين	
ظلمـــوا	٣٩٣
المبحث الرابع : اباحة طعامهم والزواج منهـــــم	
والتعامل معهم	٣٩٩
المبحث الخامس : قبول الجزية منهم	٤٠٥
المبحث السادس : نماذج من معاهدات الرســـول	
صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب	٤١٢
أ ـ المعاهدة مع اليهود في المدينة	٤١٢
ب ـ المعاهدة مع النصارى في نجران	٤١٧

الموضـــــوع	الصفحـــة
المبحث السابع : القاعدة العامة في التعامل بين المسلمين وغيرهم بوجه عام	٤٢١
المبحث الثامن : القاعدة العامة في التعامل بين المسلمين والذميين بوجه خاص	٤٢٣
المبحث التاسع : بعض شهادات علماء غير المسلمين بسماحة الاسلام وعدله	٤٢٧
الفصل الخامس : موقف أهل الكتاب من الدعوة الى الاسلام	٤٣٦
المبحث الأول : موقف اليهود	٤٣٧
١ - انكارهم لنبوة الرسول صلى الله عليه وسلم	٤٣٩
٢ - محاولتهم فتنة الرسول صلى الله عليه وسلم عن دينه	٤٤٠
٣ - التظاهر بالدخول في الاسلام نفاقا	٤٤١
٤ - أسئلة التعنت والاحراج	٤٤٢
٥ - نقض العهود	٤٤٣
٦ - الاستهزاء والسخرية والطعن في الاسلام	٤٤٤
٧ - الطعن في من أسلم منهم بالتعيير والتنقيص	٤٤٦
٨ - الغرور والتبجح	٤٤٧
٩ - موقفهم من القلة	٤٤٨
١٠ - اثارة الفتن والأحقاد الدفينة	٤٤٩
١١ - دسائسهم بين المسلمين	٤٥٠
١٢ - تآمرهم مع المنافقين	٤٥١
١٣ - تآمرهم مع المشركين	٤٥٢

الموضوعـــــات	الصفحـــــة
المبحث الثاني : موقف النصـــــارى	٤٥٦
١ ـ المواقـف الايجابيـــة	٤٥٦
٢ ـ المواقـف الحجاجيـــة	٤٦٢
٣ ـ الصـــدام المســـلح	٤٧٠
الخاتمـــــة	٤٧٣
ثبت المصـــــادر	٤٨٠
فهرس الموضوعـــــات	٤٩٧

وآخر دعوانا أن الحمـــــــد لله رب العالمـــــين

((تم بحمد الله وحسن توفيقه طبع هذه الرسالة في يوم الأحد العاشر من شهر المحرم من السنة الرابعة بعد المائة الرابعة عشرة من هجرة رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ الموافق السادس عشر من شهر اكتوبر من السنة الثالثة والثمانين بعد المائة التاسعة عشر من ميلاد المسيح عليه السلام ـ وقام بطبعها العبد الفقير الى رحمة الله تعالى / سعيد بن عطية بسيوني ـ غفر الله له ولوالديه ولصاحب الرسالة ولجميع المسلمين انه سميع قريب مجيب . آمين))